

تَذَكِيرُ النَّفْسِ بِحَدِيثِ الْقُدْسِ

واقظ ساله

تأليف

لهمشور سريه حميد بن العفاني

الجزء الأول

توزيع
دار العفاني

تدفاكس ٠٨٢٣١٧٣٤٤

الناشر
مكتبة معاذ بن جبل

ت ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٠٨٢ / ٣١٧٣٤٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٧٢٧ / ٢٠٠١



هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥

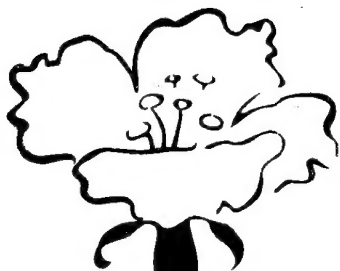
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩

محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨

تذکیر النفس

بحدیث القدس

واقدها



إلهنا

إلى محمد الدرة

♥ إلى شهيد القدس.. من تصحوا المآذن
في وجهه.. والبراكين من قبره توقظ الغضاة
أفديك يا ولداه بالدنيا.. وما ملكت يمين
يا أجمل الأطياف في وطني.. وغصن
الياسمين
يا نضحة الأقصى.. ويا غرس الجدود
الضاحين
أفديك يا ولدي بمن خانوا ومن جبنوا
على مر السنين.

(١) نسأل الله له أن يتقبله في عداد الشهداء.

القدس

تفكير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❀ مقدمة ❀

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَتَّى تَقَاتِلَ أَفْسَاسَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُكُوا بِالسُّلُمِ الْأَيْمَنِ فَلَا تَأْخُذْ بِهِمْ ۚ فِي الْأُمُورِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُكُوا بِالسُّلُمِ الْأَيْمَنِ فَلَا تَأْخُذْ بِهِمْ ۚ فِي الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُسْلِحُ لَكُمْ أَسْلَحَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد :

لو كُتِبَ كتاب بدمع العين ووجيب القلب وخفق الضلوع، وأريج السحر لكتبت به جمعي عن القدس، وكتابي هذا «تذكير النفس بحديث القدس (واقدساه)».

كيف لا، وليت المقدس والمسجد الأقصى كان الإسراء، ولأرضه فُتحت السماء، وعنه تُؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء، ومشاهد الشهداء، وكرامات الكرماء، وعلامات العلماء، وفيه مَبَارَكُ الْمَبَارِّ، ومسارحُ المسارِّ، وصخرتها الطُّولى القبلة الأولى، ومنها تعالت القدم النبوية، وتوالت البركة العلوية وعندها صلى نبينا ﷺ بالنبين، وصحب الروح الأمين، وصعد منها إلى أعلى عليين.

فما أجله وأعظمه، وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجلاه، وأسماءه وأسنائه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزائنه، وقد أظهر الله طُوله وطُوله بقوله ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾^(١).

□ إلى القدس هاجر إبراهيم عليه السلام، وتكون الهجرة إليها آخر الزمان، وتمتّى موسى عليه السلام أن يدنيه الله منها عند موته، وشدد الله لداود ملكه بها، وألان له الحديد، وتاب الله على داود بالقدس، وردّ الله على سليمان عليه السلام ملكه في بيت المقدس، وبشر الله زكريا بيسحى في المقدس، وكانت الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه

(١) «عيون الروضتين» (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

يقربون القرابين بها، وتهبط الملائكة إليها، وكفل زكريا مريم عليهما السلام بها، وتقبل الله من امرأة عمران نذرهما بها، وفضل الله مريم على نساء العالمين فيها، وبشر الله مريم بعيسى عليه السلام فيها، وفيها آتى الله الحكم ليحيى صبياً، ولد فيها عيسى عليه السلام، وبها كان يحيى الموتى بإذن الله، وأنزلت عليه المائدة فيها، ورفع الله إلى السماء منها، وهي مستقر خلافة المهدي عليه السلام، ولا يهبطها الدجال، ويُقتل على يد المسيح عليه السلام، ويهلك الله يأجوج ومأجوج في أرضها..

أرض النبوات والبركات، أرض الرباط والجهاد.. زهرة المدائن.. مدينة الله.. بيت السماء.. أرض الإسراء والمعراج.
لله كم هي مباركة مقدسة مبوأ صدق، دار رباط.

فانهض فهاتيك الربى قد فوحتْ	بالعطر من عبق الجهاد الملهم
أمجاد تاريخ ووحى نبوة	وجلال إسراء وعزة مسلم
ورفيف آيات تموج بساحها	نوراً فيغمُر من ربى أو معلّم



❏ وفي كتابنا هذا.. نذكر أسماء القدس، ومكانها ووديانها وجبالها وأبوابها، والمسجد الأقصى وأبوابه، ثم نعرّج على فضل القدس في الكتاب والسنة، ونتكلم عن تاريخها قبل الإسلام، ثم مكانة القدس عند الصحابة، واهتمامهم بفتحها، ونذكر فتحها في أيام الصحابة الأبرار، ونتكلم عن تاريخ القدس بداية من الخلافة الأموية حتى سقوطها في زمن الفاطميين العبيدين، وكيف سقطت.

﴿ونفرد مساحة كبيرة لسقوط القدس في أيدي الصليبيين ونذكر المذابح التي تمت عند احتلالها.

﴿ثم نذكر الأحداث التي مهّدت لفتح القدس بداية من عصر عماد الدين زنكي، ثم ولده المبارك نور الدين محمود بن زنكي، والأسباب التي أدت إلى استعادة فتحها على يد البطل ولي الله صلاح الدين الأيوبي.

ثم نذكر - لحظة بلحظة - الساعات المجيدة ساعات الفتح، وما تلاها، وأول خطبة في المسجد الأقصى بعد الفتح، وكيف سجل أدباء الإسلام هذه الأيام.

﴿ثم نعرض على تاريخ فلسطين بعد صلاح الدين، ثم في أيام المماليك.

﴿ثم نتكلم عن تاريخ فلسطين في أيام الخلافة العثمانية، ونذكر الدور المشرف للخليفة عبد الحميد الثاني، وكيف قاوم اليهود ورفض بيع فلسطين لهم؛ فكان جزاؤه خلعه من الخلافة بل وإسقاط الخلافة بأسرها.

﴿ونذكر كيف دخل النبي فلسطين ومعه عرب الحويطات، ونذكر وعد بلفور والأيام السوداء للانتداب البريطاني حتى سلموا فلسطين لليهود.

﴿ونذكر جهاد شعب فلسطين حتى سنة ١٩٤٨، وإذا ذكرت فلسطين يذكر القسّام ورجاله وبطولات رجال من أرض الإسراء.

﴿ثم نعرض على حرب ١٩٤٨ والدور البطولي للإخوان المسلمين على أرض فلسطين وبطولات أحمد عبد العزيز ورجاله، ثم نذكر خيانة العلمانيين والقادة للقدس وفلسطين، وكيف أن أكبر خيانة منهم للقدس أنهم بدلوا الراية، وخدعوا الأمة وزيفوا طبيعة المعركة حين غيّبوا الإسلام

عنها، وجربوا كل الرايات، ولم تطق أسماعهم نداء الإسلام: «واقدهاء»، صُمّت آذانهم عن نداء الإسلام وأذانه حتى سقطت الأمة في الوحل.

□ ثم نتكلم عن عداوة الغرب الصليبي والمكر اليهودي، والكفر الأحمر الشيوعي، وقدم عدائهم للإسلام وأنه عقيدة راسخة عندهم. . . ونذكر ما فعل اليهود بأهلنا في فلسطين، والمذابح التي ارتكبوها في حق الشعب المؤمن، ونفصل في أن اليهود لا حقّ لهم في فلسطين.

□ وتحت عنوان «العقيدة أولاً» ذكرنا من أخطأ من الاتجاه الإسلامي، وزعم أن عداوتنا لليهود ليست دينية، وإن صحّ قول القائل: «ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّد قصد الباطل»، ننبه على الخطأ من باب «أن الدين النصيحة»، فهذا نفس «للولاء والبراء».

□ وتكلمنا عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة حول «القدس» والبدع المتعلقة بالصخرة والقدس.

□ ثم نعرّج على الأحاديث النبوية العطرة التي تبث الأمل في النفوس وتحية، من أن المستقبل للإسلام في القدس، وأن الخلافة الإسلامية ستحل بالقدس قبل المهدي، وأن المهدي ستكون خلافته بالقدس. . . وكيف أن أعظم فتنة على الأرض - وهي فتنة الدجال - ستنتهي على هذه الأرض المباركة، كما أن فتنة «يأجوج ومأجوج» ستكون نهايتها على هذه الأرض المقدسة.

فأمل الإسلام ومستقبل الإسلام في القدس زاهر. . . أمل نعيش به وله، نشق به سجوف الليل السامري، بفجر الإسلام الوضيء.

أملٌ على أجفاننا وكُبودنا
 أملٌ كأنَّ الفجر في بسماته
 ونضمٌ في أحنائنا شرف الهوى
 لله ما تهفو القلوب إلى غدٍ
 ومواكبُ الإيمان تجلو نصرها
 وعلى محيَّانا وفوق المِسمِ
 ورَفيفُه بين الطُّيُوفِ الحُومِ
 والشوق بين مُجَنِّحٍ ومُكَتَّمِ
 زاهٍ على مَرِّ الزَّمانِ مُوسَمِ
 لتُعيدَ لألَّةَ الفُتُوحِ اليُتَمِ



❏ اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع
 السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم اللهم صلِّ على
 محمد وآله، اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك، واحشرنا إليك من بطون
 السباع، وحواصل الطير... وخذ لدينك من اليهود حتى ترضى، خذ
 لأعراض المسلمين حتى ترضى، وخذ لدماء المسلمين حتى ترضى، خذ
 لأطفال المسلمين حتى ترضى، خذ لحمد الدرة حتى ترضى، واجعل
 ثأره وثأر الإسلام من اليهود على أيدينا.
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وكتبه

سيد بن حسين العفاني

شوال ١٤٢١ هـ

القدس

أسماء القدس
ومكانها
وجبالها ووديانها

أسماء مدينة القدس

اعلم يا أخي أن كثرة الأسماء تدل على علو مكانة المسمى .

□ قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧٨/٣): «ولبيت المقدس عدة

أسماء تقرب من العشرين منها:

إيلياء بالمد والقصر، وبحذف الياء الأولى، وعن ابن عباس إدخال الألف واللام على الثالث، وبيت المقدس بسكون القاف وبفتحها مع التشديد، والقدس بغير ميم مع ضم القاف وسكون الدال، وبضمها أيضاً، وسلّم بالمعجمة وتشديد اللام وبالمهمله، وشلّام بمعجمة، وسلّم بفتح المهمله وكسر اللام الخفيفة، وأورّي سلم بسكون الواو ويكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة.

□ قال الأعشي:

وقد طفت للمال آفاقه دمشق فحمص فأوري سلم

□ ومن أسمائه: كورة، وبيت إيل، وصهيون، ومصروث آخره

مثلثة، وكورشيلا، وبابوس بموحدتين ومعجمة، وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوي في كتاب (ليس).

✽ مدينة السلام (أورو سالم) - أورشليم:

هو أقدم اسم عرفه البشر لها. وقد سماها به أقدم سكانها

الكنعانيون العرب. منسوبة إلى «سالم أو شالم أو شاليم»، وهو اسم مؤسسها، أو إله السلام عند الكنعانيين. وكلمة «أور» كلمة سومرية معناها «مدينة». وذكرها الأكاديون باسم «أورو سالم» والأكاديون نزّلوا

العراق في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد من الجزيرة العربية.

وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر هذه المدينة موجود في المتحف المصري بالقاهرة، وهذه النقوش تُسمى «لوحات تل العمارنة» ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث «امنحتب الثالث» من حاكم القدس من قبله - عبد يحييا - (١٤١١ - ١٣٧٥ قبل الميلاد) ويتكرر اسم أورشليم بعد هذا في لغات أخرى كما في نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (٧٠٠ ق.م) يرد اسمها «أوروسليمو».

□ وفي العبرية (يروشاليم)، وفي النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر المقدوني (حوالي ٣٣٠ ق.م) وردت بلفظ «هيروسوليم» باختصار. وانتشر اسمها من الكتاب المقدس في جميع لغات العالم تقريباً.

□ واسم «أورشليم» ليس عبرياً أصيلاً، فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول بني إسرائيل بشهادة نص تل «العمارنة»، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية (يروشاليم)، فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تُثبت في الكتابة العبرية، وقد كُتبت بدونها في أسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة، وكتبت بها ست مرات فقط، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها بلا ياء.

أورشليم معناها إله السلام أو مدينة السلام أو ميراث السلام.

□ وأجبار اليهود يدعون أن سام بن نوح قد سماها «شلم» أي: السلام، وأن إبراهيم الخليل سماها «يرأه» وهي بمعنى الخوف بالعبرية، فسماها الله بالاسمين معاً (يراه - شلم) أي: «أورشليم» بمعنى: الخوف، والسلام أي: السلام المتولد من الرعب.

وما قال أحد قبل أحبار اليهود أن سام بن نوح هو الذي سمي المدينة باسمها، حتى التوراة نفسها^(١).

✽ القدس :

اسم تُعرف به المدينة منذ القدم، ولقد ذكر المؤرخ اليوناني «هيرودوت» في تاريخه المشهور اسم مدينة كبيرة في الجزء الفلسطيني وسماها «قديس» مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه.

ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي «سالومون مونك» في كتابه «فلسطين» إن هذا الاسم على الأرجح هو «القدس» مُحَرَّفًا في اليونانية عن النطق الآرامي «قديشتا».

وغلب اسم القدس على المدينة بعد العصر الأموي.

✽ يَبُوس : وهذا الاسم أطلقه نبي الله «يوشع بن نون» عليه السلام على المدينة، ويَبُوس نسبة إلى «اليبوسيين» من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، وهُم سكان القدس الأقدمون أو هم أول من سكنها، أو أول من دوّن التاريخ أنهم سكنوها.

✽ إيلياء :

هذا الاسم سماها به الامبراطور الروماني «هدريان» سنة ١٣٥ م. وإيلياء اسم جد عائلة الإمبراطور، أو اسم عائلته، وبقي هذا الاسم شائعًا حتى الفتح الإسلامي.

(١) انظر: «القدس.. مدينة الله.. أم مدينة داود؟» للدكتور حسن ظاظا ص (٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٧).

وأهل اللغة يذكرون له صوراً متعددة: «إيلياء» بالمد، و«إيليا» بالقصر، و«إليا» بحذف الياء الأولى، و«الإليا» بإدخال الألف واللام على الثالث.

* بيت المقدس :

وقد جاء في حديث الإسراء في «صحيح مسلم» .
 □ قال النووي في «شرح مسلم»: «أما بيت المقدس، ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة:

إحدهما: بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة (المُقَدَّس).
 والثانية: بضم الميم وفتح القاف، والدال المشددة (المُقَدَّس).
 □ قال الزجاج: البيت المقدس: المُطَهَّر. وبيت المقدس: أي المكان الذي يُطَهَّر فيه من الذنوب.

* شَلَمَ: بالمعجمة وتشديد اللام.

* سَلَمَ: بالمهملية.

* شَلام: بمعجمة.

* سَلِمَ: بفتح المهملية وكسر اللام الخفيفة.

* أُورِي سَلِمَ: بسكون الواو وبكسر الراء، بعدها تحتانية ساكنة.

□ قال الأعمشني

وقد طُفْتُ للمال آفاقه دمشق فحمص فأُورِي سَلِمَ

* صهيون: وذلك من أجل الجبل الذي في الجنوب الغربي من القدس.
 أقام عليه اليوسيون أول حصن لهم عليه. ومن معان صهيون: «الحصن»

أو «الجبل المشمس».

* مصروث : آخره مثلثة .

* كورشيلا .

* موقعها وجوها :

تقع القدس على خط عرض ٣١ درجة ٤٦ ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٥ درجة ١٣ ٢٥ شرق جرينتش . وهي هضبة غير مستوية تمامًا يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ و ٢٤٦٩ قدمًا . وجوها قاري صحراوي إلى حد كبير ، فالحرارة فيها قد تتجاوز ٣٠ درجة صيفًا ، وقد تنزل إلى خمس درجات تحت الصفر شتاءً ، كما أن التفاوت في الحرارة كبير بين النهار والليل ، ومطرها شتوي متوسط ، ورطوبتها متوسطة أيضًا ، ويندر بها الثلج .

وليس بها أنهار ، وإنما تحيط بها عيون كثيرة تتفاوت في غزارة الماء وصلاحيته للشرب ، وأهمها عين سلوان^(١) ، وتندفع من بعض هذه العيون جداول مؤقتة بهطول الأمطار . وكانت المدينة إلى عهد ليس بالبعيد تعتمد أساسًا على تجميع مياه الأمطار في صهاريج وآبار أُعدت لهذا الغرض ، وأعلى مرتفعاتها يوجد على حافاتها الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية ، ولذلك اعتبرت منذ القدم موقعًا استراتيجيًا قويًا جدًا ، واشتهرت بأنها لا تظهر عند الزحف عليها من بُعد ، بينما تستطيع حاميتها

(١) وقف عثمان بن عفان عين سلوان على ضعفاء بيت المقدس .

وبعين سلوان التي في قدسها طعم يوهّم أنه من زمزم

أن تكشف تحركات المهاجمين لها وهم ما يزالون على مسافة طويلة .

تبعد القدس : ٥٢ كيلو متراً عن البحر المتوسط .

و ٢٢٠ كيلاً عن البحر الميت .

و ٢٥٠ كيلاً عن البحر الأحمر .

* وأهم جبالها :

(١) جبل المكبر: يقع في جنوب القدس، وتعلو قمته ٧٩٥م عن سطح البحر.

(٢) جبل الزيتون أو (جبل الطور): ويسمى أيضاً «طور زيتا» يعلو ٨٢٦م عن سطح البحر، وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية، يفصله عنه واد عميق سريع الانحدار هو (وادي قدرون).

وهو من الوجهة التاريخية من أهم الجبال المحيطة بالقدس .

والتلمود يسميه «جبل المسح» أي: جبل التتويج؛ لأنهم يأخذون من زيتونه الزيت المقدس الذي يُستعمل في تتويج ملوكهم، وعليه كانت تُحرق بقرة القربان الحمراء في التلمود.

ويكشف مدينة القدس، قديمها وجديدها .

(٣) جبل المشارف: سُمِّي بذلك؛ لأنه يُشرف على القدس، ويُقال له أيضاً: «جبل المشهد»، وهو الذي أطلق عليه الغربيون اسم «جبل سكوبس» نسبة إلى قائد روماني، ويقع إلى الشمال من مدينة القدس بانحراف قليل إلى الشرق .

(٤) جبل بطن الهوا: وهو امتداد جبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس، يفصله عنها «وادي سلوان» الذي يتصل في هذه النقطة نفسها بوادي قدرون ويسميه اليهود «هارها مشحيت» أي: «الجبل الفاضح» ويزعمون أن سليمان عليه السلام أقام عليه المعابد الوثنية لنسائه الأجنيات، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

(٥) جبل صهيون وجبل أكرّا: في الجنوب الغربي للقدس القديمة، وكانت عليه قلعة اليوسيين التي انتزعها داود منهم بالحرب، وبنى عليه الملك اليوناني «أبيفانوس» قلعة سماها «أكرّا» ومن ثم أصبح هذا الجبل يُسمى: جبل أكرّا.

(٦) جبل موريا أو «جبل بيت المقدس»: القائم عليه الحرم القدسي. □ ومن الجبال المُطَلَّة على القدس: «تل العاصور»: يرتفع ١٠١٦ م عن سطح البحر يقع بين قريتي دير جرير، وسلواد. وهو الجبل الرابع في علوه في فلسطين.

✽ أهم وديان القدس:

(١) وادي جهنم: واسمه القديم (وادي قدرون): وتسميه العرب «وادي سلوان» شرقًا وجنوبًا.

يفصل السور الشرقي للقدس عن جبل الزيتون. وبه نبع سلوان، والذي ينساب منه مجرى ماء اسمه «جيحون».

وكان هذا الوادي نفسه يحمل قبل مجيء بني إسرائيل اسم قبيلة

«هَنَم» - بتشديد النون - فكان يقال له: (وادي هَنَم) أو (وادي بني هَنَم). وكلمة الوادي كانت في لغات سامية قديمة متعددة هي كلمة «جي»، فكان يقال: «جيهنم» أي: هذا الوادي نفسه، وكانت هذه القبيلة - في الوثنية البعيدة في القدم - تقدّم الضحايا البشرية إلى إلهها (مولك) بذبحها وإلقائها في النار، ومن هذه الصورة أطلق اسم (جهنم) على مكان العذاب في الآخرة للشبه القائم بينهما. ووادي (هَنَم) أو (سلوان) أو (جیحون) هذا يمتد على طول جنوبي القدس حتى الطرف الجنوبي الشرقي من جبل صهيون، وسمي هذا الوادي بين العرب (حقل الدماء).

يبتدئ وادي جهنم على بُعد نحو (٢٥٠٠م) إلى الشمال الغربي من القدس بالقرب من حي الشيخ جراح ويسير إلى الجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى زاوية السور الشمالية الشرقية، وأخيراً ينتهي في البحر الميت، وهناك يُعرف بوادي النار.

(٢) وادي الجبّانة أو «التيروبيون»^(١): يفصل جبل صهيون عن غرب القدس، ويبدأ حيث ينتهي وادي سلوان، وكان يسمى في الجزء الجنوبي الغربي من القدس «وادي الزبالة» أو «وادي الدّمَن» أو «وادي القُمَامات».

(٣) وادي الربابة: ينحدر من باب الخليل في السور الغربي لمدينة القدس ماراً بالجنوب الغربي من بيت المقدس إلى بئر أيوب، ويفصل جبل صهيون عن تل أبي ثور.

وهذه الأودية (جهنم والربابة ووادي «تيروبيون» التي تحيط بالمدينة

(١) معناه: «صانعو الجبن».

القديمة من جهاتها الثلاث: الشرقية والجنوبية والغربية، كانت تُؤلف خطوطاً دفاعية طبيعية تجعل اقتحام القدس أمراً صعباً في الأزمنة القديمة. وأما جهتها الشمالية، والشمالية الغربية، فكانت مكشوفة، فكانت تأتي منها معظم الجيوش الغازية.

(٤) وادي الأرواح: أو العفاريت، يدور حول غرب جبل صهيون، وأقصى الجنوب وبه مدافن للموتى.

سور مدينة القدس وأبوابها

كانت القدس (يبوس) في أول نشأتها مدينة محاطة بسور منيع، وعليه قلاع حصينة..

ومع تطور المدينة واتساعها على مرّ العصور، كان يبني حولها سور، فإذا جاءها الغزاة هدموه، ثم أعيد بناؤه، وهكذا دواليك، فلم تخلو مرحلة من مراحلها من وجود السور، وآخر من جدّد بناء سور مدينة القدس السلطان سليمان القانوني. وكان علوّ السور ٣٨ قدماً ونصف قدم، وعليه ٣٤ برجاً وسبعة أبواب.

وهذا السور على هيئة شكل مربع منتظم طوله ميلان ونصف ميل. فأول سور بُني حول القدس، حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد.. وكلّ من نُسب إليه البناء فيما بعد، فإنما هو بناء تجديد وترميم، وليس بناء تأسيس.



✳ أما أبواب سور المدينة، فهي سبعة: وهي:

١ - باب الخليل أو (باب يافا): غربًا، وكان قديمًا يُسمَّى «باب إبراهيم»، ويقع في الحائط الغربي.

٢ - باب النبي داود (باب صهيون): جنوبًا وهو في الحائط الجنوبي يعرفه الأجانب باسم «باب صهيون» أنشأه السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة، وهو على جبل صهيون ملاصق لقبور ملوك آل داود.

٣ - باب المغاربة: وهو في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو أصغر الأبواب، ويسمى «الباب الصغير». ومن الأثريين من يزعم أنه باب القمامة القديم، والراجح أن باب القمامة كان إلى الجنوب أكثر، في أسفل الجبل، ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى لتدفن على جبل الزيتون.

٤ - الباب الحديد: ويسمى أيضًا (باب عبد الحميد): فُتح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيل غربي باب العمود وهو حديث العهد، يعود إلى أيام زيارة السلطان غليوم الثاني لمدينة القدس سنة ١٨٩٨ م.

□ وله قصة: فعندما زار الإمبراطور غليوم الثاني القدس سنة ١٨٩٨ م في زمن عبد الحميد الثاني، دخل المدينة وهو متّشح برداء أبيض راكبًا جوادًا حاسبًا نفسه حاجًا وصليبًا متمثلًا بأحد أجداده القدماء الذين حاربوا في القدس أيام الحروب الصليبية، ولم يدخل الإمبراطور المدينة من أحد أبوابها المعروفة، بل فتحت له الحكومة ثغرة في السور بالقرب من باب الخليل، والغاية من ذلك أن لا يكون الإمبراطور تحت سقف أي سلطة أجنبية.!!

٥ - باب العمود (باب دمشق): في الشمال الغربي، واليهود تسميه باب

شكيم (نابلس) وسُمِّي باب دمشق؛ لأنه مخرج القوافل إليها.

٦ - «باب الزاهرة»، أو «باب الساهرة»: وهو عند الغربيين يُسمى باب «هيروديس»، ويقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس على بُعد نصف كيلو شرقي باب العمود. وبناءه الحالي تركي.

٧ - باب الأسباط، أو باب ساباط: ويسميه الغربيون «باب القديس أسطفان» يقع في الحائط الشرقي، واليهود كانوا يسمونه قديماً باب (يهوشافاط)؛ لأنه يُطلّ على الوادي المسمى بهذا الاسم. وهذه الأبواب كلها مفتوحة.

وهناك أبواب مغلقة وهي:

□ باب الرحمة: ويسميه الأجانب (الباب الذهبي) لجماله ورونقه ويقع على بُعد ٢٠٠ م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور. ويعود إلى العصر الأموي. . مغلق أغلقه العثمانيون بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك، مفادها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب.

□ الباب الواحد: مغلق في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية. وهو في ابتداء الزاوية.

□ الباب المثلث: وهو في الحائط الجنوبي، بعد الباب الواحد، وهو مؤلف من ثلاثة أبواب.

□ الباب المزدوج: وهو من بابين، يعلو كليهما سور.

وهذه الأبواب المغلقة الثلاثة، تشير الدلائل على أنها أنشئت في العصر الأموي.

أَبْوَابُ سُورِ الْقُدُسِ عَلَى مَرِّ الْعَصْمِيِّ

الاسم العربي	الاسم الاغريقي	الجهة	القدس عام ٩٨٥	عام ١٢٢٥	معتبر الدين ١٤٩٢ وفي الوقت الحاضر
باب الخليل	باب يافا أو الخليل	في الحائط الغربي «مفتح»	باب محراب داود باب البلاط	باب دارود باب القديس أيعازار	باب الرجبة «مغلق» باب الرحمة «مغلق» باب دير الصرب باب العمود باب الدهرية «مغلق» باب الساهرة
باب العمود	باب دمشق	الحائط الشمالي «مفتح»	باب العمود	باب القديس ستيفن	
باب الساهرة	باب هيرودوس	الحائط الشمالي	باب جب أرميا	باب مادلين	
باب الأسباط	باب أريحا، أو باب القديس ستيفن		باب أريحا	باب ياهو شافاط	باب حي «الطورية» «مغلق»
—	باب المغارة أو باب القمامة	في الحائط الجنوبي «مفتح»	باب سلوان	باب الدباغة	باب حي المغارية
باب النبي داود	باب النبي داود أو باب صهيون	في الحائط الجنوبي «مفتح»	باب صهيون أو باب التيه	باب صهيون	باب حارة اليهود باب السر «مغلق» الباب المقابل للقمامة «مغلق»
باب المغارية	—	في الحائط الجنوبي «مفتح»			
باب الجديد	—	في الحائط الشمالي			
باب الرحمة	الباب الذهبي	في الحائط الشرقي «مغلق»			
باب الواحد	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			
باب الثالث	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			
الباب المزروع	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			

هذا عدا أبواب وبوابات داخل القدس نفسها مثل «باب حطة» الذي يصل إليه الداخل إلى القدس من باب الزاهرة، وباب السلسلة القريب من المسجد الأقصى.

□ سور مدينة القدس:

الشمالي: ٣٩٣٠ قدم.

الشرقي: ٢٧٥٤ قدم.

الجنوبي: ٣٢٤٥ قدم.

الغربي: ٢٠٨٦ قدم.

المحيط: ١٢٠١٥ قدم.

□ ارتفاع السور:

٣٨ قدمًا ونصف، وله أربعة وثلاثون برجًا وسبعة أبواب.

وصف المسجد الأقصى

* وهو من القدس سواد العين وسويداء القلب:

.. نعم نعم.. ليس في عالم القداسات مسجد.. إنما هو نبضة

من محمد ﷺ، وسيأتي في الحديث: «وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا».

والمسجد الأقصى في قلب القلب وسويدائه، وحتى لا ينسى الناس

مغالمة المسجد الأقصى، فها نحن نفصل في معالمه حتى تكون صورته ماثلة أمام العين.

□ إن اليهود نقشوا الشمعدان السباعي على عملاتهم، فلم لا ننقش

صورة الأقصى في القلب ونتمثلها أمام العين؟

من فاته الأصل هدّ الشوق بالأثر.

□ الهيئة العربية العليا لفلسطين توثق آثار المسجد الأقصى:

أصدرت الهيئة العربية العليا بمناسبة حريق المسجد الأقصى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م^(١) بياناً ذكرت فيه المعالم الرئيسية في المسجد الأقصى. وهذا نصّ البيان:

درج المسلمون على تسمية المسجد القائم إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرفة «المسجد الأقصى المبارك» والحقيقة أن المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يشمل الحرم القدسي الشريف بأجمعه. الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

□ الوصف الفني للمسجد:

يقع المسجد الأقصى في القسم الجنوبي من ساحة الحرم الشريف. فالزاوية الشمالية الغربية تبعد عن سور باب المغاربة نحواً من سبعين متراً، وتوازي واجهته الشمالية سور الحرم من الجنوب، والخط المستقيم المسحوب على واجهته هذه ينحصر بين سوري الحرم الشرقي والغربي بطول يقرب من مائتين وخمسة وثمانين متراً.

□ أقسام المسجد الأقصى:

ويقابل الداخل للمسجد من الجهة الشمالية رواق كبير أنشئ في

(١) ادّعت إسرائيل أن شاباً استرالياً يدعى دينيس مايكل وليم موهان ويبلغ من العمر ٢٨ عاماً - وكان قد دخل فلسطين المحتلة قبل أربعة أشهر من وقوع الحريق - هو الذي ارتكب الجريمة، وزعمت أنها قبضت عليه وستقدمه للمحاكمة. ولكن لم يمض وقت طويل حتى أعلنت السلطات الإسرائيلية أن دينيس هذا معتوه، وأطلقت سراحه.

زمن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ ثم جدد بعده. وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب كل باب يؤدي إلى رواق من أروقة المسجد السبعة.

وللمسجد عدا هذه الأبواب باب في الجهة الشرقية، وآخر في الجهة الغربية، وهناك مدخل لجامع النساء الواقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وهو مؤلف من رواقين ممتدين غرباً مسافة ٥٣ متراً إلى أن يتصلا بجامع المغاربة، وقد بني جامع النساء في عهد الفاطميين.

ويقع في الجهة الشرقية أيضاً جامع عمر، وقد أطلق عليه اسم أمير المؤمنين عمر؛ لأنه بقية الجامع الذي بناه عمر - رضي الله عنه - عند فتح القدس.

ويقع في الجهة الشمالية الغربية إيوان كبير، ويقع بالقرب منه إيوان جميل يسمى محراب زكريا.

وفي المسجد أعمدة كثيرة تقوم على قواعد جميلة، وتعلوها تيجان غاية في الجمال والإبداع.

وفي أعلى الأقواس صفان من الشبايك، يفتح القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين.

وسطح الرواق الرئيسي أعلى من سطح الرواقين المجاورين له. وفوق كل رواق من هذين الرواقين نصبه من الخشب قليلة الارتفاع في الوسط تسمى «الجميلون».

والحائط الجنوبي للمسجد متين جداً، ويقوم على أساس قوي منذ زمن قديم، وهو أقوى وأمتن من الجدران الأخرى التي ترجع إلى عصور

متأخرة، لذلك لم يكن من السهل أن يتأثر هذا الحائط المتين بجريمة الإحراق التي اقترفها اليهود، لولا الحفريات التي قاموا بها تحت الأسوار بعد احتلالهم القدس، ولولا استعمال المجرمين مواد فنية شديدة الاشتعال.

ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى في المسجد ٢١ متراً تقريباً، بينما يقوم داخل البناء على صحن قائم على أعمدة، ويبلغ ارتفاعه ١٦ متراً و ٥٠ سنتيمتراً.

□ قباب المسجد الأقصى^(١) :

قبة السلسلة.

قبة المعراج.

قبة محراب النبي.

قبة يوسف.

قبة الشيخ الخليلي.

قبة الخضر.

قبة موسى.

قبة سليمان.

القبة النحوية.

(١) قبة السلسلة: بنيت في عهد عبد الملك بن مروان.

قبة المعراج: بنيت عام ٥٩٧هـ: ١٢٠٠م.

قبة محراب النبي: بنيت عام ٩٤٥هـ: ١٥٣٨م.

قبة يوسف: بنيت عام ٥٨٧هـ: ١١٩١م.

قبة الشيخ الخليلي: حديثة بنيت في القرن التاسع عشر.

قبة موسى: بنيت عام ٦٤٩هـ: ١٢٥١م.

القبة النحوية: بنيت عام ٦٤٠هـ: ١٢٠٧م.

□ مأذن المسجء الأقصى ^(١) :

مئذنة باب المغاربة .

مئذنة باب السلسلة .

مئذنة باب الغوانمة .

مئذنة الأسباط .

□ أروقة المسجء الأقصى .

الرواق الممتد من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء (باب فيصل) .

الرواق المحاذي لباب شرف الأنبياء .

الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب

ورواقان فوقهما مستجدان .

الأروقة الغربية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة .

الرواق الممتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر .

الرواق الممتد من باب الناظر إلى باب القطانين .

الرواق الممتد من باب القطانين إلى باب السلسلة .

الرواق الممتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة .

(١) مئذنة باب المغاربة : أو المئذنة الفخرية ، بنيت عام ٦٧٧هـ : ١٢٧٨م . ورممت عام

١٣٤١هـ : ١٩٢٢م .

مئذنة باب السلسلة : بنيت عام ٧٣٠هـ : ١٣٢٩م .

مئذنة باب الغوانمة : بنيت عام ٦٩٧هـ : ١٢٩٧م .

مئذنة باب الأسباط : بنيت عام ٨٦٩هـ : ١٣٦٧م . ورممت عام ١٩٣٧م .

□ سبل الحرم:

- وقد أنشئت سبل عديدة في جوانب الحرم للوضوء والشرب وأكبرها .
 سبيل قايتباي^(١) .
 سبيل شعلان^(٢) .
 سبيل باب الحبس .
 سبيل البديري^(٣) .
 سبيل قاسم باشا^(٤) .

□ أبواب الحرم المفتوحة:

- باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء^(٥) باب الغواصة^(٦) ،
 باب الناظر^(٧) ، باب الحديد، باب القطنين، باب المتوضأ، باب
 السلسلة، باب المغاربة^(٨) .

□ أبواب الحرم المغلقة:

- باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق .

- (١) أنشئ عام ٨٦١هـ وجدده قايتباي عام ٨٧٠هـ: ١٤٤٥م. وأعيد ترميمه في عهد
 عبدالحميد الثاني عام ١٨٤٢م.
 (٢) أنشأه الملك المعظم عيسى وجدده الملك برسباي عام ٨٣٢هـ. كما جدد عمارته السلطان
 مراد الرابع العثماني عام ١٦٣٧م بعد أن بقي نحو قرنين وهو خراب.
 (٣) سبيل طوله متران وعرضه وارتفاعه أربعة أمتار. والمعتقد أنه تم في زمن السلطان محمد
 الأول العثماني سنة ١١٥٣هـ. تسميته أتت من منشئه آل البديري.
 (٤) دعي بذلك نسبة إلى قاسم باشا متولي القدس في عهد السلطان سليمان القانوني.
 (٥) ويسمونه أيضاً الباب العتم وباب فيصل.
 (٦) ويسمونه باب الخليل وباب الوليد.
 (٧) ويسمونه باب علاء الدين، وباب الحبس، وباب المجلس.
 (٨) يقع غربي الحرم إلى الجنوب ويسمونه باب النبي، وباب البراق.

□ عدد النوافذ (في الأقصى):

١٣٧ وكلها كبيرة من الزجاج الملون.

□ العقارات الموقوفة على الحرم:

دار الأيتام الإسلامية، تكية خاصكي سلطان، خان السلطان، دار المحكمة الشرعية عند باب السلسلة، دار الشيخ الحنبلي، كلية روضة المعارف، المدرسة البكرية، حمام الشفا، دكاكين على مقربة منه في سوق القطانين، دار حبس الرباط، دار حبس الدم.

وجميع هذه العقارات داخل السور في البلدة القديمة، وهناك عقارات أخرى موقوفة خارج السور في أحياء مختلفة من مدينة القدس.

✽ متفرقات عن الحرم القدسي:

□ الإضاءة في الحرم:

كان في الحرم عام ١٩٤٤ م ٣٣٠ مصباحاً، منها ١٣٠ لإضاءة مسجد الصخرة، و ٢٠٠ للمسجد الأقصى، وأما المآذن وباقي المنشآت الأخرى الكائنة في ساحة الحرم فإنها تضاء بالكهرباء.

وفي عام ١٩٤٨ م، كان عدد القناديل التي تضاء بالزيت ٤٠٠ والمصابيح الكهربائية ٢٠٢.

وفي عام ١٩٥٨ م لم يبق للزيت والشمع من أثر والحرم كله يضاء بالكهرباء.



✽ المسجد الأقصى سنة ١٩٧٢م:

ومما كتبه الأستاذ محمود العابدي عن الحرم المقدسي قوله ^(١) : إذا اجتزنا باب الأسباط ^(٢) لا نلبث أن نغير اتجاهنا إلى اليسار في طريق جنوبي، في الزاوية الشمالية الشرقية من الحرم الشريف، هنا تفتح أمامنا ساحة واسعة تضم سدس مساحة القدس الداخلة ضمن الأسوار. نمشي في طريق مبلط زرعت على جانبيه أشجار الزينة، ثم نرقى درجات تنتهي بأقواس ارتفعت على أعمدة رشيقة، هذه الأقواس تسمى «الموازين»، وتوجد في باقي جهات ساحة الصخرة الأربع موازين أخرى. ومن تحت هذا الميزان، نلتفت إلى الجهة الشمالية من الحرم لنرى عدة قباب ومآذن وأروقة وأبواب، أشهرها الباب الذي غير اسمه إلى باب «فيصل» عندما دخل منه الملك فيصل بن الحسين، ملك العراق لأول مرة سنة ١٩٣٣م. وها هي الأروقة الواسعة وما فوقها من مدارس، تدل على ما بلغه المسلمون في عصر المماليك من تقدير للعلم، وأشهر هذه المدارس «المدرسة العمرية» التي كانت أيام الانتداب «كلية روضة المعارف الوطنية».

نشاهد نوعين من المآذن «المربعة» في عصر المماليك و«المستديرة» من أيام الحكم العثماني. هذه هي القباب التي كانت مخصصة للغرباء

(١) نقلاً عن مجلة «قافلة الزيت» التي تصدر في «الظهران» في المملكة السعودية - عدد رمضان ١٣٩٢هـ: تشرين الأول ١٨٧٢م بتصرف.

(٢) باب الأسباط: واقع شمالي الحرم وفي أقصاه من الشرق عليه كتابة تفيد أن السلطان سليمان القانوني أمر بإنشائه عام ٩٤٥هـ.

والمتصوفة، وأهل العلم المنقطعين للتدريس احتساباً لوجه الله . نخطو قليلاً فوق هذا الفناء المبلط، ونرى فوهات الصهاريج التي تتجمع فيها مياه الأمطار، البعض منها واسع جداً، ولكل منها اسم خاص .

أمامنا قبة مرتفعة رائعة الجمال، تسمى قبة «المعراج»، وقد بناها أحد سلاطين المماليك .

□ قبة الصخرة:

... والآن نطوف ببناء قبة الصخرة نطوف بهذا البناء المثلث الشكل، والذي يبلغ طول كل ضلع منه عشرين متراً وارتفاعه عشرة أمتار. نصف الارتفاع السفلي مصفح بصفائح الرخام الأبيض الجميل. ونصفه العلوي مغشى بترايع من القاشاني الأزرق. وقد كتبت عليه سورة «يس» بالأبيض^(١). وكان قد أمر بتركيبه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٦١م.

وفي هذه الواجهات الثماني عدة نوافذ فيها الزجاج الملون الذي سنصف جماله من الداخل. ونوالي طوافنا حتى نأتي إلى الباب الغربي، ويقابله عن اليمين الميزان الغربي الذي يوصل إلى باب القطانين، ومنه يصل الناس إلى الحرم، فإذا درنا نحو الجنوب شاهدنا الباب الجنوبي، وهو أغنى أبواب الصخرة بالنقوش، ومنه يؤدي الميزان الجنوبي إلى المسجد الأقصى. وكذلك الباب الشرقي الذي تعلو للشرق منه قبة «السلسلة» التي كانت النموذج الأول الذي بنيت عليه قبة «الصخرة».

(١) تحتوي قبة الصخرة على كتابة كوفية قوامها آيات قرآنية يبلغ طولها نحو ٢٤٠ متراً من الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء داكنة. وذلك بأعلى التمثينة الداخلية.

نوالي طوافنا حتى نعود إلى الباب الشمالي الذي واجهناه أول وصولنا إلى فناء الصخرة فوق هذه التثمينة الخارجية سطح مائل، يتدرج في الارتفاع من أطراف التثمينة حتى يتصل برقبة القبة، ترتفع القبة على مستوى الفناء عشرين متراً، ويرتفع في أعلاها هلال نحو أربعة أمتار، وقد غطت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص القابل للتمدد، كما أن لونه لا يتغير مهما طال عليه الأمد.

أما اليوم فقد صُفِّح السقف بصفائح الألومنيوم المطلي بالذهب. حصل ذلك التبديل بعد الإصلاح الذي جرى على أثر إصابتها بقنابل الهون في حرب سنة ١٩٤٨.

□ قبة الصخرة من الداخل:

ندخل مسجد الصخرة من الباب الشمالي، ونقف متأملين مندهشين لنعرف براعة المهندس الذي شيد هذا البناء، وجعل الداخل من أي باب من الأبواب الأربعة يستطيع أن يرى جميع ما في داخل البناء من الأعمدة والدعائم، فتظهر أمامه مباشرة، لا يحجبها عن نظره أي حاجب. نخطو إلى الأمام في تثمينة، يقف فيها ١٦ عموداً وثمانى دعائم، إلى تثمينة أخرى قامت فوقها رقبة مستديرة مكسوة بالفسيفساء، ذات الفصوص المتراسة بأشكال زخرفية، قوامها فروع نباتية بألوان متجانسة، تميل إلى زرقة هادئة غاية ما تكون جمالاً وروعة، وفي وسط الرقبة كرنيش من الرخام عليه نقوش مذهبة فوق ١٦ شباكاً مكونة من الخارج من بلوكات من القاشاني المزخرف، بفتحات في وسطها، ومن الداخل مكسوة بالرخام المعرق، وقد بنيت بحيث تأخذ شكلاً دائرياً.

وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة من الرخام الملون، تحمل أربعة عقود كسيت بترايع من الرخام الأبيض والأسود.

وبين الجزء الدائري من مبنى قبة الصخرة، والمثلث الخارجي مثلث أوسط، يتكون من ثماني دعائم مكسوة بالرخام المعرق وستة عشرة عموداً رخامياً ملونة مرتبة بحيث يفصل بين كل دعامتين منها عمودان، ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود زينت بطياتها وتواشيحها بأنواع من الفسيفساء ذات الرسوم النباتية المختلفة، بألوان متجانسة ومذهبة، وبين الأعمدة أوتاد خشبية مكسوة بالبرونز بنقوش كلاسيكية مذهبة، وهذا المثلث الأوسط يفصل الرواق الأوسط عن الرواق الخارجي، ويغطي هذين الرواقين جمالون من الخشب عليه ألواح من الرصاص من الخارج، ومبطن من الداخل بألواح خشبية عليها نقوش مختلفة.

لنخطُ إلى الأمام لنقف أمام الباب الغربي، وننظر إلى زجاج إحدى النوافذ من الجانب الشمالي، لنرى منظراً يختلف عن المنظر الذي رأيناه من الأمام، وعمّا سنراه من الجانب الجنوبي. وجميع الشبايبك الحصية المزججة يختلف كل منها عن الآخر في الزخارف والألوان.

استطاع البناء العربي أن يكسر الأضلاع الثمانية إلى أنصاف أضلاع، فحصل بذلك على ستة عشر ضلعاً قصيراً، نصب عليها رقبة تشبه الطبل في شكلها. وفوق هذه الرقبة التي انتصبت فوق التمثيتين ركبت القبة، وهي قبة مزدوجة، خارجية وداخلية، صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الجص المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية بألوان مختلفة، وقد كتبت عليها آية «الكرسي»، وتنفذ من جدرانها أربعون

نافذة تعلوها ٥٦ طاقة، أقل اتساعاً من النوافذ، وتطل على داخل المسجد، وقد كتبت عليها تواريخ وأسماء مصليها.

ومعظم النوافذ المزينة بالذهب صفت بأمر السلطان سليمان القانوني، كما جدد أكثر أبوابها، وجاءها بقطع القاشاني والزخارف من مختلف بقاع الأرض.

□ الصخرة:

تحت هذه القبة صخرة برزت نحو المتر عن الأرض بشكل غير منتظم، يبلغ طولها نحو ١٨ متراً وعرضها ١٣ متراً^(١)، وأحيطت بحاجز خشبي حفر حفراً فنياً رائعاً، وأثناء زيارتنا هذه نصل إلى باب في الجنوب الشرقي تحت الصخرة نقف مأخوذين بجمال القوس الذي أقيم على مدخله، ندخل الباب الجميل، ونهبط ١٦ درجة توصلنا إلى «الغار» وهو كهف أبعاده ٤,٥ × ٤ أمتار، وله سقف يرتفع ثلاثة أمتار، وفيه ثغرة سعتها نحو المتر. وفي الداخل محرابان يطلق على كل منهما اسم إبراهيم عليه السلام.

نخرج من الباب الجنوبي من مسجد الصخرة، ونقدم إلى الأمام لنصل إلى الميزان الجنوبي، وقبل أن نهبط سلمه نرى على يميننا منبراً صنع من الرخام البديع، وتعلوه قبة رائعة الجمال وقد أقيم ليكون منبراً للمبلغ الذي يسمع صوت الإمام في الأقصى، فيبلغه بصوته العالي ليستمعه المصلون في مسجد الصخرة.

(١) طولها من الشمال والجنوب ١٧,٧٠ متراً وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥ متراً، وأقصى ارتفاع لها عن أرض البناء متر ونصف متر.

□ المزولة:

نهبط الءرء ءتى نصل بركة تسمى «الكأس»، يتوضاً منها المصلون. وإذا التفتنا إلى الراء شاهءنا تخطيماً على الصفة القائمة فوق أعمءة الميزان، هو رسم ساعة شمسية يستءل المؤذن بها على وقت الظهر، وذلك عءءما تكون الشمس في وسط السماء ثم تأءذ في الزوال نءو الغرب، لذلك تسمى المزولة^(١).

ها هو المسءء الأقصى يقابلنا بأبوابه السبعة، ونلاحظ أن أوسطها أعلاها، ومنه نلء إلى البهو الأوسط الذي يعلو عن الأبهاء الجانبية. ومعظم الأبنية الءالية في الأقصى هي من أعمال الملك عيسى بن الملك العاءل آءي صلاح الءين، والذي يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٣٦م.

يبلغ طول المسءء الأقصى ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً وله ٥٣ عموداً، بينها ٤٩ سارية مربعة، بنيت من الءجارة وارتفاع الأعمءة والسواري خمسة أمتار^(٢)، وقامت فوقها أقواس ءجرية اتساع كل منها تسعة أمتار يربط بين الأعمءة شءاءات من النءاس.

نءرع هذه الأبهاء الرءبة إلى أن ينتهي بنا المطاف إلى ءء القبة القبيلة التي ترتفع ١٧ متراً عن الأرض، وقد عطفها الفسيفساء الءميلة، والتي ءضم مظهرأ ءميلاً من مظاهر الفن.

عءءما استرء صلاح الءين الأيوبي بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ:

(١) في الءرم مزولتان شمسيان لمعرفة الوقت واءة عربية. رسمها مفتي الشوافعة محمد طاهر أبو السعوء ءوالي عام ١٩٢٠، والثانية زوالية رسمها المهندس المقدسي رشءي الإمام.

(٢) قطر الأعمءة في قسمها الأعلى ٤٣ سم وفي الأسفل ٥٢ سم.

١١٨٧م بذل كل ما في وسعه لتحسينه ورصفه وتدقيق نقوشه فأحضر من الرخام ما لا يوجد مثله، ومن الفصوص المذهبة من صنع القسطنطينية، وكان قد أخذ في جمعه منذ أن وطد العزم على استرجاع البلاد.

ولقد جدد صلاح الدين محراب المسجد وزينه بالفسيفساء كما جلب للأقصى المنبر الذي عمله نور الدين.

□ في ساحات الحرم:

وإذا ما أجلنا النظر في أرجاء الحرم وساحاته رأينا محاريب بأسماء كثيرين من الأنبياء والصالحين. إننا في مكان رحب هادئ جميل جليل. فما أعظمها من متعة روحية.

«نستنتج من ذلك كله أن حدود منطقة الحرم لم يطرأ عليها تغيير محسوس منذ أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك، أي: منذ نهاية القرن السابع الميلادي. وأما الاختلاف في الأرقام التي تدل على المقاييس فمرده دون شك إلى أخطاء الكتاب، وإلى اختلاف الذراع الذي يتراوح طوله بين الذراع الملكي الهاشمي الذي يساوي ١,٥ قدم والذراع الملكي المتأخر الذي يقرب طوله من ٢ قدم، والذراع المعماري الذي استعمل في القرن الخامس عشر، والذي يقرب طوله من ٢,٢٥ قدمًا».

* بالأرقام:

□ الحرم القدسي، وهو المقصود باسم المسجد الأقصى:

يقع على مساحة مربعة طول الجهة الغربية منها ٤٩٠ مترًا.

طول الجهة الشرقية منها: ٤٧٤ متراً.

طول الجهة الشمالية منها: ٣٢١ متراً.

طول الجهة الجنوبية منها: ٢٨٣ متراً.

□ أبواب الحرم القدسي:

باب الأسباط - باب حطة - باب شرف الأنبياء (فيصل) - باب

الغواصة (الخليل - الوليد) - باب الناظر - باب الحديد باب القطنين - باب

المتوضأ - باب السلسلة - باب المغاربة (أو باب النبي - أو باب البراق).

□ محيط الحرم القدسي:

الحائط الشمالي: ١٠٤٢ قدم.

الحائط الشرقي: ١٥٣٠ قدم.

الحائط الجنوبي: ٩٢٢ قدم.

الحائط الغربي: ١٦٠١ قدم.

المحيط: ٥٠٩٥ قدم.

□ الصخرة:

طولها ١٧,٧٠ متراً.

وعرضها ١٣,٥٠ متراً.

ويبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ١,٢٥ متر إلى مترين، وينزل إلى

المغارة التي تحتها بإحدى عشرة درجة من جهة القبلة، وهي محاطة

بدرابزين، قيل من الحديد، وقيل من الخشب.

قياس آخر:

طولها ٥٧ قدماً.

عرضها ٤٣ قدماً.

ترتفع من قدم إلى ستة أقدام عن البلاط .

□ القبة (قبة الصخرة):

القبة مثمثة الشكل ، طول كل جانب ٦٧ قدمًا .

ارتفاع القبة ١٧٠ قدمًا .

مبنية على أربع دعائم ، واثنى عشر عمودًا .

ولها أربعة أبواب إلى الجهات الأربعة .

□ البراق:

قسم من سور الحرم القدسي الغربي . في الزاوية الجنوبية الغربية .

وهو حائط البراق الذي ربط فيه البراق النبوي ليلة الإسراء .

طوله ١٥٦ قدمًا .

ارتفاعه ٥٦ قدمًا .

□ المسجد الجامع:

(ويسمونه المسجد الأقصى مجازًا) يقع جنوبي جامع قبة الصخرة .

وطوله ٨٠ مترًا .

وعرضه ٥٥ مترًا .

عدا ما أضيف إليه من الأبنية ، وأول ما يقابلك من هذا المسجد

عند مدخله من الجهة الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى

صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ . وللمسجد عشرة أبواب ، وقبته من الخشب

مغطاة بالرصاص .

□ المسجد العمري:

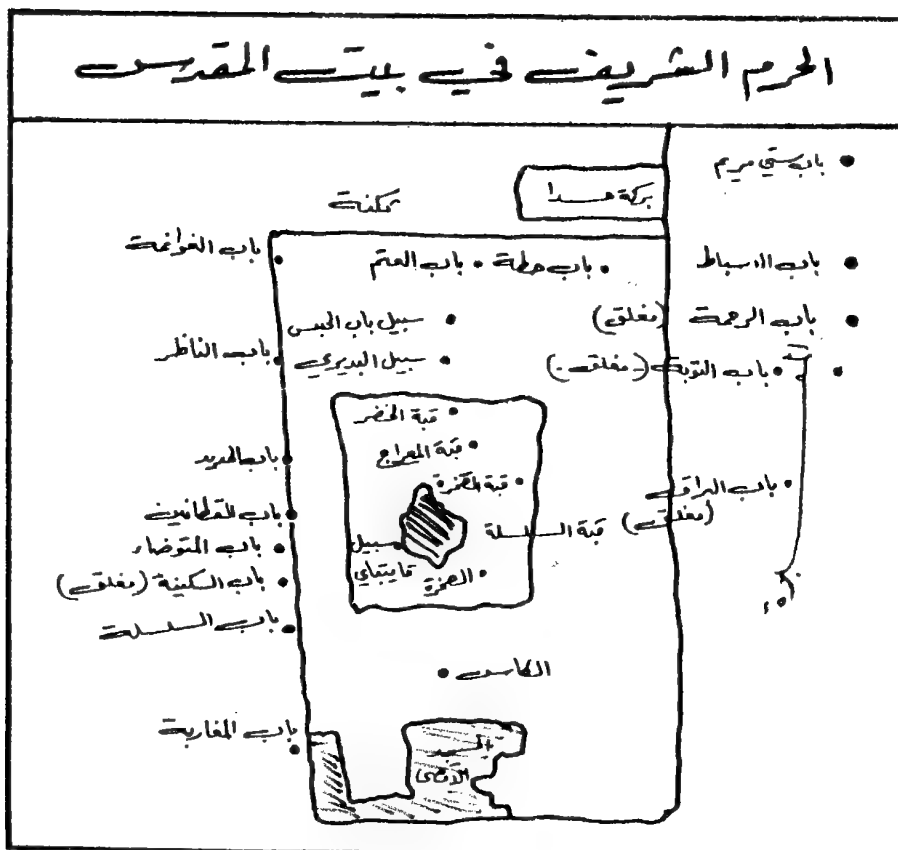
يقع في الجنوب من ساحة كنيسة القيامة ، وقد يُقال : مسجد عُمر :

لموقع المسجد الجامع داخل سور الحرم؛ لأنه المكان الذي خطه عمرٌ
لصلاة الجماعة عند الفتح، وفي شرقي المسجد الجامع بناءٌ يطلق عليه
مسجد عمر أيضاً.

أبواب الحرم الشريف في العصور المختلفة

المقدسي سنة ٩٨٥م	ناصر خسرو عام ١٠٤٧م	سجير الدين عام ١٤٩٦م	الأبواب الحديثة سنة ١٨٩٠
١ - باب حطة	باب حطة	باب النبي	باب النبي تحت باب المغاربة
٢ - باب النبي	باب النبي	باب الأقصى القديم	باب الأقصى القديم، الباب المزدوج القديم الباب الفردي القديم والباب الثلاثي
٣ - باب محراب مريم	باب العين		
٤ - باب الرحمة	باب الرحمة	باب الرحمة	باب الرحمة وباب التوبة الباب الذهبي
٥ - باب البركة	باب الأبواب	باب الأسباط	باب الأسباط
٦ - باب الأسباط	باب الأسباط	باب حطة	باب حطة
٧ - الباب الهاشمي	باب الصوفية	باب الدوادارية	باب العتم
٨ - باب الوليد		باب الغوانمة	باب الغوانمة
٩ - باب إبراهيم	باب صقر	باب الناظر	باب الناظر
١٠ - باب أم خالد		باب القطنين أو باب الحديد	باب الحديد أو باب القطنين أو باب المتوضأ
١١ - باب الوليد	باب داود وباب السكينة	باب السلسلة وباب السكينة	باب السلام وباب السلسلة

الحرم الشريف في بيت المقدس



الحرم الشريف في بيت المقدس

القدس

تاريخ القدس قبل الإسلام

تاريخ القدس قبل الإسلام

✽ نشأة «القدس» دينية منذ بداية التاريخ :

□ نعم . . فالقدس واقعة على سلسلة جبال، ومحيط القدس قاحل، لا سهل فيه، ولا ينابيع. فهي ليست بمركز زراعي، وليست على بحر ولا على طريق تجاري.

ومع هذا كله فإنك تجد فيها خيرات الأرض كلها، بل تجد فيها المنتجات الزراعية الصيفية في فصل الشتاء.

□ فالمدينة لم تنشأ في أصل نشأتها للأسباب التي تنشأ لها المدن والقرى: وأسباب نشوء المدن والقرى: البحر، والنهر، والماء، والزراعة، وطرق التجارة . . أما بيت المقدس فليس لها واحدة من هذه الميزات . .

فكيف أصبحت مدينة تتزاحم الناس فيها، ويشدون الرحال إليها؟
قبل أن نجيب يكفي نظرة إلى مكة والقدس، وما بين المدينتين من تشابه وتقارب في طبيعة المكان، وحكمة النشأة:

مكة في واد غير ذي زرع . . . فجعل الله قلوب أفئدة من الناس تهوي إليهم . . وجعل الله مكة في مكان مجذب لا زرع فيه، ولكنه خلق أخصب بقاع الجزيرة - وهي الطائف - مجاوراً لها.

□ وهذا حال مدينة القدس: فالزمن الذي تأسس فيه بيت مكة، هو الزمن الذي تأسس فيه بيت المقدس . . . وهناك وادٍ غير ذي زرع، وهناك جبل غير ذي زرع . . .

وهناك أفئدة من الناس تهوي إلى ساكن مكة، وهنا جعل الله أفئدة من الناس تهوي إلى بيت المقدس.

□ وهناك خلق الله الطائف على مرمى حجر من مكة، وهنا خلق الله أرضاً تجاور القدس، بارك فيها بركات الدين والدنيا.

□ نعم، ليس في المدينتين ما يبهر النظر من متاع الدنيا، ولا يقصدهما القاصد من مكان بعيد لطلب مال أو استجداء عطاء أمير، إنما يقصدها للعطاء من رب الأرض والسماء.

□ العرب أول من سكن القدس... والقدس كانت تعرف التوحيد قبل قدوم خليل الرحمن عليه السلام:

لا شك أن القدس كانت مسكونة، أو كانت مقصد البشر منذ زمن بعيد مؤغل في القدم، لا يعلمه إلا الله؛ لأن المسجد الأقصى أسس في الزمن الذي أسس فيه البيت العتيق في مكة، وثبت أن البيت العتيق كان مؤسساً قبل إبراهيم عليه السلام بزمن طويل لا يعلمه إلا الله.

ولكننا لا نملك تأريخاً للأمم التي سكنت القدس إلا في حدود ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد (٣٥٠٠ ق. م) . . . وهو تاريخ أولى الهجرات الكنعانية، التي اتجهت من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال الشرقي. ومن بطون العرب الكنعانيين الذين هاجروا إلى فلسطين «اليبوسيون» وهؤلاء هم الذين سكنوا القدس وعمروها، ولم يعرف التاريخ المدون شعباً قبلهم سكن القدس^(١). ونسبة إليهم سميت القدس

(١) انظر: «تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» محمد عزة دروزة ص (١٥٣).

«يبوس». وجاء اسم يبوس في الكتابات المصرية الهيروغليفية باسم «يابثي» و«يابتي» وهو تحريف للاسم الكنعاني.

فهذا من المتفق عليه بين المؤرخين أن أول من سكن بقعة القدس الشريف قومٌ من اليبوسيين من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية؛ لأنهم أحد فروع الكنعانيين، والكنعانيون من العرب بالاتفاق بين المؤرخين، فقد ذكر المؤرخ العربي ابن جرير الطبري الكنعانيين في تاريخه وقال: إنهم من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة، فقال: عمليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمَان وأهل الحجاز وأهل الشام منهم...

ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يُقال لهم «الكنعانيون» (٢٠٣/١). وقال ابن خلدون: وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العمالقة كانوا قد انتشروا في بلاد الشام وملكوها، وقال: «أول مُلْكٍ كان للعرب في الشام فيما علمناه للعمالقة».

واتفق المؤرخون من أعداء العرب وأصدقائهم: أن الكنعانيين جاءوا إلى بلاد الشام من شبه الجزيرة العربية، ونسبةً إلى هؤلاء الكنعانيين دُعيت فلسطين بأرض كنعان، فكان أقدم اسم سُميت به بلادنا.

وقد احتلَّ اليبوسيون التلال المشرفة على المدينة القديمة، وبنوا قلعة حصينة على الراية الجنوبية الشرقية من يبوس، سُميت حصن يبوس، الذي يُعدُّ أقدم بناءٍ في مدينة القدس، أُقيمت حوله الأسوار، وبرج عالٍ في أحد أطرافه للسيطرة على المنطقة المحيطة بيبوس للدفاع عنها وحمايتها من غارات العبرانيين، والمصريين الفراعنة بزعامة ملكهم سالم

اليبوسي^(١)، وعُرف حصن ييوس فيما بعدُ بحصن صِهْيُون، ويعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالأكمة، أو هضبة أوفل.

وقد أثبتت نتائج الحفريات أن المدينة اليبوسية، كانت شرقي أسوار الحرم القدسي وعلى السفح المنحدر إلى وادي قِدرُون (جهنم) ولم تكن على جبل (موريا) حيث يقوم الحرم الشريف.

□ وهذا يوحى بأن بقعة المسجد الأقصى كانت موجودة ومعروفة، ولذلك سكن اليبوسيون بجوارها، ولم يسكنوا فيه؛ لأنها محل للعبادة. ومن أقدم ملوك اليبوسيين الكنعانيين في القدس «ملكي صادق» الذي عقد صداقةً مع إبراهيم الخليل عليه السلام، مما يدل على أنه كان من الموحدين العابدين لله تعالى.

□ وكانت الهضبة المسطّحة التي تتوّج جبل «موريا» المكان الذي وجد فيه إبراهيم عليه السلام الرجل الأصيل (ملكي صادق)، ملك أورشليم، يعبد الله العليّ، ويقوم بقرى الضيوف فيقدم لإبراهيم الخبز والنبذ، ثم يباركه «باسم الله العلي» أيضاً.

فمدينة القدس: كانت تعرفُ عقيدة التوحيد، قبل أن يقدم إبراهيم

(١) وسالمٌ هذا: أول من حكم القدس، فسميت باسمه، أو أضيفت إليه ققيل (أور+سالم) يعني بلد سالم. وعندما قدم سيدنا إبراهيم إلى فلسطين، كان ملكها اسمه «ملكي صادق» وسالم، وملكي صادق كما يظهر من اسمهما أنهما من العرب. والحق ما شهدت به الأعداء، فقد سجل اليهود في توراتهم أن ملكي صادق كان ملك شليم (القدس) في زمن إبراهيم عليه السلام، وأن ملكي صادق ابتهج لانتصار إبراهيم على خصومه، وتصدّق بخبز وخمر؛ لأنه كان كاهناً لله، ويفيد هذا أن ملكي كان موحداً وربما كان نبياً. وبهذا تكون فكرة التوحيد - توحيد الله - قائمة في فلسطين والقدس، قبل قدوم سيدنا إبراهيم، وهذا يدل على وجود المسجد الأقصى المبارك قبل قدوم سيدنا إبراهيم.

الخليل إلى فلسطين؛ لأن الله تعالى أمر بوضع المسجد الأقصى فيها لعبادته، وكان الناس يقصدونه للعبادة؛ ولأن ملكي صادق - ملك اليوسيين -، اتخذ بقعة المسجد الأقصى مكاناً لعبادته.

ويزعم بعض المؤرخين تبعاً لليهود، أن ملكي صادق هو لقب سام ابن نوح وهذا لا يصح؛ لأن بين سام بن نوح وبين إبراهيم أزمنة طويلة فقد ذكر القرآن بعد نوح: النبي هوداً عليه السلام، والنبي صالحاً عليه السلام.

... وعلى هذا تكون القدس أقدم بقعة على الأرض عرفت عقيدة التوحيد بعد مكة المكرمة شرفها الله... لأن ملكي صادق الذي التقى إبراهيم حوالي سنة ١٨٠٠ ق. م كان موحداً، ولأن سيدنا إبراهيم الذي جاء إلى فلسطين دعا إلى التوحيد، ولقي في أهل فلسطين استجابة.

وما يجدر أن ننبه إليه، ونوضحه: أن المؤرخين ينسبون إلى إخناتون الفرعوني (أمنحوتب الرابع ١٣٧٧ - ١٣٥٨ ق م) أنه دعا الناس إلى عبادة إله واحد (ويجعلون له الأولوية والأقدمية) بدون دعوة نبي. ولكن وحدانية إخناتون، لم تكن دعوة إلى توحيد الإله الخالق الرازق الذي يرى الناس ولا يرونه، وإنما كانت دعوة إلى توحيد إله مادي منظور ومحسوس، فقد كان المصريون قبله يعبدون عدداً من الآلهة المنظورة المحسوسة، فدعا إلى عبادة إله واحد هو «أتون» أو «قرص الشمس»، ونبذ جميع الآلهة الأخرى، فهذا كمن يُفردُ صنماً واحداً لعبادته.. وشتان بين عبادة الإله الذي دعت إليه الأنبياء وبين عبادة الإله الواحد المادة المحسوس...

إِخْنَاتُون للتوحيد دَاعٍ قديماً قبل كل المرسلينا
 إِخْنَاتُون عابد قرص شمسٍ بزعم الكفر شيخ المسلمينا
 □ وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة الإنجليزية
 كاثلين سنة ١٩٦١م في طبقات العصر البرونزي القديم من أكمة «أوفل»
 بالقدس عن بقايا السور الأول الذي بناه اليبوسيون على جبل صهيون،
 وأبرزت قسماً من أسس الأبنية وتمديدات جر المياه إلى الحصن من عين أم
 الدرج (جيحون). {الموسوعة، مادة القدس}.

□ فملكي صادق ملك أورشليم العربي موحد بنص التوراة.

فالتوراة نفسها تتحدث عن «أورشليم» لأول مرة في زمن إبراهيم
 «حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م» وكان اسمها (شاليم) فقط. وكان ملكها من
 سكان فلسطين الأصليين، ويبدو من السياق أنه كان يحكم دينياً، تقول
 توراتهم (سفر التكوين ١٤/١٨):

«وَمَلَكِيصْدَكَ مَلِكُ شَالِيمٍ أَخْرَجَ خَبِزاً وَنَبِيذاً!!»^(١) ، وكان كاهناً لله
 العلي، وباركه، وقال: مُبَارَكُ أَبْرَامَ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ». فأورشليم (القدس) كانت مدينة مباركة من الله العلي من
 قبل داود، بل من قبل إبراهيم أيضاً.

✽ فتح بني إسرائيل للقدس على عهد نبي الله يوشع بن نون عليه
 السلام:

وعلى عهد يوشع بن نون خليفة موسى (حوالي سنة ١٤٥٠ ق.م)

(١) هكذا... لعن الله اليهود كم حرقوا وبدلوا.

كان بنو إسرائيل قد أصبحوا بعشائرتهم التي تهدّد أمن المدن الفلسطينية خطراً يُحسب حسابه، ويؤكد ذلك نص تل العمارنة الذي أشرنا إليه. لذلك نجد تحالفاً يُعقد بين أمراء الفلسطينيين على أثر انتصار يوشع بن نون في أريحا وعاي وجبعون (يوشع ١٠/٣ - ٤). «فأرسل أدونيصدق ملك أورشليم إلى هوم ملك حبرون - الخليل - وفرآم ملك يرموت، ويافع ملك لكيش، ودبير ملك عجلون». ولكن يوشع عليه السلام ترهبه كل فلسطين، فتخضع له بعض البلاد ويحاربه البعض الآخر، ويصالحه فريق من «الخائفين» على امتيازات معينة يتنازلون عنها لبني إسرائيل.

□ وكانت (أورشليم) من المدن الفلسطينية التي قاومت بني إسرائيل قروناً طويلة.

فمثلاً نجد يوشع بن نون - عليه السلام - نفسه يجعلها في نصيب قبيلتي بنيامين ويهوذا من أسباط بني إسرائيل، ولكنهما لم يستطيعا - ولمدة طويلة جداً - طرد سكانها الأصليين (اليوسيين) إحدى القبائل الفلسطينية القديمة.

□ وأما اليوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدّر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم^(١). والمقصود اليوم الذي يروى فيه الراوية هذه الوقائع عن يوشع وبعد وفاته بمدة علمها عند الله.

وبعد موت يوشع بن نون أعاد سبط يهوذا الكرة على أورشليم

(١) يوشع (١٥/٦٣).

«وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحدّ السيف، وأشعلوا المدينة بالنار»^(١).

أما سبط بنيامين، فإنهم فشلوا كذلك في طرد اليبوسيين وسكنوا معهم «إلى هذا اليوم»^(٢).

لذلك بقيت أورشليم تسمى (يبوس) أو (مدينة اليبوسيين) كما جاء في سفر القضاة (١٩)، وفي هذا الموضع نجد نصّاً يستحق الانتباه، حين يقول في سياق القصة التي يرويها: «... وفيما هم عند يبوس، وقد انحدر النهار جدّاً، قال الغلام لسيدة: تعال نغيل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نغيل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا».

وسنرى أن المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود لليبوسيين، سكانها الأصليين من شعب فلسطين.

ومعروف أن داود عاش حوالي سنة ألف قبل الميلاد، وبالتالي ظلت مدينة (السلام) من أول ما لقيناها في التوراة على أيام إبراهيم إلى تلك الفترة - نحو ألف سنة - تقاوم التسلل الإسرائيلي، والمطامع اليهودية، فلا ينال الإسرائيليون منها إلا بالتخريب والإحراق حيناً أو بالمساكنة والتعايش السلمي أحياناً.

□ ومع داود فقط تبدأ (عُقدة أورشليم) مدينة الله، ومدينة السلام، ومدينة اليبوسيين الفلسطينيين منذ ما قبل التاريخ، كما أثبتت ذلك

(١) «سفر القضاة» (٨/١).

(٢) «قضاة» (٢١/١).

أحدث الحفائر التي أُجريت في المنطقة^(١) .

□ ملحوظة: عندما جاء الموسويون بعد موسى بقيادة يوشع إلى فلسطين حوالي سنة ١٢٢٠ قبل الميلاد، واستولوا على أجزاء من فلسطين، عجزوا عن الاستيلاء على القدس، وبقي «هن يابوس» بيد أهله زهاء ثلاثة قرون بعد دخولهم فلسطين.

* ظهور داود عليه السلام وتملكه على بني إسرائيل :

قلنا: إن القدس ظلت فلسطينية في أيدي اليبوسيين إلى السنة الثامنة من حكم داود. كان داود من الجنوب، من صحراء النقب، حيث اختارت قبيلته - سبط يهوذا - تلك الجهة مسرحاً لحياتها البدوية الرعوية، ثم إنه انتقل إلى الشمال حيث كان نبيُّ بني إسرائيل (صموئيل) قد توجَّ شاول أول ملك على كل الشعب، وكان داود قد ألحق ببلاط شاول.

وفي هذه الآونة كان سكان البلاد الأصليين «الفلسطينيين» يريدون التخلص من الوجود (الإسرائيلي) في بلادهم. وكانت الحرب سجلاً بينهم وبين الإسرائيليين، وبرز من الفلسطينيين بطلٌ عملاقٌ مخيف هو (جالوت) استطاع داود أن يقتله بحجرٍ أطلقه من مقلاع، وأصبح داود ملكاً بعد طالوت فأراد أن يترك الشمال إلى نقطة حصينة أكثر توسطاً من حيث الموقع، فوجد مطلبه هذا في (مدينة اليبوسيين) أورشليم، فهي قريبة من ديار سبط يهوذا وهم عشيرة داود، وهي وعرة المسالك للقدام من الأردن، أو من البحر أو من الشمال على السواء، وهي حصينة غير

(١) «القدس» لحسن ظاظا ص(٤٧ - ٥٠).

مكشوفة للغزاة، ثم إنَّها بعد كل هذا في وسط عشائر فلسطينية قديمة يبدو أنهم كانوا أكثر ميلاً إلى المسألة من أهل الشمال.

✽ استيلاء داود على القدس من اليوسيين :

بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون، وكانت فيه قلعة أمامية لليوسيين يدافعون منها عن القدس، وكانوا يسمُّون جبل صهيون بالمنشآت القائمة عليه (المدينة الفوقانية) بالنسبة لهضبة الحرَم (جبل مُوريا) التي كانوا يسمونها (المدينة التحتانية). استولى داود إذن على (المدينة الفوقانية) وحصَّنها وجعلها قاعدة لحكمه، ولما كانت أسرته هي سبط يهوذا، فمنذ هذا الوقت بدأ الإسرائيليون يسمُّون باليهود أيضاً، ولما كان داود على طريقة أمراء بني إسرائيل ورؤسائهم في العصور القديمة، وعلى طريقة الكثير من الحكام القدماء، يستمدُّون سلطتهم من «الله» فقد جعلوا صهيون مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جميعاً. ولم يجد غلاة المتعصبين من اليهود في العصر الحديث تسمية أكثر سحراً في آذان فقراء اليهود وبسطائهم من (الصهيونية)، وما تقترن به من قوة داود وشدة شكيمته، وأبَّهة سليمان وبهاء عظمتِه وفخامته على عرشه الأسطوري العجيب، فاختاروها اسماً وشعاراً.

تملَّك داود على اليهود حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد وتمكنوا فيها من دخول القدس. تُوفي داود سنة ٩٦١ ق.م، ودام ملكه ما بين (٩٦١ - ٩٢٢ ق.م). وعندما استولى داود عليه السلام على القدس، لم يغادرها أهلها، بدليل ما جاء في الآثار الإسلامية والعبرية أنه عندما أراد داود عليه السلام أن يعدّ مكاناً للعبادة، أو أراد أن يزيد في البقعة،

اشترى بيدر أحد اليبوسيين «أرونة اليبوسي» ليني عليه مذبحة (معبداً)، ولكن الله تعالى لم يكتب له أن يكون البناء على يديه، والمعروف أن داود أصبح ملكاً على بني إسرائيل، وكان عمره لا يزيد على ثلاثين عاماً، ومعنى هذا أنه تملك قبل أن يوحى إليه، فلما بلغ من العمر أربعين سنة آتاه الله النبوة والملك، وأرسله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الزبور.

يعني هذا أن داود عليه السلام جعل قاعدة ملكه في أول تمليكه، في جهات الخليل، ثم فتح القدس بعد حوالي سبع سنوات ٩٩٠ ق.م، وتكون نبوته بعد فتح القدس.

* الصخرة التي بنى عليها داود مذبحة للرب؟

ظل داود يضغط على اليبوسيين، ويضايقهم في جبلهم (موريا)، ويريههم صنوف الإذلال، وهم يرحلون تاركين له ديارهم حتى لم يبقَ إلا سطح القمة - مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة - ملكاً لليبوسي (آرونا) يتخذه جرنًا ومريضاً لماشيته، فاشتراه منه داود بما فيه من المواشي، وقالوا في عنعنات شفوية يهودية لا يقوم عليها أي دليل: إن داود جعل من الصخرة التي على الهضبة مذبحة للرب. وصاغوا حول ذلك أساطير لا تكاد تنتهي، حتى قالت بعض نصوص التلمود (توسفتا - يوما / ٨٤، ٨): «إن الله تعالى خلق الأرض ابتداء من هذه الصخرة»، وقال أحد أحبارهم وهو إلعازر البابلي: «إن الصخرة هي أصل خلق الأرض، وإن صهيون هو سرّة العالم، وهو كامل الجمال والبهاء» (التلمود البابلي - يوما / ٥٤).

وجاء في كتاب (الزاهر) وهو من كتب التصوف اليهودي المشهورة: «إن يعقوب نام على الصخرة، وهو منطلق من بيت أبيه (إسحاق)، بينما المعروف أنه نام في (بيت إيل) قرب نابلس. ولكن هذا التحريف يهدف إلى نقل قدسية (بيت إيل) المجاورة لنابلس، والتي ظل اليهود السامريون على وفائهم لها كقبة ليعقوب، إلى أورشليم.

□ والحق أننا لا ندرى أية صخرة يعني اليهود، فالتلمود يذكر أن الصخرة التي يقدسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود - يوما/ ٨٥ - ٣، ٤، توسفتا ٦/٨٣، وموسى بن ميمون في كتابه «طُقُوس يوم الغفران»). بينما الصخرة الموجودة حالياً ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل، ومحيطها يناهز العشرة أمتار، وتحتها فجوة هي بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار.

ومن الذين شكوا في أن تكون الصخرة الشريفة هي الصخرة المعنية في التلمود، الباحث الألماني «شيك» في أوائل هذا القرن، فهو يقول: «إن الصخرة الحالية ربما كانت على أكثر تقدير إحدى ركائز المذبح الخاص بالقرايين فقط، ولم تكن في يومٍ ما داخله ضمن قُدس الأقداس».

أما صخرة اليهود التي يسمونها حسب أساطير التلمود التي أشرنا إليها (إبن هاشتيا) - أي: حجر الأساس - فالله أعلم ماذا صنع بها بختنصر، وأنطيوخوس أبيفانوس، وتيتوس، وفِسبازيان، وهديران^(١)،

(١) هذه الأسماء هي لأولئك القادة والملوك الذين أنزلوا باليهود أشد العقوبات في تاريخهم القديم.

والصليبيون ، وغيرهم ممن دمروا أورشلين مراراً وتكراراً تدميراً كاملاً .

✽ مدينه داود ... بعد داود :

رحل داود عليه السلام الذي بنى المجد لليهود رحل عن دنيا البشر للقاء ربه ، فماذا يقول اليهود عنه في توراتهم المحرفة : قالوا : إن داود عليه السلام زنى بزوجه رجل من قوآد جيشه ، ثم دبّر حيلة لقتل الرجل فقتل ، وبعدئذ أخذ داود الزوجه وضمها إلى نسائه ، فولدت له سليمان^(١) .

✽ الملك سليمان وعنايته الفائقة بعاصمته وبنائوه القصر والهيكل وسور المدينه :

ورث سليمان داودَ ، وكان ملكاً يحبّ الفخامة ويميل إلى حل مشاكل السياسة والاقتصاد حلولاً دبلوماسيه ، لا يلجأ فيها إلى قوة السلاح ، فصاهر جيرانه مبتدئاً بالقصر الفرعوني في مصر إذ تزوّج ابنة فرعون ، ثم غيرها وغيرها من بنات الملوك والحكام المحيطين بمملكته الصغيره .

وحاول أن يجعل عاصمة ملكه - أورشلين - لا تقل عظمه وعمراً عن العواصم الكبرى في الشرق في زمانه ، فبدأ بتشييد سور فاخر حول المدينه ، ثم أخذ في بناء المعبد الكبير - الهيكل - الذي كان أبوه داود قد بدأه قبل موته . لقد سيطر هذا الهيكل على نفوس اليهود وخيالهم بعد تدميره واندثاره ، وحتى الآن اقترنت أورشلين به ، وتقَدّست لدى اليهود من أجله ، وإذا ذكر اسمها فالمراد هو أولاً وقبل كل شيء . وما كتبه

(١) «سفر صموئيل الثاني» إصاحاح (١١) عدد (١) .

الكتاب والأخبار من شَطَحَات خيالهم حول ذلك شيء تضيق عنه مئات المجلدات، بحيث كان كل اليهود في حاراتهم القذرة وأسمالهم البالية، على الثلج، وفي الوحل، يعيشون في هيكل أورشليم مع سطور التلمود ومع كتابات الأحبار، وكانت صيغة المعاييدة الدائرة على ألسنتهم - وبخاصة في عيد الفصح - هي: «السَّنةُ القادمة في أورشليم»، وهو شعار استغلته الصهيونية، وكهربت به أعصابهم، وأعطته كل المعاني الحربية والعسكرية الممكنة.

* الهيكل في ذهن اليهود وشطحاتهم:

ولنذكر نموذجاً واحداً من هذه الشطحات الكهنوتية اخترناه من كتاب التصوف اليهودي (الزهر) (٢٢٢/٢): «عند خلق العالم، ألقى الله حجراً كريماً من عرشه العظيم في الفضاء المظلم، فغَطَس فيه جزء من هذا الحجر وبرزت بقيته فوق السديم، وهذه البقية البارزة كنقطة في هذا الفضاء اللانهائي بدأت تمتد في كل الاتجاهات عن يمين وشمال، وأُرسيت الدنيا عليها، ولذلك يسمى هذا الحجر (حجر الأساس).

وكان تكوين الأرض حوله على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى عبارة عن منطقة مستديرة حول الحجر نورانية شفافة، والثانية من حولها مصنوعة من مادة أقل شفافية ولكنها أكثر رِقّة من الأرض، والثالثة أرض مُعْتَمة يطوقها المحيط الذي يدور حول العالم.

وهذه المناطق الثلاثة ممثلة في الهيكل الذي في أورشليم: فالمنطقة النورانية وهي النقطة العُظمى، عبارة عن الهيكل ومدينة أورشليم، والثانية الأقل شفافية، هي الأرض المقدسة (فلسطين)، والثالثة المُعْتَمة

هي بقية العالم، حيث تسكن الأمم غير اليهودية من الكفار. أما المحيط الذي يدور بكل شيء فهو مملكة الجن التي تحيط بالعالم.

ولم تر الدنيا قط شيئاً أجمل من ستائر تابوت العهد، وعندما أُدخل تابوت العهد إلى الهيكل صاح بآية المزامير (١٣٢/١٤): «هذا مستقري إلى الأبد، وهنا سوف أُقيم، وكان صوت القدس يردد هذه الكلمات على مسامع إسرائيل».

* اليهود قوم بهت :

ماذا قال الملاعين إخوان القردة والخنازير عن نبي الله سليمان عليه السلام باني هيكلهم الذي يذرفون دموع التماسيح عليه عند حائط المبكى: قالوا: «إن سليمان ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد»^(١).

أقيم الهيكل في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل.

ويرجح كثير من الأثرين وفي مقدمتهم الأثري الفرنسي (دي سولسي) في كتابه «تاريخ الفن اليهودي» أن الهيكل الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل، بدليل أن الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي في المكان نفسه، وبعد سليمان بنحو خمسمئة سنة أخرى كان يحيط به سور أيضاً، وكذلك الهيكل الذي عمره هيرودس بعد ذلك بخمسمئة سنة أخرى، ثم الحرم الإسلامي الشريف الذي قام أخيراً في المنطقة نفسها التي كان «ملك يصدق» يدعو

(١) «سفر الملوك الأول»، إصحاح (١١) عدد هـ.

فيها باسم الله العليّ في زمن إبراهيم.

ويبدو أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان، كان مربعاً طول ضلعه مئة وثمانون متراً (فتكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة إلا ربعاً). وبهذه المناسبة يذكر الأثري الفرنسي (دي سولسي) مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في المنطقة نفسها، وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه، وهي: الضلع الشرقي لسور الحرم وطوله ٣٨٤ متراً، والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥ متراً، ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة وفي خط غير مستقيم، بحيث يكون الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من مقابله الجنوبي. وينبني على ما ذكره (دي سولسي) أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان، أو نحميا، أو هيرودس.

* لا دليل على أن الحرم الإسلامي بُني فوق مكان الهيكل :

هناك أيضاً أمر يستحق الانتباه، وهو أن الحرم الإسلامي الشريف مستطيل، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة)، أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس)، وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل، أو مصر أو غيرها من أقطار الشرق الأدنى والأوسط.

إذن فلا يمكن التسليم بسداجة برأي من يدعون أن الحرم يقوم تماماً على ما كان سابقاً يُسمى هيكل سليمان، حتى لو سلمنا أن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل، وهذا لا دليل عليه إلا العنّعات التي اتخذت في نفوس البعض منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال.

✽ انقسام اليهود بعد سليمان ودخول الفاتحين للقدس مراراً :
وما كاد سليمان يلقى ربه حتى حدثت حرب أهلية بين الأسباط
وانقسمت المملكة شطرين، وأصبح الهيكل وأورشليم قبلةً لنصف بني
إسرائيل فقط .

ولم تدم مملكة اليهود التي قامت على يد داود عليه السلام إلا
حوالي تسعين سنة من حوالي (١٠٠٠ - ٩٢٢ ق.م) حيث تمزقت ب وفاة
سليمان عليه السلام، وتقسمت إلى مملكتين : الأولى تسمى مملكة
إسرائيل وعاصمتها شكيم، والثانية دولة يهوذا وعاصمتها أورشليم
(القدس)، أما دولة يهوذا فقد تنابع عليها عشرون ملكاً يهودياً في نحو
٣٣٧ سنة أكثرهم مات قتلاً بأيدي قومهم، وكثير منهم كان ألعوبة بأيدي
المصريين أو العراقيين^(١) .

□ ثم تعرضت القدس مباشرة لهجوم الجيش المصري الفرعوني
(حوالي سنة ٩٧٠ ق.م)، وهي تحت حكم (رحبعام بن سليمان)،
وتوالى عليها بعد ذلك الهجمات المتلاحقة : من الأدوميين في الأردن،
إلى العرب، إلى الآراميين، إلى الإسرائيليين في مملكة الشمال، عندما
هاجم يهوآش ملك إسرائيل أمصيا ملك أورشليم ويهوذا، وهدم

(١) وهؤلاء الملوك لم يكونوا جميعاً من الموحدين، ويشهد على هذا جبر من أخبارهم
وعارف بأخبارهم، هو السموال بن يحيى المغربي الذي أسلم وكتب رسالته «إفحام
اليهود» حيث يقول : «فأشده على اليهود من جميع هذه الممالك ما نالهم من ملوكهم
العصاة مثل أحاب، وأحزيا . . . الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم وعبدوا
الأصنام، وأحضروا من البلاد سدةً للأصنام وابتنوا لها البيع العظيمة والهيكل وعكف
على عبادتها الملوك . . » ص (١٤٤) .

أسوارها، وأخذ ما في الهيكل من الذهب والفضة والأواني، ونَهَبَ القصر وأخذ بعض الرهائن وعاد إلى السامرة (الملوك الثاني ١٤/١٤).

وتكرر الزحف المصري على أورشليم في حكم الفرعون نخاو، وكان ملك يهوذا يهو آحاز (حوالي ١٦٠ ق.م).

□ ثم انتعشت أورشليم في عهد الملك عُزِّيَّا الذي حكم أكثر من نصف قرن من الزمان، وكان مهتماً بتحصينها، فبنى حولها أبراجاً، وحفر آباراً، وأنشأ البساتين والحدائق (أخبار الأيام الثاني ٢٦). واستمر إنشاء البوابات والتحصينات على عهد ابنه يوثام.

□ وتبلور الخطر الآشوري على القدس في عهد سنحاريب الذي كان معاصراً لحزقيا ملك يهوذا، فأخذ هذا الأخير في زيادة التحصينات بالقدس، وقام برَدَم آبار الماء التي في خارجها حتى لا ينتفع العدو بها، وكذلك الجداول الجارية منها، ودَعَم السور في المواضع المتهدمة منه، وحصن قلعة داود على جبل صهيون، وقام بمشروع هندسي ناجح أجرى به مياه نهر جيحون الذي يجري جنوباً خارج القدس تحت الأرض إلى داخل المدينة، وأنشأ صهاريج للماء، وهكذا استطاع أن يواجه الحصار الآشوري دون أن يضطر إلى الإذعان.

✱ **بختنصر البابلي يدمر القدس ويخرب الهيكل:**

كان بُختنصر ملك بابل يحاول أن يسوي حساباً قديماً مع فراعنة مصر، ولكنه في كل مرة يجد عقبةً ما في فلسطين تظهر له فجأة من قِبَل اليهود فيبوء بالفشل، وأخيراً (سنة ٥٨٨ ق.م) هاجم القدس بعد أن كان استولى على أهم أجزاء فلسطين، ومنها غزة في أقصى الجنوب، وكان

ملك يهوذا في ذلك الوقت (صديقاهو)، ولما سقطت القدس بعد مقاومة رهيبة أحرقتها الجيش البابلي وخربها ونهبها، وأخذ معظم أهلها أسرى إلى العراق حيث بقوا هناك سبعين عاماً.

□ يقول محمد حسن شرآب في كتابه «بيت المقدس» ص (٥٩ - ٦٠):

«وفي عام ٦٠٥ ق.م زحف بختنصر البابلي، إلى أن وصل إلى القدس وأخضع ملكها «يهو ياقيم» وخضعت المملكة اليهودية للبابليين. ولما ثار «يهو ياقيم» على أسياده دخل بختنصر وجيشه أورشليم، وعين مكانه أخاه «يهو ياكين»، [٥٩٨ - ٥٩٧ ق.م]، وفي أثناء ملكه القصير، حاصر نبوخذ نصر أورشليم، وأخذ الملك مع عائلته، ورؤساء اليهود، وبعض خزائن بيت الرب والمدينة إلى بابل. قال مؤلف جغرافية الكتاب وتاريخه: «وسقطت القدس نفسها في السنة ٥٩٧ ق.م أمام جيش نبوخذ نصر. ونُقل الملك (يهو ياكين) وما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف من سراة القوم وصناع الأيدي (والمجموع ما بين ٣٠، و ٤٠، ألفاً) إلى بلاد بابل وكان غرض نبوخذ نصر أن يخلّي البلاد من قوادها وكل الذين بإمكانهم أن يوقدوا ثورة. والذين بقوا من يهوذا، ملّك عليهم، صديقاً أحد أبناء يوشيا (٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م) [القدس - للدباغ ص ٥٢].

وفي أواخر حكمه تمرد على سيده، فأرسل بختنصر جيشه إلى القدس فأسر الملك وسبق إلى بابل. . وخرّبت أورشليم وجُعّلت أكواماً من الانقراض، وانتهت دولة يهوذا»^(١).

(١) إن التأمل في آيات سورة الإسراء (آيات ٤ - ٨) يجد تلخيص مراحل حياة بني إسرائيل. (أ) «فإذا جاء وعد أولاهما» هي: مجيء بختنصر. (ب) «ثم رددنا لكم الكرة» =

✽ «كورش» ملك الفرس يسمح لليهود بالعودة إلى القدس :

□ وفي سنة ٥٣٩ ق.م تمكن كورش ملك الفرس من الاستيلاء على بابل، وتم له الاستيلاء على بلاد الشام، وكان اليهود قد ساعدوه حين فتحه بابل، فالتمسوا منه أن يأذن لهم بالعودة إلى أورشليم فوافقهم على طلبهم. وسمح لهم على الفور بعودتهم إلى فلسطين، وتأسيس وطن قومي تحت رعايته وحمايته داخل ملكه وسلطانه، فعاد كثير منهم برئاسة يوشع بن يوصدق وزرو بابل^(١) بن شلتئيل، وبعدهما بثمانية عشر عاماً جاء عزرا ونَحْمِيَا الذي أخذ في إعادة بناء هيكل سليمان (يقول الرواة: بصورة أقل فخامة)، ولعل ذلك من فرط إعجابهم الخيالي بهيكل سليمان فقط.

كل هذا تحت الحكم الفارسي الذي استمر حتى (ما بين ٥٣٨ - ٣٣٢).



= (عودتهم أيام كورش). (ج) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدَ الْآخِرَةَ... عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ...﴾ هي مجيء الإسكندر إلى القدس دون أن يقتلهم. (د) ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا...﴾ أي: إن عدتم إلى الفساد، عدنا إلى الإدالة عليكم... وهذا يدل على تكرار إفسادهم، وتكرار عذابهم بإذن الله، وقد كان ذلك أيام طيطس سنة ٧٠ م، وأيام هديران سنة ١٣٥ م، وأيام هرقل سنة ٦٢٧ م، وقد انتقل إفسادهم بعد ذلك إلى المدينة النبوية فكان ما قضى الله إلى بني إسرائيل.
(١) أي: المولود في بابل.

الهيكل الثاني

* كيف تم بناؤه ومتى؟ :

كان همَّ العائدين من السبي الذي دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين، وأن تقوم لهم دولة، تحت وصاية (قورش) إمبراطور إيران في القرن الخامس قبل الميلاد، وأن تكون هذه الدولة قنطرة للتوسع العسكري الفارسي في الشرق الأوسط، الذي انتهى باستيلاء قمبيز على مصر نفسها. وإذا كان السادة الفرس لم يُعطوا اليهود «وطنًا قوميًا» إلا بشروط معينة، خلاصتها الولاء التام والتبعية المطلقة لسياستهم بخيرها وشرها، فإن اليهود أرادوا أن يعيدوا بناء أورشليم، وتشيد هيكل سليمان، حتى تكون هذه الواجهة أمام الناس تسميةً على التبعية التي رضخوا لها صاغرين، ولقد حاولوا جاهدين أن يبنوا الهيكل الثاني على المخطط نفسه الذي بُني عليه الهيكل الأول هيكل سليمان، وانتهى البناء في عهد (دارا الأول) الفارسي.

كان الذين عادوا من السبي نحو أربعين ألف يهودي أو يزيدون قليلًا، وكان على رأسهم (يوشع بن يوصدق) و(زروبابل بن شلتئيل)، فبدأوا ببناء مذبح للمُحرقات في الهواء الطلق على جبل الهيكل الذي كان وقتها خرابًا، وفي اليوم الأول من الشهر السابع من عودة اليهود من بابل إلى فلسطين كانت الطقوس تقام أمام هذا المذبح.

ثم لما لحق (عزرا) و(نَحَمِيَا) بالعائدين إلى فلسطين من اليهود، بدأت أعمال البناء والتحصين وإقامة أسوار أورشليم تتخذ شكل الإنجاز النشط، رغم بعض العقبات التي كانت تقيمها الحكومة الفارسية من

حين لآخر، ورغم مقاومة غير منظمة قام بها أمراء حوران وعمان والجزيرة العربية والفلسطينيين المتمركزين في أشدود (سفر نحemia، الإصحاح الرابع وما بعده).

* فلسطين تحت حكم الإسكندر:

وفي سنة ٣٣٢ ق.م احتل الإسكندر فلسطين وأدخلت تحت الحكم اليوناني، ولكن أحد أحبار اليهود وهو (شمعون بن حونيو) استطاع بدبلوماسية أن يحوز رضا الإسكندر، وأن يظفر منه بمزيد من العناية بتجميل القدس (التلمود، يوما). وبعد موت الإسكندر (٣٢٢ ق.م) حلت الفوضى واستولى بطليموس الأول (سوتير) على أورشليم حوالي سنة ٣١٠ ق.م، وأخذ كثيراً من أهلها أسرى إلى الإسكندرية.

* تحت حكم أنطيوخوس السلوقي ملك سورية اليوناني سنة ٢٠٤ ق.م:

ثم زحف عليها ملك سورية أنطيوخوس السلوقي اليوناني سنة ٢٠٣ ق.م، وعاد فاستردّها منه القائد البطلمي (سكوباس) المصري سنة ١٩٩ ق.م. والظاهر أن اليهود في المدينة كانوا أميل إلى حكم السلوقيين، وقد ساعدوا أنطيوخوس على دخول القلعة، كما يقول (يوسفوس)، ومباغته المصريين فيها. وبسبب ذلك خفف أنطيوخوس الضرائب عن يهود القدس، واهتمّ بعمارة الهيكل والمدينة وتدعيم حصن داود.

ويصف اليوناني أرسطياس المعاصر لهذه الأحداث فخامة القدس بما

بيّن أنها كانت مدينة كبيرة لها أسوار عليها أبراج، والخدمة الدينية في الهيكل كانت على أرفع نظام، وكان عدد السكان مئة وعشرين ألفاً. وتعود اليهود بعادات اليونان، وتركوا الرب، وظهرت فرقة (ياسون) وأخيه (منيلاوس)، وقالوا بأن منصب الحاخام الأكبر يجب أن يكون بالوراثة لا بالانتخاب، وحدثت فتنة كبيرة، انتهزها الحاكم السوري أنطيوخوس إبيفانس فزحف على أورشليم سنة ١٧٠ ق.م، ونهبها وذبح كثيراً من يهودها.

وبعد ذلك بعامين هجم قائده أبو لونيوس على المدينة مرة أخرى فأكثر فيها من القتل والتخريب، واقتحم الهيكل وأقام فيه تمثال أنطيوخوس، وبنى بجواره مسرحاً للتمثيل وأخذ معه رهائن من يهود القدس. فقام من أمراء المكابيين اليهود الحشمونيين (متياهو) ثائراً ضد اليونان هو وأولاده الخمسة، ثم أتم يهوذا المكابي هذه الثورة بطرد اليونان من الهيكل، ومن جزء كبير من المدينة سنة ١٦٥ ق.م وواصل هذا الكفاح شمعون المكابي، ففي سنة ١٤٣ ق.م. طرد الحامية اليونانية من قلعة داود «صهيون».

وعاد اليونان بقيادة أنطيوخوس السابع (سيديتاس) في عهد يوحنا هيرقانوس المكابي، فاتقى هذا الأخير شره بتقديم قوالب من الذهب استخرجها من قبر داود، يقول يوسفوس: «إنّ وزنها كان ٧٥ طناً»، ثم حدث نزاع على العرش بين هيرقانوس وأخيه أرسطوبولوس في داخل القدس.

✽ احتلال الرومان لأورشليم وفلسطين :

أثناء هذه الفتنة زحف القيصر الروماني (بومبي) على فلسطين واحتلها سنة ٦٦ ق.م. وقتل من اليهود في القدس وحدها (١٢٠.٠٠٠)، بينما كان اليهود يخربون كل شيء بأيديهم ويحرقون المدينة كلها بالنيران حتى لا ينتفع بها العدو.

وبعد مدة وجيزة كثرت الاضطرابات في أورشليم، فزحف عليها حاكم سورية الروماني (لوقيانوس كراسوس)، ودخل الهيكل ونهبه، وكان ما فيه من الذهب والفضة والآنية الثمينة يُقدَّر بنحو خمسين طناً. وزار يوليوس قيصر فلسطين، فأذن لليهود في بناء الأسوار التي كان بعضها قد تهدم.

وفي هذه الأثناء كان هؤلاء (الأمراء) من أواخر المكابيين ما يزالون يتنازعون على السلطة، أو ما بقي لهم منها في أورشليم، وهي سلطة أخذ الزكاة من اليهود، وإدارة القضاء بينهم، وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم... إمارة كاريكاتورية تأخذ من اليهود الزكاة بيد وتصلبهم باليد الأخرى.

□ وانتهز هيروودس الأدومي فرصة هذه المنازعات وزحف على المدينة سنة ٣٧ ق.م يساعده القائد الروماني سوسيوس، فحاصرها وصباً عليها قذائف المنجنيق واقتحمها وقاما فيها بمذبحة رهيبة.

وافق القيصر الروماني أغسطس على تعيين هيروودس على القدس «وكل بلاد اليهودية»^(١)، أي النصف الجنوبي من فلسطين، فاهتم بإعادة

(١) فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية... وفي زمانه ولد عيسى عليه السلام.

تخطيط المدينة وتدعيم أسوارها، وتزويدها بأبراج حصينة للحراسة، لا سيما في النقطة الضعيفة استراتيجيًا من المدينة، وهي الغرب والشمال الغربي حيث أحياء القدس الحديثة الآن، فأقام في هذه الجهة برجاً سماه برج (هيبوكسو) باسم واحد من أصدقائه قُتل وهو يحارب في صفوفه في إحدى المعارك، وهذا البرج هو الذي يُسمى خطأ الآن (برج داود).

وفي أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور بنى حصناً في موضع حصن (البيرة) الذي أقيم بعد عودة اليهود من السبي، وكان قائماً في عهد المكابيين ثم تهدم، وسماه هيرودس حصن (أنطونيا) على اسم صديقه وحاميه أنطونيو - صاحب كليوباترا - أما تسمية (البيرة) فهي فارسية معناها القلعة، ولم تعرفها اللغة العبرية إلا تحت حكم الفرس.

وكان هذا الحصن مربعاً طول ضلعه نحو تسعين متراً، وفي داخله قصر عليه سور مربع آخر، تقوم عليه أربعة أبراج، ثلاثة منها ارتفاعها خمسون ذراعاً، والرابع ارتفاعه سبعون ذراعاً، وهو البرج الشمالي الشرقي أقرب هذه الأبراج إلى الهيكل، ومن أعلى هذا البرج كان جنود الاحتلال الروماني يراقبون ما يجري داخل معبد اليهود، الذي حظي من هيرودس أيضاً بالعناية فأعاد بناءه وزخرفته. وفي الجهة الجنوبية الشرقية استقر الملك المتهود (مونا باز) وأمه المتهودة أيضاً (هيلانة)، وكانا يحكمان قبل تهودهما مقاطعة أديابين في بلاد الأكراد، شمال شرقي سورية، ثم تهودا ولجأ إلى أورشليم، فبنا إلى الجنوب من جبل صهيون قصوراً ومقابر في غاية الإتقان.

كان اليهود في أورشليم لا يكفون عن مناوشة الحامية الرومانية

المعسكرة في قلعة أنطونيا، فأمر (أجربيا الأول) الموظفين الرومان بإحكام الرقابة على اليهود، والتشدد في معاملتهم، ووصلَ الحقد إلى أقصاه بين الطرفين أثناء دعوة السيد المسيح، والفتنة التي أحدثها الكهنوت اليهودي حينئذٍ، وكان القيصر كليوديوس قد أمر - نكاية في اليهود - بوضع تمثال لنفسه في الهيكل، بقي في مكانه إلى أن مات هذا القيصر مسموماً سنة ٤٥ بعد ميلاد المسيح.

* الخراب الثاني والأخير للهيكل وأورشليم:

دأب اليهود على خلق المشاكل للرومان، مشاكل ومضايقات صغيرة كانت متلاحقة ومفاجئة، فقررَ الإمبراطور الروماني فسبازيان القضاء عليهم، وحلَّ المشكلة كلها هذا الحل الجذري الدامي، فأرسل ابنه تيتوس على رأس جيش كبير للقيام بهذه المهمة، وبعد مؤامرات كثيرة قام بها اليهود، واستعملوا فيها كل شيء - حتى النساء - في تليين عريكة تيتوس دون جدوى، تمَّ تخريب أورشليم في ٨ ديسمبر سنة ٧٠ ميلادية، وإجلاء جميع اليهود عنها، وهو (السبي الثاني) الذي ظلُّوا فيه من هذا التاريخ إلى سنة ١٩٤٨م عندما أعلن حاييم وايزمان قيام (إسرائيل).

ولكن بالرغم من أن تيتوس قد بذل أقصى الجهد في جعل عودة اليهود إلى سكْنى القدس أمراً مستحيلاً، فإنَّ من بقي منهم في فلسطين لم يكفَّ عن التآمر ضد الرومان.

* كيف انتهى أمره بالدمار والزوال؟:

□ يقول الدكتور حسن ظاظا: «وهذا الهيكل الثاني أيضاً انتهى أمره

بالدمار التام بعد إقامته بخمسة قرون على يد تيتوس الروماني .

يقول يوسفوس في كتابه «حرب اليهود» - الجزء الخامس، الفصل الرابع، الفقرة الثالثة -: «وكان تيتوس كلما وجد الجنود الرومان قد فرغوا من قتل جميع الناس في المنطقة التي يسيطرون عليها، أمرهم أن يخربوا أورشليم ومعبدها وأن يقلبوها ظهراً على عقب، فيما عدا الأبراج العالية التي كان يحرص على بقائها كشواهد على ما قام به من التدمير» .

وهكذا امّحت معالم هذا الهيكل أيضاً إلا بقايا نادرة، مع ملاحظة أنه عند وصول تيتوس كان هيرودس قبله بنحو قرن من الزمان، قد أدخل تعديلات وتغييرات على الهيكل الثاني، وعلى تخطيط المدينة نفسها، كانت وحدها - وبدون هدم أو تدمير - كفيلة بجعل الوصول إلى التخطيط المعماري المبني للهيكل الثاني أمراً يكاد مستحيلاً، بالرغم من كل المحاولات التي أراد الباحثون اليهود أن يخرجوا منها بمخطط معماري دقيق مستمد من عنعنات التلمود، ومنهم الأثري اليهودي (أيزنشتاين) مثلاً .

وأما ما جاء من جعل الصخرة الشريفة هي نواة قُدُس الأقداس فقد بينّا الشكوك القوية التي تحوم حول هذا، وأولها ما ذكرناه من الاختلاف الشديد بين صخرة قُدُس الأقداس وصخرة المعراج النبوي المبارك من حيث الحجم والارتفاع عن الأرض .

وانطلاقاً من هذا المخطط التلمودي، ومع الوصف الذي أورده المؤرخ يوسفوس وغيره، نجدنا مضطرين إلى أن نسجل مرحلة ثالثة متطورة جداً من الهندسة الدينية اليهودية في حالة معبد أورشليم إبان

ظهور المسيح .

هيكَل هيرودس

□ وقد استفاد بعمق من العمارة اليونانية الرومانية ، وكادت تختفي منه الملامح الدالة على أصله اليهودي تماماً ، وهذا الهيكل هو الذي دمره تيتوس ومحاه من الوجود سنة ٧٠ ميلادية ، وحائط المبكى كان على الأرجح جزءاً من جداره الغربي ، واليهود يحرصون على تسميته حتى الآن «الجدار الغربي» .

□ في عام ٧٠م قام شغب في القدس ، فحاصرها طيطوس الروماني وأعمل في المدينة النهب والحرق والقتل وأحرق المعبد الذي بناه هيرودس ، ولم يبقَ منه حَجَرٌ على حجر ، وسيقت مئات الأسرى ، وبيعت في أسواق الإمبروطورية الرومانية بأبخس الأثمان ، وخلد الرومان نصرهم على اليهود بالعبارة اللاتينية المشهورة التي يُنادى بها عند إحراز أي نصر وهي «هَبْ ، هَبْ هورا» ، وهي مختصر عبارة «هيروشليما است برديتا» . وهي اليوم قاصرة على الانتصار في مباراة كرة القدم ، ومعنى العبارة : «الآن سقطت أورشليم» .

وبقيت القدس خربةً مدة طويلة لا يسكنها إلا حاميةٌ رومانية .

□ «إيليا كاييتولينا» .. لا أورشليم :

وفي القرن الثاني الميلادي ، سنة ١٣٦ ، قام «بركوكبا»^(١) ، أحد

(١) بركوكبا : أي ابن الكوكب أو النجم . نائر يهودي ، ثار على الرومان حوالي سنة ١٣٠ - ١٣٦م وأراد طرد الرومان من فلسطين ، وادّعى أنه المسيح المخلص ، وأزعج الرومان وأوقع =

نماذج الصهونفة القديمة؁ بثورة مسلحة ضد الرومان؁ وسجل عليهم - رغم جيشهم الإمبراطوري الجرار - انتصارات براقفة في البداية؁ ولكن الإمبراطور إيلفوس هدرهان قام آخر الأمر بإتمام ما بدأه تيتوس؁ فحاصر ما كان بقف من القدس؁ وهدم كل شفء فف المفة؁ ولم فترك ففها ففهودفً واحداً؁ وجاء إلى مكان الهيكل فأقام ففله معبداً لجوففتر كبر آلهة الرومان؁ ووضف فف فمثالاً لهذا الإله كالتمثال القائم فف معبد الكابفبول؁ وقرر فففر كل شفء فف هذه المفة؁ فف فف اسمها الذي أصبح مكوناً من اسمه هو واسم الكابفبول معبد جوففتر الكبر؁ فسمها «إفلفا كابفبولفنا».

ومنع الففود من دخولها؁ وجعل الموت عقوبة من ففقدم منهم على ذلك؁ ثم سُمح لهم بالمجفء إلها ففوماً واحداً فف السنة؁ والوقوف على جدار بقف قائماً من السور فف الجزء الغربف من المفة؁ وهو الذي فسمى (حائط المبكى) وفسمىه الففود (الجدار الغربف). وظل حظر السكنف بالقدس قائماً على الففود قرونًا طوالاً؁ فقد ذكر ذلك فوففبوس؁ المؤرخ المسفحف الذي زار (إفلفا) - القدس - سنة ١٣٢ مفلافة؁ كما ذكره الففود أنفسهم فف تفاسفرهم القديمة - المءراش - (سفر الجامعة - قوهفلت ربا).

□ قال ابن البطرفف (٣٢٨هـ) حول فدمفر هدرهان لففب المقدس :

وهذا آخر خراب بفب المقدس؁ فمف الففود من هرب إلى مصر؁ وإلى الجبال والغور؁ وأمر الملك أن لا فسكن المفة ففهودف؁ وأن ففقتل

= بهم؁ فجهز له الإمبراطور هدرهان جفشاً قضا ففله واستولى على القدس؁ ومحا كل شفء ففها وففر اسمها؁ وقد أطلق الففود على هذا الشائر بعد موته: اسم «بركوزبا» أف ابن الكذاب.

اليهود ويستأصل جنسهم، وأن يسكن المدينة اليونانيون، وأن تسمى باسم الملك «إيلياء» فسميت بيت المقدس منذ ذلك الوقت إلى هذه الغاية مدينة «إيلياء» فسكنها اليونانيون، وبنوا على باب المعبد المسمى «السبهاء» بُرجًا وصيروا فوقه لوحًا كبيرًا وكتبوا اسم الملك «إيلياء» والبرج اليوم على باب مدينة بيت المقدس ويسمى «محراب داود». وهو مكان الهيكل المزعوم.

وهكذا فقد دمر الرومان أورشليم مرتين: الأولى سنة ٧٠م على يد طيطوس، ومرة ثانية عام ١٣٥م على يد هديران الذي حرثها ومسحها من عالم الوجود، وشتت أهلها، فكان أن عفت جميع الآثار اليهودية ولم يبق منها شيء، وانقطعت صلتهم بالقدس مدة ثمانية عشر قرنًا متواصلة، فلم يسكنها بعد عام ١٣٥م ولمدة ألف سنة يهودي واحد كما لم يكن فيها في القرون الخمسة التي تلت المدة المذكورة أكثر من خمسين يهوديًا.

□ يقول الدكتور حسن ظاظا في كتابه القيم «القدس»:

* هيكل جوبيتر (كبير آلهة الرومان):

على أثر الثورة التي قام بها في أورشليم ضد الحكم الروماني الزعيم اليهودي (بركوكبا)، جاء الإمبراطور هديران - في أوائل القرن الثاني الميلادي - وأزال كل شيء يهودي في أورشليم حتى اسم المدينة كما قلنا، وعلى أنقاض الهيكل بنى معبدًا رومانيًا لكبير الآلهة (جوبيتر)، وأقام تمثالاً لهذا الإله وآخر للإلهة (فينوس)، وجعل هذا الصرح على جبل أورشليم أشبه بمعبد الكابيتول الواقع على أحد جبال روما السبعة، ولذا أعطاه اسمه هو شخصيًا (إيليوس) واسم

(الكابيتول)، وحرّم استعمال اسم أورشليم وأحلّ محلها الاسم الروماني الذي صنعه هو (إيليا كابيتولينا)؛ حتى أصبح اسم أورشليم لفظاً تاريخياً يُطلق فقط على المدينة التي كانت في هذا المكان على عهد الملوك والأنبياء من بني إسرائيل.

وظلّت المدينة تسمّى (إيليا) ولا يسكنها اليهود حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، حيث كانت المنطقة الوثنية التي أنشأها هديران قد خُرّبت، وجاء ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأنشأ مسجداً بسيطاً لجنده، هو نواة الحرم الشريف والمسجد الأقصى، بعد أن كان الإسلام قد كرّس تلك البقعة المباركة، بوحى قرآني، وبمعجزة الإسراء والمعراج.

□ ولما اعتنق الإمبرطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) المسيحية جعلها ديانة الحكومة الرسمية، وجاءت والدته هيلانة سنة ٣٢٦م للعثور على مواقع الحوادث المهمة التي حدثت للمسيح، ولبناء الكنائس تذكّاراً لها. وأمرت بهدم هيكل المشتري والتماثيل التي أقامها هديران، وقامت ببناء كنيسة القيامة التي يعتقد المسيحيون بأنها ضمت قبر المسيح قبل رفعه إلى السماء، وتم افتتاحها عام ٣٣٥م.

وقد سمح قسطنطين لليهود بدخول المدينة مرة واحدة في السنة بعد أن كان دخولهم إليها محذوراً منذ عهد هديران، وأعاد إلى المدينة اسم «أورشليم» في عام ٣٢٤م.

□ بقيت القدس متمتعة بسلام طويل منذ طرد اليهود منها عام ١٣٥م إلى سنة ٦١٤م، وهي السنة التي جاءت فيها جيوش

الإمبروطورية الفارسية فاحتلت بلاد الشام ودخلت القدس عام ٦١٤م بعد أن انضم إليهم اليهود، وأشعلت النار في كنيسة القيامة وسوّيت على الأرض. . . وكان لليهود دورٌ في عمليات الدمار والنهب والقتل. وقدر عدد القتلى من المسيحيين بالقدس أكثر من ستين ألف نسمة دفن نحو خمسة آلاف منهم في (ماملاً).

□ قال ابن البطريق في وصف هذا المشهد: فأما خسرو - القائد الفارسي، فسار إلى الشام فأخربه، ونهب أهله، وصار إلى بيت المقدس، فاجتمع إليه اليهود من طبرية وجبل الجليل والناصرية، وجاءوا إلى بيت المقدس فكانوا يُعينون الفرس على خراب الكنائس، وقتل النصارى، فلما صار إلى بيت المقدس، خربوا الكنائس وأحرقوها، وقتل اليهود من النصارى ما لا تحصى كثرتهم، وهم القتلى الذين ببيت المقدس في الموضع الذي يقال له: «ماملاً»^(١).

□ وفي عام ٦٢٧م، استطاع الإمبروطور هرقل أن يطرد الفرس من القدس. وفي ١٤ أيلول من عام ٦٢٨م احتفل هرقل بأورشليم برفع الصليب الذي كان الفرس قد نقلوه إلى بلادهم، بعد أن استرده من الفرس، وما زال المسيحيون في مختلف أنحاء الشام يحتفلون بعيد الصليب في ١٤ أيلول من كل عام، ذكرى للاحتفال المذكور.

أما اليهود الذين انضموا إلى الفرس وانتقموا من المسيحيين، فإنهم

(١) ماملاً: مقبرة بظاهر القدس من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر البلد. وتسميتها ماملاً قيل إنما أصله «مأمن الله»، ويسمونها اليهود (بيت ملو) والنصارى «بابيلا»، والمشهور على ألسنة الناس «ماملاً»، وهي من المقابر الإسلامية.

لم يحققوا أطماعهم في ظل الفرس؁ فانقلبوا عليهم؁ وراسلهم هرقل قبل خروج الفرس؁ وقءم إليها وعءاً بالتسامح؁ ثم وعءهم بالعفو؁ ولكن هرقل لم يف بوعهه تحت ضغط رجال الدين الذين قالوا له: «إنهم سوف يتحملون المسئولية؁ وأن الاتفاقات مع الكفار ليست واجبة التنفيذ؁ وعند ذلك وقعت مذبحة لليهود؁ لم ينج منها إلا الذين فروا إلى مصر أو الذين اختفوا».

□ وهكذا نجد أنه من سنة ١٣٥ ميلادية إلى سنة ٦٢٨م؁ من هدریان إلى هرقل؁ لم يعد لليهود وجود في القدس؁ وسوف نرى امتداد هذه الحال في القرون التالية بعد الفتح الإسلامي. . . ورأينا أن مملكتهم المعتبرة؁ لم تكن إلا في عهد داود وسليمان عليهما السلام. . . حوالي تسعين سنة. . . مع أن اليهود الذين جاءوا بعد داود وسليمان لم يكونوا على دين سليمان وداود؛ لأنهم خرجوا على التعاليم الإلهية؁ وقتلوا الأنبياء؁ وآخر جرائمهم مع الأنبياء قبل الإسلام محاولتهم قتل عيسى عليه السلام.



بيت المقدس والشام
في
القرآن الكريم والسنة المطهرة

بيت المقدس والشام في القرآن الكريم والسنة المطهرة

(١) بيت المقدس والشام أرض مباركة :

الشام كنز الله من أرضه، وفيها كنزه من عباده. والبركة في الشام
وبيت المقدس ثبتت بخمس آيات من كتاب الله تعالى :

* قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «معلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله
ولوطاً إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق»^(١). قال أبي بن
كعب: الشام. وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت
المقدس. وقال الحسن: الشام. وقال قتادة: الشام. وقال ابن جريج:
أرض الشام. وقال أبو العالية: ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة
التي ببيت المقدس، ثم يتفرق إلى الأرض. وقال ابن زيد: الشام.

□ قال ابن جرير الطبري: «لا خلاف بين جميع أهل العلم أن
هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام»^(٢).

* وقال تعالى عن نجاة موسى ومن معه بعد غرق فرعون:

(١) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية «المطبوع مع تخريج أحاديث فضائل الشام

ودمشق» للربيعي ص (٧٦) - المكتب الإسلامي.

(٢) «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦ - ٤٧).

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

* ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ :

□ قال الحسن: الشام. وقال قتادة: هي أرض الشام^(١).

□ قال ابن تيمية: «معلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها - بعد أن أغرق فرعون في اليم»^(٢).

* وقال تعالى في حديث موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

* ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ :

□ قال قتادة: هي الشام. وقال ابن زيد: أريحاء، وعن ابن عباس:

هي أريحاء.

والمقدسة المطهرة المباركة.. لا تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك»^(٣).

* ومملكة سليمان كانت في هذه الأرض المباركة: قال تعالى:

(١) «تفسير الطبري» (٤٣/٦).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص(٧٥).

(٣) «تفسير الطبري» (١٧٢/٤).

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ {الأنبياء: ٨١}.

* ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ :
 [يعني: الشام، وذلك أنها تعود به إلى منزله بالشام.
 وقال ابن زيد: الشام] (١).

[قال ابن تيمية: «إنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان».

* وقال تعالى في قصة سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ {سبأ: ١٨}.

﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ :
 [قال مجاهد: الشام. وقال قتادة: يعني: الشام.
 [وقيل: عني بالأرض التي بورك فيها بيت المقدس.
 عن ابن عباس قال: الأرض التي باركنا فيها هي الأرض المقدسة] (٢).
 قال ابن تيمية: وهو ما كان بين اليمن مساكن سبأ، وبين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكره العلماء.

* قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ {الإسراء: ١}.

كم هي عظيمة هذه الأرض التي باركها الله.

(١) «تفسير الطبري» (٥٥/٨).

(٢) «تفسير الطبري» (٨٣/١٠).

□ قال العز بن عبد السلام: «اختلف العلماء في هذه البركة، ف قيل: هي بالرسول والأنبياء، وقيل: بما بارك فيها من الثمار والمياه» (١).
وقال الطبري - رحمه الله -: «جعلنا البركة لسكانه في معاشهم، وأقواتهم وحروثهم، وغروسهم».

وهذه البركة غير مقيدة ولا محددة، فهي شاملة لكل أنواع البركة، البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والاجتماعية، والجهادية.

□ هذه البركة ربانية ثابتة مستقرة، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود.

(٢) هذه الأرض مقدسة طاهرة:
وقد مرّت الآيات في ذلك.

(٣) هذه الأرض أرض صدق:

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبَآءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيَّآتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣].

وقيل: عني به: الشام ومصر.

قال الضحاك: مصر والشام.

وقال قتادة: بوأهم الله الشام وبيت المقدس.

وقال ابن زيد: الشام، وقرأ: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

(١) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» للعز بن عبد السلام ص (٢٤) - مكتبة المنار بالأردن.

(٢) «تفسير الطبري» (٦/٦٦).

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «قد يكون المبوأ حسناً لما فيه من البركات الدينية، وذلك موجود وافر بالشام وبيت المقدس»^(١).
قال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -: «والمبوأ: مكان الإقامة الأمين، وإضافته إلى الصدق تزيده أمناً وثباتاً واستقراراً كثبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء»^(٢).

* ربوة ذات قرار ومعين:

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ {المؤمنون: ٥٠}.

□ «قال قتادة: هو بيت المقدس.

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: الزموا هذه الرملة من فلسطين؛ فإنها الربوة التي قال الله: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٣).

(٤) أقسم الله بها، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم:

* قال تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ {التين: ١ - ٢}.

□ «قال كعب: الزيتون بيت المقدس.

وقال قتادة: الجبل الذي عليه بيت المقدس.

وقال ابن زيد: مسجد إيليا»^(٤).

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص (٢٦).

(٢) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٤/٤٧٣).

(٣) «تفسير الطبري» (٩/٢٦ - ٢٧).

(٤) «تفسير الطبري» (١٢/١٥٣ - ١٥٤).

فأقسم الله بمنابت التين والزيتون في الشام وبيت المقدس .

(٥) بيت المقدس أرض المحشر والمنشر :

* قال تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق: ٤١] .

□ قال ابن جرير : « واستمع يا محمد صيحة القيامة يوم ينادي بها

منادينا من موضع قريب وذكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس .

قال قتادة : كنا نحدث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهي

أوسط الأرض .

قال كعب : ملك قائم على صخرة بيت المقدس .

وقال بردة : ملك قائم على صخرة بيت المقدس ^(١) .

* قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا

نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ

بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣] .

□ قال عبد الله بن عمرو بن العاص : هو السور الشرقي باطنه

المسجد وظاهره وادي جهنم .

وقال كعب : في الباب الذي في بيت المقدس .

وقال الطبري : قد قيل إن ذلك السور بيت المقدس عند وادي

جهنم .



(١) « تفسير الطبري » (١١ / ١١٤) .

* فضائل الشام في السنة المطهرة :

أرض الشام هي تلك الرقعة التي تشغلها الآن سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

□ قال ابن الفقيه الهمداني : «أجناد الشام أربعة : حمص ، ودمشق ، وفلسطين ، والأردن» (١) .

ولم يتم تقسيمها إلى هذه الدول إلا بعد اتفاقية «سايكس بيكون» . وكل فضيلة ثابتة لبلاد الشام بوجه عام فهي أيضاً ثابتة لبيت المقدس ؛ لأنه جزء منها ، بخلاف ما اختص الله به بيت المقدس من فضائل .

ونعرج أولاً على فضائل الشام لتكون مدخلاً لما بعده من الفضائل لبيت المقدس .

«إقليم الشام جليل الشأن ، ديار النبيين ومركز الصالحين ، ومطلب الفضلاء ، به القبلة الأولى ، وموضع الحشر والمسرى ، والأرض المقدسة ، والرباطات الفاضلة ، والثغور الجليلة ، والجبال الشريفة ، ومهاجر إبراهيم ، وقبر وديار أيوب وبثره ، ومحراب داود وبابه ، وعجائب سليمان ومدنه ، وتربة إسحاق وأمه ، ومولد المسيح ومهدده ، وقرية طالوت ونهره ، ومقتل جالوت وحصنه ، وجبّ أرميا وحبسه ، ومسجد أوروبا وبيته ، وقبة محمد وبابه ، وصخرة موسى ، وربوة عيسى ، ومحراب زكريا ، ومعرك يحيى ، ومشاهد الأنبياء ، وقرى أيوب ، ومنازل يعقوب والمسجد الأقصى ، وقبر موسى ، ومضجع إبراهيم ومقبرته ، وموضع لقمان ووادي كنعان ،

(١) «مختصر كتاب البلدان» لابن الفقيه .

ومدائن لوط، وموضع الجنان، .. والباب الذي ذكره الرجلان ..
والمجلس الذي حضره الخصمان، .. وقبر مريم وراحيل ومجمع
البحرين .. مع مشاهد لا تُحصى، وفصائل لا تخفى، وفواكه ورخا،
وأخرة ودنيا، به يرق القلب، وتنشط الأعضاء للعبادة»^(١) .

أرض البركة والخير، والطهر والعفاف، مستقر الإيمان في الفتن،
وحصن الإسلام، وبها عموده وملكه .. وانظر العجب العجاب في
فضائلها من حديث رسول الله ﷺ .

(٦) أولاً: بسط الملائكة أجنحتها على الشام:

● عن زيد بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - قال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «يا طوبى للشام! يا طوبى للشام! يا طوبى
للشام!»^(٢) . قالوا: يا رسول الله ﷺ وبم ذاك؟ قال: «تلك ملائكة الله
باسطوا أجنحتها على الشام»^(٣) .

□ قال المناوي: «طوبى: تأنيث أطيب أي: راحة وطيب عيش
حاصل بالشام.

وطوبى مصدر من طاب كزلفى وبشرى، ومعنى ذلك أصبت طيباً

(١) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي» ص (١٥١).

(٢) في إحدى الروايات «طوبى لأهل الشام» .

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣١/٢) وقال: «حديث حسن - وزاد في بعض النسخ -
صحيح»، وأحمد في «المسند» (١٨٤/٥)، والحاكم في المستدرک (٢٢٩/٢) وقال:
«صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وتابعه الألباني. وقال المنذري في
«الترغيب» (٦٣/٤): رواه ابن حبان في «صحيحه» والطبراني بإسناد صحيح. وقال
الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام
ودمشق للربيعي» ص (١٢).

وخيراً؛ لأن ملائكة البليغ الرحمة التي وسعت رحمته كل شيء تحفها وتحوطها بإنزال البركات ودفع المهالك والمؤذيات»^(١).

فأي شيء أطيب من دعاء النبي ﷺ لأهل الشام بطيب العيش والراحة، وحراسة الملائكة وحفظها للشام وأهله.

□ قال العز بن عبد السلام: «أشار ﷺ أن الله سبحانه وتعالى وكل بها الملائكة يحرسونها، ويحفظونها، وهذا موافق لحديث عبد الله ابن حوالة في أنهم في كفالة الله تعالى ورعايته»^(٢).

(٧) ثانياً: الشام صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه:

● قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشام؛ فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمينه، وليُسقَ من غدُرِه»^(٣)، فإن الله - عز وجل - تكفل لي بالشام وأهله»^(٤).

□ قال المناوي: «الشام مصطفاة من بلاده يجمع إليها المختارين من

(١) «فيض القدير» للمناوي (٤/٢٧٤).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» لعز الدين بن عبد السلام ص (٣٤) - مكتبة المنار - الأردن.

(٣) الغدُر: جمع غدِير، وهي: القطعة من الماء يغادرها السيل، وسمي بذلك؛ لأنه يغدر بأهله أي: يقطع بهم عند شدة حاجتهم إليه.

قال المناوي: «أهل الشام شأنهم أن يتخذ كل رفقة منهم غديراً للشرب وسقي الدواب فوصّاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سبيلاً للاختلاف وتهيج الفتنة» انتهى من «فيض القدير» (٤/٣٤٢).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن واثلة. قال ابن الجوزي: حديث لا يصح. وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة. وضعفه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٧٠).

عباده، ضمن لي حفظها، وحفظ أهلها القائمين بأمر الله».

• وعن عبد الله بن حوالة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق»، قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك. فقال: «عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله».

«قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول: «ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه».

• وفي لفظ آخر أن ابن حوالة - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله خر لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم اختر على قربك شيئاً. قال: «عليك بالشام».

فلما رأى كراحتي للشام قال: «أتدري ما يقول الله تعالى في الشام؟ إن الله تعالى يقول: يا شام، أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي، إن الله تكفل لي بالشام وأهله»^(١).

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٣٨٣)، وأحمد في «المستد» (٤/ ١٠٠، ١١٠)، و(٥/ ٣٣ - ٣٤، ٨٨)، والحاكم (٤/ ٥١٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٧٠٧/ ١)، وابن المبارك في «الجهاد» ص (١٥١)، والطبراني في «الكلير» (٤/ ٢٧٥)، وأخرجه ابن حبان (الإحسان ٧٢٦٢). وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٩): رجاله ثقات، وقال في موطن آخر (١٠/ ٥٨ - ٥٩): رواه أبو داود باختصار كثير، ورواه الطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة. وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص (١٣).

● وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صفوة الله من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وليدخلن الجنة من أمتي ثلثة لا حساب عليهم ولا عذاب»^(١).

(٨) ثالثاً: تكفل الله تعالى بأهل الشام فلا ضيعة عليهم:

□ قال الإمام سعيد بن عبد العزيز: مَنْ تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

□ قال العز بن عبد السلام: «أخبرنا الله ﷺ أن الشام في كفالة الله تعالى، وأن ساكنيه في كفالته وحياطته، ومن حاطه الله تعالى وحفظه فلا ضيعة عليه».

وقد درج العلماء على الإشارة بسكناه اقتداء برسول الله ﷺ، إذ قال عطاء الخراساني: «لما هممت بالنقلة، شاورت من بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان من أهل العلم، فقلت: أين ترون لي أنزل بعيالي؟ فكلهم يقولون: عليك بالشام»^(٢).

وخير دليل على هذا تحطم الحملات الصليبية وحملات التتار على صخرة الإيمان في أرض الشام.

فعين جالوت ما يزال حديثها عبر تضيء بأروع الأمثال
تحكي مفاخرنا وتذكر مجدنا فتجيبها حطين بالمنوال
□ يقول عز الدين بن عبد السلام: «هذه شهادة من رسول الله

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» من طريق الطبراني، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٠/٤) ح رقم (١٩٠٩): «الحديث صحيح لغيره»، وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٦٥).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص (٢٨، ٢٩).

ﷺ باختيار الشام، وبفضلها وباصطفاء ساكنيها، واختياره لقاطنيها، وقد رأينا بالمشاهدة، فإن من رأى صالحى أهل الشام، ونسبتهم إلى غيرهم، رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتباؤهم»^(١).
من تكفل الله به فلن يضيعه «والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين».

(٩) رابعاً: عمود الكتاب والإسلام بالشام، وتام دين الله وظهوره سيكون بها:

● عن عبد الله بن حوالة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة، تحمله الملائكة، فقلت: ما تحملون؟!»، فقالوا: عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام، وبيننا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلص من تحت رأسي، فظننت أن الله تعالى قد تخلى عن أهل الأرض، فاتبعته بصري، وإذا هو نور ساطع بين يدي حتى وضع بالشام». فقال ابن حوالة: يا رسول الله خر لي. قال: «عليك بالشام»^(٢).

● وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص (٣٣).

(٢) صحيح: قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة»، وعزاه الألباني في «فضائل الشام» للربيعي ص (٢٨)، لابن عساكر (١/ ١٠١ - ١٠٢).

قال الألباني: ابن رستم مجهول.

وصححه الألباني في «تخريج فضائل الشام» ص (٢٩، ٣١).

ساطع عُمِد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام». وفي رواية: «إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام»^(١).

● وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا قائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام»^(٢).

□ قال العز بن عبد السلام:

«أخبر ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام برآء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك. والمعنى بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٥/٩٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/٢٥٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٥٨): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بأسانيد وفي أحدها ابن لهيعة وهو حسن الحديث وقد توبع على هذا وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عساكر (١/٩١ - ٩٥) وله عنده طرق أخرى وحسنه.

وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص (١٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/١٩٨ - ١٩٩)، و«فضائل الصحابة» (١٧١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٩٨)، والبزار (٣٣٣٢)، «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/٢٨٩): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي وهو ثقة. وقال في (١٠/٥٧): رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص (١٥).

إليه، والعيان شاهد لذلك، فإننا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء واختلاف الآراء. وقد قال عبد الله بن شوذب: تذاكرنا بالشام، فقلت لأبي سهل: أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ فقال: ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها.

والذي ذكره معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة، إذ الفتن من القحط والغلاء. وغير ذلك من أنواع البلاء إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف منها في غيرها»^(١).

(١٠) خامساً: أهل الشام ميزان للصالح والفساد في أمة الإسلام:

● عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(٢).

فأهل الشام هم ميزان قسط لأهل الإسلام، وأمة الإسلام تعرف به مدى قربها أو بعدها عن دينها. فكلما كان أهل الشام أكثر قرباً من دينهم، وأكثر تمسكاً به، كانت أمة الإسلام بخير.

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص (٣٠ - ٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه الطيالسي (١٠٧٦)، ومن طريقه أخرجه الترمذي (٣٠/٢) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد (٤٣٦/٣، ٣٥/٥)، وفي «فضائل الصحابة» (١٧٢٢)، وروى ابن ماجه (٦/١ - ٧) الشطر الثاني، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٥٨)، وأبو نعيم (٢٣٠-٢٣١)، والخطيب (٤١٧/٨، ٤١٨)، و(١٨٣/١٠) الشطر الأول، وكذا أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٧/٢٠). وأخرجه ابن أبي شيبة (١٩٠/١٢).

وقال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص (١٩): إسناده صحيح.

وإذا فسد أهل الشام، وابتعدوا عن ربهم، كان ذلك علامة سوء في بُعد هذه الأمة عن دينها.

(١١) سادساً: دعا النبي ﷺ لها بالبركة:

• عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: وفي نجدنا. قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، واللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة:

«هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»^(١).

• وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: إن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا ويمنا - مرتين -»، فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: «من هناك يطلع قرن الشيطان، وبها تسعة أعشار الشر»^(٢).

قال العز بن عبد السلام - رحمه الله -: «لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنى باليمن، دلّ على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩٤)، والترمذي (٣٩٥٣)، والريعي في «فضائل الشام» ص (٨)، وأحمد في «المسند» (١١٨/٢، ١٢٦)، و«فضائل الصحابة» (١٧٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٣٣/٦)، وابن حبان (٦٦٤٨، ٦٦٤٩، ٧٣٠١). والمراد بنجد: العراق كما قال الخطابي وابن حجر.

(٢) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد في «المسند» (٩٠/٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٤/١٢) رقم ١٣٤٢٢، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥٧/١٠): رواه الطبراني في «الأوسط» وأحمد ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن عطاء، وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر، وقد صحح إسناده أحمد شاكر برقم (٥٦٢٤).

على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم»^(١).

● عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: صلى رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل على القوم فقال: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا وصاعنا، اللهم بارك لنا في حرمننا، وبارك لنا في شامنا».

فقال رجل: وفي العراق؟ فسكت. ثم أعاد، قال الرجل: وفي عراقنا؟ فسكت. ثم قال: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا وصاعنا، اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم اجعل مع البركة بركة، والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب إلا وعليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا عليها...»^(٢) وذكر الحديث.

فلله در بلاد الشام.. يضيفها النبي ﷺ إلى نفسه وهذا يدل على أنها في قلب نبينا ﷺ بمكان عظيم.. فأى شرف عظيم يسبغه النبي الكريم على ديار بها ملك دينه وعمود كتابه. «فهنيئاً لمن تعلق نسبه بالمصطفى ﷺ، وتعلقت أسبابه بأسبابه فالأسباب كلها منقطعة إلا سبب واحد، وهو المتعلق بالمصطفى ﷺ»^(٣).

(١) «ترغيب أهل الشام» ص (٣٤).

(٢) صحيح: أخرجه الربيعي في «فضائل الشام» (٨)، وقال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص (٨ - ٩): «حديث صحيح، وإن كنت لم أقف عليه بهذا التمام فيما عندي من كتب السنة. ورواه الطبراني في «الكبير» من طريق أخرى عن ابن عمر وسنده صحيح أيضاً».

(٣) «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل» لإبراهيم العلي ص (٤٦ - ٤٧) - منشورات فلسطين المسلمة.

(١٢) سابعاً: نصح النبي ﷺ بسكنى الشام دليل على أفضليتها:

● عن سالم بن عبد الله، عن أبيه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار في آخر الزمان من «حضر موت تحشر الناس» قلنا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام»^(١).

● عن بهز بن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول الله أين تأمرني؟ قال: «ها هنا»، وأوماً بيده نحو الشام. قال: «إنكم محشورون رجالاً وركبائاً، ومُجرّون على وجوهكم». وفي رواية: «ستكون فتن»، قيل: يا رسول الله! ماذا تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام»^(٢).

□ قال المناوي: «أي الزموا سكنى أرض الشام قيل: مطلقاً لكونها أرض المحشر والمنشر، وقيل المراد: آخر الزمان؛ لأن جيوش المسلمين

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٨/٢) و٥٣ و٦٩ و٩٩ و١١٩)، والترمذي في «الفتن» وصححه، وابن حبان في «صحيحه» وإسناده عند أحمد صحيح على شرط الشيخين، وكذلك رواه ابن عساکر (١/٧٥ و٧٦ و٧٧) ١. هـ من «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» للألباني ص (٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٥، ٥)، و«فضائل الصحابة» (١٧١١)، والترمذي رقم (٢٤٢٤، ٣١٤٢)، والفسوي في «تاريخه» (٢/٢٩٦)، والربيعي في «فضائل الشام» رقم (١٣)، والحاكم (٤/٥٦٨)، وصححه ووافقه الذهبي. قال المناوي في «فيض القدير» (٤/٣٤٢): «قال الهيثمي: أسانيد كلها ضعيفة، لكن رواه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح في حديث طويل». وقال الحافظ في «الفتح»: وسنده قوي، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال مرة أخرى: حسن (كما في «تحفة الأحمدي» ٧/١١٠). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٦٩).

تنزوي إليها عند اختلال أمر الدين وغلبة الفساد. قال في «الكشاف»: وقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة، وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء، ومهبط الوحي ومكناتهم أحياء وأمواتاً^(١).

□ قال العز بن عبد السلام - رحمه الله -: «أشار ﷺ بالشام عند خروج النار لعلهم بأنها خير للمؤمنين من غيرها، والمستشار مؤتمن»^(٢).

(١٣) ثامناً: أرض الشام رباط وثغر إلى يوم القيامة وهي عقر دار المؤمنين:

● عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله أذال^(٣) الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: «كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحى إلي: أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفذاذاً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين بالشام»^(٤).

(١) «فيض القدير» (٤/٣٤٢).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص (٢٨).

(٣) أذال: أي: أهان. وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها كما في «النهاية».

(٤) إسناد صحيح على شرط مسلم: أخرجه النسائي (٢/٢١٧ - ٢١٨)، وابن حبان

(١٦١٧)، وأحمد (٤/١٠٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/٤٢٧ - ٤٢٨)، والحري

في «غريب الحديث»، والطبراني في «الكبير» (٦٣٥٧ و ٦٣٥٨ و ٦٣٥٩)، ورواه البزار في

«مسنده» (١٦٨٩) دون قوله: «يضرب بعضكم... إلخ». وزاد بعد قوله: «... يوم =

قال المناوي: «عقد دار الإسلام» أي: أصله وموضعه بالشام - أي: تكون الشام زمن الفتن محل أمن، وأهل الإسلام به أسلم. قال في «الفردوس»: «عقر^(١) الدار - مفتوح العين -: أصلها، والعقر والعقار خيار كل شيء وأصله»^(٢).

قال عز الدين بن عبد السلام:

«أخبر ﷺ في هذا الحديث بالردة التي تقع ممن أراد الله تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام. وأشار بقتل المرتدين، ثم بسكنى الشام إشارة منه إلى أن المقام بها رباط في سبيل الله تعالى، وإخباراً بأنها ثغر إلى يوم القيامة، وقد شاهدنا ذلك، فإن أطراف الشام تغور على الدوام»^(٣). فالشام أرض رباط وجهاد إلى يوم القيامة، والجهاد ماض والرباط مستمر. وعلى أرضها تحسم المعركة بين الحق والباطل.

(١٤) تاسعاً: خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ومهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ:

● عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم

= القيامة» وأهلها معانون عليها»، وقال: «لا نعلم رواه بهذا اللفظ إلا سلمة بن نفيل، وهذا أحسن حديث يروى في ذلك». انتهى من «السلسلة الصحيحة» للألباني (٥٧١/٤) رقم (١٩٣٥).

(١) قال في «النهاية»: «عقر: بضم العين ويفتحها، أي: أصلها وموضعها.

(٢) «فيض القدير» (٣١٩/٤).

(٣) «ترغيب أهل الإسلام» ص (٣٢).

النار مع القردة والخنازير»^(١) .

● وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لنكوننَّ هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم روح الرحمن عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تقيل حيث يقبلون، وتبيت حيث يبيتون، وما سقط منهم فلها»^(٢) .

وهذه فضيلة أخرى للشام أن من يأتيها ويقيم بها من أهل الصلاح للمرابطة هم خير أهل الأرض .

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في «مناقب الشام وأهله» ص(٨٣ ، ٨٤) : فقد أخبر أن خيار أهل الأرض من ألزمهم مهاجر إبراهيم ، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه ، ومهاجر إبراهيم هي الشام . . . وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ ، فإن الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة .

(١) حسن: قال الشيخ الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربيعي ص(٨٢ - ٨٣) : حديث حسن ، أخرجه أبو داود في «أول الجهاد» (٢٤٨٢) من طريق شهر بن حوشب ، وشهر فيه ضعف من قبل حفظه ، لكن له طريق أخرى ، أخرجه الحاكم (٥١٠ / ١) من طريق أبي هريرة عنه وقال : «صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي وهو من أوهامهم ؛ فإن فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، ولم يخرج له مسلم ، ثم هو ضعيف من قبل حفظه ، وإن أخرج له البخاري . . . لكن الحديث قوي بمجموع الطريقين إن شاء الله تعالى» .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٨/٢) ، وفيه يحيى بن أبي حية ضعيف لكثرة تدليسه ، وقد عنعنه .

قال الشيخ الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(٨٣) : «بيد أنه أخرجه ابن عساكر (١٥١ / ١ - ١٥٢) من طريق أخرى عن ابن عمر مرفوعاً ، ورجاله ثقات» .

(١٥) عاشراً : بأرض الشام الطائفة المنصورة :

● عن عمير بن هانئ قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - على هذا المنبر يقول : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس » .

فقام مالك بن يخامر السكسكي فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعت معاذ بن جبل يقول : « وهم أهل الشام » ، فقال معاوية - ورفع صوته - : هذا مالك ، يزعم أنه سمع معاذاً يقول : « وهم أهل الشام » ^(١) .

● وعن أبي عبد الله الشامي قال : سمعت معاوية يخطب ، وهو يقول : يا أهل الشام ، حدثني الأنصاري ، يعني : زيد بن أرقم - أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى يأتي أمر الله ، وإنني أراكموهم يا أهل الشام » ^(٢) .

وعند أحمد : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين » ، « وإنني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام » ^(٣) .

● وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » ^(٤) .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١ ، ٧٤٦٠) ، ومسلم (١٠٣٧) ، وأحمد في «المسند» (٩٣/٤) ، (١٠١) ، وابن ماجه (٩) ، والطبراني في «الكبير» (٣٨٣/١٩) رقم (٨٩٩) ، وفي «مسند الشاميين» (٥٥٣) ، وليس عندهم قول مالك إلا البخاري وأحمد .

(٢) لفظ الطيالسي .

(٣) صحيح : أخرجه الطيالسي (ص ٩٤ رقم ٦٨٩) ، وأحمد في «المسند» (٣٦٩/٤) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٨٧/٧) : «رواه أحمد والبخاري والطبراني ، وأبو عبد الله الشامي ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» . وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٩٥٨) .

(٤) أخرجه مسلم (١٩٢٥) ، وأبو يعلى (٧٨٣) .

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام. وهو كما قال لوجهين:

أحدهما: أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام.

الثاني: أن لغة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل مدينته في «أهل الغرب هم أهل الشام، ومن يغرب عنهم، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية، فكل بلد له غرب قد يكون شرقاً لغيره. وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل المغرب»^(١).

❑ قال النووي - رحمه الله -: «إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلين، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، آملون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»^(٢).

فالتائفة المنصورة بأزمان قائلها ففي زمان الإمام أحمد بن حنبل كان المحدثون حملة السنة والمنافحين عنها أمام الفلسفة اليونانية والهندية وأمام الفرق الباطنية، وللجمع بين الأحاديث وأقوال أهل العلم يظهر أن هذه الطائفة متنوعة الكفاءات والطاقات والإمكانات والأفراد، متحدة في الغاية والهدف وهذه الطائفة تنافح عن الإسلام وتنصر الحق وأهله، تقاتل على الحق مجاهدة تصبر على ما يصيبها من أعدائها، قائمة على أمر الله آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.



(١) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص (٨٠، ٨١).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥٣/٢).

(١٦) الحادي عشر : أهل الشام سوط الله في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء :

عن خريم بن فاتك الأسدي - رضي الله عنه - قال : «أهل الشام سوط الله في الأرض، ينتقم بهم ممن يشاء كيف يشاء، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنهم، ولن يموتوا إلا همًّا أو غيظًا أو حزنًا»^(١).

(١٧) الثاني عشر : كثرة شهداء الشام وفضلهم العظيم عند الله :

● عن أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأرسلت الحمى في المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجس على الكافرين»^(٢).

□ فأسكن الله الطاعون في بلاد الشام ليكثر شهداءهم، ويرفع درجاتهم، ويزكي أعمالهم، ولقد توفي في طاعون عمواس أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، وآلاف من الأخيار من الصحابة والتابعين. وأفضل الشهداء عند الله هم من أهل الشام كما جاء في الحديث.

● فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من

(١) إسناده صحيح موقوف: رواه الإمام أحمد (٤٩٩/٣)، وصححه الألباني في «تخريج مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص (٨٦).

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (٨١/٥)، وابن حبان في «الثقات» (٢١٥/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤١/١ - ٣٤٢)، وابن سعد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٦١)، و«صحيح الجامع» (٦٠).

المدينة^(١) من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون - وذلك باطل - فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعدّون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فنزل عيسى ابن مريم، فأَمّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته^(٢).

والمدينة في الحديث هنا هي دمشق لحديث رسول الله ﷺ: «يوم الملحمة الكبرى، فسطاط^(٣) المسلمين بأرض يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ^(٤)».

● وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يُقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام»^(٥).

(١) أي: دمشق.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الفُسطاط: بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، وكذلك الخيمة الكبيرة، ومنها: «فسطاط مصر»، فإن البلد أقيم مكان فسطاط «خيمة» عمر بن العاص فاتح مصر - رضي الله عنه -.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/٢١٠)، والحاكم (٤/٤٨٦)، وأحمد (٥/١٩٧)، وقال

الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وأقرّه المنذري (٤/٦٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» =

• عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا يؤيد الله بهم الدين»^(١) .

(١٨) الثالث عشر : شجرة طوبى في الجنة تشبه أشجار الشام :

• عن عتبة بن عبد السلمي - رضي الله عنه - قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : «ما حوضك هذا الذي تحدث عنه؟» فقال : «كما بين البيضاء إلى بصرى يمدي الله فيه بكراع لا يدري إنسان ممن خلق الله طرفاه» ، فكبر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : «أما الحوض فيرد عليه فقراء المهاجرين الذين يقاتلون في سبيل الله، فأرجو أن يرني الله الكراع فأشرب منه» ، وقال رسول الله ﷺ : «إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات» ، فكبر عمر وقال : «إن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وعشائهم وأرجو أن يجعلني الله في الحثيات الأواخر» ، فقال الأعرابي : يا رسول الله فيها فاكهة؟ قال : «نعم. وفيها شجرة تدعى طوبى هي تطابق الفردوس» ، فقال : أي شجر أرضنا تشبه؟ فقال : «ليس تشبه شيئًا من شجر أرضك، ولكن أتيت الشام؟» ، قال : لا يا رسول الله . قال : «فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ثم ينتشر أعلاها» ، قال :

= (٤٢٠٥) ، و«تخريج فضائل الشام» ص(١٥) .

(١) حديث حسن: أخرجه ابن ماجه (٥٢٠ / ٢) ، والحاكم (٥٤٨ / ٤) ، وقال الحاكم : صحيح ، وقال البوصيري في «الزوائد» : «هذا إسناد حسن» ، وحسنه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربيعي ص(٦١) .

فما عَظُمُ أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لم يدر بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا...» الحديث ^(١).

(١٩) الرابع عشر: بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار:

● عن معاذ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال» ^(٢).

وفي الحديث: «ينزل عيسى ابن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق» ^(٣).

ويهلك شيخ الضلالة المسيح الدجال بباب لد بفلسطين.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٣/٤ - ١٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٦/١٧ - ١٢٧) برقم (٣١٢)، و«الأوسط» (٤٠٤)، والطبراني في «التفسير» (١٤٩/١٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣٢٠/٣ - ٣٢١)، وابن حبان (كما في الموارد ٢٦٢٦، ٢٦٢٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٤٦).
قال الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي في تحقيق «المعجم الكبير» (١٢٧/١٧): «وفيه عامر ابن زيد البكالي، وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن كثير في «نهاية البداية» (١٥٧/٢): قال الحافظ الضياء: لا أعلم لهذا الإسناد - إسناد الطبراني - علة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٢/٥، ٢٤٥)، وأبو داود (٣٦/٥ - ٣٧) رقم (٤٢٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٩٦).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١/١٨٦ - ١٨٧)، (٥٩٠)، (١٩٦/١٩)، (٤٤٠) عن أوس بن أوس. وقال الهيثمي (٢٠٥/٨): ورجاله ثقات، وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص (٥٦)، وأخرجه أيضاً الربيعي في «فضائل الشام» عن كيسان - رضي الله عنه -.

(٢٠) الحامس: الشام أرض المحشر والمنشر:

عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله

ﷺ:

«الشام أرض المحشر والمنشر»^(١).

(٢١) وأخيراً: رؤيا أم النبي ﷺ قصور الشام عند ولادته:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي:

«ومن بركات الشام الدينية: أن نور النبي ﷺ سطع إليها، فأشرقت قصورها منه، فكان ذلك أول مبدأ دخول نوره ﷺ الشام، ثم دخلها نور دينه وكتابه فأشرقت به، وطهرها مما كان فيها من الشرك والمعاصي، وكمل بذلك قدسها وبركتها»^(٢).

□ أول أمر النبي ﷺ ومبعثه ونزول الوحي عليه كان هناك في مكة، وإن مهاجره إلى المدينة المنورة، وإن تمام أمره وعمود ملكه سيكون في الشام حيث رأت أمه قصور الشام.

● عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: «قلت: يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟

قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي نوراً أضاءت منه

(١) حديث صحيح: أخرجه الربيعي في «فضائل الشام» برقم (٤) صفحة ١٤، وقد جاء موقوفاً عن أبي ذر عند أحمد في «المسند» (٢٥٧/٦)، وفيه أن النبي ﷺ أقره على ذلك ولم ينكره عليه، فهو في حكم المرفوع، وهو ضعيف، وقد صححه الألباني لوروده من الطريقتين ولشاهد من حديث ميمونة بنت سعد.

(٢) «فضائل الشام» لابن رجب الحنبلي ص (١٠١) - دار الوطن للنشر.

قصور الشام^(١) .

● وعن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيئته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم»^(٢) .

● وعن عتبة بن عبد السلمي - رضي الله عنه - قال : «إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟

قال : «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢٦٢/٥)، والطيالسي (١١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٢٩)، وابن سعد (١٠٢/١)، والبيهقي في «الدلائل» (٨٤/١)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٢٢/٨): «رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقويه.

ومن هذه الشواهد حديث خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أخرجه الحاكم (٢/٦٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٨٤/١)، والطبري (٢٠٧٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «صحيح السيرة النبوية» ص(١٣): «وهو كما قال» وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٢٥٦): وهذا إسناده جيد قوي.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (١٢٧/٤، ١٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٥٢/١٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٨٠/١)، (١٣٠/٢)، و«الآجرى في الشريعة» ص(٤٢)، والحاكم (٢/٦٠٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٢٣/٨): رواه أحمد والطبراني بنحوه، والبخاري وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، قال الألباني في «صحيح السيرة» ص(٥٤): «المسند» (١٢٧/٤، ١٢٨) بإسناد فيه جهالة وفي متنه نكارة؛ فإن في آخره زيادة بلفظ: «وكذلك أمهات النبيين ترين»؛ لأنها مع ضعف إسناده لم ترد - فيما علمت - في طريق أخرى، ولذلك خرجت الحديث في «الضعيفة» (٢٠٨٥)، وأوردت سائرته هنا؛ لأن له شواهد تقدم بعضها، وبعضها يأتي عقبه».

لنا، ولم نأخذ معنا زاءاً...» إلى أن قال: «... فرحلت بعيراً لها، فجعلتني أو فحملتني على الرحل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي. فقالت: أوأديت أمانتي واذمتي، وحدثتها بالذي لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لها: رأيت خرج مني نوراً، أضاءت منه قصور الشام»^(١).

قال الحافظ ابن كثير: «وفيه بشارة لأهل محلطنا أرض بصرى، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة، ولله الحمد والمنة.

ولهذا كانت أول مدينة فُتحت من أرض الشام، وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر».



(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٤ - ١٨٥)، والدارمي (١/ ٩٠٠٨)، والحاكم في «المستدرک» (٢/ ٦١٦ - ٦١٧)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٢): إسناد أحمد حسن.

فضائل بيت المقدس خاصة في السنة المطهرة

(٢٢) ١ - بيت المقدس وفلسطين هي مهاجر إبراهيم ولوط عليهما السلام:

● مرّ بك حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، عن النبي ﷺ قال: «سيكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم...».

● وحديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتكونن هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم إبراهيم ﷺ...».

ومهاجر إبراهيم ﷺ تعدل مهاجر نبينا ﷺ.

ولما نجّى الله إبراهيم ولوطاً وجهما إلى فلسطين من أرض الشام ليقما عليها ويستقرا بها، وفيها توفي الخليل عليه السلام، ودفن في مدينة الخليل من أرض فلسطين، فلله درها من أرض وطئتها أقدام الخليل، وفيها مثواه وقبره.

(٢٣) ٢ - بيت المقدس - المسجد الأقصى - ثاني مسجد بني على الأرض:

● عن أبي ذر - رضي الله عنه قال:

قلت: يا رسول الله! أيّ مسجد وُضع على الأرض أولاً؟

قال : «المسجد الحرام» .

قلت : ثم أي؟

قال : «المسجد الأقصى» .

قلت : كم بينهما؟

قال : «أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد»^(١) .

□ قال ابن حجر في «الفتح» (٤٠٩/٦) : «قد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس .

وقال أيضاً : «وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال : إن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان» : أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه»، ثم جاء إبراهيم فجدد بناءها على القواعد، والأساس كان موجوداً قبل ذلك، وجدد بناء المسجد الأقصى على هذا القول .

والقول الثاني : أن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة، أول مسجد في الأرض، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس هو ثاني مسجد بُني على الأرض بنص حديث أبي ذر - رضي الله عنه -، ويحدد النبي صلى الله عليه وسلم المدة الزمنية بين بناء الكعبة وبناء المسجد الأقصى بأنها أربعون سنة، وهذا يعني أن إبراهيم هو باني المسجد الأقصى بيت

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦، ٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠)، وأحمد في «المسند» (١٥/٥)، ٥٧، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٨، والطالسي برقم (٤٦٢)، والحميدي (١٣٤)، وابن ماجه (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٦/١٤)، والنسائي (٣٢/٢)، وابن خزيمة (١٢٩٠)، والبيهقي في «السنن» (٤٣٣/٢)، وفي «الدلائل» (٤٣/٢).

المقدس، وكون إبراهيم هو باني أول مسجدين يوضح كونه أمة وإمام الهدى وخليل الرحمن، فليس غريباً ولا مستبعداً أن يبنى إبراهيم المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة.

□ وللحافظ ابن كثير رأي آخر في «البداية والنهاية»، وهو: «أن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام.

(٢٤) ٣ - موسى عليه السلام يسأل ربه عند الموت أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر:

● عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ففَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ؟ وَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبٍّ! ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتَ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ، فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكُثِيبِ الْأَحْمَرِ» (١).

فهذا كلیم الرحمن ﷺ يسأل ربه عند الموت أن يدنيه من الأرض المقدسة لشرفها وبركتها.

(٢٥) ٤ - يوشع بن نون فتى موسى ونبي بني إسرائيل عليه السلام ونبأه العجيب: حبس الله له الشمس عند فتحه للقدس:

● عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكٌ بَضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد في «مسنده»، والنسائي.

يَينِي بها، ولَمَّا يَبِنَ بها، ولا أَحَدَ بَنِي بِيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أَحَدَ اشترى غنمًا، أو خِلَفَات، وهو ينظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إِنَّكَ مأمورة، وأنا مأمور؛ اللَّهُمَّ احبسها علينا، فحُبِسَتْ حتى فتح اللَّهُ عليه، فجمع الغنائم، فجاءت النار لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إِنْ فيكم غُلُولًا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يَدُ رجل بيده، فقال: فيكم الغُلُول؛ فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يَدُ رجلين، أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغُلُول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها؛ ثم أحلَّ اللَّهُ لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلَّها لنا»^(١).

● عن أبي هريرة - رضي اللَّهُ عنه - مرفوعًا: «ما حُبِسَتْ الشمس على بشرٍ قط؛ إلا على يوشعَ بن نونٍ ليالي سار إلى بيت المقدس»^(٢).

حبسَ اللَّهُ لفتح القدس الشمس فلماذا حبسوا الشمس عنها؟!
أوقف اللَّهُ لها الناموس لكرامتها عليه، وحبس الشمس حتى فتحها
نبيه يوشع بن نون عليه السلام، فلماذا حبسوا عنها النور والشمس؟!

فلسطينُ.. هَلْ أَبْقَيْتِ دمعًا لنائحٍ حَنَانِيكَ مِنْ شوقٍ وَمِنْ عِبَرَاتِ
فلسطينُ آياتٌ وفِيضٌ مِنَ الْهُدَى مُجَلَّلَةٌ بالنور والبركاتِ

ماذا تَبَقَّى مِنْكَ يا دَرَّةَ الْفَاتِحِينَ.. يا سَلِيلَةَ الطَّهْرِ.. يا عطر كل

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم.

(٢) إسناده جيد: رواه أحمد (٣٢٥/٢)، والخطيب (٩٩/٩)، وعنه ابن عساكر (٢/١٥٧). قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٦) (٥/٢٦٦ - ٢٦٧): «وهذا إسناده جيد على شرط البخاري. وقد أخرجه هو ومسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعًا نحوه مطوّلًا».

الأنبياء المخلصين.. ماذا تبقى منك؟!

أهذه القدس والأقصى يزيّنها مسرى النبي أفيتها ساجد عمر؟
أم أورشليم يهوذا بات يحكمها وهيكल الظلم في أحضانها نضر؟

(٢٦) ٥ - ديار يعقوب عليه السلام:

ديار فلسطين المباركة المطهرة كانت ديار يعقوب عليه السلام قبل هجرته إلى مصر.. فقد كان مسكنه في نابلس.

وقد قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: «إن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام».

(٢٧) ٦ - وبالقدس كان ملك داود عليه السلام ومحرابه:

بالقدس كان ملك داود ومحرابه ومعبد.

وأقرب ما قيل في «محراب داود» الذي كان يتعبد فيه، وتسور عليه الملائكة وهو فيه، أنه في القلعة الموجودة عند باب الخليل، أحد أبواب مدينة القدس.

شهدت هذه المدينة الطاهرة وتجمّلت بمرور قدم أعبد البشر عليها.

● عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«كان داود أعبد البشر»^(١).

● وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال:

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢/٢)، والحاكم (٤٣٣/٢)، والبخاري في «التاريخ»

(٢٢٩/١/٣). وقال الترمذي: «حسن غريب». وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ورده

الذهبي والألباني. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٥٣).

«أرسل إلى رسول الله ﷺ فقال: «ألم أخبر أنك تقوم الليل، وتصوم النهار؟...» فقال النبي ﷺ: «صُم صوم داود، فإنه كان أعبد الناس، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، إنك لا تدري لعله أن يطول بك العمر»^(١).

فكيف تطأ أقدام اليهود الذين دنسوا تاريخ البشرية وقذفوا أعبد البشر داود ﷺ، كيف تطأ أقدامهم هذه الأرض؟
لم ينتهوا عن قتل داود ولا لوط فكيف بقذفهم روبلا

(٢٨) ٧ - ملأ سليمان ﷺ ونبوته في البيت المقدس:

وبالقدس كان ملك سليمان ونبوته، وجدّد ﷺ بناء بيت المقدس لا كما يقول اليهود عليهم لعنة الله: أن سليمان ارتد وعبد الأصنام والأوثان وبنى لها المعابد.

ودَعَوْا سليمان النبي بكافرٍ واستهونوا إفاً عليه مقولا

(٢٩) دعوة سليمان عليه السلام لمن صلى في بيت المقدس أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه:

● قال رسول الله ﷺ: «إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس، سأل الله عز وجل خلافاً ثلاثة؛ سأل الله حكماً يصادف^(٢) حكمه، فأوتيته، وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأوتيته، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه^(٣) إلا الصلاة فيه أن يُخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه، أما

(١) أخرجه مسلم (١٦٢/٣ - ١٦٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/٢١٧/١) والسياق له.

(٢) يصادف: يوافق حكمه.

(٣) ينهزه: يدفعه.

اثنان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة».

وفي رواية: «إن سليمان سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه الله الثالثة:

سأله أن يحكم بحكم يواطئ حكمه فأعطي. وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه، وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يُريد إلا الصلاة فيه، أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه»^(١).

□ وعند الخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» ص (١٣٧): قال عبد الله بن عمرو: «إن سليمان حين فرغ من بيت المقدس، قَرَّبَ قرباناً فتُقْبَلُ منه، فدعا الله بدعوات... منهن: «اللهم أيما عبد مؤمن زارك في هذا البيت تائباً إليك إنما جاء يتنصّل عن خطاياہ وذنوبه أن تتقبّل منه، وتتركه من خطاياہ كيوم ولدته أمه»^(٢).

(٣٠) ٨ - متعبد مريم بفلسطين.. ومحراب زكريا عليه السلام:

وبالقدس عاش من اصطفاهم الله.. عاش آل عمران الأبرار.. عاشت أم مريم الخاشعة التي تنذر ما في بطنها لربها وتعيزها وذريتها من الشيطان الرجيم وتأتي ابنتها البتول مريم عليها السلام كاملة في عبادتها وذكرها وتوكلها على الله عز وجل...

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٦/٢)، والنسائي (٣٤/٢) رقم ٦٩٣، وابن ماجه (١٤٠٨)، وابن حبان (١٦٣٣)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٩٤)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢٩٣/٢)، والخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» رقم (٤٧)، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» برقم (٦٦٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٩٠).

(٢) إسناده صحيح.

* ﴿تَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ثَلَمًا بَارِكًا عَلَيْهَا زَكَرِيَّا أَنْصَرَابٍ وَجِدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

□ وهنا عاش زكريا ﷺ وملاً الدنيا عبادة وتضرعاً ودعاءً ومسارعة في الخيرات

(٣١ - ٣٢) ٩ - الميلادان الفذآن كانا بفلسطين ميلاد السيد الحصور
يعيسى . من سمّاه الله وسلّم عليه وميلاد عيسى ابن مريم عليهما
السلام:

وبأرض فلسطين الطاهرة المباركة خرق الناموس من أجل الطيبين
يحيى وعيسى عليهما السلام.

دعاء حار من قلب طاهر يعلق رجاءه بمن يسمع الدعاء، ويملك
الإجابة، واستجيبت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر - من كون
زكريا عليه السلام بلغه الكبر وامرأته عاقر - وجاء يحيى عليه السلام
الذي سمّاه الله، وجعله سيداً كريماً حصوراً، ونبيّاً من الصالحين يُسلم
عليه ربه ويبارك حياته على ثرى فلسطين وبيت المقدس.

● عن الحارث الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ
قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل
يعملون بهن، وإن عيسى ابن مريم قال له: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل
بهن، وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإذا أن تأمرهم وإما أن أمرهم؟
قال: إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب أو يُخسف بي.

قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات.

قال: فوعظهم: قال:

إن الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن:

● أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، قال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأد إليّ، فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيد، فأيكّم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً.

● وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

● وأمركم بالصيام، وإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة فيها مسك، ومعه عصابة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك.

● وأمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال: فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفك نفسه منهم.

● وأمركم بذكر الله كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

● وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة قيد شبر خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جثي جهنم». قيل: وإن صلى وصام؟

قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين

المؤمنين عباد الله^(١) .

وعلى ثرى فلسطين ذبح اليهود السيد الحصور يحى عليه السلام .

* وعلى ثرى فلسطين يكون الميلاد الفذ للمسيح بن مريم عليه السلام :

وعلى أرض فلسطين الطاهرة يكون الميلاد الفذ للمسيح من أمه الطاهرة التي بشرها الله على أرض فلسطين بميلاد عيسى عليه السلام التي اصطفاها الله وطهرها وجعلها من القانتين .

طاعة وعبادة، وخشوع وركوع، وحية موصولة بالله، ويأتي السيد الوجيه في الدنيا والآخرة الذي يرفعه الله في الدنيا والآخرة، ويحوطه الله ويرعاه من مكر اليهود ليعود قبل القيامة يحطم الكفر ويكسر الصليب ويضع الجزية ويقتل الخنزير، وعلى أرض فلسطين يقتل مسيح الضلالة في باب لد .

(٣٣) ١٠ - الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، وإمامته للأنبياء في الصلاة بالمسجد الأقصى :

• عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ - ٢٨٦٤)، والطيلسي برقم (٢١٤٨)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، وابن سعد في «الطبقات»، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٦٠)، وأبو يعلى (١٥٧١)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٨، ٣٤٣٠، ٣٤٢٧)، وابن حبان (٦٢٣٣)، وابن خزيمة (٩٣٠، ١١٨٥)، والحاكم (١١٧/١، ٢٣٦، ٤٢١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤)، و«صحيح الترغيب» (٥٥٣).

«لقد رأيتني في الحَجَرِ وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكُربْتُ كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْبُ جَعْدٍ، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم - يعني: نفسه - فحانت الصلاة فأَمَمْتُهُمْ، فلما فَرَعْتُ من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلم عليه. فالتفتُ إليه، فبدأني بالسلام»^(١).

● وعن قتادة: ثنا أنس عن مالك بن صعصعة - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «بيننا أنا عند البيت^(٢) بين النائم واليقظان؛ إذ أقبل أحد الثلاثة بين الرجلين، فأُتيت بطست من ذهب ملاء حكمة وإيمانًا، فشَقَّ من النَّحْرِ إلى مَرَأَقِ البَطْنِ، فغسل القلب بماء زمزم، ثم مُلِيَء حكمة وإيمانًا»^(٣).

ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار {«قال: فقال الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم»}. «يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحُمِلت عليه»^(٤).

{ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس، فصليت فيه بالنبين والمرسلين إمامًا^(٥). ثم انطلقت مع جبريل عليه السلام، فأتينا السماء الدنيا، قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل:

(١) رواه مسلم (٢٧٨).

(٢) في رواية لأحمد: عند الكعبة.

(٣) بعد ذلك عند أحمد والبخاري: «ثم أُعيد» وزاد ابن جرير: «مكانه».

(٤) الزيادة عند أحمد، والبخاري.

(٥) الزيادة عند ابن جرير.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٨/٣)، والسياق له، ومسلم (٢٥٩). . . ووقع في هذه الطريق ذكر الإنائين هنا قبل المعراج، ووقع في طريق آخر بعد المعراج عند سدة المنتهى، ولكل منهما شواهد ذكرها الحافظ في «الفتح» (١٠/٧٣).

فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ؟ فَقَالَ:

«فِيْلِمَانِيَا»^(١) أَقْمَرُ هَجَانَا^(٢)، إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِي، كَأَنَّ شَعْرَ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ.

وَرَأَيْتُ عَيْسَى شَابًّا أَبْيَضَ، جَعَدَ الشَّعْرَ، حَدِيدَ الْبَصْرِ، مُبْطَّنَ الْخَلْقِ^(٣).

وَرَأَيْتُ مُوسَى أَسْحَمَ آدَمَ، كَثِيرَ الشَّعْرِ^(٤) شَدِيدَ الْخَلْقِ.

وَنَظَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ؛ فَلَا أَنْظُرُ إِلَى إِرَبٍ مِنْ آرَابِهِ؛ إِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنْي، كَأَنَّهُ صَاحِبُكُمْ.

فَقَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَلِّمْ عَلَى مَالِكٍ فَسَلِّمْتَ عَلَيْهِ^(٥).

● وَعَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَبِي أَوْفَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظَعْتُ بِأَمْرِي^(٦)، وَعَرَفْتُ أَنَّ

(١) أي: ضخمًا عظيمًا.

(٢) أي: أبيض كما في «النهاية» و«اللسان».

(٣) المبطن: الضامر البطن.

(٤) وفي رواية: حسن الشعرة.

(٥) حسن: أخرجه أحمد (٣٧٤/١)، وأبو يعلى رقم (٢٧٢٠)، والطبري في «تهذيب

الآثار» مسند عبد الله بن عباس ١٧ (١/٤٠٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦٢٣٧)،

وقال الهيثمي في «المجمع» (١/٦٦ - ٦٧): رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن هلال بن

خباب، قال يحيى القطان: أنه تغير قبل موته، وقال يحيى بن معين: لم يتغير ولم

يختلط ثقة مأمون، ورواه أبو يعلى، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» رقم

(٣٥٤٦)، وابن كثير في «التفسير» (٣/١٥ - ١٦) وقال: «رواه النسائي من حديث أبي

زيد ثابت بن زيد عن هلال - وهو ابن خباب - به، وهو إسناده صحيح.

قال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص (٧٦) ردًا على ابن كثير: «كذا قال! وإنما هو

حسن فقط؛ لأن ابن خباب فيه كلام».

(٦) أي: اشتد عليّ وهبته. «النهاية» لابن الأثير.

الناس مكذبين.

قال: فقعد معتزلاً حزيناً، فمرّ به عدوّ الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟! فقال رسول الله ﷺ: «نعم». قال: ما هو؟ قال:

«إنه أُسري بي الليلة».

قال: إلى أين؟

قال: «إلى بيت المقدس».

قال: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟ قال: «نعم».

قال: فلم يُر أنه يُكذّبه؛ مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: رأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟! فقال رسول الله ﷺ: «نعم».

فقال: هيّا معشر بني كعب بن لؤي!

حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجأؤوا حتى جلسوا إليهما.

قال: حدث قومك بما حدثتني.

فقال رسول الله ﷺ: «إني أُسري بي الليلة».

قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس».

قالوا: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟! قال: «نعم».

قال: فمن بين مصفّق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً

للكذب؛ زعم!

قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر

إلى ذلك البلد ورأى المسجد.

فقال رسول الله ﷺ: «فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس

عليّ بعض النعت - قال: - فجيء بالمسجد وأنا أنظر؛ حتى وضع دون دار عقال -

أو : عقيل - فنعتُهُ وأنا أنظر إليه.

قال : وكان مع هذا نعت لم أحفظه .

قال : فقال القوم : أما النعت ؛ فوالله لقد أصاب^(١) .

● وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله

ﷺ يقول : « لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ؛ قمت في الحِجْر ، فجلّى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه »^(٢) .

● وعن ثابت البناني وسليمان التيمي ، عن أنس أن رسول الله

ﷺ قال : « أتيت (وفي رواية : مررت) على موسى ليلة أُسري بي عند الكتيب الأحمر ، وهو قائم يصلي في قبره »^(٣) .

(١) سنده صحيح : أخرجه أحمد (٣٠٩/١) ، والطبراني في « الكبير » (١٢/١٢٧) ، والنسائي في « الكبرى » . وقال الهيثمي في « المجمع » (١/٦٥) : رواه أحمد والبزار والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ورجال أحمد رجال الصحيح ، وصححه أحمد شاكر في « تعليقه » على « المسند » برقم (٢٨٢٠) ، وعزاه السيوطي في « الخصائص » (١/٤٠٠) لابن أبي شيبة أيضاً ، وأبي نعيم بسند صحيح ، وحسنه الحافظ في « الفتح » (٧/١٩٩) ، وصححه الألباني في « الإسرائء والمعراج » ص (٨٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٧٧) ، والبخاري (٣٨٨٦ و ٤٧١٠) ، ومسلم (٢٧٦) ، والترمذي (٣١٣٣) ، وصححه ، والبعثي (٣٧٦٢) .

والزيادة لأحمد ، وعلّقها البخاري في رواية ، وقال الحافظ (٨/٣٩٢) : « وصله الذهلي في « الزهريات » وأخرجه قاسم بن ثابت في « الدلائل » من الطريق ذاته ، ولفظه : « جاء ناس من قريش إلى أبي بكر ، فقالوا : هل لك في صاحبك ! يزعم أنه أتى بيت المقدس ، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ؟ ! »

قال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : لقد صدق .

وعزاه في مكان آخر (٧/١٩٩) للبيهقي في « الدلائل » أيضاً بلفظ : « قال : نعم ، إني أصدقه بأبعد من ذلك ؛ أصدقه بخبر السماء . قال : فسُمي بذلك الصديق » .

(٣) أخرجه مسلم (١٦٤) ، والنسائي في « قيام الليل » ، وأحمد (٣/١٤٨ و ٢٤٨) .

□ قال ابن كثير: «قال البيهقي: وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أُسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس . وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية» .

● وعن قتادة، عن أنس - رضي الله عنه - : أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أُسري به مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أبحمد تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه . قال: فَأَرْفَضَ عَرَقًا^(١) .

□ ولله ما أعظم ليلة الإسراء عند هذه الأمة . قال النووي: «أجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء» .

□ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «فُرِضَتْ على النبي ﷺ الصلوات ليلة أُسري به خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمساً، ثم نُودِيَ: يا محمد! إنه لا يُبدَلُ القول لديّ، وإن لك بهذه الخمس خمسين»^(٢) .

□ وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] .

قال: «هي رؤيا عين أُرِيَهَا رسول الله ﷺ ليلة أُسري به إلى بيت المقدس، [وليس رؤيا منام]^(٣)» .

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١٦٤/٣)، والترمذي (٣١٣١)، وابن جرير (١٥/١٥) وقال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٣٧): وإسناده صحيح، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» .

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١٦١/٣)، وقال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٤٩): «وإسناده صحيح على شرط الشيخين» .

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٨، ٤٧١٦، ٦٦١٣)، وعنه البغوي في «شرح السنة» (٣٧٥٥)، =

□ قال الشيخ الألباني: «الصحيح أنه إنما اجتمع بهم^(١) في السماوات، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه، وصلى بهم فيه، ثم إنه ركب البراق، وكرّر راجعًا إلى مكة واللّه أعلم»^(٢).

□ سواء صلى بهم قبل عروجه إلى السماء أو بعد العروج، فالمهم أن الصلاة في بيت المقدس أثبتها جمهور الصحابة خلافاً لحذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -.

□ قال ابن كثير في «تفسيره»: «والحق أنه عليه السلام أُسري به يقظة لا مناما، من مكة إلى بيت المقدس. ركبًا البراق، فلما انتهى به إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله، فصلى في قبلته، تحية المسجد ركعتين، ثم أتى بالمعراج، وهو كالسلم ذو درج يُرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات... وفرض الله عليه هنالك الصلوات الخمس...»

ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء، فصلّى بهم فيه لما حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذٍ.

ومن الناس من يزعم أنه أمّمهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه؛ لأنه لما مرّ بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل عليه السلام واحدًا واحدًا، وهو يخبره بهم، وهذا هو اللائق؛ لأنه كان مطلوبًا إلى الجنان العلويّ، ليفرض عليه وعلى أمته ما

= والترمذي (٣١٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٤١).

(١) أي: بالأنبياء.

(٢) «الإسراء والمعراج» للشيخ الألباني ص (٩٣) - المكتبة الإسلامية بعمّان - الأردن.

يشاء الله تعالى، ثم لما فرغ من الذي أريد به، اجتمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم، بتقدمه في الإمامة، ثم خرج من بيت المقدس، فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس.

✽ تنبيه هام جداً :

● عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل {الظهر ممدودة؛ هكذا} ^(١)، يضع حافره عند منتهى طرفه، فلم نزال ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس. ففتحت لنا أبواب السماء، ورأيت الجنة والنار {ووعد الآخرة أجمع} ^(٢) ثم عادا عودهما على بدئهما» ^(٣).

قال حذيفة: ولم يصل في بيت المقدس.

قال زر: فقلت له: بلى قد صلى.

قال حذيفة: ما اسمك يا أصلع؟ فإني أعرف وجهك ولا أعرف اسمك! فقلت: أنا زر بن حبيش.

قال: وما يدريك أنه قد صلى.

قال: فقلت: يقول الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ {الإسراء: ١}.

(١) رواية الترمذي.

(٢) رواية أحمد في «مسنده».

(٣) رواية أحمد في «مسنده».

قال: فهل تجده صلياً؟ لو صلى لصليتم فيه كما تصلون.
(وفي رواية: لو صلي فيهِ لكُتبت عليكم الصلاة فيه كما كُتبت الصلاة في المسجد الحرام).

قال زر: وربط الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام.
قال حذيفة: أو كان يخاف أن تذهب منه وقد أتاه الله بها؟
(وفي رواية: ثم ضحك حتى رأيت نواجذه، قال: ويحدثون أنه ربطه! لم؟! أيفر منه؟! وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة^(١)!).

□ قال الألباني - رحمه الله -: «واعلم أن في حديث حذيفة هذا عبرة بالغة، وهي أن الصحابي قد يقول برأيه ما يخالف الواقع المروي عند غيره، من أجل ذلك كان من المتفق عليه بين العلماء: أن المثبت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، فنفي حذيفة - رضي الله عنه - لصلاته ﷺ في بيت المقدس؛ وربط البراق بالحلقة مما لا قيمة له مع إثبات غير واحد من الصحابة لذلك، وهو عمدة زر - رحمه الله - في معارضته حذيفة فيما نفاه، ولهذا قال ابن كثير: «وهذا الذي قاله حذيفة - رضي الله عنه - وما أثبتته غيره عن رسول الله ﷺ من ربط الدابة بالحلقة، ومن الصلاة ببيت المقدس مقدم على قوله»^(٢).

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣٨٧/٥، ٣٩٢، ٣٩٤)، والترمذي (٣١٤٧)، وابن حبان (٣٣)، والحاكم (٣٥٩/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

قال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص (٦٣): «وإنما هو حسن فقط للخلاف المعروف في عاصم بن بهدلة».

ورواه ابن أبي شيبة، والنسائي، وابن مردويه، والبيهقي، كما في «الخصائص» (٣٩٣/١)، وابن جرير أيضاً (١٥/١٥ - ١٦).

(٢) «الإسراء والمعراج» للشيخ الألباني ص (٦٤).

✽ الحكمة من الإسراء إلى المسجد الأقصى :

«قال السيوطي في «الآية الكبرى» ص(١١٥): «تكلم الناس في

الحكمة في الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، قبل المعراج:

□ فقيل: ليجمع تلك الليلة بين القبلتين...

□ وقيل: لأن بيت المقدس كانت هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل

له الرحيل إليه في الجملة، ليجمع بين أشتات الفضائل.

□ وقيل: لأنه محلّ الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة

يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج من القدس أليق.

□ وقيل: لإرادة إظهار الحق على من عاند؛ لأنه لو عُرج به من

مكة لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر عليه

السلام أنه أُسري به إلى بيت المقدس، سألوه عن جزئيات من بيت

المقدس كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك.

فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى

بيت المقدس في ليلة، وإذا صحّ خبره في ذلك، لزم تصديقه في بقية ما

ذكره...

□ وهذه الحكمة تحقق أن الإسراء كان في اليقظة - بجسمه وروحه،

لأنه لو كان مناماً أو بالروح كما قيل، ما كذّبه المشركون، وما تحدّوه أن

يصف لهم المسجد^(١).

□ وقال سيد قطب - رحمه الله -: «والرحلة من المسجد الحرام إلى

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى».. دراسة تاريخية موثقة - لمحمد محمد حسن شرّاب -

دار القلم دمشق.

المسجد الأقصى، رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير، لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعاً^(١).

□ وقال محي الدين مستو: «في بدء رحلة الإسراء من المسجد الحرام بمكة وانتهائها بالأرض المباركة في المسجد الأقصى، ما يدل على قداسة هذين المسجدين وما يحيط بهما من أرض شهدت مبعث النبوات والرسالات، ولهذا كان أحدهما القبلة الأولى التي لا تُنسى للمسلمين، وكان الآخر القبلة الدائمة التي يتوجهون إليها كل يوم.

وهذه الرحلة اتخذت نفس المسار الذي كان يسلكه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في تردده بين مكة والأرض المباركة حين أسكن هاجر وابنها إسماعيل في مكة، وأسكن سارة وإسحاق في فلسطين.

□ قال ابن كثير في «تفسيره» (٢٢/٣): «بيت المقدس الذي بإيلياء» معدن الأنبياء من إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك ﷺ كلهم فأمهم في محلّتهم ودارهم، فدلّ على أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم.

فكانت صلاته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقراراً مبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر، أخذت تمامها على يد محمد ﷺ بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين.. واستقر

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (١٢/١٥).

نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمّة التي أمّ رسولها سائر الأنبياء .
وفي حادثة الإسراء إلغاء أبدي، وطيّ سمردي لصفحة «بني
إسرائيل» من التفضيل والاصطفاء .

□ ولله در من قال: إن المسجد الأقصى فوق مركز الدنيا، وأنه
المصعد من الأرض إلى السماء .

□ يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في كتابه «فقه السيرة»
(١٠٣): «لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ولم تبدأ من المسجد الحرام
إلى سدره المنتهى مباشرة؟ إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم، فقد ظلت
النبوات دهوراً طويلة وهي وقف على بني إسرائيل . وظلت بيت المقدس
مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض، وقصبة الوطن المحبب إلى
شعب الله المختار . فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام
السماء حلّت بهم لعنة الله، وتقرّر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد! ومن ثمّ
كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالاً بالقيادة الروحية في العالم
من أمة ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل . .

لكن إرادة الله مضت، وحملت الأمة الجديدة رسالتها . وورث
النبي العربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقام يكافح
لنشرها وجمع الناس عليها . فكان من وصل الحاضر بالماضي وإدماج
الكل في حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في
الإسلام، وأن ينتقل الرسول في إسرائه، فيكون هذا الانتقال احتراماً
للإيمان الذي درج قديماً في رحابه . . .

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «دلت الدلائل . .
على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله

يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام»^(١).

□ وقال أيضاً - رحمه الله -: «كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم القرى... والشام إليها يحشر الناس كما في قوله: ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾ نَبَهَ على الحشر الثاني، فمكة مبدأ وإيلياء معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر. فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتماه حتى يملكه المهدي بالشام. فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية»^(٢).

✽ الرسول ﷺ يتسلم مفاتيح بيت المقدس :

□ قال الدكتور صلاح الخالدي: «قد جمع الله الأنبياء والرسل السابقين لمحمد ﷺ في تلك الليلة في المسجد الأقصى، ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل، فأمرهم في الصلاة أي: صلى هو بهم إماماً، وصلوا هم خلفه مأمومين!!

وجمعهم هذا جمع غيبي، لا نعرفه كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية؛ لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى، فهم في حساب البشر أموات. ولكنهم عند الله أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد الله سبحانه،

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/٤٤).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية المطبوع مع «فضائل الشام ودمشق» للربيعي ص (٧٨) - المكتب الإسلامي وانظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/٥٠٥).

ثم إن صلاتهم في المسجد الأقصى مأمومين خلف رسول الله ﷺ ،
يقدم لنا بعض الدلالات :

منها : اعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول الله ﷺ ، ومكانته
عند الله ، وتسليم منهم أنه أفضل الخلق وأكرمهم ، وأقربهم إلى الله
سبحانه ، فهو إمام الخلق أجمعين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، في السير في
طريق الله ، وفي القرب من الله .

ومنها : اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، بختم النبوة والرسالة بنبوة
ورسالة محمد ﷺ ، فلا وحي بعده ، ولا نبي يأتي بعده ، ولا رسالة
بعد رسالته ، وهو اعتراف منهم أيضاً بنسخ رسالاتهم برسالته ، ونسخ
كتبهم بكتابه ، فلا عمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل ، بعد إنزال الله
للقرآن .

ومنها : دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين - بخاصة أنبياء بني إسرائيل -
لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام ، والإيمان بالقرآن ، واتباع محمد
ﷺ ، والتخلي عما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية ، إن أرادوا
القبول عند الله ، ودخول جنة الله .

فإن لم يستجيبوا له ، ولم يدخلوا في دينه ، فهم كفار ضالون
مخلدون في النار ، وإن ادعوا أنهم على طريق إبراهيم أو موسى .

ومنها : تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين «مفاتيح الأرض المقدسة إلى
محمد ﷺ وأمه . فمعظم هؤلاء عاشوا على الأرض المقدسة ، وكان
هو المسؤول عنها ، الراعي لها ، الخليفة عليها ، وأنوار رسالته ونبوته
انتشرت عليها ، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتتابع على

الأرض المقدسة، إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة ورسالة محمد ﷺ، الدائمة حتى قيام الساعة.

وفي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمد ﷺ المسؤولية والخلافة، والأمانة والعهد، وأكلوا له - ولأمته من بعده - مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.

لقد سلم الأنبياء السابقون - ومنهم أنبياء بني إسرائيل - مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد ﷺ ليلة الإسراء، أعلنوا بذلك عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى، وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد ﷺ، وانتقال الإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة، واستمرار هذه المسؤولية فيها حتى قيام الساعة.

□ وجعل الصلاة ميداناً ومجالاً لهذا الانتقال، وجواً مناسباً للتسليم والتسليم، حيث محمد ﷺ هو الإمام، والأنبياء خلفه مأمومون مسلمون له، يعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة ووجوب تعمقه في أمة الإمامة والخلافة، التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة.

□ إن الأقوام السابقين من اليهود والنصارى ليسوا مصلين لله صدقاً، ولا عابدين له حقاً، ولذلك انتزع الله منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها في أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد ﷺ هذه المهمة والمسؤولية من إخوانه الأنبياء في الصلاة!.

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان أول فاتح للأرض المقدسة، ليلة

الإسراء، وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عملياً، بعد أن فتحها هو نظرياً، وتسلم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى لأمته منه، بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتشر فيها الإسلام، وتحقق فيها الخلافة الربانية الراشدة، ولقد حققت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد ﷺ وفهمت منه هذا الإيحاء وأخذت عنه هذه الإشارة^(١).

رُبِّي الْأَقْصَى طُيُوفُكَ ذِكْرِيَاتُ	خَشَعْتُ أَمَامَهَا دَمْعًا هَتُونًا
هُنَالِكَ تَخْشَعُ الدُّنْيَا وَتَصْغِي	لَايَاتِ بِسَاحَتِهَا تُلِينَا
خَشَعْتُ وَقَلْبِي الْوَثَابُ فِيهَا	يُدْمِي فِي تَلَقُّتِهِ الْحَنِينَا
مَدَدْتُ يَدِي عَلَى حُلْمِي لِأَلْقَى	مُحَيَّاكَ النُّورَ وَالْجَبِينَا



خُطَى مُوسَى عَلَى ثَبَجِ الصَّحَارَى
تَشْقُّ عَنِ الرَّمَالِ هَوَى دَفِينَا
هَوَى تَتَفَتَّحُ الْأَكْمَامُ مِنْهُ
وَتَنْفَحُ مِنْ بَشَائِرِهِ الْيَقِينَا
دُعَاءُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ بُشْرَى
يُرْجِعُ مِنْ صَادَاهَا الْمُرْسَلُونَا
تَفْضُّ عَلَى شُفُوفِ الْغَيْبِ مَسْرَى
لَأَحْمَدَ يَأْخُذُ الْعَهْدَ الْأَمِينَا

(١) من مقالة الدكتور صلاح الخالدي بعنوان: «الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة» من مجلة «فلسطين المسلمة» عدد ٩ / سنة ١١ / أيلول ١٩٩٣.

يُؤْمَهُمْ بِسَاحِكٍ ثُمَّ يَمْضِي
يَشْقُ بُرَاقَهُ سَقْفًا مَسْتِينًا
دَنَا شَوْقًا فَمَجَّ مَطَافُ نُورٍ
يَرِقُّ بِهِ خُشُوعُ الْخَاشِعِينَ
وُقُتَّتْ حَتِ الْغُيُوبُ لِنَظَرِيهِ
وَأَيَّاتُ جَسْرَتِ دُنْيَانَا وَدِينَا



خُطَى مُوسَى عَلَى الصَّحَرَاءِ لَجَتْ
وَحَارَكَتِ اللِّوَاعِجَ وَالْحَنِينَا
هَوَى الْإِسْلَامَ لِلْأَقْصَى نَدِيَّ
فَطِيبِي وَانْعَمِي صَحْرَاءَ سِينَا
نَدَاكَ يَظَلُّ لِلْإِسْلَامِ مَغْنَى
وَعِطْرُكَ ظِلٌّ نَفَحَ الْمُؤْمِنِينَ
أَلَسْتَ عَلَى هُدَى الْإِسْلَامِ نَايَا
يُرْجَعُ فِيكَ آيَاتِ وَدِينَا
عَلَى مِزْمَارِ دَاوُدَ الْإِلَهِي
يَمُوجُ خُشُوعَهَا رَهْبًا وَلِينَا
وَتَجْرِي مِنْ «سُلَيْمَانَ» الْغَوَالِي
بَيَّانَ نُبُوَّةٍ قَطَعَ الظُّنُونَا
تَمْرِيْدُ «الْمَسِيحِ» عَلَى الرُّوَابِي
لَتَمْسَحَ مِنْكَ جَرْحُكَ وَالْجُفُونَا

جَمَعْتَ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ الْأَمَانِي
وبالْقُرْآنِ ذِكْرًا مُسْتَبِينًا
وَشَعْتَ كُلَّ رَابِيَةٍ وَقَضْتَ
عَلَى لَأْلَائِهَا الْكَنْزَ الثَّمِينَا
كَأَنَّ عَلَى مِبَاسِمِهَا دَعَاءً وَتَغْضِي فِي تَبْتُلِهَا الْجَفُونَا
أُولَئِكَ لَيْسَ مِنْ نَسَبٍ إِلَيْهِمْ
وَلَا رَحِمٍ يَشُدُّ الْمُدَّعِينَا
سِوَى الْإِسْلَامِ آصْرَةً وَقُرْبَى
يُوثِقُ مِنْ عُـرَاهَا الْمُؤْمِنُونَا



يَظَلُّ صَدَى مِنَ الْإِسْرَاءِ عَهْدًا
يُحَارِّكُ بَيْنَ أَضْلَعِي الْحَنِينَا



(٣٤) ١١ - قبلة المسلمين الأولى بيت المقدس :

● عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « كان رسول الله ﷺ يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثم صُرف إلى الكعبة »^(١) .

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٩٦٤) ، والطيايبي (١٩٢٤) ، وأحمد في « مسنده » (٣٢٥/١) ، والحاكم في « المستدرک » (٢/٢٦٩) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٢/٢) : « رواه أحمد والطبراني في « الكبير » ، والبزار ورجاله رجال الصحيح ، وصححه أحمد شاكر في « تعليقه على المسند » برقم (٢٩٩٣) .

● وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: «إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل من صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون.

فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا - كما هم - قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك».

● عن البراء - رضي الله عنه - في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال وقتلوا، فلم ندري ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ^(١).

● وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «إن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. فمرّ رجل، وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حوّلت، ألا إن القبلة قد حوّلت إلى الكعبة، فمالوا كما

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠، ٣٩٩، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢)، ومسلم (٥٢٥)، والترمذي (٣٤٠، ٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠١٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٧٤/٤)، ٢٨٣، (٣٠٤)، وابن أبي شيبة (٣٣٤/١)، والدارقطني في «السنن» (٢٧٣/١ - ٢٧٤)، والبيهقي (٣٢٢/٢)، والنسائي.

هم نحو القبلة»^(١).

● وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «بينما الناس بقاء في صلاة الصبح، جاءهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة، وأمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»^(٢).

● إن نسخ القبلة الأولى لم يبلغ منزلتها الشرعية السامية، ولعل من حكمة تحويل القبلة إلى الكعبة، الإشارة إلى تفرد الإسلام وتميزه من الديانات الأخرى. ويكفي أن الله اختاره ليكون مسرى نبيه إليه، وكان الإسراء من أكبر معجزات النبي ﷺ.

(٣٥) ١٢ - بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال:

● عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «ثلاث قالهن رسول الله ﷺ، أو سمعتهن منه أنفتني وأعجبتنني: (لا تسافر امرأة مسيرة يومين ولا ليلتين إلا ومعها ذو محرم أو زوجها، ولا صوم يومين، يوم النحر ويوم الفطر، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس. ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٥٢٧)، وأحمد في «المسند» (٣/٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣، ٤٤٨٨، ٤٤٩٠، ٤٤٩١، ٤٤٩٣، ٤٤٩٤...)، ومسلم (٥٢٦)، وأحمد (١٦/٢، ٢٦، ١٠٥، ١١٣)، والنسائي (٢٤٤/١)، ومالك (١٩٥/١)، والترمذي (٣٤١)، والبيهقي في «السنن» (٢/٢، ١١)، والدارمي (٢٨١/١).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٧، ١٨٦٤، ١٩٩٥)، ومسلم (٨٢٧)، والترمذي (٣٢٦)، وابن =

● وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى»^(١).

● وعن أبي سعيد، وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الأقصى، وإلى مسجدي هذا»^(٢).

(٣٦) ١٣ - الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة:

● عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: «تذاكرنا - ونحن عند رسول الله ﷺ - أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً»^(٣).

= ماجه برقم (١٤١٠)، وأحمد في «مسنده» (٧/٣)، ٣٤، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٧١، ٧٧، ٧٨، (٩٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٤/٢).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وأبو داود (٢٠٣٢)، والنسائي (٣٧/٢)، وابن ماجه (١٤٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/٢٣٤، ٢٣٨، ٢٧٨، ٥٠١).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٤١٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٣٠٩/٢) برقم (١٤٠٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٤٢/١)، والفسوي في التاريخ (٢/٢٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١٥٧).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٠٩/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه إبراهيم بن طهمان في مشيخته (٦٢)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (١٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٤٨/١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣/٨) برقم (٣٨٤٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٤): رواه =

وكما هو ثابت في «الصحيح» من حديث أبي هزيرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»^(١).

فالصلاة في المسجد الأقصى تعدل مائتين وخمسين صلاة فيما سواه من المساجد.

* وقفة مع حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ:

عن ميمونة - مولاة النبي ﷺ - قالت: قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، قال: «أرض المحشر والمنشر، اتنوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كآلف صلاة في غيره» قلت: أرايت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتاً يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»^(٢).

= الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في «الترغيب» (٢/٢١٧): رواه البيهقي بإسناد لا بأس به وفي متنه غرابه، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» ص (١٩٨).

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، ومالك في «الموطأ» (١/١٩٦).
(٢) أخرجه أحمد (٤٦٣/٦)، وأبو داود (٤٥٧)، وابن ماجه (١٤٠٧)، وأبو يعلى (٧٠٨٨)، والطحاوي في «المشكّل» (٦١٠، ٦١١، ٦١٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٤/٢٥، ٥٥، ٥٦)، وفي «مسند الشاميين» (٣٤٤، ٤٧١، ٤٧٢، ١٩٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٤٨)، والبيهقي (٤٤١/٢)، والضياء المقدسي في «فضائل بيت المقدس» (١٧) قال ابن رجب في «فضائل الشام» ص (١٧٢): «خرجه الإمام أحمد، وخرجه أبو داود، ولم يذكر فيه: «فإن صلاة فيه كآلف صلاة في غيره» وإسناده قوي؛ لأن رواته ثقات، لكن قد قيل: إن إسناده منقطع، وفي متنه نكارة». وضعفه عبد الحق الأشبيلي، وابن القطان الفاسي في «الوهم والإيهام» (٥/٥٣٥)، والذهبي، فقال في «الميزان» في ترجمة زياد بن أبي سودة - بعد أن ذكر هذا الحديث -: «هذا حديث منكر». وابن التركماني في «الجوهر النقي» (٤٤١/٢)، وابن حجر في «الإصابة» في «ترجمة ميمونة بنت سعد قال: «روي عنها حديث واحد في فضل بيت =

□ في هذا الحديث أن الصلاة في بيت المقدس بألف صلاة في غيره، وهذا معناه أن مساو لفضل الصلاة في مسجد الرسول ﷺ ، ولا شك أن مسجد الرسول ﷺ أفضل بالإجماع.

(٣٧) ١٤ - لنعم المصلي بيت المقدس :

قال رسول الله ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلي هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً»، وقال : «خير له من الدنيا وما فيها».

وفي رواية : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلي في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان لقيد سوط - أو قال : قوس - الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له - أو أحب من الدنيا جميعاً»^(١).



= المقدس فيه نظر. وصححه الطحاوي في «مشكل الآثار»، والعراقي في «تخريج الإحياء» (١/٦٥)، والبوصيري في «مصابح الزجاج».

قال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربيعي ص(١٦): «وإسناده صحيح كما قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في «زوائده»، وقوَّاه الإمام النووي في «المجموع». ثم عاد الألباني وضعفه في «ضعيف سنن ابن ماجه».

(١) سبق تخريجه.

القدس

بيت المقدس وفلسطين
في
التاريخ الإسلامي

بيت المقدس وفلسطين في التاريخ الإسلامي

كان حادث الإسراء والمعراج شرقاً أثر الله به النبي العظيم إلى ذلكم المسجد العظيم ومنه ليرقى إلى ملاً عظيم في ليلة عظيمة . . . ولو لم يحدث في زمن النبوة ما يُشرف هذا المكان إلا ذلكم الحدث لكفاه، فكيف وقد بشر النبي ﷺ بفتح الشام وبيت المقدس؟!

✽ تبشير النبي ﷺ بفتح بلاد الشام وبيت المقدس :
● عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكيننا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال:

«بسم الله»، فضربها ضربة فكسر ثلثها، وقال:
«الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة»،
ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال:
«الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض»،
ثم ضرب الثالثة، وقال:

«بسم الله»، فقطع بقية الحجر فقال:
«الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني

هذا الساعة» (١) .

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المستد» (٣٠٣/٤)، والنسائي (٤٣/٦ - ٤٤)، والبيهقي في =

● وعن عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه - قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في بناء له، فسلمتُ عليه فقال: «عوف؟»، قلت: نعم يا رسول الله! قال: «ادخل».

قلت: كَلِّي أم بَعْضِي؟ قال: «بل كلك» قال: فقال لي: «اعدد عوف! ستأ بين يدي الساعة؛ أولهنّ موتي».

قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله ﷺ يُسكتني.

قال: «قل إحدى، والثانية: فتح بيت المقدس، قل: اثنين. والثالثة: فتنة تكون في أمتي - وعظّمها - والرابعة: موتان يقع في أمتي يأخذهم كقُعاص الغنم. والخامسة: يفيض المال فيكم فيضاً حتى إن الرجل ليعطى المائة دينار فيظل يسخطها، قل: خمساً. والسادسة: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، يسيرون إليكم على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق»^(١).

● وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: عن النبي ﷺ قال: «ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ الناس

= «الدلائل» (٣/ ٤١٧ - ٤١٨). ولقد حسنَ الحافظ ابن حجر إسناده الحديث في «الفتح» (٣٩٧/٧).

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦)، وأبو داود (٤٢٩٣)، وابن ماجه (٤٠٤٢، ٤٠٩٥)، وأحمد في «المسند» (٢٢/٦، ٢٥، ٢٧)، واللفظ له، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٤١)، والطبراني في «الكبير» (٤٢/١٨)، والربيعي في «فضائل الشام» (٣٠)، والبيهقي في «السنن» (١٠/١٥٥، ٩/٢٢٣)، وفي «الدلائل» (٦/٣٢٠ - ٣٢١)، وابن حبان في «الإحسان» (٦٦٤٠).

قُعاص الغنم: داء يأخذ الغنم، لا يُلْبِثُها أن تموت. قاله ابن الأثير.

كقصاص الغنم، وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيستخطها، وأن تغدر الروم فيسيرون في ثمانين بنداً، تحت كل بند اثنا عشر ألفاً»^(١).

● وعن سفيان بن أبي زهير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون»^(٢) فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»^(٣).

● وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله استقبل بي الشام، وولّى ظهري اليمن، وقال لي: يا محمد إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقاً، وما خلف ظهرك مدداً، ولا يزال الله يزيد - أو قال يعزّ - الإسلام وأهله، وينقص الشرك وأهله، حتى يسير الراكب بين كذا - يعني البحرين - لا يخشى إلا جوراً، وليبلغن

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٨/٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢/٢٠)، برقم (٢٤٤، ٣٦٨).

وفيه النهاس بن قهم ضعيف، وأبو عمار شدّاد لم يسمع من معاذ ولكن للحديث شاهد من حديث عوف بن مالك مرفوعاً نحوه.

والحديث صححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٨٣).

(٢) يبسون: يسيرون.

(٣) أخرجه البخاري (١١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)، ومالك في «الموطأ» (٨٨٧/٢ - ٨٨٨)،

وأحمد في «المسند» (٢٢٠/٥)، والطبراني في «الكبير» (من رقم ٦٤٠٧ - ٦٤١٣)،

وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٦٥/٩ برقم ١٧١٥٩)، والحميدي (٨٦٥).

هذا الأمر مبلغ الليل»^(١) .

* ودعاء النبي ﷺ لأهل الشام بالهداية إلى الإيمان :

ولله ما أحلاها دعوة تخرج من أطهر فم رجاء في هداية أهل هذه الأرض المباركة المقدسة .

● فعن جابر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يوماً ، ونظر إلى الشام فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم» . ونظر إلى العراق ، قال : نحو ذلك ، ونظر مثل ذلك إلى كل الأفق ففعل ذلك ، وقال : «اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض ، وبارك لنا في مدنا وصاعنا»^(٢) .

● وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : إن النبي ﷺ نظر قبل العراق والشام واليمن ، فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم على طاعتك ، وحطّ عمن وراءهم»^(٣) .

● وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : نظر رسول الله ﷺ قبل اليمن فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم» ، ونظر قبل العراق ، فقال :

(١) صحيح : رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٧/٦ - ١٠٨) ، والطبراني في «الكبير» (١٧٠/٨) - (١٧١ رقم ٧٦٤٢) .

وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٥) ، و«صحيح الجامع» رقم (١٧١٢) .
(٢) حسن : أخرجه أحمد في «المسند» (٣٤٢/٣) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٧٤/١) رقم (٤٧٥) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٤/٣) : رواه أحمد والبزار وإسناده حسن .

(٣) صحيح : أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٧٣/١) رقم (١٧٣) ، والبيهقي في «الدلائل» (٢٣٦/٦) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥٧/١٠) : رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» ، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن بحر بن بري وهو ثقة .

«اللّهم أقبل بقلوبهم». ونظر قبل الشام، فقال: «اللّهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا في صاعنا ومدنا»^(١).

فبشّر النبي ﷺ بفتح الشام وبيت المقدس، ودعا بالهداية لأهلها لما لها من المكانة العظيمة في قلبه لكون تمام ملكه وأمره سيكون بها.

✽ اهتمام النبي ﷺ بها عملاً بعد تكريمها وتعظيمها معنى:

«بعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبعد أن تمّ فتح مكة المكرمة، وأعزّ الله دينه فيها، وتمكن المسلمون من رفع راية التوحيد فوق ربوع الكعبة المشرفة.. تلفت أنظار النبي ﷺ صوب بيت المقدس في الشام ليظهرها من أدران الشرك الروماني النصراني، كما طهر مكة من أوضار الشرك العربي الوثني، ولتبدأ بذلك الخطوة الأولى نحو الهدف الكبير، هدف تحرير الأرض المقدسة، وتكسير الآصار التي حلت بها.

وبدأ الرسول ﷺ بفتح الطريق إلى القدس منذ السنة الخامسة للهجرة، واستمرت غزواته وسراياه إلى هذا الطريق إلى يوم وفاته لسبر غور الروم واستعدادهم، وإيصال الدعوة إلى الشام.

□ ففي السنة الخامسة من الهجرة كانت غزوة دومة الجندل، وكان صاحبها أكيدر بن عبد الملك في طاعة هرقل، وهي في أقصى شمال

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٥/٥)، و«فضائل الصحابة» (٢/٨٦١) رقم (١٦٠٧)، والترمذي (٣٩٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٤٧٨٩، ٤٧٩٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٣٦/٦).

الجزيرة على بُعد ٤٥٠ كيلو شمال تيماء.

□ وفي السنة السادسة، ندب الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف في سرية إلى دومة الجندل.

* كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو في بيت المقدس :

أرسل النبي ﷺ كتاباً إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، وحمله إليه دحية بن خليفة الكلبي - رضي الله عنه -، فوصل كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو بالقدس، في الوقت الذي جاء هرقل يحتفل بالنصر على الفرس في سنة ٦٢٨م وهو يوافق تماماً أواخر السنة السادسة، أو أوائل السنة السابعة هـ.

ولعلّ في اختيار هذا الزمان والمكان لوصول الكتاب إلى هرقل حكمة أيّ حكمة لينبّه هرقل إلى ما وقر في قلبه أنّ ما ناله من النصر لم يكن بقوته، وإنّما كان بتدبير من الله فعليه أن يؤمن بما أخبر الله به على لسان عيسى عليه السلام، أنه سيكون نبي يدعو إلى التوحيد، وهو مسطور عند علماء أهل الكتاب ويتوقعون مجيئه، ومن حكمة اختيار المكان المقدس إشارة إلى أن القدس سيكون أحد معاقل التوحيد، وأنه لا بد أن يكون بأيدي المسلمين أصحاب الدين السماوي الذي اشتمل على الرسالات السماوية السابقة كلها وجاء مهيمناً عليها.

□ وبعث النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى وحاكمها من قبل الروم «شرحبيل بن عمرو الغساني»، ولكنه أوثق المبعوث رباطاً وقتله، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولاً غيره.

□ وفي السنة السابعة: كانت غزوة خيبر؛ لأن يهودها كانوا يهدّدون

الطريق إلى الشام، وفتح مع خير، فذك، فوادي القرى (العلاء).

وفي السنة الثامنة كانت سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح من ناحية الشام، وفي وادي العربية بفلسطين مكان يدعى وادي الطلاح فقال الدبّاغ: والراجع أنه موقع «ذات أطلاح» الذي استشهد فيه الصحابي كعب بن عمير.

وفي السنة الثامنة كانت غزوة ذات السلاسل، بقيادة عمرو بن العاص، والسلاسل ماء بأرض جذام من أقصى الشمال من الجزيرة.

وفي السنة الثامنة كانت سرية زيد بن حارثة إلى جذام بحسمى وراء وادي القرى (العلاء) مما يلي فلسطين.

* مؤتة في جمادى الأولى ٨ هـ:

بعث النبي ﷺ إلى الشام جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل فاشتبك مع الروم في مؤتة من أرض البلقاء بالشام. وكان جيش المسلمين يقوده زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله ابن رواحة: فلما نزلوا معان من أطراف الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب أمامهم من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد انضمت إليه العناصر العربية التي تداهنه من قبائل خم وجذام وبلقين وبهراء وبللى من قضاعة في مائة ألف أخرى يقودهم مالك بن رافلة أحد بني إراشة من بللى. وأقام المسلمون في معان ليلتين يتداولون أمرهم، ثم اختاروا أن يمضوا إلى المعركة ولو كانت غير متكافئة، فإن الرجوع دون معركة كان من شأنه الإبقاء على مسالك الشمال مغلقة أمام المسلمين، أما خوض المعركة - مهما كانت نتائجه - فمن شأنه أن يغير الموقف. وباب الدعوة

إلى شمال شبة الجزيرة إن كان يصفق بالسيف، فلا بد من فتحه ولو بالسيف.

واستشهد القادة الثلاثة زيد بن حارثة، أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وجعفر الطيار ابن عمه الذي أشبه خلقه وخلقه، وعبد الله ابن رواحة - رضي الله عنهم - وسالت دماؤهم الطاهرة بالقرب من فلسطين، وآلت القيادة إلى خالد بن الوليد فانسحب بالجيش انسحاباً موفقاً وحمد له النبي ﷺ هذا الصنيع، وقُتل في المعركة مالك بن رافلة قائد العرب المواليين للروم.

فهل هانت دماء الصحابة الأبرار أم هانت فلسطين؟!.

هي الأرض أم أو عروس فحسبها بفيض دم الأبرار أضحت تُعَطَّرُ
عليها دماء الصيِّدِ سالت زكيَّةً وفيها ثوى زيد العوالي وجعفرُ
فجُد بالدم الغالي على كلِّ ذرَّةٍ فذوب دم الأحرار مسكٌ وعنبرٌ^(١)

* تبوك في أول رجب ٩ هـ:

حشدت الروم جيشها للإغارة على دولة الإسلام لتضمن البقاء جائمة على أرض بيت المقدس ممسكة بزعامة العالم النصراني من هناك، حيث الأرض التي وُلد عليها عيسى عليه السلام ومنها رُفِع، وأعدَّ الرومان حشودهم ليعيدوا الكرة، وليضربوا الإسلام في شمال الجزيرة ضربة تردّه من حيث جاء، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع التسرب منها إلى الأرض المقدسة.

(١) من قصيدة «شهيد العلى قد مرَّ عبر ترابها» ليوסף العظم من ديوان «الفتية الأبايل».

واستنفر النبي ﷺ المسلمة من بيت العدو، وسار النبي بجيش العسرة ثلاثين ألفاً فيهم عشرة آلاف فارس واثنى عشر ألف بعير، ولما بلغ الجيش تبوك لم يجد أثراً للرومان فأقام بضعة عشرة ليلة، وجاء ختام الغزوة طمأنينة وعزة للمسلمين، فأقبل الرسول ﷺ بالجيش عائداً إلى المدينة . . بعد أن أزال رهبة نزال الروم من قلوب المسلمين، وكسر حاجز الخوف من لقاءهم.

✽ عقد النبي اللواء لأسامة وهو في مرض الموت، وبعث أسامة بن زيد إلى تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين:

بعد أن عاد ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو معقل الروم في أرض الشام، واختار لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد بن الحب بن الحب - رضي الله عنه -، ابن الثمانية عشرة سنة، فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة - رضي الله عنه - وأن يوطئ الخيل تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين، وعقد له اللواء بيده في آخر يوم من صفر ١١هـ، وكان ذلك مع بدء شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه، وتجهز الجيش، وخرج بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذه الأثناء اشتدت وطأة المرض برسول الله ﷺ، وتوفي وما كُحِّلَتْ عينه ﷺ بفتح بيت المقدس.



عهد الصديق رضي الله عنه

* إنفاذ بعث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - :

أنفذ الصديق بعث أسامة وجموع المرتدين تحيط بالمدينة تريد أن تغير عليها، ونصح الصديق بأن لا يرسل بعث أسامة، وأن يقيه للدفاع عن المدينة، وأجاب الصديق: «أنا أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم! والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إليّ من أن أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ. امض يا أسامة في جيشك الذي أمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركت»^(١).

وسار أسامة يسرع السير على طريق ذي المروة ووادي القرى في اتجاه أبني وآبل الزيت من نواحي مؤتة وأغار على جذام ولخم وهزم من هناك حتى آبل في إغارة شديدة سريعة وسبى وحرّق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم حتى صارت أعاصير من الدخان وأجال الخيل في نواحيهم، وقدم المدينة سالماً غانماً وقد غاب عنها خمسة وثلاثين يوماً. وأجلى مرتدي قضاة، وهدد حدود الإمبراطورية الرومية.

وحين بلغ هرقل ما صنع أسامة بعملائه من العرب النازلين بأطراف إمبراطوريته، فدعا بطارقه في حمص وقال لهم: «هذا الذي حذّرتكم فأيتّم أن تقبلوه مني، قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم»^(٢).

(١) ابن عساكر (١/٤٣٣).

(٢) أي: تُخرج.

✽ الصديق يوجه الجيوش لفتح الشام وجهاد بني الأصفر :

وفي رجب سنة ١٢ هـ وجه الصديق الجيوش لفتح بلاد الشام :
فوجه أبا عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص ، وولاه إمرة الجيوش ، كما
أرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق ، وعمرو بن العاص إلى فلسطين ،
وشرحبيل بن حسنة لوائي الأردن ، وكان عدد هذه الجيوش يقارب الاثنى
عشر ألفاً ، ثم أسند أبوبكر القيادة العامة لجيش الشام إلى سيف الله
المسلول خالد بن الوليد بعد انتهائه من قتال الفرس في العراق .

كتب عمرو بن العاص إلى الصديق : «إني سهم من سهام
الإسلام ، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاهها
وأفضلها فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي» .

وكان في جيش عمرو سادات قريش وأشرافها : الحارث بن هشام ،
وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل وفي محرم سنة ١٣ هـ جاء
الصديق مشيعاً لجيش عمرو ، وقال لعمرو : «يا عمرو إنك ذو رأي
وتجربة بالأمور وبصر بالحرب ، وقد خرجت مع أشراف قومك ، ورجال
من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تألهم نصيحة ، ولا
تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في
عواقب الأمور» .

فقال عمرو : «ما أخلقني أن أصدق ظنك ، وأن لا أقبل رأيك» .
وأمر أبو بكر عمرو بن العاص أن يسلك طريق المعركة إلى أيلة
عامداً إلى فلسطين ، وقال أبو عبيدة لعمرو لما أتاه بجيشه : «يا عمرو
لرب يوم لك قد شهدته فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحضرك» .
هذا عمرو بن العاص سيد من سادات الصحابة من الله عليه ،
وعلى يديه فتحت معظم فلسطين . . فهل نسيه أبناء فلسطين؟

قم من ترابك يا ابن العاص في دمنّا
 ثأر طويل لهيب العار يكوينا
 قم يا بلال وأذن صمتنا عدم
 كل الذي كان طهراً لم يعد فينا

* فزع النصارى من الجيوش الإسلامية وبعثهم إلى هرقل بيت المقدس :

لما رأى أهل الشام أن جيوش المسلمين وأمدادهم تحيش عليهم من كل وجه، وأن جموعهم تكثر وتزايد، بعثوا رسلهم إلى ملكهم هرقل يعلمونه بما يحدث ويسألونه المدد، وكان هرقل في بيت المقدس يحج، فجمع مجلسه وقال لهم: «أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم وأن تصالحوهم، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام، وتأخذوا نصفاً وتقرّ لكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم. فنخر أخوه ونخر ختنه، وتصدّع عنه من كان حوله، فلما رأهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه وأمر الأمراء ووجه إلى كل جند جنداً، وكتب لمن أرسل إليه: «إني قد عجبت لكم حين تستمدونني وحين تكثرون عليّ عدد من جاءكم من العرب، وأنا أعلم بهم وبمن جاء منهم، ولأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم أضعافاً مضاعفة، فالقوهم فقاتلوهم، ولا تظنوا أنني كتبت إليكم بهذا وأنا أريد ألا أمدكم... لأبعثن إليكم من الجند ما تضيق به الأرض الفضاء!»^(١).

(١) «الطبري» (٣/٤٠٢).

* ما أصدق فراسة الصديق بطرد الروم من بيت المقدس :

أرسل الصديق أبوبكر - رضي الله عنه - إلى أبي عبيدة - رضي الله عنه - في ٢٨ ذي الحجة ١٢ هـ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم، وما كتب به ملكهم إليهم من عدته إياهم أن يمدّهم من الجنود ما تضيق به الأرض الفضاء. ولعمرو الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم برحها بمكانكم فيهم.

وايم الله ما أنا بآيس أن تزيلوه من مكانه الذي هو به عاجلاً إن شاء الله، فبث خيلك في القرى والسواد، وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة، ولا تحاصر المدائن حتى يأتيتك أمري. فإن ناهضوك فانهذ إليهم واستعن بالله عليهم؛ فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثلهم أو ضعفهم، وليس بكم والحمد لله قلة ولا ذلة، فلا أعرفن ما جبنتم عنهم، ولا ما خفتهم منهم، فإن الله فاتح لكم ومظهركم على عدوكم بالنصر وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون.

وعمرو فأوصيك به خيراً، وقد أوصيته ألا يضيع حقاً يراه ويعرفه، فإنه ذو رأي وتجربة. والسلام عليكم ورحمة الله.

* العرب وداث بغزة أول معركة للمسلمين على أرض فلسطين ٢٤

ذو الحجة ١٢ هـ:

تضافرت الروايات^(١) على أن أول المواقع على أرض الشام بعد

(١) «الأزدي (٥٢)، والطبري (٤٠٦/٣)، والبلاذري (١٣٠).

سرية أسامة كانت وقعة العرب وداثن {أو داثنة} قبل قدوم خالد بن الوليد إلى الشام.

فبعد أن نزل يزيد بالبلقاء، ونزل شرحبيل نواحي بصرى، ونزل أبو عبيدة الجابية كل في جيشه، دفع الروم قوة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل يقودها سرجيوس البطريق الرومي لمدينة غزة.

● عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: «كنتُ ممن سَرَحَ أبو بكر - رضي الله عنه - مع أبي عبيدة في نفر من قومي . . فكانت أول وقعة يوم العرب والداثنة، وليس من الأيام العظام، فخرجت إلينا ستة قوَّاد من الروم مع كل قائد خمسمائة رجل فكانوا ثلاثة آلاف رجل، فأقبلوا حتى انتهوا إلى العرب، فبعث يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة يعلمه بذلك. فبعثني إليه في خمسمائة رجل. فلما أتته بعث معي رجلاً^(١) في خمسمائة رجل، وأقبل يزيد في آثارنا في الصف. فلما رأينا الروم حملنا عليهم فهزمناهم وقتلنا قائداً من قوَّادهم، ثم مضوا وأتبعناهم، فجمعوا لنا بالداثنة^(٢) فسرنا إليهم، فقدمني يزيد وصاحبي في عدتنا فهزمناهم، فعند ذلك فرعوا، واجتمعوا وأمدَّهم ملكهم»^(٣).

✽ أولى المعارك الكبرى بالشام وأول معركة على أرض فلسطين «موقعة أجنادين» السبت ٢٧ جمادي الأولى ١٣هـ:

جمع خالد بن الوليد - الذي لا ينال ولا ينيم - جيشه وقال:

(١) الذي نرجحه أنه كان زمعة بن الأسود قائد مقدمة يزيد.

(٢) من قرى غزة.

(٣) «الطريق إلى دمشق» ص (٢١١).

«أما بعد . فإنه بلغني أن طائفة من الروم نزلوا بأجنادين ، وأنهم استعانوا بأناس وهم قليل من أهل البلد فسألوهم النصر علينا استقلالاً لمن معهم من الكثرة ذلاً ولؤماً ، والله - إن شاء الله - جاعل الدبرة عليهم وقاتلهم كل مقتلة ، فاقصدوا بنا قصدهم» .

وكتب خالد إلى أمراء الجيوش بالشام : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

أما بعد : فإنه نزل بأجنادين جموع من جموع الروم غير ذي عدد ولا قوة ، والله قاصمهم وقاطع دابرهم . وجاعل دائرة السوء عليهم . وقد شخصت إليهم يوم سرت رسولني إليكم ، فإذا قدم عليكم فانهضوا إلى عدوكم رحمكم الله في أحسن عدتكم وأصح نيتكم . ضاعف الله لكم أجوركم وخطأ أوزاركم . والسلام عليكم ورحمة الله» .

وعلى الطريق ما بين بيت جبرين والرملة شهدت أجنادين أحلى الأيام . . تجمع جمع مبارك من أفذاذ قادة المسلمين ضم كل الجيوش الإسلامية بالشام :

حضر شرحبيل بن حسنة بجيشه ، وكان بأرض بصرى ، ومعاذ بن جبل بجيشه ، وكان بحوران ، ويزيد بن أبي سفيان ، وكان بالبلقاء ، والنعمان بن المغيرة وكان بأرض أركه وتدمر ، وعمرو بن العاص ، وكان بفلسطين . تجمع هؤلاء تحت إمرة خالد سيف الله - رضي الله عنه - .

□ قال ابن إسحاق : «وكان على الروم رجل منهم يُقال له : القُبْقُلار استخلفه هرقل على أمراء الشام ، وإليه انصرف تذراق بمن معه من الروم ، فأما علماء الشام فيزعمون أنما كان على الروم تذراق والله أعلم»^(١) .

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٤١٧) .

وكان عدة الجيش الرومي بما انضم إليه من جموع أهل فلسطين والأعراب الموالين للروم تزيد عن مائة ألف. وعدة الجيش المسلم ثلاثة وثلاثين ألفاً.

□ قال ابن إسحاق: «لما تدانى العسكران بعث القَبْقَلار رجلاً عربياً من قضاعة، من يزيد بن حيدان يقال له ابن هزارف، فقال: ادخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة، ثم ائتني بخبرهم فدخل في الناس - رجل عربي لا يُنكر فأقام فيهم يوماً وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجم لإقامة الحق فيهم.

فقال له القَبْقَلار: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها. ولوددت أن حظي من الله أن يُخلى بيني وبينهم فلا ينصروني عليهم ولا ينصرهم علي»^(١).

□ ويوم المعركة خرج خالد بن الوليد فصفّ قواته فجعل أبا عبيدة ابن الجراح على المشاة في القلب، وجعل معاذ بن جبل على الميمنة، وجعل سعيد بن عامر بن حذيم القرشي على الميسرة، وبعث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على الخيل.

لله درّ هؤلاء الميامين الذي قادوا أول معركة على ثرى فلسطين.. وشرفت بهم:

خالد الذي يعظم ويربو عند القتال، خالد الذي لا يملأ صدره من الروم شيء كجرأته وشدته ونجدته، وأبو عبيدة أمين الأمة في قلب

(١) «الطريق إلى دمشق - فتح بلاد الشام -» لأحمد عادل كمال ص(٢٧٢).

الجيش، وأعلم الأمة بالحلال والحرام معاذ على الميمنة، وسعيد بن عامر الزاهد الورع على الميسرة، والمبشر بالجنة سعيد بن زيد على الخيل، أو هاشم بن عتبة قاتل الأسود على الميسرة.

□ وأقبل خالد - رضي الله عنه - يسير خلال صفوف المسلمين لا يستقر في مكان واحد، يحرّض جنده ويحمّسهم. وأقام نساء المسلمين خلف الجيش يبتهلن إلى الله ويدعونه ويستغثنه، وكلما مرّ بهن رجل من المسلمين دفعن إليه أولادهن، وقلن له: «قاتلوا دون أولادكم ونسائكم»، كما أمرهن خالد أن يحترمن أي يحرمن على الرجال ما كان مباحاً لهن معهن فهم الآن في معركة وعدوهم قد صفّ لهم صفوفه.

□ وأقبل خالد - رضي الله عنه - يقف على كل قبيلة وكل جماعة ويقول: «اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله، ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأسد وأنتم أحرار كرام. فقد أبيتم الدنيا واستوجبتم على الله ثواب الآخرة. ولا يهلككم ما ترون من كثرتهم، فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه». ثم قال: «أيها الناس إذا أنا حملت فاحملوا»، وكان خالد أول من حمل على صفوف الروم.

وقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قائد الميمنة في أصحابه فقال: «يا معشر المسلمين اشروا أنفسكم اليوم لله، فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت لكم هذه البلاد دار الإسلام أبداً مع رضوان الله والثواب العظيم من الله».

وكان من رأي خالد - رضي الله عنه - أن يُؤخر القتال حتى يصلوا الظهر وتهب الرياح، وهي الساعة التي كان رسول الله ﷺ يستحب

القتال فيها. ولو وقف موقف الدفاع حتى تحين هذه الساعة.

وأعجبت الروم كثرتهم فبدأوا الهجوم على الميمنة حيث كان معاذ ابن جبل - رضي الله عنه - فصمد المسلمون ولم يتزحزح أحد، فعادوا فشنوا هجوماً آخر على الميسرة حيث كان سعيد بن عامر فصمد لهم المسلمون أيضاً... فرمى الروم المسلمين بالنشاب وخالد - رضي الله عنه - لا يريد أن يهاجمهم حتى ناداه سعيد بن زيد، وكان من أشد الناس، وهو قائد سلاح الفرسان يومئذ، فصاح بخالد قائلاً: «عَلَام نستههدف لهؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست^(١) الخيل؟».

فأقبل خالد - رضي الله عنه - إلى خيل المسلمين، وقال لهم: «احملوا - رحمكم الله - على اسم الله»، وحمل خالد على الروم وحمل المسلمون معه بأجمعهم على طول الصف، فقد سئموا الوقوف، وكانت معنوياتهم مرتفعة وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين... على ميمنتهم مرة، ثم على ميسرتهم، ثم صبروا لرشق نبالهم، والآن صدر الأمر فانطلق الجيش المتحمس المكبوت فما صبر الروم لهم فَوَاقًا^(٢) على حد تعبير الرواة، وانهزموا هزيمة شديدة وقتلهم المسلمون كيف شاءوا وأصابوا معسكرهم وما حوى.

وفي رواية الطبري عن ابن إسحاق: «... فلما رأى القبطار قائد الروم ما رأى من قتال المسلمين قال للروم: لَفَّوا رأسي بثوب. قالوا: لِمَ؟ قال: يوم البئيس لا أحب أن أراه ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من

(١) شمست الخيل: امتنعت ظهورها عن الركوب.

(٢) الفواق ما بين الحلبتين من الوقت. وقيل ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع،

والمراد: الزمن القصير.

هذا. فاحتز المسلمون رأسه، وإنه لللفف». وانتهى خبر الهزيمة إلى هرقل فنُخب في قلبه، وأسقط في يده وملئ رعباً.

سلوا قبقلار الروم لم لف وجهه وحزله الأحناف رأساً تندّر وكتب خالد إلى أبي بكر:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد سيف الله المصوب على المشركين.

أما بعد:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإني أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن والمشركون، وقد جمعوا لنا جموعاً جمّة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنون، أو يخرجونا من بلادهم. فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعناهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، فقارعناهم في كل فجّ وشعب وغائط. فأحمد الله على إعزاز دينه، وإذلال عدوّه وحسن الصنع لأوليائه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ولما قرأ الكتاب أبو بكر - رضي الله عنه - فرح به وأعجبه، وقال:

«الحمد لله الذي نصر المسلمين وأقرّ عيني بذلك».



* فتح غزة على يد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أيام الصديق - رضي الله عنه - :

□ وتمخّضت ملاحم النصر عن فتح عدة مدن بفلسطين منها نابلس وعسقلان والرملة وعكا واللد.

وفتح عمرو بن العاص مدناً أخرى منها يافا ورفح .
«وجاء في فتوح البلدان أن عمرو بن العاص قد فتح غزة في عهد أبي بكر»^(١) .

«وبهذا مهّدت الجيوش الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - الطريق للزحف نحو بيت المقدس»^(٢) .

وتم لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - فتح كل مدن فلسطين وأشهرها غزة، و«سبسطية» و«نابلس»، و«اللد» و«يبنى» و«عمواس» و«بيت جبرين» و«يافا» و«رفح»^(٣) .

ولم تبق هناك إلا «قيسارية» فتحها معاوية كما سيأتي .



(١) «الطريق إلى دمشق» ص (٥١٥) .

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (٨٤ - ٨٥) .

(٣) «عمرو بن العاص» لبسام العسلي ص (٣٥ - ٣٦) - دار النفائس .

في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

«... (بني) أرطوبون يوم ما طوبون العرب...»

... لله نور عمرو:

حادثة أرطوبون الروم مع عمرو ذكر الرواة أنها كانت في أجنادين... ومن ذهب إلى هذا الأستاذ بسّام العسلي في كتابه «عمرو ابن العاص» ص (٣٢ - ٣٣)، وذهب الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه «الطريق إلى دمشق» ص (٥٢٤) إلى أن ذلك في حصار بيت المقدس.

«كان الروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم أرطوبون، وكان أدهى الروم، وأبعدهم غوراً وأنكاهم فعلاً، وأقام عمرو لا يقدر من أرطوبون على سقطة، ولا تشفيه الرسل، فوكي الأمر بنفسه، ودخل على أرطوبون كأنه رسول من قبل «عمرو» فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمّل حصونه حتى عرف ما أراد.

وشعر أرطوبون بالمعية عمرو، وهو لا يعرفه، فقال في نفسه: إن هذا لعمرو، أو إنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله، ثم دعا واحداً من حرسه وأسرّ إليه بقتله، قال: اخرج فقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله. وفطن عمرو لما يُدبر له.

قال عمرو: قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلته فقد وقع مني موقعاً، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكافئه^(١) ويشهدنا أموره فأرجع فأتيتك بهم الآن، فإن رأوا في الذي

(١) نكافئه، أي: نعاونه.

عرضت مثل الذي أرى فقد رآه أهل العسكر والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمئهم، وكنت على رأس أمرك. فقال أرطوبون: نعم. ودعا رجلاً فأسرَّ إليه، وقال: اذهب إلى فلان فردّه إليّ. فرجع إليه الرجل، وقال لعمرو: انطلق فجيء بأصحابك، فخرج عمرو وقال: لا أعود لمثلها أبداً. وعلم أرطوبون أن عمرو بن العاص قد خدعه، فقال: «خدعني الرجل! هذا أدهى الخلق». وبلغت عمر بن الخطاب، فقال: غلبه عمرو، لله عمرو! (١).

وعند الطبري: «قال عمر: رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب فانظروا عما تنفرج».

وكان عمرو كثيراً ما يردد بعد ذلك: «لا والذي ثجاني من أرطوبون».

*** من أرطوبون إلى عمرو - رضي الله عنه - :**

«ما إن استقرّ أرطوبون في «إيلياء» حتى كتب إلى عمرو - رضي الله عنه - بأجنادين رسالة جاء فيها:

«إنك صديقي ونظيري؛ أنت في قومك مثلي في قومي، ووالله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين؛ فارجع ولا تغز فتلقى ما لقي الذين من قبلك من الهزيمة».

□ وأجابه عمرو - رضي الله عنه - :

«جاءني كتابك، وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد،

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٦٠٥)، و«الطريق إلى دمشق» ص (٥٢٤).

وأستعدي عليك فلانا وفلاتنا وفلاتنا - لوزرائه - فأقروهم كتابي، ولينظروا فيما بيني وبينك»^(١).

✽ عمرو - رضي الله عنه - وفلسطين :

بعد مرج الصففر أمر أبو عبيدة عَمراً بأن يسير إلى الأردن وفلسطين، وأن يغير على أطراف الرساتيق «القرى» بالخليل ويصالح مَنْ يُصالح، ونهاه عن أن يقدم على المدن والحصون والجموع، ولما بلغ عمرو أرض الأردن وفلسطين أقام على أهلها القيامة وضيق عليهم أشد التضيق، فرعب الروم وأشفقوا على مدائنهم أن تسقط في أيدي المسلمين، فاجتمع مَنْ كان بها من الروم، ونزلوا من حصونهم، وانضم إليهم كثير من الأهالي ومن نصارى العرب فكثرت جمعهم، وكتبوا إلى هرقل وهو بأنطاكية يطلبون منه المدد، فبعث إلى ذلك الجيش العشرة آلاف الذين بعبلك أن يسيروا إليه».

وكتب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة:

«بِاللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد:

فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق واجتمعوا من نواحي الأردن وفلسطين فتكاتبوا وتواثقوا وتعاهدوا ألا يرجعوا إلى النساء والأولاد حتى يخرجوا العرب من بلادهم، والله مكذب قولهم وأملهم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً. فاكتب إليّ برأيك في هذا الحدث، أرشد الله أمرك وسددك وأدام رشدك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

(١) «سلسلة مشاهير قادة الإسلام - عمرو بن العاص -» لبسام العسلي ص(٣٤).

فأرسل إليه أبو غبيدة مدداً من ٢٨٠٠ رجل فصارت عدة جيش المسلمين ٥٣٠٠ عليهم عمرو بن العاص.

ولما نفر الروم إلى المسلمين برأً وبحراً، وجيش هرقل جيوشه من أنطاكية قبيل موقعة اليرموك بقليل جرّاً ذلك أهل إيلياء والأردن على عمرو وعلى من قبله من المسلمين، وتراسلوا وتواثقوا وتعاهدوا ليسيرون إلى عمرو، فقام عمرو في جيشه، وقال: «لا ييقين رجل من أهل عهدنا إلا وتهياً واستعد حتى يسير معي إلى أهل إيلياء؛ فإني أريد المسير إليهم والنزول بساحتهم، ثم لا أزايلهم»^(١) حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

وأسقط في أيدي أهل إيلياء وكانوا من ذلك في هول شديد.

✽ إنذار من عمرو إلى أهل إيلياء: ... لله در عمرو :

أرسل عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله العظيم الذي لا إله إلا هو، ومحمد ﷺ، أما بعد فإننا نشني على ربنا خيراً، ونحمده حمداً كثيراً كما رحمننا بنبيه، وشرّفنا برسالته وأكرمنا بدينه، وأعزّنا بطاعته، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته، فلسنا - والحمد لله - نجعل له ندّاً ولا نتخذ من دونه إلهاً، لقد قلنا إذن شططاً، سبحانه وبحمده جلّ ثناؤه.

والحمد لله الذي جعلكم شيعاً، وجعلكم في دينكم أحزاباً بكفركم

(١) أي: لا أفارقهم.

بربكم فكل حزب بما لديهم فرحون، فمنكم من يزعم أن لله ولداً، ومنكم من يزعم أن الله ثاني اثنين، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة فبعداً لمن أشرك بالله وسُحْقاً، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والحمد لله الذي قتل بطارقتكم، وسلب عزكم، وطرد من هذه البلاد ملوككم، وأورثنا أرضكم ودياركم وأموالكم وأذلكم بكفركم بالله وترككم ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله ورسوله، فأعقبكم الله الجوع والخوف والذل بما كنتم تصنعون. فإذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتاباً آمناً على دماءكم وأموالكم وأعقد لكم عقداً تُؤدون إليّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيـل بعد الخيل وبالرجال بعد الرجال، ثم لا أفلع عنكم حتى أقتل المقاتلة وأسبي الذرية، وتكونون كأمة كانت فأصبحت كأنها لم تكن»^(١).

وهذه لهجة شديدة من عمرو لقوم نقضوا عهودهم، أو هم على وشك الانتفاض، وعلى الطريق إليه جيش لم تجمع الروم مثله من قبل. وأعطى عمرو الكتاب إلى رجل نصراني على دينهم، وقال له: عجل عليّ فإنني إنما أنتظرُك. وقدم عليهم الرجل فقالوا له: ويحك، ما وراءك؟

قال: لا أدري إلا أن الرجل قد بعثني إليكم بهذا الكتاب، وقد وجهه عسكري نحوكم. وقال ما يمنعني من المسير إليهم إلا انتظاري رجوعك. قالوا له: أنظرنا^(٢) ساعة من النهار، فإننا ننتظر عيوناً لنا تقدم علينا

(١) «الأزدي» ص (١٦٥).

(٢) أي: أجئنا.

من قِبل أمير العرب الذي بدمشق، ومن قِبل جند الملك الذي قد أقبل إلينا فننظر ما تأتينا به، فإن ظننا أن لنا بالعرب قوة لم نصالحهم، وإن خشينا ألا نقوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن وغيرهم، فما نحن إلا كغيرنا من أهل الشام.

فأقام الرجل حتى أمسى، وجاءتهم الأخبار بقدوم باهان في جيش هرقل يقود ثلاثمائة ألف مقاتل لقتال المسلمين، فتباشر أهل إيلياء بذلك، وسرّوا به، ودعوا العليج الذي بعث به عمرو بن العاص فبعثوا معه برسالة إلى عمرو: «أما بعد، فإنك كتبت إلينا كتاباً تزكي فيه نفسك وتعيب ما نحن عليه، والقول بالباطل لا ينفع به أحد نفسه، ولا يضرّ به عدوه، وقد فهمنا ما دعوتنا إليه، وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاءوكم، فإن أظهرهم الله عليكم فذلك بلاؤه عندنا في القديم، وإن ابتلانا بظهوركم علينا فلعمري لنقرنّ لكم بالصغار، وما نحن إلا كمن ظهرت عليهم من إخواننا، ثم دانوا لكم فأعطوكم ما سألتهم»^(١).

«وكتب عمرو إلى عمر يستمده، ويقول له: «إني أعالج حرباً كؤداً صدوماً، وبلاداً أدخرت لك، فرأيك». فلما وصل الكتاب إلى عمر - رضي الله عنه - علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمرٍ علمه، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس»^(٢).

✽ حصار أمين هذه الأمة ومعه أرطبون العرب لبيت المقدس :

لما فرغ أبو عبيدة من دمشق كتب إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى الله

(١) «الطريق إلى دمشق» بتصرف ص(٤٢٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٥٦/٧).

والى الإسلام، أو يذللون الجزية، أو يؤذنون بحرب. فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، وحاصر عمرو بن العاص بيت المقدس، وفرغ أبو عبيدة ابن الجراح من تطهير شمال الشام، فولّى عبادة بن الصامت حمص، وسار بجيشه، وحاصر بيت المقدس وضيق عليهم، وكان أهل بيت المقدس قد طال حصارهم الذي استمر أربعة أشهر، وأدركوا أن لا مفر من التسليم، فطلبوا من أبي عبيدة أن يصالحهم على مثل صلح مدن الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب أمير المؤمنين - رضي الله عنه -.

✽ عود على بدء...

وتفصيل لما كان من أمر أبي عبيدة وحصاره للقدس:

وحدثني عنهم فزدتني جوى... وهل يملّ حديثهم.. والله إنه لبرء أسقامنا ودواء أوصابنا...

كتب أبو عبيدة أمين الأمة إلى أهل إيلياء:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها.

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله تعالى ورسوله.

أما بعد:

فإني أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فإن شهدتم بذلك حرّمت علينا دماءكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخواناً. وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أنتم أبيتم سرتُ إليكم بقوم هم أشد حُباً للموت منكم لشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير،

ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم». ثم إن أبا عبيدة بن الجراح انتظر أهل إيليا فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه^(١)، وعندها حشد القائد أبو عبيدة (٣٥) ألفاً بإمرة سبعة قوَّاد إلى بيت المقدس.

□ فالراية الأولى لخالد بن الوليد على خمسة آلاف فارس من خيل الزحف في اليوم الأول.

□ ثم في اليوم التالي الراية الثانية ليزيد بن أبي سفيان على خمسة آلاف وأمره أن يلحق بخالد.

□ ثم في اليوم الثالث الراية الثالثة لشرحبيل بن حسنة، على خمسة آلاف فارس من أهل اليمن. وأمره بالآ لا يختلط بعسكر من تقدمه.

□ الراية الرابعة للمرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، على خمسة آلاف مع جمع من المسلمين.

□ والراية الخامسة للمسيب بن نجبة الفزاري على خمسة آلاف فارس، ثم في اليوم السادس كانت الراية لقيس بن هبيرة المرادي على خمسة آلاف فارس. وفي اليوم السابع كانت الراية السابعة لعروة بن مهلهل بن زيد الخيل على خمسة آلاف.

وصحبت النساء هذا الجيش وساروا إلى طبريا فالناصرية فنبلس فالقدس في مسافة بلغت ٣١٠ كيلو متر.

ولما حاصرت الجيوش المدينة امتلأ الجو بالتهليل والتكبير، ومضت

(١) «إنحاف الأخصا بفضايل الأقصى» لأبي عبد الله المنهاجي السيوطي (١/ ٢٢٧ - ٢٢٨) مكتبة ابن الجوزي.

ثلاثة أيام على الحصار ولم يخرج أحد من الروم يفاوض العرب، وظهر للعرب أن الروم مهتمون بتحسين الأسوار من الداخل ونصب المنجنيقات عليها.

وفي اليوم الرابع قال فارس لشرحيل: كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون، أو بكم فلا ينطقون، أو عمي فلا يبصرون.

وفي فجر اليوم الخامس كان أول من ركب من الأمراء لسؤال أهل «إيليا» يزيد بن أبي سفيان فدنا من السور ومعه ترجمان، وجرى أول اتصال بين العرب والروم قبل أن يطلق أي سهم، وعُرضت مبادئ الإسلام في المفاوضات: الإسلام، أو الصلح، أو القتال. فرفض الروم الشروط فرجع يزيد إلى الأمراء بالجواب. فقالوا: إذن القتال، فمنعهم منه؛ لأن أبا عبيدة لم يأذن لهم فيه إلا بعد أن يُراجع، فكتبوا إليه فأجابهم بمباشرة القتال، وأنه قادم عليهم.

فأول من برز للقتال شرحيل بن حسنة ورجال اليمن، ثم اقتحم كل جيش الأسوار من الناحية التي هو عليها وفق تعليمات أبي عبيدة.

ونقل الواقدي^(١) أخبار من شهدوا الفتح فقالوا إن الشباب كان كالجراد واستمر هذا حتى الغروب ولكن على غير طائل، وفي الليل أوقدت النيران العظيمة. واستؤنف القتال في اليوم التالي ولا نتيجة، وهكذا حتى اليوم الحادي عشر. فأشرقت على العرب راية أبي عبيدة يحملها غلامه سالم، ومعه عبد الرحمن بن أبي بكر والنساء.

(١) الواقدي: إمام المغازي كما قال الشافعي، وإن كان ضعيفاً عند المحدثين. وأصله من القدس.

وكان لوصول أبي عبيدة ضجة بلغت داخل الأسوار فعلم الروم أن أمير الجيش قد حضر. ووقع الرعب في قلوب الروم، وذهبوا إلى البطريك فأخبروه بمقدم أمير القوم.

□ قال الواقدي:

□ قال البطريك: «وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام.

قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأننا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الأحور المسمى بعمر صاحب نبهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله، ولا طاقة لكم بنزاله، ولا بد لي أن أشرف عليه، وأنظر إليه، وإلى صورته، فإن كان إياه عمدت إلى مصالحته، وأجبتة إلى ما يريد، وإن كان غيره فلا نسلم إليه قط، لأن مدينتنا لا تفتح إلا على يد من ذكرته لكم والسلام»^(١).

فوثب البطريك ومن معه من القساوسة والرهبان، ليتحققوا من شخصية الأمير، فعرفوا أنه ليس عمر، وقال لبني قومه: «ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم»^(٢) وأقبلوا فقاتلوا قتالاً شديداً، واستمر النزال والحصار لهذه المدينة المقدسة أربعة أشهر، وقد أظهر المسلمون بطولة وشجاعة نادرتين، فقاتلوا قتالاً شديداً، وصبروا على البرد القارس والثلج والمطر.

□ ويروي الواقدي مثلاً من استبسال المسلمين وهو أن ضرار بن

(١) فتوح الشام للواقدي (١/٢١٦).

(٢) المرجع السابق.

الأزور أراد أن يرمي بطريقاً واقفاً على السور وقد ظفر بذلك.
وكان عوف بن مهلهل ينظر إلى ضرار وهو يحاول مراده. قال
عوف: فنظرت إلى ضرار وقد قصد نحو البطريق يختفي ويستتر إلى أن
قرب من البرج الذي عليه البطريق، ثم أطلق عليه نبله، فنظرت إلى
النبله مع علو هذا الجدار، فقلت: وما تنو. مع هذا العلو وما الذي
تصنع وعلى البطريق هذه اللآمة^(١)

فأقسم بالله لقد وقعت في به تردى إلى أسفل البرج فسمعت
للقوم ضجة وجولة هائلة فعلمت به نل

ولما رأى الروم حالهم تضرب لا مدد يأتيهم من الخارج طلبوا من
البطريق مفاوضة العرب ابتغاء الفرج، فأجاب البطريق إلى ذلك، فاشتمل
لباسه وصعد السور وحوله الرهبان والقسوس وكلهم بمظهر مهيب.

وقال البطريق: «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة، ومن
قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه».

□ فقال أبو عبيدة: «نعم إنها شريفة، وفيها أسري بنينا ﷺ إلى
السماء ودنا كقاب قوسين أو أدنى، وإنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها،
ونحن أحق منكم بها، ولا نزال عليها، أو يملكنا الله إياها، كما ملكنا
غيرها».

قال البطريق: فما الذي تريدون منا؟
وتقدّم أبو عبيدة فعرض الشروط الثلاثة: فكانت النتيجة كأول
مرة، وكان آخر جواب البطريق: «إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما

(١) درع الحرب.

فتحت هذه البلدة»، واتسعت المفاوضات، ولما رأوا إصرار المسلمين على القتال وعزمهم الأكيد على فتح المدينة أذعنوا للصلح وتسليم المدينة، ولكنهم اشترطوا ألا يُسلموها إلا لصاحب محمد عمر، فوافقهم أبو عبيدة^(١).

وكتب أبو عبيدة - رضي الله عنه - إلى عمر - رضي الله عنه -:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لعبد الله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من أبي عبيدة بن الجراح.

سلام عليك.

فإني أحمد الله تعالى إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد:

فإننا أقمنا على أهل إيليا وظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجاً فلم يزدتهم الله إلا ضيقاً ونقصاً وهزلاً وذللاً، فلما رأوا ذلك سألوا أن يقدم أمير المؤمنين فيكون هو الموثق لهم والمكاتب فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم، ويرجعوا فيكون سيرك أصلحك الله عناء وفضلاً، فأخذنا عليهم الموائيق المغلظة بأيمانهم ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا، فإن رأيت أمرك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فلما قدم الكتاب على عمر - رضي الله عنه - دعا رؤساء المسلمين

(١) انظر كتاب «القدس تناديكم» للمقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوص ص (١٣٦ - ١٣٩).

دار البشير، وكتاب «بيت المقدس وما حوله» للدكتور محمد عثمان بشير ص (٦٤ - ٦٥) مكتبة الفلاح.

إليه وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة - رضي الله عنه - واستشارهم في الذي كتب إليه، فقال له عثمان - رضي الله عنه -: «إن الله تعالى قد أذلهم وحصرهم، وضيق عليهم، وهم في كل يوم يزدادون نقصاً وهزلاً وضيقاً ورعباً، فإن أنت أقمت، ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخففاً، ولشأنهم حاقراً غير معظم فلا يلبثون إلا قليلاً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية. فقال عمر - رضي الله عنه -: ماذا ترون، عند أحدكم رأى غير هذا الرأي؟

فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: نعم عندي غير هذا الرأي، قال: ما هو؟ قال: إنهم قد سألوا المنزل التي فيها الذل لهم والصغار، وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عز يعطونكها الآن في العاجل في عافية، وليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم ذلك في القدوم عليهم الأجر في كل ظماء ومخمصة، وفي كل واد وفي كل نفقة حتى تقدم عليهم، فإذا أنت قدمت عليهم كان الأمن والعافية والصلاح والفتح، ولست آمن إن يؤسوا من قبلك الصلح منهم أن يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا أو يأتيهم منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء، ويطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجهد والجزع ما يصيبهم، ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم بالنشاب ويقذفونهم بالمناجيق، فإن أصيب بعض المسلمين تمنيتم أنكم افتديتم قتل رجل واحد من المسلمين بمسيرك إلى منقطع التراب وكان لذلك المسلم من إخوانه أهلاً.

فقال عمر - رضي الله عنه -: قد أحسن عثمان النظر في مكيمة العدو، وأحسن عليّ النظر لأهل الإسلام فجزاها الله خيراً ولست آخذ إلا بمشورة علي، سيروا على اسم الله فيإني ساير واستخلف على المدينة

علي بن أبي طالب^(١).

وخرج عمر على بعير أحمر وعليه غرارتان في أحدهما سويق، وفي الآخر تمر، وبين يديه قربة ماء وخلفه جفنة للزاد^(٢)، ومعه خادمه أسلم والعباس بن عبد المطلب، ولما أطلّ عمر على جبل المكبر كبر، وخرج أبو عبيدة والأمراء لاستقبال الخليفة، وضربت له خيمة من شعر وهذا ما أكّده رواية الواقدي، وجلس على التراب ثم قام يصلي، وعلت للمسلمين ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير، فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة.

ثم بعد ذلك قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأبي عبيدة: يا عامر، تقدّم إلى القوم وأعلمهم أنني قد أتيت. فتقدم أبو عبيدة من السور وصاح بهم:

«إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد؛ فماذا تصنعون فيما قلتم؟».

بعد ذلك خرج البطريق وعليه المسوح وبين يديه الصليب والأساقفة والرهبان، والصليب لا يُخرجونه إلا في عيدهم.

فتقدم أبو عبيدة فقال له البطريق: «ما تشاء أيها الشيخ الباهي؟». فقال أبو عبيدة: «هذا أمير المؤمنين عمر ليس عليه أمير قد أتى، فاخرجوا إليه واعقدوا معه الأمان والذمة وأداء الجزية»، فقال البطريق: إن كان صاحبك الذي ليس عليه أمير قد أتى فدعه يدنو منا - وأفردوه من بينكم ليقف بإزائنا حتى نراه.

(١) «إنحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى» (١/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

(٢) الواقدي: «كتاب فتوح الشام».

فهمّ عمر بالقيام، فقال له أصحابه: «تخرج إليهم منفرداً وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة؟ وإنا نخشى عليك منهم غدراً ومكراً»، فقال عمر: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ {التوبة: ٥١}.

ثم أمر ببيعيره، فاستوى عليه، وعلى رأسه عباءة قطوانية^(١) وقد عبّ بها رأسه، وليس معه غير أبي عبيدة يسير بين يديه حتى قرب من السور ووقف بإزاء البطريق والبطارقة.

ثم قام البطريق يمسح عينيه، ونادى بأعلى صوته: انزلوا اعقدوا معه الأمان، هو صاحب محمد، ففتحت الأبواب ودخل عمر والأمرء إيلياء. دخل عمر القدس يوم ٢٥ ربيع أول عام ١٥هـ، ودخلت من ورائه الجيوش الإسلامية وراياتهم فوق الرؤوس^(٢).

نعم.. نعم.. يسير الفاروق لفتح القدس.. ولو إلى آخر البسيطة. نعم أمشي إليك على جفوني ولو بعدت لمسراك الطريق يسير في هذا الموكب الخالد: بغيره، وجففته، وتمره، وقربة مائه، وخادمه أسلم يتعاقب معه ركوب الدابة، ولكنه يجرّ خلفه أمجاد النصر على فارس، واليرموك وفتح دمشق وحمص وأنطاكية واللاذقية وبعلبك وطبرية ويسان وسبسطية و نابلس وأجنادين وغزة ورفع. يعلم الدنيا دروساً وعظات لا تأتي إلا من مثل عمر الزاهد، وأبي عبيدة الأمين.

(١) نسبة إلى مكان قرب الكوفة مشهورة بصنع الأكسية.

(٢) «القدس تناديكم» للمقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوص ص (١٤١ - ١٤٢).

صفحات مجد في الخلود سطورها أضواء الزمان بها بغير جدال

* القدس تسلم للأمين الزاهد، ويضيّعها الخونة المترفون :

وهكذا سلّمت القدس للأمين.. أمين هذه الأمة.. ولا تسلم أبدًا أمرها إلا لأمين يسير على درب أبي عبيدة. يفتحها الأبناء، ويضيّعها ويفرط فيها الخونة.

□ سلّمت القدس للزاهد أبي عبيدة - رضي الله عنه - الذي لا يكثر بمتاع الدنيا.

أرسل إليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: «انظر ما يصنع» فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: «الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا!!»^(١).

ولما قدم عمر الشام، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟». فقالوا: من؟ قال: «أبو عبيدة»، قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقه مخطومة بحبل، فسلم عليه، فقال عمر للناس: «انصرفوا عنا!»، وسار مع أبي عبيدة حتى منزله فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: «لو اتخذت متاعاً» - أو قال شيئاً - فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيـل»^(٢).

وفي رواية أن عمر قال: «اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة»، فقال له: «وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك

(١) «طبقات ابن سعد» (٤١٣/٣).

(٢) «الإصابة» (١٢/٤)، و«أسد الغابة» (٨٦/٣).

عليّ!». ودخل عمر فلم ير في البيت شيئاً، فقال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدّاً، وصحفة، وشناً وأنت أمير!، أعندك طعام؟ فقام أبو عبّيدة إلى جونة^(١) فأخذ منها كُسِيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبّيدة: قلت لك: إنك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلّغك المحل!! فقال عمر: «غَيّرنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبّيدة»!

وضيّعها المترفون الذين أثروا على حساب القدس.. أصحاب السيجار، وكازينو القمار، والقصور في الريف الإنجليزي وشواطئ الريفيرا.. وسل أول وزارة فلسطينية كم سرقت واختلست.

❑ ضيّعها الخونة الذين بدّلوا الراية.. من إسلامية إلى علمانية.. فهانت القدس في أعين الغوغاء والداهماء.

مَنْ باعنا خبروني كلهم صمتوا
والأرض أضحت مزاداً للمرابينا

* فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر - رضي الله عنه -:

في سنة خمس عشرة ذكر أبو جعفر بن جرير أن أبا عبّيدة حاصر بيت المقدس وضيّق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبو عبّيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب ليكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم. وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوى ما قال عليّ، ولم يهوَ ما

قال عثمان .

وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وسار بالعباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكف أبو عبيدة فكف عمر. ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء .

ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلّى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحرار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال: ضاهيت اليهودية. ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو العمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة؛ لأنها قبلة اليهود، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها في داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب، فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمي ذلك الموضع القمامة، وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك .

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي، وهو بإيلياء وعظ النصرارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم: إنكم لخليق أن تُقتلوا على هذه الكناسة مما امتهتتم هذا المسجد كما قُتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا، ثم أمروا بإزالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب^(١).

□ وذكر ابن جرير: «أن عمر - رضي الله عنه - ركب من المدينة على فرس لیسر السیر بعد ما استخلف عليها علي بن أبي طالب، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها، وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها: «أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تُكفّوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حي، ولا بينه وبين الله هوادة^(٢)، فمن أراد لَحَب^(٣) وجه الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن».

ثم صالح عمر أهل الجابية، ورحل إلى بيت المقدس، وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يُوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية، فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج، فسار إليهم عمر ليحصبهم^(٤) فاعتذروا إليه بأن عليهم

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٦ - ٥٧).

(٢) هوادة: اللّين وما يرجى به الصلاح.

(٣) لَحَب: طريق.

(٤) يحصبهم، أي: يبعدهم ويقصيهم.

السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم، فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعدما استخلفوا على أعمالهم، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل، فإنهما مواقفان الأرطبون بأجنادين، فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم السيوف مسللة، فسار إليهم المسلمون بالسلاح.

فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون، فساروا نحوهم؛ فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه، فأجابهم عمر - رضي الله عنه - إلى ما سألوا، وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو كاتب الكتاب، وذلك في سنة خمسة عشر. ثم كتب لأهل لدِّ ومَن هنالك من الناس كتاباً آخر، وضرب عليهم الجزية، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء، وفرّ الأرطبون إلى بلاد مصر، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص...

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكباً، فلما اقتربا منه أكبّا على ركبتيه فقبلاها واعتنقهما عمر معاً - رضي الله عنهما -.

قال سيف: ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحّى^(١)

(١) توحّى: أسرع.

فرسه فأتوه برذون^(١) فركبه فجعل يهملج^(٢) به، فنزل عنه وضرب وجهه وقال: لا علم الله من علمك، هذا من الخيلاء، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده، ففتحت إيلياء وأرضها على يديه ما خلا أجنادين فعلى يد عمرو، وقيسارية فعلى يدي معاوية. هذا سياق سيف ابن عمر، وقد خالفه غيره من أئمة السير، فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة^(٣).

□ لما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة؛ حتى قيل: إنه كنسها بردائه.

□ وعند أحمد: «تقدم إلى القبلة فصلّي، ثم جاء فبسط رداءه، وكنس الكناسة في رداءه، وكنس الناس^(٤)».

□ قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦١/٧): «عن أبي الغالية الشامي قال: «قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جمل أورك، تلوح صلته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبي الرحل بلا زكاب، وطأؤه كساء أنبجاني ذو صوف، هو وطأؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، حقيته نمرة أو شملة محشوة ليفاً، هي حقيته إذا ركب ووسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرايس قد رسم وتخرق جنبه. فقال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي وخیطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً. فأتني بقميص

(١) برذون: دابة.

(٢) يهملج به: يتبختر به.

(٣) «البداية والنهاية» (٥٨/٧).

(٤) «البداية والنهاية» (٥٩/٧). قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد.

كتان فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان. قال: وما الكتّان؟ فأخبروه فنزع قميصه فغسل ورقّع وأُتِيَ به، فنزع قميصهم ولبس قميصه. فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئاً غير هذا وركبت برذوناً لكان أعظم في أعين الروم. فقال: «نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً». فأُتِيَ ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه به، فقال: احبسوا احبسوا، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأُتِيَ بجملته فركبه.

وعن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيد، وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فصكّ في صدره وقال: «أولكو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذلّ الناس، وأحقّر الناس وأقلّ الناس، فأعزّكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزّ بغيره يذلّكم الله».

□ «دخل عمر - رضي الله عنه - القدس عن طريق جبل «المكبر»^(١) الذي سُمِّي بهذا الاسم؛ لأن عمر - رضي الله عنه - لمّا أشرف على المدينة من فوقه كبرّ وكبّر معه المسلمون، وكان عمر - رضي الله عنه - ممتطيّاً بعيراً أحمر عليه غرارتان في أحدهما سويق وفي الآخر تمر، وبين يديه قرية مملوءة بالماء، وخلفه جفنة للزاد، وذكر ابن الجوزي أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة، فعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغلامه، فنزل عمر وركب الغلام وعمر يمسك بخطام

(١) وهو جبل «طورزيتا».

البعير، فلما رآه المحصورون أخذوا بمقود الراحلة وغلّامه فوقها أكبروه، وبكى بطريك النصارى (صفرونيوس)، وقال: «إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة»^(١).

□ وكتب عمر وثيقة الأمان، وبعد أن انتهى من كتابتها طلب من البطريك أن يَدُلّه على مكان مسجد داود، فسارا وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم، وراوغهم البطريك ليعمّي عليهم مكان المسجد، وفي النهاية مضى بهم إلى مكان مسجد بيت المقدس حتى وصلوا الباب المسمى «باب محمد»، وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة على درجه، فتجشّم الجميع الدخول إلى الصحن، ونظر عمر يميناً وشمالاً، ثم قال: «اللّهُ أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول اللّهِ ﷺ أنه أسري به إليه». وكان على الصخرة زبل كثير مما طرحته الروم غيظاً لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل، والمسلمون يحذون حذوه، ومضى عمر نحو محراب داود فصلى فيه وقرأ سورة ص وسجد^(٢).

□ وفي «تاريخ الطبري» (٣/ ٦١٠):

«كان الذي صالح عن فلسطين رجل يدعى العوّام من أهل إيلياء والرملة». وقد صالح عمر أهل القدس وهو بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح.

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى ص (٨٦)، وانظر «فتوح الشام» للواقدي

(١/ ٢٣٥ - ٢٣٦) و«الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل».

(٢) «الأنس الجليل» (١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

وذكر الطبري صيغة الصلح:

* صلح القدس «الوثيقة العمرية»:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خبرها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود»^(١).

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص^(٢)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله؛ حتى يبلغوا مأمَنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم؛ حتى يبلغوا مأمَنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء

(١) كان اليهود قد اغتتموا فرصة الغزو الفارسي لبلاد الشام فهاجموا النصارى، وأُخذوا فيهم، وكانوا يشترون من الفرس الأسرى النصارى ليذبحونهم، فزاد العداء بينهم وبين النصارى، فاشتراط هؤلاء على عمر عدم سكنى اليهود معهم. انظر كتاب «تاريخ موجات الجنس العربي في بلاد الشام» ص (٢٤٤، ٣٢٥).

(٢) اللصوص: اللصوص مفردا اللَّص: اللص في لغة طي.

منهم قعد وعلله مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .
وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة^(١) . هـ
وبعد أن بعث عمر بأمان أهل القدس وسكنها الجند سار إليها من الجابية ، فرأى فرسه يتوجع من حافره فنزل عنه^(٢) ، وأتوه بيرذون فهزه وتخلج به فنزل عنه وضرب وجهه بردائه ، وقال : قبح الله من علمك هذا ، هذا من الخيلاء ! ثم دعا بفرسه بعد أن أجمه أياماً حتى صلب حافره فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس ، ثم مضى حتى دخل المسجد ، واتجه نحو محراب داود^(٣) والمسلمون معه ، فدخله وقرأ سجدة داود فسجد وسجد المسلمون معه .

«و عن رجاء بن حيوة عن شهد قال : لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء ، فدنا من باب المسجد ، فقال : اركبوا لي كعباً^(٤) ، فلما انفرق به الباب قال : «ليكن اللهم ليكن بما هو أحب إليك» ، ثم قصد المحراب ، محراب داود عليه السلام ، وذلك ليلاً فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر ، فأمر المؤذن بالإقامة ، فتقدم فصلّى بالناس وقرأ بهم «ص» وسجد

(١) «الطبري» (٣/٦٠٩) .

(٢) «الطبري» (٣/٦١٠) .

(٣) «الطبري» (٣/٦١٠) .

(٤) أي : كعب الأخبار .

فيها، ثم قام وقرأ بهم في الثانية صدر «بني إسرائيل»^(١)، ثم ركع ثم انصرف»^(٢)

* رواية للفتح عند ابن عساكر :

□ روى الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٩/٧) في ترجمة العباس - رضي الله عنه - :

«عن أسلم قال: لما دنا عمر من الشام، وأخذ طريق أيلة»^(٣) تنحى وتنحى معه غلامه، فلما أراد الركوب عمد إلى مركب غلامه وإن عليه لفرواً مقلوباً، فركب وحوّل غلامه إلى رحل نفسه، وهو على جمل أحمر، وعمر يومئذ متّزر بإزار ومرتدّ بعمامة على حقيبة من فرو تحته فرو، وإن العباس ليّن يديه على عتيق تتقذا به، وكان رجلاً جميلاً، فجعلت البطارقة يسلمون عليه فيشير إليهم إني لست به، وأنه ذاك، فيسلمون عليه، ويرجعون معه حتى انتهى إلى أيلة والجابية، وتوافى إليه بها المسلمون وأهل الذمة، ثم ركب عمر من الجابية يريد الأردن»^(٤) بعدما أمضى ما أراد، وقد توافى إليه الناس، ووقف له المسلمون وأهل الذمة، فخرج إليهم على حمار ومعه العبد وأمامه العباس على فرس، فلما رآه أهل الكتاب سجدوا له، فقال: لا تسجدوا للبشر، واسجدوا لله، ومضى في سبيله، فقال القسيسون والرهبان: ما رأينا أحداً قط أشبه بما

(١) أي: سورة الإسراء.

(٢) «الطبري» (٦١١/٣).

(٣) أيلة هي: العقبة.

(٤) الأردن هنا يريد بها طبرية.

يُوصَف به الحواريين من هذا الرجل، ثم دخل الأردن على بعيره».

* فتح القدس في المصادر المسيحية :

نقل هنا وجهة نظر المسيحيين، ولا نقول إنها الصورة التاريخية الحقيقية.

وهذه ترجمة لمخطوط تاريخي هام قديم باليونانية وجدته عبد الله التل قائد معركة القدس سنة ١٩٤٨ ثم حاكمها العسكري في دير المصلبة في القدس يقول:

«لما اشتد حصار جيوش المسلمين ببیت المقدس سنة ٦٣٦م، أطل البطريك صفرونيس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة، وقال لهم: إنا نريد أن نُسلم، ولكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم: فقدّموا له أمير الجيش، فقال: لا، إنما نريد الأمير الأكبر، نريد أمير المؤمنين. فكتب أمير الجيش إلى عمر بن الخطاب يقول: إن القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك لديك شخصياً. فخرج عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس، ومعه راحلة واحدة وغلّام، فلما صار في ظاهر المدينة قال لغلّامه: نحن اثنان والراحلة واحدة، فإن ركبت أنا ومشيت أنت ظلّمتك، وإن ركبت أنت ومشيت أنا ظلّمتني، وإن ركبنا قصمنا ظهرها، فلنقتسم الطريق مثالثة، وأخذ عمر يركب مرحلة ويقود مرحلة، وتمشي الراحلة أمامهما متخففة من حَمَلٍ أحدٍ مرحلة. وهكذا استمرّ عمر يقسم الطريق مثالثة بين نفسه وبين غلامه وبين راحلته من المدينة حتى بلغ جبلاً مشرقاً على القدس صادف أن كانت ببلوغه قد انتهت مرحلة ركوبه، فكبر من فوق الراحلة، ولما فرغ من تكبيره قال لغلّامه: دَوْرَكَ.. اركب، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! لا تنزلن ولا

أركبْن، فإننا مقبلون على مدينة فيها مدينة وحضارة، وفيها الخيول المطهمة المُسَرَّجة والعربات المذهبة، فإن دخلنا على هذه الصورة - أنا راكب على الراحلة وأمير المؤمنين آخذ بمقودها - هزئوا بنا، وسخروا من أمرنا، وقد يؤثر ذلك على نصرنا، فقال عمر: دورك.. ولو كان الدور دوري ما نزلتُ وما ركبتُ، أما والدور دورك فوالله لأنزلن ولتركبن، ونزل عمر وركب الغلام الراحلة، وأخذ عمر بمقودها، فلما بلغ سور المدينة وجد نصاراها في استقباله خارج بابها المسمى بباب دمشق، وعلى رأسهم البطريق صفرونيوس، فلما رأوه آخذاً بمقود الراحلة وغلّامه فوق رحلها، أكبروه وخرّوا له ساجدين. فأشاح الغلام بعصاه من فوق رحلها، وصاح فيهم: ويحكم!! ارفعوا رؤوسكم، فإنه لا ينبغي السجود إلا لله، فلما رفعوا رؤوسهم انتحى البطريق صفرونيوس ناحية وبكى. فتأثر عمر، وأقبل عليه يطيّب خاطره ويواسيه قائلاً: لا تحزن، هوّن عليك، فالدنيا دواليك، يوم لك ويوم عليك. فقال صفرونيوس: أظننتني لضياح الملك بكيت..؟ والله ما لهذا بكيت، وإنما بكيت لما أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ترقّ ولا تنقطع.. فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمرّ ثم تنقرض مع السنين..

ثم سأل عمر البطريق صفرونيوس عن موضع المسجد الأقصى فدكّه، فوجده مغموراً بالقمامة، ففرش عمر الظالم^(١) عباءته، وأخذ ينزح فيها القمامة من مكان المسجد الأقصى ويلقيها في الأودية، واقتدى

(١) هكذا بالنص!! ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾

به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروه تطهيراً . ثم بنى عليه مسجداً^(١) .

❑ ويضيف عبد الله التل: «جدير بالذكر أنني رأيت مع النص الذي ذكرته رسماً يمثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين دخوله القدس، وقد رسموه في ثياب أهل الجزيرة العربية، ملتجياً داخلاً من باب دمشق - باب العمود - ذا مهابة وجلال ووقار، ماشياً على قدميه، في تواضع المخلصين الأبرار، آخذاً مقود الراحلة بيسراه، وإلى أعلى رافعاً يُمناه محذراً الساجدين له من السجود لغير الله - كذلك يمثل الرسم الغلام أجرد^(٢) أسود مستقراً فوق رحله رافعاً في وجوه القوم عصاه، مستنكراً سجدتهم لمولاه صائحاً فيهم: «إنه لا ينبغي السجود لغير الله»^(٣) .

* ملاحظات على الوثيقة العمرية :

هناك ملاحظات تطعن في صحة هذه الوثيقة العمرية منها:

❑ قوله: «سنة خمس عشرة» لو صحّ هذا العهد، فقيم إذن

(١) كتاب «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية» ص (١٢٧ - ١٢٩).

(٢) قوله: «أجرد أسود» يدل على أن القصة مؤلفة من الخيال، حيث جعلوا غلام عمر أجرد، يعني: أنه من الخصيان، وهذا يمثل العبيد في القرون المتأخرة، حيث كانوا يُخصّونهم قبل استخدامهم في القصور . . . والمشهور أن الذي كان يرافق عمر هو مولاه أسلم، وقد أنجب ذرية صالحة، وما قال أحد أنه أجرد.

ومما يدل على أن الرواية مصنوعة ما جاء في هذه المخطوطة: «وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مصلاه مسجداً وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا» فكلمة إلى يومنا هذا تدل على أن هذه الرواية مصنوعة في وقت متأخر؛ لأن مسجد عمر الذي بُني في هذا الموضع كان بناؤه في العصر الأيوبي.

الاختلاف بين المؤرخين في زمن الفتح: بين سنة ١٥، ١٦، ١٧هـ.

□ قوله: «شهد خالد، وعمرو، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية»، أين أبو عبيدة بن الجراح، وهو قائد الجيوش، وأمين الأمة، وهو الذي اتفق مع أهل القدس على أن يُرسل إلى عمر، وهو الذي كلمه أهل القدس في طلب الأمان على أن يكون عمر هو الكاتب، وهو الذي أرسل إلى عمر بن الخطاب يعرض عليه المجيء إلى الشام؟!!

* فوائد من الوثيقة - إن صحت :

□ قوله: «ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود»، تحتمل على معنيين :

الأول: أن الخليفة ضَمِنَ لهم هذا الحق. وتحتمل أنه شرط عليهم ألا يسكن معهم أحد من اليهود. وإن كان التفسير الأول أقوى؛ لأن اليهود مُنِعُوا من سكنى القدس منذ سنة ١٣٥م، وجاء الفتح وهم محرومون من دخول القدس؛ لأنهم اغتنموا فرصة الغزو الفارسي الأخير لبلاد الشام، فهاجموا النصارى وأثخنوا فيهم، وكانوا يشترون من الفرس، الأسرى النصارى ليزبحوهم فازداد العداء بينهم وبين النصارى، وعندما استعاد هرقل القدس سنة ٦٢٧م طردهم منها، وحرّم عليهم دخولها بمشورة رجال الدين النصارى.

وعلى هذا فيكون أهل القدس قد طلبوا أن يُسجّل لهم هذا الحق في العهد فاستجاب عمر لمطلبهم... ويحتمل أن يكون عمر شرط ذلك؛ لأنه أراد أن يطهر القدس من خبثهم كما طُهرت مكة والمدينة والله أعلم.

وليحفظ القارئ هذا التاريخ: أن اليهود منذ سنة ١٣٥م حتى سنة

٦٣٧م يوم فتح القدس، مضى حوالي خمسمائة سنة وهم ممنوعون من سكنى القدس. ومن المفروض أن يكون قد استمر هذا المنع في العهد الإسلامي. حتى سنة ١٩١٧م زمن وعد بلفور، والاحتلال البريطاني، فمن الذي نقض العهد وفتح لهم أبواب القدس؟

سوف نرى جواب هذا السؤال في مكان آخر، إن شاء الله. ولكن الذي نقدم قوله، ونؤكد عليه أن نسأل أين كان اليهود مدة خمسمائة سنة قبل الفتح الإسلامي؟ وإذا كان لهم حق مزعوم، فلماذا لم يدافعوا عنه؟ أيسكت صاحب حق خمسمائة سنة عن حقه لو لم يكن حقاً مزعوماً؟^(١). وروى المؤرخون أن الذي تولى عقد الصلح مع عمر، رجل اسمه «العوام» وهذا اسم عربي.

□ قوله: «وعليهم أن يُخرجوا منها الروم»، هذا يدل على أن سكان القدس لم يكونوا من الروم، وإنما كانوا من أهل فلسطين الذي أحبوا السكن بجوار المسجد الأقصى، وآثار المسيح عليه السلام. وإذا صحّ النصّ ففيه إشكال؛ فقوله: «ومن أقسام منهم»، وقوله: «وعليهم أن يُخرجوا» متعارضان، هذا شرط وأمر، وهذا فيه الإباحة، ويزول هذا الإشكال إذا قلنا أن النصّ إن صحّ فلعله يفرّق بين نوعين من الروم:

النوع الأول: جنود الروم، أو الحامية الرومانية.
والنوع الثاني: الروم الذين جاءوا للعبادة في القدس زوّاراً، أو مجاورين.

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» لمحمد محمد حسن شرّاب ص (٨٦).

* رواية جيدة لكتاب عمر - رضي الله عنه - لنصارى الشام :

روى الإمام البيهقي، وغيره من طرق جيدة إلى عبد الرحمن بن غنم قال :

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين صالح نصارى أهل الشام :

«بِاللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا أنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأموالنا وذرائنا وأهل ملتنا، وشرطنا لكم علينا وعلى أنفسنا أن لا نُحدث في مدائننا، ولا فيما حولها ديراً، ولا كنيسة، ولا قلاية، ولا صومعة راهب، ولا نحبي ما كان في خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسنا أن ينزل بها أحد من المسلمين في ليل أو نهار، وأن نوسّع أبوابها للمارّ وابن السبيل، وأن ينزل من يريد من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم، ولا نأوي في منازلنا ولا كنائسنا جاسوساً، ولا نكتم غشاً للمسلمين، ولا نعلّم أولادنا القرآن، ولا نظهر شركاً، ولا ندعو إليه أحداً، ولا نمنع أحداً من ذوي قربانا الدخول في الإسلام إن أَراده، وأن نوَقِّر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم، في قلنسوة ولا عمامة، ولا نعلّين ولا فراق شعره، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكنى بكنائهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلّد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية، ولا نبيع الخمر، وأن نجزّ مقدم رؤسنا، وأن نلتزم زيناً حيث ما كنا، وأن نشدّ زنايرنا^(١) على أوساطنا، ولا نظهر الصليب على كنائسنا، ولا نظهر

(١) الزناير: جمع الزنار، وهو الحزام، يلبسها أهل الذمة من اليهود والنصارى.

صلباناً، ولا كـتبنا في شـيء من طرق المسلمين، ولا أسواقهم، ولا نـجاورهم بموتانا، ولا نـتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا نـطلع عليهم في منازلهم»، قال: فلما أتيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بالكتاب زاد فيه: «ولا نضرب أحداً من المسلمين، شرطنا لكم ذلك في أنفسنا، وأهل ملتنا، وقد بينا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا شيئاً مما شرطناه على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حلّ لكم ما حلّ من أهل المعاندة والشقاق»^(١).

✽ وقفة بل وقفات أمام فتح الفاروق للقدس وعظاته النيرات :

«نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلّنا الله»

□ في رحاب الإسلام الزاحف على أعداء الله، وأعداء الإنسان في الشرق والغرب كنا خير أمة أخرجت للناس، نيرة القلوب، مشرقة الوجوه، سامية الأخلاق، صلبة العزائم، صارمة الصولات، خاشعة لقيوم الأرض والسموات، كانت راية الله خفاقة على كل الوهاد والسهول، وفي القلوب والرؤوس.

□ بالإسلام، وبالإسلام وحده، فتحنا القدس وتسلمها الفاروق، وحين غاب الإسلام، وبلا إسلام، فقدنا فلسطين، وتآمرنا عليها، بلا إسلام قامت دولة إسرائيل، وبقيت، وتاجرنا بفلسطين، بلا إسلام ماتت الضمائر، واختفت فلسطين في عالم النسيان الحقيقي، وهي بارزة دائماً في الإعلام والمتاجرة والغناء.

□ «نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام» تدوي في أصداء التاريخ، إنها

(١) «إنحاف الأخصا بفضايل الأقصى» (١/ ٢٣٤ - ٢٣٥).

الموازين الإسلامية تسري في نبض عمر وعروقه وجسمه وقلبه، لا شيء غير الإسلام نزن به كل شيء... به فتحنا الدنيا وعمّرناها وسدناها وبهجره خسرناها وخسرنا معها الآخرة.

* ركب الخليفة لاستلام القدس العريقة:

ناقة واحدة وخادم واحد، وأسمال مرقعة، وزاد الطريق خبز وماء وتمر!! بدلاً من الخيل المطهمة كوكبة منها بل كواكب وحشداً من الخدم. المباهة والترف يأباه عمر فقد ربّاه الإسلام... ناقة وخادم وغنائم الإمبراطوريتين تجري أنهاراً في المدينة المنورة.

وكسرى فارس وهو هارب بعد معركة نهاوند «كان معه ألف طاه، وألف مدرّب للبزة، وألف للنمور، وألف مغن، وحاشية أخرى!!»^(١).

يركب الخادم ويمشي الفاروق، ويركب الفاروق ويمشي الخادم، ويمشيان ويريحان الدابة في مسافة ٢٤٠٠ كيلو متر، يمشي ثلث هذه المسافة في جوف الصحراء وقيظها، ولفح الشمس، ووحشة القفار، بل ومخاضة ووحل وهو على مشارف القدس... يمشي وهو في أواخر الخمسينات من العمر!! هنيئاً لك عند ربك، وهنيئاً لك في التاريخ... وحق للقائل أن يقول: يا خالق عمر سبحانك!

يركب الخادم ويخوض عمر في الوحل، ويقود الناقة، ونعله على عاتقه وهو مشمر ثيابه المرقعة!!... إنه عمر القائل: «ليس الأمر ها هنا - وأشار إلى الأرض - إنما الأمر ها هنا - وأشار إلى السماء».

متى صحّ منك الودّ فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

(١) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» لعابد توفيق الهاشمي ص(١٢) - مكتبة أم القرى.

لما سلم البطريق صفرونيوس مفاتيح القدس، واتجه إلى زاوية يكي، فأتاه عمر يواسيه، وأقبل عليه يطيب خاطره ويواسيه قائلاً لا تحزن، هوّن عليك، فالدنيا دواليك، يوم لك ويوم عليك» بدلاً من إهانته وتحقيره والاستعلاء عليه شأن الفاتحين قديماً وحديثاً. . إنه أدب الإسلام.

عمر بن الخطاب أقبل فهذي الـ
وفلسطين كل شبر عليه
قد عنتك القلوب دعوة حق
علمتهم أن الذي يفتح القد
يا لفتح له من الحق نور
عمر بن الخطاب لؤلؤة الفت
يا لفتح أبو عبدة فيه
ورجال من الصحابة أبرا
يا حنين الأقصى إلى عمر الفا
رقت الصخرة الشريفة لما
فجلاها! ولم يزل من هواها
يا لفتح تخير الدهر منه
ففتوح الرسول تاج على الدهر

قدس حنت إليك منها الكبود
من دم المؤمنين دق جديد
علمتها لهم صحائف سود
س أمير للمؤمنين رشيد
صدقت فيه آية ووعد
ح وعقد من الوفاء نضيد
جوهر الصدق والأمين الفريد
رودر في عقده منضود
روق! يا لهفة اللقاء هل يعود؟
أقبلت طلعة وأشرق عيد
عقب يملأ الزمان وعود
ما تمت من الجواهر غيد
وهذي لآليء وعقود^(١)



(١) «ملحمة الأقصى» د. عدنان النحوي ص (١٣٠ - ١٣١) - دار النحوي.

وقفات أخرى مع الفتح العمري المسجد الأقصى يوم الفتح «سنة ١٥ أو ١٦ هـ»

● عن عبيد بن آدم وأبي مريم، وأبي شعيب، أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، قال: فقال أبو سلمة، فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال:

سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني، صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء، فبسط رداءه، فكنس الكناسة في رداءه، وكنس الناس^(١).

على أصح الأقوال: فإن أصح مكان صلى فيه عمر بن الخطاب هو المكان المسقوف في هذه الأيام.

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد.. وقد صار بعض الناس يسمي «الأقصى» المصلى الذي بناه عمر ابن الخطاب في مقدمه»^(٢).



(١) إسناده جيد: رواه أحمد في «مسنده» (٣٨/١)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»

(٥٨/٧): هذا إسناده جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج.

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية (٥٧/٢).

* مصلّى عمر أو جامع عمر :

هناك ثلاثة أماكن يمكن أن يُطلق عليها جامع عمر، أو مصلّى عمر، أو محراب عمر.

الأول: أن جامع عمر الذي وضعه عند الفتح، داخل في الجامع الكبير، جامع الجمعة.

الثاني: جامع عمر: الموجود في صدر الجامع الكبير من جهة المشرق، القريب من السور الشرقي، وهو بناء متأخر.

الثالث: المسجد العمري: الواقع في الجنوب من ساحة كنيسة القيامة والذي يظهر أنه بُني في زمن الملك الأفضل عليّ بن صلاح الدين، بعد وفاة أبيه، وبه منارة استجدت قبل سنة ٨٧٠هـ... والمسجد بُني سنة ٥٨٩هـ^(١).

* قصة لا تثبت :

ما تنقله المصادر المسيحية^(٢) من أن البطريرك صفرونيوس دعا عمر ابن الخطاب لتفقد كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) فلبّى الدعوة، وأدركته الصلاة وهو فيها، فالتفت إلى البطريرك، وقال له: أين أصلي؟ فقال: مكانك صلّ، فقال: ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة، فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون: هنا صلّى عمر، ويبنون عليه مسجداً وابتعد عنها رمية بحجر، وفرش عباءته وصلّى، وجاء المسلمون من بعده

(١) انظر «الأنس الجليل» (٤٦/٢).

(٢) مخطوط باليونانية وجده عبد الله التل في دير المصلبة في القدس، يُسجّل تفصيل حادث مجيء الخليفة عمر إلى القدس.

وبنوا على مصلاه مسجداً، وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا».

«وفي هذه القصة نظر:

أولاً: كون عمر بن الخطاب ذهب وحده إلى كنيسة القيامة، ولم يكن معه أحد من المسلمين.

ثانياً: كون عمر يذهب إلى الكنيسة، كنيسة القيامة، وفيها قبر عيسى عليه السلام، وهو يخالف اعتقاد المسلمين في عيسى عليه السلام.

ثالثاً: كون عمر يذهب إلى معبد فيه قبر، يخالف المنهي عنه، فقد جاء في الأحاديث لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

رابعاً: جعل السبب المانع عمر أن يصلي في كنيسة القيامة، أن لا يتخذه المسلمون مسجداً والحقيقة - إذا صحّ الخبر أن عمر امتنع من الصلاة فيها لوجود القبر فيها، ولوجود الصور والصلبان، ولا تصحّ الصلاة في هذا المكان»^(١).

✽ حدود المسجد الأقصى :

في العهد النبوي :

لا نملك وصفاً لما كان عليه المسجد قبل فتحه في عهد عمر - رضي الله عنه -، وكل ما نملكه من الأوصاف ما جاء في الأحاديث الصحيحة.

● قال الرسول ﷺ : «حتى أتيت بيت المقدس، فربطت البراق بالحلقة

التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد...».

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» لمحمد محمد حسن شراب ص (٣٤٦، ٣٤٧).

فقوله: «فربطت بالحلقة»: يوحى أن هناك حدوداً للمسجد، سور مثلاً، وأن من يأتي إلى المسجد بدابته يربطها عند مدخل المسجد، وأن هناك مواقف ومرابط للدواب...

ولكن لا يعني بالضرورة أن يكون للمسجد حينئذ باب مبوب، وجدران محيطة.. فالمسجد يُعرف بحدوده الأرضية، وإن لم يكن له سور وباب..

ومن الغريب أن عرب الجاهلية لم ينقلوا شيئاً عن وصف المسجد الأقصى، مع أنه جاء في الحديث أنهم تحدّوا رسول الله أن يصفه لهم، فامتحنوا صدقه؛ لأنهم كانوا يعرفونه.. فهذا يدل على أنه كانت له معالم يعرفها من أتاه.

فمعنى هذا أن المسجد الأقصى قد عدت عليه العوادي، وتأثر بالمتغيرات، وهُدم بناؤه فيما بعد، ولم يكن ليلة الإسراء مسجداً قائماً متكاملاً، وإنما كانت أساساته موجودة، وبعض أعمدته وأطلاله باقية، ومنها تلك الحلقة التي ربط بها رسول الله ﷺ البراق ليلة الإسراء، وقد سمى الله هذه الأطلال والأعمدة والأساسات مسجداً، وإن لم يكن بناءً قائماً حيث قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

فقد كان مسجداً قائماً من قبل، واستمر مسجداً قائماً مئات أو آلاف السنين، وكان يأتيه الأنبياء السابقون على دوابهم للصلاة فيه^(١).

(١) «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل» لإبراهيم العلي ص (٨٦).

* بعد الفتح العمري :

□ قال مجير الدين الحنبلي في «الأنس الجليل» (٢/ ٢٤):

«إن المتعارف عليه عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة، الجامع المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير.

وحقيقة الحال: أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور.. فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره، من قبة الصخرة والأروقة وغيرها مُحدثة والمراد بالأقصى بما دار عليه السور».

□ وقال في ذرع المسجد طولاً وعرضاً:

«وأما ذرع المسجد، فقد اجتهدت في تحريره، وتوليت ذلك بنفسي وقيس بحضوري بالحبال، فكان طوله، قبلة بشمال (من الجنوب إلى الشمال) من السور القبلي عند المحراب، إلى صدر الرواق الشمالي عند باب الأسباط ستمائة وستين ذراعاً بذراع العمل الذي تذرّع به الأبنية في عصرنا غير عرض السورين، وإن كان فيه زيادة أو نقص نحو ذراعين، أو ثلاثة فهي لاضطراب القياس، لبُعد المسافة، فإني قد احتطت في تحريره وقيس بحضوري مرتين، حتى تحققت صحة القياس.

وعرضه شرقاً بغرب من السور الشرقي المطلّ على مقابل باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي الذي هو أسفل مجمع المدرسة التنكزية أربع مئة ذراع وستة أذرع بذراع العمل غير عرض السورين. وكان هذا سنة ٩٢٠هـ فتكون المساحة $٦٦٠ \times ٤٠٦ = ٢٦٠,٧٩٦$

□ وقال محمد كرد علي سنة ١٩٢٥م: ووقع الحرم على مساحة مربعة،

طول الجهة الغربية ٤٩٠م، والشرقية ٤٧٤م، والشمالية ٣٢١م، والجنوبية

٢٨٣م يحيط بها سور، يختلف ارتفاعه بين ٣٠ متراً و ٤٠ متراً^(١).

تبلغ مساحة الأقصى وأسواره ومنشأته (١٤٠٩٠٠م مربع).

❑ تسلم الخليفة المفتاح من صفرونيوس وقام بدوره بتسليمه إلى عبدالله بن نسيبة وهو من الأنصار، وظل هذا المفتاح تتوارثه هذه الأسرة^(٢).

❑ «وأول من أمّ المسلمين بعد عمر بن الخطاب في المسجد الأقصى: سلامة بن قيسر، اختلفوا في صحبته، حيث عينه عمر على الصلاة في بيت المقدس.

ونقل ابن حجر في «الإصابة» أنه مات بالقدس، وقبره بها، وكان علقمة بن مجرز مشرفاً على شؤونها العسكرية، وهو صحابي، وكان يزيد بن أبي سفيان عاملاً على إدارة بيت المقدس»^(٣).

* فتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - سنة ١٩ هـ:

بدأت العمليات تجاه قيسارية حين نزل بها عمرو بن العاص في جمادى الأولى ١٣ هـ يولية سنة ٦٣٤م فكان يقيم عليها ما أقام، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم سار إليهم.

فشهد أجنادين وفحل بيان ومرج الصفر واليرموك، ثم رجع إلى فلسطين فحاصر قيسارية بعد فتح القدس. وخرج عمرو بن العاص إلى مصر من قيسارية دون أن يفتحها. وتولى أمرها يزيد بن أبي سفيان بعد

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص (٣٥١).

(٢) «القدس تناديكم» ص (١٤٥).

(٣) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص (٣٥٢).

وفاة أبي عبيدة، فوكل أخاه معاوية بمحاصرتها وتوجه هو إلى دمشق حيث توفي بها. وبقي معاوية في سبعة عشر ألفاً يعالج فتحها فحاصرها حتى كان فتحها في شوال ١٩هـ سبتمبر/ أكتوبر ٦٣٧م بعد أن كان يئس من فتحها.

وكان الروم يريدون الاحتفاظ بقيسارية موطئ قدم لهم على ساحل الشام الجنوبي في فلسطين، كانت قيسارية مدينة كبيرة، قالوا إن معاوية وجد بها ٧٠٠٠٠٠ من المرتزقة، ومن السامرة ٣٠٠٠٠ ومن اليهود ٢٠٠٠٠٠ ووجد بها ٣٠٠ سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة ألف. وقد تكون في الأرقام مبالغة، ولكنها تدل على أية حال على كبر حجم قيسارية.

وكان على الروم رجل اسمه أبني فكان يزاحف معاوية، ولا يزاحفه مرة إلا غلبه معاوية وأعادته إلى حصنه^(١). ثم كانت آخر مزاحفة فخرجوا من حصونهم، واقتتلوا في حفيظة^(٢) واستماتة، حتى بلغت قتلاهم في المعركة ٨٠٠٠٠ وأكملها في هزيمتهم ١٠٠٠٠٠.

وفي الليل أتى يهودي يدعى^(٣) يوسف إلى المسلمين فدلّهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حقو الرجل على أن أمنّوه على نفسه وأهله. ودخلها المسلمون ليلاً وكبروا فيها، وأراد الروم أن يهربوا من ذلك السرب فوجدوا المسلمين عليه، وفتح الفريق الذي تسلل إلى داخل

(١) «البلاذري» (١٦٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٦٠٤/٣).

(٣) حفيظة، أي: غضب.

(٤) «البلاذري» (١٦٨).

المدينة بابها فدخل معاوية ومن معه، وكان فيها عدد من العرب. وقد بلغ سبي قيسارية ٤٠٠٠ رأس بعث بهم معاوية إلى عمر فأنزلهم الجرف.

وبعث معاوية بالفتح إلى عمر مع رجلين من بني الضبيب من جذام، ثم خاف ضعفهما عن المسير فبعث بعدهما رجلاً من خثعم، فكان الخثعمي يجهد نفسه في السير ليلاً ونهاراً.

وفي رواية: أنه بعث بعد الجذاميين عبد الله بن علقمة الفراسي وزهير بن الحلاب الخثعمي، فلحقاهما وطويهما وهما نائمان.

دخل البشير على عمر فكبر وكبر المسلمون، ونادى عمر أن قيسارية فتحت قسراً فأبأت المسلمون بالمدينة على الفرح ليلاً وحمد الله، وقال للناس: لتحمدوا الله على فتح قيسارية^(١).

بيت المقدس في عهد الخلافة الأموية

❦ في عهد معاوية - رضي الله عنه -:

لم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين، وأوائل خلفاء الدولة الأموية على الاستيطان بالقدس^(٢).

ولقد نودي بالبيعة لمعاوية - رضي الله عنه - في مدينة القدس، ولكنه اختار مدينة دمشق عاصمة لخلافته بعد البيعة التي كانت سنة ٤٠ في مدينة القدس^(٣).

(١) «الطريق إلى دمشق» لأحمد - ذل كمال ص (٥٣٤ - ٥٣٥).

(٢) «القدس مدينة الله». أم مديّة داود» للدكتور حسن ظاظا ص (٩٧) - دار القلم دمشق.

(٣) «تاريخ الطبري» (٩٣/٦).

* في عهد عبد الملك بن مروان :

ذهب كثير من المؤرخين: الطبري، وابن خلدون، وابن الأثير، وابن كثير أن الوليد بن عبد الملك هو الذي أنشأ قبة الصخرة، وجامع الجماعة في المسجد الأقصى.

وانفرد اليعقوبي وسبط ابن الجوزي بنقل خبر بناء عبد الملك قبة الصخرة والمسجد^(١).

رواية اليعقوبي كذب صراح :

مما قاله اليعقوبي :

«منع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك، منعهم من الخروج إلى مكة، فضجّ الناس، وقالوا: تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا؟

فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس».

وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام!!

وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة!!

فبنى على الصخرة قبة، وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدة.

(١) انظر: «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص (٣٥٧).

وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما تطوف حول الكعبة!! وأقام بذلك أيام بني أمية.

ألا قاتل الله الكذب وأهله، فاليعقوبي كذاب خبيث يتدين بكره بني أمية، عقيدة وسياسة ويبيح الكذب عليهم، ومن له أدنى مسكة من عقل يعلم كذب اليعقوبي على عالم فقيه من علماء المسلمين وهو عبدالملك بن مروان قبل كونه خليفة للمسلمين.

* ضعف رواية سبط ابن الجوزي :

ومن اعتمد كذبة اليعقوبي سبط ابن الجوزي في كتابة «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان».

□ قال عنه ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/٣٢٨): ألفت كتاب «مرآة الزمان» فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه ثقة فيما ينقله، بل يحنق ويجازف ثم إنه ترقص.

□ قال صاحب «مرآة الزمان» :

في سنة ٦٦هـ ابتدأ عبد الملك بناء القبة والجامع . . وكملت عمارته سنة ٧٣هـ وفي هذه الرواية نظر لأن عبد الملك تولّى الخلافة في رمضان سنة ٦٥هـ ويوم تولّى الخلافة لم تكن فلسطين تابعة له، وبقيت مدة من سنة ٦٦هـ وهي خارجة عن سلطانه.

□ قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: قال خليفة: مات يزيد بن معاوية وعلى الأردن حسّان بن مالك، وعلى فلسطين روح بن زنباع، فأخرج ناتل بن قيس روح بن زنباع، ودعا إلى ابن الزبير.

□ وقال السكّري: خرج ناتل على عبد الملك، فبعث إليه عمرو بن سعيد فقتله وحكى عن الليث أنه قُتل سنة ٦٦هـ.

فكيف يبدأ البناء والقدس خارج عن سلطانه؟!
قد يُقال: لعله استرجع فلسطين في منتصف سنة ٦٦هـ فبدأ في
البناء بعدها.

الجواب: لا يكون هذا، لأن البناء يحتاج إلى مدة استقرار،
والشهور أو السنوات التي تلي الفتنة تكون متأثرة بالفتنة^(١).

✽ القول الأول بأن باني قبة الصخرة وجامعها هو عبد الملك بن
مروان:

قال المنهاجي السيوطي في «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد
الأقصى» (١/ ٢٤١ - ٢٤٢):

روي عن جابر بن رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولى عبد الملك
ابن مروان أن عبد الملك حين همّ ببناء صخرة المقدس والمسجد الأقصى
قدم من دمشق إلى بيت المقدس وبث الكتب في جميع عمله وإلى سائر
الأمصار أن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة بيت المقدس تكن المسلمين من
الحرّ والبرد، وكره أن يفعل ذلك دون رأي رعيته، فكتبت الرعية إليه
برأيهم، وما هم له عليه، فوردت الكتب عليه من عمال الأعمال برأي
أمير المؤمنين رأيّه موفّقاً رشيداً، ونسأل الله تعالى أن يتم له ما نوى من
بنايته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة له،
ولن مضى من سلفه. قال: فجمع الصناع من عمله كله، وأمرهم أن
يصنعوا له صفة القبة، وسمتها من قبل أن يبنوها فكرّست له في صحن
المسجد، وأمر أن يبني بيت المال في شرقي الصخرة، وهو الذي على

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص (٣٦٠ - ٣٦٢).

حرف الصخرة، فبنى وأشحن بالأموال، ووكل على ذلك رجاء بن حيوة
 ويزيد بن سلام، وأمرهما بالنفقة عليها، والقيام بأمرها، وأن يفرغوا المال
 عليها إفراغاً دون أن ينفقوه إنفاقاً، وأخذوا في البناء والعمارة حتى أحكم
 العمل، وفرغ البناء، ولم يبق لتكلم فيه كلام، وكتبنا إليه بدمشق: قد
 أتم الله تعالى ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة الصخرة ببيت المقدس،
 والمسجد الأقصى، ولم يبق لتكلم فيه كلام. وقد بقي مما أمر به أمير
 المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء، وأحكم مائة ألف دينار
 فيصرفها أمير المؤمنين في أحب الأشياء إليه»، فكتب إليهما: قد أمر أمير
 المؤمنين بها لكما جائزة لما قمتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك»
 فكتبنا إليه: «نحن أولى أن نزيد من حليّ نسائنا فضلاً عن أموالنا،
 فاصرفها في أحب الأشياء إليك»، فكتب إليهما بأن «تُسبك وتفرغ على
 القبة فسُبكت وأُفرغت فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب».

وقال الدكتور حسن ظاظا: «سُمح لليهود بالاستيطان بالقدس في
 أيام الخليفة عبد الملك بن مروان الذي بنى المسجد الجامع، وبنى مسجد
 قبة الصخرة سنة ٦٨هـ، وكان في فناء الحرم على أيامه عشرة من اليهود
 يقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير إعفائهم من الجزية»^(١).

✽ القول الثاني: باني قبة الصخرة وجامعها هو الخليفة الوليد بن
 عبد الملك:

وهو أرجح الأقوال. ولقد أوقف الوليد خراج مصر لسبع سنين
 لتشييدهما. ويمكن الجمع بينهما بأن عبد الملك أمر بالبناء، أو بدأ البناء

في عصره، وتم في عصر الوليد.

وقبة الصخرة من أروع ما وصل إليه المجهود الإنساني في فن العمارة.

* في عهد سليمان بن عبد الملك :

لما وكي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد أخيه الوليد في سنة ٩٦هـ أتى بيت المقدس، وأتته الوفود بالبيعة فلم ير وفادة كانت أهنأ من الوفادة إليه. ولقد ترك في دمشق أخاه الأصغر، وحضر إلى القدس، وهو ينوي أن يجعلها عاصمة للخلافة الإسلامية، ثم عدل عن ذلك.

وذكر مجير الدين في «تاريخه» أن المكلفين على عهده بإنارة المسجد الأقصى كانوا من الخدم اليهود، إلى أن تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز فصل اليهود من هذه الأعمال، وجعل خدام الحرم جميعاً من المسلمين^(١).

* من مرّ بالقدس أو سكنها أو مات بها من أعيان الأمة وصالحوها :

القدس معدن الأنبياء ومهبط الوحي والملائكة، ما من شبر فيها إلا وشرف بمرور ملك، أو نبي أو رسول، درج في ربوعها الصديقون والصالحون، وتعطّرت أنفاسها بعبق الوحي الإلهي.

قام فيها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، ودخلها يوشع بن نون، ثم قام فيها داود وسليمان، وإلياس، واليسع، وأشعيا، وأرميا، وحزقيال، ودانيال، وزكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم صلوات ربي وسلامه عليهم، وشعّت فيها أنوار خاتم المرسلين ﷺ.

(١) «القدس مدينة الله أم مدينة داود» ص (٩٨).

قال ابن الجوزي: «وفي الأرض المقدسة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام».

* ذكر من دخلها أو مرّ بها أو سكنها أو توفّي بها من الصحابة والتابعين وصاحبي الأمة وهذا من فضلها:

نذكر هذا حتى لا يفرط فيها من يرعى لهؤلاء ودّاً ويحفظ لهم عهداً.
قد يهون العمر إلا لحظة وتهون الأرض إلا موضعاً

* من دخلها من أعيان الصحابة:

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

أهذه القدس والأقصى يزورها
مسرى النبي أفيها ساجد عمر
أم أورشليم يهوذا بات يحكمها
وهيكل الظلم في أحضانها نضر
قال أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - انطلق يريد الصلاة بيت المقدس، فأدركه أجله بفحل فتوفي بها.

وسعد بن أبي وقاص، وأبو الدرداء، وسعيد بن زيد، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبو ذر، وسلمان الفارسي في رحلته بحثاً عن الحق قبل الإسلام، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان، وعياض بن تميم، وعبد الله بن سلام، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وسكن بها وبدمشق، وأبو مسعود الأنصاري عتبة بن عمرو البصري، وعقبة ابن عامر الجهني، وأبو جمعة الأنصاري حبيب بن سباع، وعبادة

ابن الصامت: سكن بيت المقدس، ودفن ببيت المقدس.

□ وشداد بن أوس ابن أخي حسان بن ثابت ممن أوتي العلم والحلم، ومات ببيت المقدس.

□ وأبو ريحانة مولى رسول الله ﷺ سكن بيت المقدس، وكان يقضي في المسجد الأقصى.

□ وتميم بن أوس الداري، وكان أميراً على بيت المقدس، وهو الصحابي الذي تفرّد برؤية المسيح الدجال.

□ والشريد بن شريد، وابن أبي جدعا التميمي.

□ وفيروز الديلمي قاتل كذاب اليمن الأسود العنسي.. سكن بيت المقدس.

□ وذو الأصابع التميمي سكن بيت المقدس، وأبو محمد النجاري.

□ وأبو أبي بن أم خزام آخر الصحابة موتاً ببيت المقدس.

والذي أعقب من الصحابة ببيت المقدس عبادة بن الصامت، وشداد ابن أوس، وسلامة بن قيصر^(١)، وفيروز الديلمي، والذي لم يعقب أبوريحانة، وذو الأصابع، وأبو محمد النجاري.

□ ومنهم وائلة بن الأسقع تحوّل إلى بيت المقدس ومات به.

□ ومحمود بن الربيع.

□ وأم المؤمنين صفية بنت حيي - رضي الله عنها -.

□ وعصيف بن الحارث - رضي الله عنهم جميعاً -.

(١) أنكر أبو زرعة وابن عبد البر أن تكون له صحبة.

* وأما من التابعين ومن بعدهم :

فأويس القرني، وكعب الأحبار، وعبيد عامل عمر بن الخطاب، وعمر بن سعيد، ويعلى بن شداد، وجبير بن نفير الحضرمي، وأبو نعيم المؤذن أول من أذن بيت المقدس، وأبو سلام الحبشي، وخالد بن معدان الكلاعي العبد الصالح، وعبد الرحمن بن تميم الأشعري، وأم الدرداء كانت تجالس المساكين بيت المقدس.

وأبو العوام مؤذن بيت المقدس، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الله بن محيريز، وهاني بن كلثوم العبّاد الربّانيون، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك.

قال إبراهيم بن أبي عبلة: رحم الله الوليد، وأين مثل الوليد كان يعطيني قصاع الفضة فأقسمها على قراء بيت المقدس، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ومحارب بن دثار، وإبراهيم بن أبي عبلة، وعبد الله بن فيروز المقدسي، ورجاء بن حيوة، وعبد الله بن فيروز المقدسي، ومحمد بن واسع، ومالك بن دينار، وعبد الواحد بن زيد، وسليمان التيمي، ورابعة العدوية قبرها بظاهر القدس الشريف على رأس طور زيتا.

وأبو الحسن النهراني الأندلسي كان مقيماً بيت المقدس، وإبراهيم ابن محمد بن يوسف، وأبو عقبة الخواص عباد بن عباد الأرسوفي، وثور بن يزيد، وإبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد، وأبو جعفر المنصور، والمهدي الخليفة العباسي وويع بن الجراح، ومحمد بن إدريس الشافعي، والمؤمل بن إسماعيل البصري، وصالح بن يوسف أبو شعيب المقنع العبد الصالح، وبشر بن الحارث الحافي.

□ قال - رحمه الله -: ما بقي عندي من لذات الدنيا إلا أن أستلقي على جنبتي تحت السماء بجامع بيت المقدس . وقيل له : لم يفرح الصالحون ببيت المقدس؟ قال : لأنها تذهب بهم، ولا تستعلي النفس بها^(١) .

وعبد الله بن عامر العامري، وأبو الحسن علي بن محمد الجلا البغدادي، والإمام الطرطوشي، والإمام الغزالي، وأبو الغنايم محمد بن علي بن ميمون الكوفي، والإمام أبو بكر محمد بن عبد الله المقري الأشبيلي الحافظ، وأبو عبد الله الديباجي، وأبو الحسن الطوسي، وأبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري الفقيه المالكي، وأبو بكر محمد بن أبي بكر الجرجاني، وأبو الحسن علي بن محمد المغافري، وأبو سعد بن عبد الكريم السمعاني، والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، والشيخ الزاهد أبو عمر المقدسي، والضياء المقدسي، والعماد المقدسي، وابن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة وصاحب «المغني»، والحافظ الأثري عبد الغني المقدسي . . .

ولو أردنا أن نترجم لكل من نسب إلى بيت المقدس لاحتجنا إلى مجلدات، ولو اكتفينا بتقديم إحصاء لمن نُسب إلى بيت المقدس ممن عمل، أو أثر، أو تأثر بالعيش في بيت المقدس، معتمدين على ما أحصاه مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل»، وغيره من المراجع لوجدنا:

١ - الصحابة الذين سكنوا القدس، أو زاروه، أو شدوا الرحال إليه

(١) «إنحاف الأخصا» (٢/ ٥١).

يزيد عددهم على عشرين صحابياً .

٢ - من التابعين ومن تبعهم حتى الاحتلال الصليبي حوالي ثمانين عالماً .

٣ - بعد الفتح الصلاحي إلى سنة ٩٠٠هـ حوالي ستمائة عالم .

٤ - في العصر التركي بعد سنة ٩٠٠هـ إلى نهاية القرن الثاني عشر

الهجري حوالي مائة عالم .

٥ - وفي القرن الرابع عشر :

يوسف بن ضياء الخالدي ، وروحي الخالدي رائد البحث التاريخي

الحديث في فلسطين ، ومحمد بن كامل بن طاهر الحسيني مفتي القدس ،

وخليل جواد الخالدي ، وعبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل سنة

١٩٤٨م ، وعارف العارف المؤرخ المشهور والحاج أمين الحسيني مفتي

فلسطين ، وعز الدين القسام .

هذه الأرض المباركة الولود ليست بعقيم .

يا قدسُ رجالك ما ماتوا ما عقت أم الفتيان

* بيت المقدس في العصر العباسي :

في سنة ١٣٠هـ أواخر العهد الأموي ، حدث زلزال ، سقط بسببه

شرقي المسجد وغربيّه .

ولما زار الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة القدس سنة ١٤١هـ قيل

له : «يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه زمن الرجفة في سنة

ثلاثين ومائة فلو أمرتنا ببناء هذا المسجد وعمارته؟ فقال : ما عندي شيء

من المال ، ثم أمر بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت على الأبواب

فقلعت وضربت دنائير ودراهم وأنفقت عليه حتى فرغ منه»^(١).

□ قال ابن كثير: وكان المسجد طويلاً، فأمر أن يؤخذ من طوله ويُزاد في عرضه، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وستون ذراعاً وعرضه أربعمائة وستون ذراعاً^(٢).

□ وفي سنة ١٥٨هـ - ٧٧٤م وقع البناء الذي أقامه المنصور، بسبب زلزال آخر. فأمر الخليفة المهدي بإعادة بنائه، فبني المسجد هذه المرة بعناية كبيرة، وأنفقت عليه أموال طائلة.

روى صاحب «الأنس الجليل» في كتابه (١/١٨١): «لما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق، ومعه أبو عبيد الله الأشعري كاتبه، فقال: يا أبا عبيد الله! سبقتنا بنو أمية بثلاث. فقال: وما هي يا أمير المؤمنين، فقال: بهذا البيت - يعني مسجد دمشق - ولا أعلم على ظهر الأرض مثيله، ونُبل الموالي، فإن لهم موالي ليس لنا مثلهم. وبعمر ابن عبد العزيز لا يكون والله فينا مثله أبداً، ثم أتى بيت المقدس، فدخل قبة الصخرة، ثم قال: يا أبا عبيد الله، وهذه رابعة».

□ وفي أواخر سنة ٢١٦هـ. زار الخليفة المأمون العباسي، بيت المقدس في طريقه إلى مصر، وأمر بترميم ما يحتاج إلى إصلاح في منشآت المسجد الأقصى، وكانت قد حصلت زلزلة ثالثة بعد إصلاح المهدي، فأصاب المسجد خراب، فأمر المأمون بتوزيع بنائه على أمراء الأطراف وسائر القواد، وقام بالبناء قائده عبد الله بن طاهر بعد سنة ٢١٠هـ، وظل

(١) «إتحاف الأخصا» ص(٢٤٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/٢٨١).

المسجد الأقصى ومسجد الصخرة محميّان تحت كنف دولة العباسيين حتى انتهى عصرها.

* بيت المقدس في العصر الطولوني ثم الإخشيدى ثم الفاطمي العبيدي:

دخلت فلسطين في حكم الطولونيين من سنة ٢٦٤هـ حتى سنة ٢٩٢هـ: ٨٧٨م - ٩٠٥م - وعادت إلى عهد الولاة العباسيين من سنة ٢٩٢هـ حتى سنة ٣٢٣هـ ثم دخلت تحت حكم الإخشيديين من سنة ٣٢٣هـ حتى سنة ٣٥٨هـ. وفي مدة حكم هاتين الأسرتين، لم يذكر التاريخ لهنّ مآثر في بيت المقدس أو في المسجد الأقصى؛ لأن الفتن والأحداث والقتال لم يتركهنّ يتفرّغون لبناء المآثر. وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين، بدليل أن ملوكهنّ جميعاً دفنوا فيها بناء على وصاياهم.

وفي سنة ٣٥٩هـ وقعت القدس تحت طائلة الحكم العبيدي الفاطمي في عهد المعز لدين الله، وعمل هؤلاء العبيديون الشيعة على تقريب اليهود والنصارى في فلسطين، وتزاجوا منهم، واتخذوا منهم الوزراء والمستشارين والأطباء، وازدادت هذه الظاهرة في عهد العزيز بالله الذي تزوّج من امرأتين نصرانيتين، كانت إحداهما أم ولده الذي تولى الحكم سنة ٣٨٦هـ ولُقّب بالحاكم بأمر الله الفاطمي، ولقد عمل هذا الخبيث على تقريب النصارى أكثر وأكثر، ولا عجب من أمثاله في ذلك، فقد كانت أمه وجاريته نصرانيتين، وتلقّى تربيته وعلمه على أيدي النصارى، وعيّن شقيق جاريته النصراني أسقفًا بالقدس، وكان وزيره (عيسى بن نسطور) نصرانيًا، وطبيبه (أبو الفتح منصور بن معشر)

نصرانيًا، وكان نائبه في سوريا يهوديًا. ولكن على رغم كل ذلك عاد الخليفة العبيدي (الحاكم بأمر الشيطان) فانقلب على النصارى وعلى اليهود، ثم رجع مرة أخرى إلى تقريبهم واسترضائهم.

□ وفي عهد الخليفة العبيدي الظاهر والخليفة المستنصر بالله أبرمت المعاهدات بين الدولة الفاطمية والدولة الرومية البيزنطية النصرانية، وأدى هذا إلى رواج وانتعاش الوجود النصراني في المدينة المقدسة، وفتح ذلك أعين النصارى على الاستيلاء على هذه الأرض فيما بعد.

□ وفي عام ٤٦٥هـ بعث ألب أرسلان السلجوقي بجيش إلى فلسطين استطاع به أن ينتزعها من يد الدولة الفاطمية وأقام الدعوة العباسية بالقدس.

□ ثم استعاد الفاطميون القدس من السلجوقيين مرة أخرى عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م في زمن الخليفة الفاطمي المستعلي بالله.

وكانت القدس وقتها بيد أميرين من السلاجقة - والصليبيون يومها في أطراف الشام - فجاء أمير الجيوش الفاطمي في هذه الأيام يحارب الأميرين ليرجع القدس إلى الحماية الفاطمية، وكان له ما أراد بعد أن قُتل في هذا السبيل آلاف من المسلمين.

كان البيت المقدس، لتاج الدولة تتش «السلجوقي» وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني، فلما ظفر الفرنج بالأتراك السلاجقة على أنطاكية وقتلوا فيهم. وضعفوا، وتفرقوا. فلما رأى المصريون «الفاطميون» ضعف الأتراك ساروا إليه، مُقَدِّمُهُمُ الأفضل بن بدر الجمالي (أمير الجيوش) وحصروه وبه الأميران سقمان، وأليغازي، ابنا أرتق وابن عمهما سونج، وابن أخيهما ياقوتي، ونصب عليه نيقًا وأربعين منجنيقًا،

فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال والحصار نيقاً وأربعين يومًا، وملكوه بالأمان في شعبان سنة ٤٨٩هـ... واستتاب المصريون في القدس رجلاً يعرف بافتخار الدولة»^(١).

* الاحتلال الصليبي للقدس ٤٩٢-٥٨٣هـ (١٠٩٩-١١٨٧م):

□ سقطت القدس في أيدي الصليبيين في وقت كان المسلمون فيه أضعف ما كانوا.

في بغداد كانت الخلافة العباسية في أضعف أحوالها لا حول لها ولا قوة.

وتفككت الدولة السلجوقية وانقسمت إلى خمس دول سلجوقية متنافسة متصارعة.

وعلا أمر العبيدين المبتدعة وفشا الفكر الباطني في الشام وساد أهل البدع.

وتفرقت البلاد إلى دول صغيرة قد لا تزيد رقعة الواحدة على قلعة وناحية من الأرض تحيط بها، وكان هؤلاء الحكام دائمي التنازع والعدوان على بعضهم البعض.

ولم يكن لأحدهم همٌ إلا في بطنه وفرجه كما يقول أبو شامة في كتاب الروضتين (١/١٤)، مما سهّل على الصليبيين دخول البلاد.

سيذكر التاريخ أن بطرس الناسك اجتمع بشمعون بطريك القدس وشكى^(٢) له الأول أحوال المسيحيين وأجابه بطرس قائلاً: «اعلم أيها

(١) «الكامل» لابن الأثير (٨/١٨٩).

(٢) على حد زعمهم الباطل كما يصوره وليم رئيس أساقفة صور وكبير مستشاري ملك القدس في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» ص (١٦٣).

الأب المقدس أنه لو كان لدى الكنيسة في روما، والملوك في الغرب أي مخبر حذر وموثوق يخبرهم بالمصائب التي تكابدونها^(١) لكانوا سيحاولون حتمًا تقديم العلاج بالسرعة الممكنة وبالقول والفعل لمصاعبكم هذه. ولذلك اكتب أنت بكل اجتهاد إلى البابا العظيم وإلى الكنيسة في روما، واكتب أيضًا إلى ملوك وأمراء الغرب، وصادق على الرسالة بخاتم سلطانك الكهنوتي، وبالحقيقة - إنني لمداواة روحي - لن أتوانى عن الاضطلاع بهذه المهمة...»^(٢).

وهكذا كتب بطريك القدس الخائن الرسالة وسلّمها لبطرس الناسك. وجاب بطرس الناسك إيطاليا بأجمعها، وعبر جبال الألب، وزار جميع ملوك أوربا مؤكدًا وموبخًا ومنتقدًا، واستقبل البابا أوربان بطرس الناسك، «ووعده مقسمًا بالرب الذي هو عبد له بأن يؤازره في المهمة التي جاء من أجلها كلما سنحت له الفرصة»^(٣).

دعا البابا أوربان الثاني الجماهير المسيحية في مؤتمر كليرمونت سنة ١٠٩٥م إلى الحروب الصليبية قائلاً:

«يا شعب الفرنجة! شعب الله المحبوب المختار! لقد جاءت من تخوم فلسطين ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسًا لعيّنًا أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد بلاد المسيحيين، وخرّبها بما نشره فيها من أعمال السلب والخراب، ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع

(١) وهذا من كذب الأسقف وليم.

(٢) «تاريخ الحروب الصليبية» ص (١٦٤).

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» ص (١٦٧).

تعذيب، وهم يهدمون المذابح والكنائس بعد أن يدنسوها برجسهم، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان فانترعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تقع عليكم أنتم - أنتم يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال وبالبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟

ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يُقوّي قلوبكم - أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم - فليثر همّتكم ضريح المسيح المقدس ربنا^(١) ومنقذنا، الضريح الذي تملكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لُوّثت ودُنّست، لا تدعوا شيئاً يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم، ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، ويلتهم بعضكم بعضاً، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث^(٢) وتملكوها أنتم، إن أورشليم أرض لا نظير لها في

(١) «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً». ما المسيح بن مريم إلا عبد الله ورسوله، رفعه الله إليه وسيعود آخر الزمان ليحطم الصليب ويقتل الدجال ويضع الجزية.

(٢) «قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر».

ثمارها، هي فردوس المباهج، إن المدينة العظيمة القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا أنكم ستنالون من أجل ذلك مجد لا يفنى في ملكوت السماوات»^(١).

□ يقول وليم رئيس أساقفة صور في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» بعض ما جاء في موعظة البابا - حسب روايته - :

«إن مهد عقيدتنا^(٢) وموطن ربنا وأم الخلاص يستولي عليها الآن بكل قوة شعب بدون رب، إنه ابن لجارية مصرية^(٣)، وهو يفرض شروطاً مفرطة في شدتها على الأبناء الأسرى للمرأة الحرة^(٤)، وذلك على الرغم من أنه هو المستحق لهذه الأحوال...

لقد اضطهد عرق السراسنة^(٥) الشرير التابع للمعتقدات الخرافية^(٦) النجسة لسنوات عديدة وبكل عنف واستبداد - الأماكن المقدسة حيث ارتكزت أقدام ربنا، وأخضع المؤمنين^(٧) لرغباته، وحكم بالعبودية عليهم، ولقد دخلت الكلاب الأماكن المقدسة، وجرى تدنيس المقدسات، وإذلال الناس عبدة الرب...

(١) انظر: «قصة الحضارة» لول ديورانت (١٥/١٥ - ١٦) الترجمة العربية بقلم محمد بدران، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» للدكتور محمد ماهر حمادة مؤسسة الرسالة.

(٢) أي: القدس.

(٣) أي: المسلمون باعتبار أن أمهم هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

(٤) أي: سارة أم إسحاق عليه السلام.

(٥) أي: العرب المسلمون.

(٦) يقصدون بذلك الإسلام.

(٧) أي: النصارى.

إن معبد الرب الذي طرد منه - بغيرته - الذين باعوا واشتروا، حتى لا يصبح بيت أبيه مغارة للصوفس، قد جعل بيتاً للشياطين...

إن مدينة ملك الملوك التي نقلت إلى الآخرين مبادئ عقيدة عصماء^(١) تُدفعُ على الرغم من إرادتها لتكون خاضعة لدعاوى الشعوب المنحطة. كما أن كنيسة القيامة المقدسة مكان الاستراحة الأخير للرب النائم تتحمل حكمهم، وقد دسستها قذارة الذين ليس لهم نصيب في القيامة، بل مقدر عليهم أن يُحرقوا للأبد كالقش بالأسنة النيران السرمدية...

لنذهب إلى نجدة إخواننا لنقطع قيودهم ولنطرح عنهم ربطهم، اذهبوا وليكن الرب معكم، وجّهوا أسلحتكم التي لطّختموها بشكل محرم في ذبح بعضكم بعضاً إلى أعداء العقيدة وأعداء اسم المسيح...

عليكم أن تكبحوا بكراهية قويمة غطرسة الكفرة^(٢) الذين يحاولون استعباد الممالك والإمارات والقوى، وأن تهاجموا بكل قوتكم أولئك العاقدى العزم على تدمير الاسم المسيحي، وإلا فسيحدث أن كنيسة الرب التي تكابد الآن من نير العبودية المجحفة ستعاني خلال فترة قصيرة من خسارة العقيدة وستتصر خرافات الوثنيين. ولقد رأى بعضكم بأم عينيه هذه الأشياء التي نتحدث عنها الآن، ويعرف نوع المحنة التي يعيش إخواننا فيها، وإن كتابهم الذي أحضره باليد بطرس الرجل المبجل الموجود معنا هنا ينطق بمحتوى هذه الرسالة ذاتها.

(١) كذبوا... بل هو الكفر الصراح الموجب للخلود في النار ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هداً. أن دعوا للرحمن ولداً﴾.

(٢) أي: المسلمين.

وبناء عليه نقوم واثقين برحمة الرب، وبسلطان الرسل المباركين بطرس وبولص بمنح المسيحيين المؤمنين الذي يحملون السلاح ضد الملحدين ويتولون القيام بأعباء هذا الحج مغفرة للعقوبات المفروضة عليهم بسبب خطاياهم، وليثق الذين سيرحلون إلى هناك بتوبة صادقة أنهم سيلاقون التكفير عن آثامهم وسيجنون ثمار الجزاء السرمدى. ونضع في الوقت نفسه تحت حماية الكنيسة وحماية بطرس وبولص المباركين جميع الذين سيشارون هذه المهمة بحماسة الإيمان ويتولون قتال الملحدين... (١)

إلى آخر ما جاء في موعظته.

يقول أسقف صور: «ويمكن القول بالفعل بأن قول الرب كان يتحقق حيث يقول: «ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» (٢).

حيث انفصل الأزواج عن زوجاتهم، والزوجات عن أزواجهن، والآباء عن أبنائهم، والأبناء عن آبائهم، فروابط الحب كلها لم تصمد أمام هذه الحماسة، وخرج العديد من الرهبان من أديرتهم، كما تركوا صوامعهم، حيث كانوا قد عزلوا أنفسهم لخدمة الرب (٣).

واندفعت الحشود الكافرة الموتورة يدفعها الحقد الصليبي، واستطاعوا أن يؤسسوا في بلاد الشام ثلاث إمارات صليبية:

□ إمارة الرها أسست في ١٠/٣/١٠٩٨م وكان سقوط الرها على

يد بلدوين.

(١) «تاريخ الحروب الصليبية» ص (١٦٩ - ١٧٣).

(٢) متى: (٣٤/١٠).

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» ص (١٧٤).

□ وإمارة أنطاكية أسست في حزيران من السنة نفسها، وكان سقوط أنطاكية على يد بوهيموند.

وأرسل خليفة الفاطميين الخائن أفراداً من أسرته يعرض على الصليبيين دعمه العسكري وموارده ويرجوهم أن يطيلوا الحصار على أنطاكية، وأن لا يتركوها حتى تقع في أيديهم..

□ هؤلاء الصليبيون لا نحاكمهم إلا من خلال كلامهم.. ما فعلوا بين معرة النعمان وأنطاكية أكلوا لحوم المسلمين.

قال وليم أسقف مدينة صور في كتابه: «تاريخ الحروب الصليبية» ص(٣٨٣): في حديثه عن جيش الصليبيين: «ومن المؤكد أيضاً - وعلى الرغم من أن هذا غير معقول تماماً - أن الكثيرين قد هؤوا بسبب نقص الطعام المناسب، إلى مهاوٍ سحيقة إلى درجة أنهم أكلوا اللحم البشري».

□ وأخذوا القدس وأسسوا فيها إمارة سنة ١٠٩٩ م.

ومما يزيد الأمر سوءاً، أن أمراء القلاع والمدن من المسلمين، كانوا يتعاونون مع هؤلاء الغزاة، ويقدمون لهم الأموال وهم في طريقهم إلى القدس.

□ وفي الطريق إلى القدس استولى الصليبيون على قيسارية حاضرة فلسطين الثانية، وأخذوا أرسوف ويافا ثم وصلوا إلى اللد، واحتلوا الرملة ثم حاصروا القدس.

✽ حصار القدس وسقوطها والمذابح التي تمت بها:

استناب الفاطميون في القدس رجلاً يُعرف بافتخار الدولة.. فقصدته الفرنج بعد أن حاصروا عكا فلم يقدروا عليها، فلما وصلوا إلى

القدس حصروه نيّفاً وأربعين يوماً ونصبوا عليه بُرجين، أحدهما من ناحية صهيون^(١)، وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به، فلما فرغوا من إحراقه، أتاهم المستغيث بأن المدينة قد مُلِكت من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال، ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢هـ. وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود^(٢)، فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسَلّموه إليهم. . وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف^(٣).

* خيانة الفاطميين الزنادقة لبيت المقدس نسجلها للتاريخ :

بدأ حصارُ مدينة القدس ١٠٩٩/٦/٧م، ودخل الصليبيون البلدة المقدسة ١٠٩٩/٧/١٥م. وعلى هذا فقد دام الحصار أكثر من شهر، وقد وصلت هذه الحملة إلى شمال سورية عام ٤٩١هـ - ١٠٩٨م، فبين دخول الحملة شمال سورية، إلى يوم دخولها القدس لا يقل عن عشرة أشهر. وفي شهر آذار ١٠٩٩م كانوا في طرابلس الشام. فحصار القدس لم يكن مفاجئاً لسلطين الفاطميين أصحاب الألقاب الفخمة الفارغة. ففي مصر: الخليفة المستعلي، وقائد جيوشها «أمير الجيوش الأفضل

(١) الحائط الجنوبي في السور.

(٢) محراب داود: بالقرب من باب الخليل في سور مدينة القدس في القلعة، وهو بعيد عن المسجد الأقصى.

(٣) «الكامل» لابن الأثير (١٨٩/٨).

ابن بدر الجمالي، ووزيرها الأفضل شاهنشاه، وفي القدس أميرها افتخار الدولة . . . أي والله!!!، ورحم الله الشاعر الأندلسي حين يقول:

مما يزهدني في أرض أندلسٍ ألقاب مُعتضدٍ فيها ومعتمدٍ
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهَرِّ يحكي انتفاخاً صولة الأسدِ
ماذا كان من افتخار الدولة يوم خرج من القدس؟:

أدرك افتخار الدولة عند العصر - من اليوم نفسه الذي دخل فيه الصليبيون - أن كل شيء قد ضاع، وأنه لا أمل في المقاومة فانسحب، بل التجأ إلى برج داود، الذي عرض أن يُسلمه إلى ريموند مع مبلغ من المال، مقابل الإبقاء على حياته، وحياة حرسه الخاص، فقبل ريموند الشروط، واحتل البرج، فخرج من المدينة تحت الحراسة افتخار الدولة مع حرسه، وانحازوا إلى الحامية الإسلامية بعسقلان.

. . إيه يا عار الدولة بل عار الدنيا ماذا فعلت؟

تُسلم الحصن، وتدفع المال، لتخرج سالماً مع حرسك، وتترك المسلمين يُقتلون، هكذا تكشف المصائب عن فسادكم وزندقتكم وأنكم أبداً الخنجر في ظهر الأمة، هلاً جرّدت الحامية العسقلانية التي هي على مرمى حجر من القدس.

أَيْنَ الحَمِيَّةُ وَالنَفْسُ الأَبِيَّةُ إِذْ سَامُوكَ خُطَّةَ خَسَفٍ عَارَهَا يَصْمُ
هَلَّا أَنْفَتَ حِيَاءٌ أَوْ مُحَافَظَةٌ مِنْ فِعْلٍ مَا أَنْكَرْتَهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
أَسْلَمْتَنَا وَسِیُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَلَمْ يَرَوْ سِنَانَ السَّمْهَرِيِّ دُمُ
وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالَاكَ فِي حَرَمٍ لَا يَعْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمُ
وَأَنْ جَارَكَ جَارٌ لِلْسُمُوءَالِ لَا يَخْشَى الْأَعَادِي وَلَا تَغْتَالُهُ النَّقْمُ

هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا لَا يُكْفِّرُهَا عُدْرٌ فَمَاذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ؟^(١)

□ بعد أن غنم افتخار الدولة حياته بالهرب وتبين للمسلمين انهيار أسباب دفاعهم، ولّوا الأدبار نحو الحرم الشريف، حيث قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ووطدوا العزم على أن يتخذوا من المسجد معقلهم الأخير، ولم يكن لديهم الوقت الكافي لأن يجعلوه صالحاً للدفاع، فانقضَّ «تانكرد» أثناء احتشادهم بداخل المسجد وفي أعلاه، فبادروا بالتسليم، وأخذوا علمه، ورفعوه فوق المسجد، ولكن «تانكرد» أخذ يعيثُ فساداً في قبة الصخرة يدمّر وينهب ما يشاء... ولم يكن علم تانكرد عاصماً لللاجئين إلى المسجد الأقصى من القتل، ففي الصباح الباكر من اليوم التالي (الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢هـ - تموز ١٠٩٩م) اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين، فأجهزت على جميع اللاجئين.

وحينما توجه «ريموند آجيل» في الضحى لزيارة ساحة المسجد، أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته. وساحة المسجد الأقصى تتسع لأكثر من مائة ألف مصل، فإذا أصبح ملجأً، فإنه يتسع لمئتي ألف إنسان.

وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبادهم وزُهادهم، ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف. وأخذوا من عند الصخرة نيقاً وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من الفضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا من

(١) الأبيات لأسامة بن منقذ يخاطب بها أحد أصحاب الألقاب في زمانه.

القناديل مائة وخمسين قنديلاً، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء^(١).

□ وعندما احتل الصليبيون القدس غيروا معالم المسجد، فاتخذوا جانباً منه كنيسة، وجانباً منه لفرسان الاسبتارية. وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جعلوه مستودعاً لذخائرهم، وحوّلوا قبة الصخرة إلى كنيسة.

□ قال «إسترنج» في كتابه «فلسطين في العهد الإسلامي»: استولى الصليبيون في ١٤ تموز ١٠٩٩م على المدينة المقدسة، واستولى فرسان الهيكل على منطقة الحرم، وقد اشتق هؤلاء الفرسان اسمهم من قبة الصخرة التي ظنّها المسيحيون هيكلًا منذ أيام المسيح، فدعوا أنفسهم فرسان الهيكل، وقد أحدث الهيكليون تغييرات كثيرة في المسجد الأقصى وفيما جاوره من أجزاء منطقة الحرم، لكنهم لم يمسّوا قبة الصخرة بسوء، فبنوا مستودع أسلحتهم مكان الأروقة المعمّدة التي وصفها ناصر خسرو، وبنوا إصطبلات خيولهم في أجزاء الزاوية الجنوبية الشرقية لمنطقة الحرم غربي مهد عيسى. وربما استعملوا البوابة الثلاثية أو المنفردة كمخرج لهم من تلك الأقيّة^(٢).

□ يقول عارف العارف:

«إن الإفرنج لم يغيّروا شيئاً من بناء مسجد الصخرة سوى أنهم قلبوه إلى كنيسة، ووضعوا به الصور والتماثيل، وأنشئوا على الصخرة مذبحاً^(٣) كما أنشئوا حول الصخرة سياجاً من الحديد المشبك، وكسوا

(١) انظر: «الكامل» لابن الأثير أحداث سنة ٤٩٢هـ.

(٢) «فلسطين في العهد الإسلامي» لإسترنج - الترجمة العربية ص (١١٥).

(٣) «مذابح الكنائس»: هي المواضع التي يقيم عليها الكهنة القدّاس.

الصخرة بالرخام، ونصبوا فوق القبة صليبا كبيرا.

وأما المسجد الأقصى، فقد غيروا الكثير من معالمه، واستعملوه لأغراضهم الدينية والأهلية والحربية، فاتخذوا جانبا منه كنيسة، والجانب الآخر مسكنا لفرسان الهيكل، وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جديداً، استعملوه مستودعاً لأسلحتهم. وأما السرايب القديمة التي كانت تحت الأقصى، ويسمونها المقدسيون: الأقصى القديمة فقد اتخذها الصليبيون، إسطبلًا لخيولهم.

وكم من مسجد جعلوه ديراً على محرابه رُسم الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف وتحريق المصاحف فيه طيب

* ماذا فعل المسلمون الغافلون يومئذ بعد أن ضاعت قبلتهم الأولى؟

□ قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/١٦٦ - ١٦٧):

«لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج - لعنهم الله - بيت المقدس - شرفه الله -، وكانوا في نحو ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وتبرؤا ما علوا تتبيرا...»

وذهب الناس على وجوههم هارين من الشام إلى العراق مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان، منهم القاضي أبو سعد الهروي، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وقد نظم أبو سعد الهروي كلاماً قرئ في الديوان، وعلى المنابر، فارتفع بكاء الناس، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس

فلم يفد شيئاً، فإننا لله وإنا إليه راجعون».

□ وقال ابن الأثير في «الكامل» (١٨٩/٨):

«ورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد صُحبة القاضي أبي سعد الهروي فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا وبكوا، وأبكوا، وذكروا ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال، وسبي الحرير والأولاد، ونهب الأموال.. فلشدة ما أصابهم أفطروا!!!!

قال: فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني... وفلان، وفلان فساروا إلى حلوان «بالعراق» فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني فعادوا من غير بلوغ أرب، ولا قضاء حاجة، واختلف السلاطين فتمكن الفرنج من البلاد».

أفطروا في رمضان فلا أرقأ الله لهم دمعاً، ولا أقر لهم عيناً إن كانوا هؤلاء حماة الإسلام يومئذ كان لزاماً أن تسقط القدس على أيامهم والتاريخ يُعيد نفسه.

نستخذي في وهن وجبن وذل.

مالي ألوم عدوي كلما نزلت	بي المصائب أو أرميه بالتهم
وادعي أبداً أني البريء وما	حملت في النفس إلا سقطة اللمم
أنا الملولم! فعهد الله أحمله	وليس يحمله غيري من الأمم ^(١)



(١) من ملحمة الغرباء للدكتور عدنان النحوي - دار النحوي للنشر والتوزيع.

□ قال أبو المظفر الأبيوردي في سقوط بيت المقدس :

مَزَجْنَا دِمَاءً بِالدَّمُوعِ السَّوَاجِمِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاجِمِ^(١)
وَشَرَّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعُ يَفِيزُهُ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّتْ نَارَهَا بِالصَّوَارِمِ
فَإِيَّهَا^(٢) بَنِي الْإِسْلَامِ إِنْ وَرَاءَكُمْ وَقَائِعُ يُلْحِقُنَ الذَّرَى بِالْمَنَاسِمِ
أَتَهْوِيْمَةً فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغَبْطَةٍ وَعَيْشُ كُنُوزِ الْخَمِيلَةِ نَاعِمِ
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مَلءَ جَفُونِهَا عَلَى هَفَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ
وَإِخْوَانَكُمْ بِالشَّامِ يُضْحِي مَقِيلُهُمْ ظُهُورُ الْمَذَاكِي أَوْبَطُونَ الْقَشَاعِمِ^(٣)
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانَ وَأَنْتُمْ تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفْضِ فَعِلَ الْمَسَالِمِ
وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ قَدْ أُبِيحَتْ وَمِنْ دُمَى^(٤) تُوَارِي حَيَاءً حَسَنَهَا بِالْمَعَاصِمِ
بَحِثِ السِّيُوفِ الْبَيْضَ مُحْمَرَةً الظُّبَا وَسَمَرُ الْعَوَالِي دُمِيَّاتُ اللَّهَازِمِ
وَبَيْنَ اخْتِلَاسِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقْفَةٌ تَظِلُّ لَهَا الْوُلْدَانُ شَيْبَ الْقَوَادِمِ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مِنْ يَغِبُ عَنْ غَمَارِهَا لَيْسَلَمْ يَقْرَعُ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ

(١) عرضة: الهمة، ويقال: جعلته عرضة لكذا: أي: نصبته له. وهو عرضة للناس، أي: لا يزالون يقعون فيه. والمراجع: الكلم القبيحة، يُقال: تراموا بالمراجع، أي: بالقبيح من الكلام، وكأن الشاعر يقول: لقد دُمَّتْ جميع صفاتنا، فلم يبق منها صفة للعب.

(٢) إِيَّهَا: اسم فعل أمر، بمعنى: اسكت وكفّ، أي: كَفُّوا عَنِ الضَّعْفِ. والذَّرَى: جمع الذُّرَّة: المكان المرتفع والعلو، واستعاره هنا لَعَلِيَّةِ الْقَوْمِ. وَالْمَنَاسِمِ: جمع مَنَسَم، وهو للابل كالظفر للإنسان. ويبدو أنه استعاره لعامة الناس، يريد أن الحرب لا تبقى على أحد.

(٣) الْمَذَاكِي: الخيل، والقشاعم: الصقور.

(٤) الدُمَى: جمع دُمِيَّة: تستعار للفتاة الحسنة.

سَتَعْمَدُ مِنْهُمْ فِي الطُّلَى وَالْجَمَامِ (١)
يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ: يَا آلَ هَاشِمٍ
رَمَاحَهُمُ وَالْدِّينَ وَاهِي الدَّعَائِمِ
وَلَا يَحْسِبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةً لَزِمِ
وَيُغْضِي عَلَى ذَلِ كُفَاةِ الْأَعَاجِمِ
عَنِ الدِّينِ ضَنُّوا غَيْرَةً بِالْحَرَامِ
فَهَلَّا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْغَنَائِمِ
فَلَا عَطَسُوا إِلَّا بِأَجْدَعٍ رَاغِمِ
إِلَيْنَا بِالْحَاضِرِ النَّسُورِ الْقَشَاعِمِ
تُطِيلُ عَلَيْهَا الرُّومُ عَضَّ الْأَبَاهِمِ
رَمِينَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالْجَرَائِمِ

سَلَّلْنَ بِأَيْدِي الْمَشْرِكِينَ قَوَاضِبًا
يَكَادُ لَهُنَّ الْمُسْتَجِنُ (٢) بِطَيْبَةٍ
أَرَى أُمَّتِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعَدَى
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى
أَتَرْضَى صِنَادِيدُ الْأَعَارِبِ بِالْأَذَى
فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَذُودُوا حَمِيَّةً
وَأِنْ زَهَدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمَسَ الْوَعَى
لَنْ أَذْعَنْتَ تِلْكَ الْخِيَاشِيمَ لِلْبَرَى (٣)
دَعُونَاكُمْ وَالْحَرْبُ تَرْنُو مُلْحَةً
تَرَاقِبُ فِينَا غَارَةَ عَرَبِيَّةً
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ



❏ سيذكر التاريخ بالعار كل العار أسماء قادة من الصليبيين اشتركوا
في سقوط بيت المقدس ومذابحها: غود فري دوق اللورين وأخوه
يوستاس، وكونت فلاندرز، وكونت نورماندي، وتانكرد، وريموند.
* دخول القدس ومذابحها بقلم عباد الصليب:

❏ يقول «وليم» أسقف صور في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية»:

(١) الطُّلَى: مفردهما: الطلية والطلاة، أي: العتق.

(٢) المستَجِنُ بطيبة أي: المقبور في طيبة وهو رسول الله ﷺ

(٣) البرى: التراب: يريد رغم أنفهم في التراب.

□ قام غود فري الدوق النبيل والشهير، برفقة أخيه يوستاس، بالخطوة الأولى إلى داخل المدينة وشجعا البقية ليتبعاهما، وذلك عندما تم تعديل الجسر، وتبعهما على الفور الأخوان النييلان لودولف وغسلبرت وهما من أهالي مدينة تورناي، ومن يستحقان الذكر للأبد، ثم لحقهما حشد من الفرسان والمشاة بعدد كبير جداً لدرجة أنه لم يعد بإمكان الآلة الحربية أو الجسر تحمل المزيد، وعندما أدرك العدو أن المسيحيين قد استولوا على السور، وأن الدوق كان قد رفع رايته عليه هجروا الشرفات والأبراج ولجئوا إلى الشوارع الضيقة.

وما إن أدرك شعبنا أن الدوق وعدد كبير من القادة كانوا قد استولوا على الأبراج حتى شرعوا بتسليق الآلة الحربية، بل تنافسوا مع بعضهم بعضاً في رفع سلالم التسليق إلى الأسوار التي كانوا مزودين بها بشكل جيد.

□ وتبع الدوق غود فري على الفور كل من كونت فلاندرز ودوق نورماندي وتانكرد الشجاع الذي هو محارب جدير بالثناء من جميع الجوانب، كما صعد مع هؤلاء كل من هيبو الكبير، كونت القديس بول وبلدوين دي بورغ، وغاستون دي بارن، وغاستون دي بيزريس، وجيراردي روزليون، وتوماس دي لا فير، أسقف برتون وكونت رينبولد من مدينة أورانج ولودوفك مونكونز أسقف مونتاغيو وابنه لامبرت، بالإضافة إلى آخرين كثر لا أتذكر أعدادهم ولا أسماءهم.

وحالما رأى الدوق أن جميع هؤلاء الفرسان قد دخلوا بسلام، أرسل قسماً منهم مع مرافقة مناسبة لفتح الباب الشمالي، حتى يتمكن الناس الذين كانوا ينتظرون في الخارج من الدخول إلى المدينة، وفتح هذا

الباب بالحال، واندفع الجيش كله بصورة فوضوية ودون نظام أو ترتيب. حدث ذلك من الساعة التاسعة من يوم الجمعة.

ضم الدوق آنذاك والذين كانوا معه صفوف قواتهم، واندفعوا هنا وهناك خلال شوارع وساحات المدينة مستلين سيوفهم وبحماية دروعهم وخوذهم، وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء بصرف النظر عن العمر أو الحالة ودونما تمييز، قد انتشرت المذابح المخيفة في كل مكان، وتكدست الرؤوس المقطوعة في كل ناحية بحيث تعذر الانتقال على الفور من مكان لآخر إلا على جثث المقتولين، وكان القادة قد شقوا في وقت سابق طريقاً لهم بواسطة مسالك متنوعة إلى مركز المدينة تقريباً، وأحدثوا عندما تقدموا قتلاً لا يُوصف. وتبع موكبهم حشد من الناس متعطش لدماء الأعداء ومصمم تصميمًا كاملاً على إبادتهم.

وفي هذه الأثناء كان كونت طولوز والقادة الذين كانوا يحاربون معه في المنطقة المجاورة لقمة جبل صهيون، جاهلين تمامًا أنه تم الاستيلاء على المدينة وأن الانتصار كان حليفنا، لكن صرخات المسيحيين العالية التي أصدروها عندما دخلوا القدس، وصيحات الرعب التي ارتفعت عندما استمرت مذبحه الكفرة^(١) جلبت الذعر للمدافعين في ذلك القطاع من المدينة واضطربوا لدى تفسير الجلبة الغريبة والصخب المشؤوم، وما لبث أن اكتشف الجميع أنه تم اقتحام المدينة بالقوة وأن فيالق المسيحيين قد دخلت إليها، فهجروا الأبراج والتحصينات بدون تأخير

(١) يعني المسلمين... رمتني بدائها وانسلت.

وهربوا في اتجاهات مختلفة مصممين على النجاة فقط، ولجأت الأكثرية إلى القلعة لأنها كانت قريبة، أنزل الجيش الجسر بدون مقاومة، ورفع سلالمه إلى الأسوار، ودخل المدينة دون أدنى إعاقة من جانب العدو، وما إن أفسح المجال أمامه حتى تولى العساكر فتح الباب الجنوبي الذي كان الباب الأقرب إليهم، وسمحوا لبقية الناس بالدخول، وكان أن دخل إلى هنا كونت طولوز الشهير والشجاع بصحبة يسورد، كونت ديا وريموند بيلي، ووليم دي سابران أسقف البارة وعدد كبير من النبلاء الآخرين لم يحفظ أي تاريخ أسماءهم وعددهم.

□ وطافت هذه القوات الموحدة والمدمجة بالسلاح من رأسها إلى أخمص قدميها في كل مكان خلال وسط المدينة، وأحدثوا دماراً مريعاً بتصميم مشترك، وواجه الذين نجوا من أعمال التخريب التي قام بها الدوق ورجاله، وهربوا إلى الأجزاء الأخرى من المدينة واعتقدوا أنهم قد نجوا بطريقة ما من الموت، واجهوا هذه المجموعة من المحاربين المسيحيين، وهكذا كان مثلهم مثل المستغيث من الرمضاء بالنار، ولقد كانت المجزرة التي اقترفت في كل مكان من المدينة مخيفة جداً، وكان سفك الدماء رهيباً لدرجة عانى فيها حتى المنصورون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز.

□ كان القسم الأكبر من الناس قد التجأ إلى ساحة الهيكل لأنها واقعة في قسم منعزل من المدينة وكانت محمية حماية قوية بسور وأبراج وبوابات، إلا أن هروبهم إلى هناك لم ينقذهم، حيث تبعهم تانكرد على الفور بالجزء الأكبر من سائر الجيش، وشق طريقه إلى داخل الهيكل، ونقل معه حسب إحدى الروايات بعد مذبحه مخيفة كمية ضخمة من

الذهب والفضة والمجوهرات، هذا ومن المعتقد أنه أعاد هذه الكنوز سالمة بعد أن كان الصخب قد هدأ.

وعلم القادة الآخرون، بعد أن كانوا قد قتلوا من واجهوه في الأجزاء المختلفة من المدينة، أن الكثيرين قد هربوا للالتجاء إلى الأروقة المقدسة للهيكل، ولذلك اندفعوا بالإجماع إلى هناك، ودخلت مجموعة كبيرة من الفرسان والرجالة قتلت جميع الذين كانوا قد التجأوا إلى هناك، ولم تُظهر أية شفقة لأي واحد منهم، وغُمر المكان كله بدم الضحايا.

□ لقد كان بالفعل حكم الله القويم الذي قضى على الذين دنسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية، وجعلوه مكانًا غريبًا بالنسبة لأهله المؤمنين أن يكفروا عن خطاياهم بالموت وأن يطهروا الأروقة المقدسة بسفك دمائهم.

وبات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجثث التي فُصلت الرؤوس عنها والأضلاع المتبورة المتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم، إنه منظر مشؤوم جلب الرعب لجميع من واجهوهم، ويروى أنه هلك داخل حرم الهيكل فقط قرابة عشرة آلاف من الكفرة، بالإضافة إلى القتلى المطروحين في كل مكان من المدينة في الشوارع والساحات حيث قُدِّر عددهم أنه كان مساويًا لعدد القتلى داخل حرم الهيكل.

□ وطاف بقية الجنود خلال المدينة بحثًا عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يمكن أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسُحب هؤلاء على مرأى الجميع وذُبحوا كالأغنام، وتشكّل البعض في زمر، واقتحموا المنازل حيث قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم، وقُتلت هذه الضحايا أو قُذفت من مكان مرتفع حيث هلكت بشكل مأساوي... فتشّ الحجاج المدينة بدقة قصوى، وقتلوا سكّانها بجرأة، وتغلغلوا إلى أكثر الأماكن عزلة وبعدًا، واقتحموا غرف الأعداء الخاصة جدًا.

كان هنالك مسيحيون يعيشون في القدس، قد رأوا في تلك المدينة بطرس الناسك المبجل منذ أربع سنوات أو خمس مضت... وعندما تعرّف عليه هؤلاء الناس من جديد، أجّلوه كثيرًا واحترموه، لأنهم تذكّروا بامتنان قدومه الأول والصدّاقة التي رضي أن يكونها معهم، وشكروه بعمق على أنه أنجز المهمة بإخلاص وبشكل لا يعرف التعب وبدافع من التقوى التي كانوا حمّلوه إياها.

□ وهكذا تنافس الناس، بشكل فردي وكامل، مع بعضهم البعض في إبداء مظاهر الحفاوة والتكريم من جميع الأنواع لبطرس الناسك، ونسبوا إليه فقط بعد الرب خلاصهم من العبودية القاسية التي كانوا قد حمّلوها لسنوات طويلة، واسترجاع المدينة المقدسة إلى حريتها الأصيلة.

ورأى الزعماء من الضروري وقبل كل شيء أن يُنظفوا المدينة، وخاصة أقبية الهيكل خشية أن ينشأ وباء من الهواء المشبع بالتّانة من جثث القتلى، وفُوضت هذه المهمة على المقادسة المأسورين الذين على

الرغم من أنهم أودعوا السجنون قد نجواً بالمصادفة من الموت، لكن بما أن عددهم لم يكن كافياً لإنجاز عمل كبير جداً من هذا القبيل بدون مساعدة لهم، فقد قُدمت أجرة يومية للمقاتلين الفقراء من الجيش للمساعدة في تطهير المدينة دون تأخير.

ولكي تبقى ذكرى هذا الحدث العظيم محفوظة بشكل أفضل، صدر قرار عام لاقى موافقة وإقراراً شاملين، قضى بأن يعتبر هذا اليوم يوماً مقدساً، وأن يفرد عن باقي الأيام.

وفي هذه الأثناء أدرك الكفرة الذين كانوا قد هربوا إلى قلعة داود للنجاة من انتقام السيف، أن المسيحيين حققوا الآن ملكية تامة للمدينة، وأدركوا أنه لم يعد بإمكانهم تحمّل الحصار، ولهذا بحثوا عن كونت طولوز، الذي كان أقام في المنطقة المجاورة للبرج، وحصلوا على وعد منه بأن يحصلوا مع زوجاتهم وأبنائهم على خروج حر من المدينة وطريق آمن إلى عسقلان.

واظهر الذين كانوا قد تولوا العناية بتطهير المدينة، اجتهداً كبيراً وحماسة في العمل، وأُحرقت بعض الجثث ودُفِن بعضها الآخر، وذلك حسب ما سمحت مقتضيات الزمن، وأنجز كل شيء بسرعة خلال بضعة أيام، وأعيدت المدينة إلى وضعها الأصلي من النظافة^(١).

أعيني لا ترقى من العبرات صلي البكا في الآصال بالبكرات



(١) تاريخ الحروب الصليبية من ص (٤٣٣ - ٤٤٢).

❏ ولله درّ الدكتور عدنان النحوي وهو يقول في «ملحمة

فلسطين» :

وَتَبَّ الكافرون وثبّا علينا	وَعَزَّانا من كل أُفُقٍ صعيد
والصليب المزعوم يُخفي هوى المحج	رم يُعليه جاهلٌ وحقودُ
يا نداء الأقصى وقد حلّ فيه	من أذى الكفر عُصبةٌ وجنودُ
أعملوا السيفَ في الرقاب فسالتُ	أنهرُ من دمٍ وسالتُ نجودُ
يا لهولِ الإجرامِ جُنَّتْ ليالٍ	فزعاً منه واقشعرت جلودُ
أقبلِي يا عصورُ هاتي صلاح الـ	مدِين فالدار شوقها مشهود
لم تزل جندوة البطولة في الأ	مة يرعى غطاءها التوحيدُ



« ما سقطت القدس وضاعت إلا بسقوط الأمة وضياعها :

الأسباب التي أدت إلى سقوط القدس في أيدي الصليبيين

وهل يعيد التاريخ نفسه ؟

□ قال ابن خلدون : « الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء » (١) ويقول :

« فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، وتُشدّ إليها الركائب والرحال ، وهو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأولى ، وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق .

يعيد التاريخ نفسه بصور أخرى وألوان أخرى . . ويتوقف فهم الحاضر على الرجوع للماضي . وأسباب ضياع الأمم تتكرر في تاريخ الإنسانية . . وفي هذا أعظم العبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

□ إن سقوط بيت المقدس لم يأت فجأة دون تمهيدات وإرهاصات ، ومن الطبيعي أنه استغرق وقتاً كافياً لينخر السوس في جسد الأمة .
وها نحن أولاء نجمّل طرفاً من الأسباب التي أدت إلى سقوط القدس بأيدي الصليبيين :

(١) مقدمة ابن خلدون (١/٢٩٢) .

١ - ضعف الخلافة العباسية في بغداد وتمزقها :

يقول ابن كثير واصفاً أحوال الخلافة العباسية عام ٣٢٤هـ :

«وَهَيَّ أَمْرُ الْخِلاَفَةِ جَدًّا، اسْتَقَلَّ نَوَابِ الْأَطْرَافِ وَلَمْ يَبْقَ لِلْخَلِيفَةِ حَكْمٌ فِي غَيْرِ بَغْدَادَ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْأَطْرَافِ فَالْبَصْرَةُ مَعَ ابْنِ رَاقٍ، وَخَوْزِسْتَانَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ، وَأَمْرُ فَارَسَ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهِ، وَكَرْمَانَ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ إِيَّاسَ بْنِ الْيَسْعِ، وَبِلَادَ الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَدِيَارَ بَكْرٍ وَمُضَرَ وَرَبِيعَةَ مَعَ بَنِي حَمْدَانَ، وَمِصْرَ وَالشَّامَ فِي يَدِ مُحَمَّدَ بْنِ طَنْجَجٍ، وَبِلَادَ إِفْرِيقِيَّةٍ^(١) وَالْمَغْرِبَ فِي يَدِ الْقَائِمِ بْنِ الْمُهْدِيِّ الْفَاطِمِيِّ، وَخِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي يَدِ نَصْرِ السَّامَانِيِّ، وَالْبَحْرَيْنِ وَهَجَرَ وَالْيَمَامَةَ فِي يَدِ أَبِي طَاهِرٍ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْجَنْابِيِّ الْقَرْمَاطِيِّ»^(٢).

هذا ما ذكره ابن كثير، ولقد وصلت الخلافة إلى أضعف مما وصفه، ولم تتعد سلطة الخليفة أحياناً أبواب قصره الذي يسكن فيه، وأصبح الخلفاء ألعوبة بأيدي الخدم والمماليك الذين سرعان ما يترقون إلى أمراء للجند.. وأصبح الخلفاء في ذل وهوان.

□ فالخليفة محمد بن أحمد الملقب بالقاهر بالله بعد أن عزل لم يبق معه شيء من ملابسه سوى قطعة عباءة يلتف بها، وفي رجله قبقاب خشبي، ويدور على المساجد يسأل الناس!!^(٣).

(١) أي: تونس.

(٢) «البداية والنهاية» (١١/١٩٧).

(٣) «البداية والنهاية» (١١/٢٢٤).

والخليفة ابن المعتز يهرب ويختفي عند أحد وجهاء بغداد «ابن الجصاص» ثم يعثر عليه فيقتل بعصر خصيته ويلف بكساء ويسلم إلى أهله^(١).

□ والخليفة المستكفي يعطى راتب ٥٠٠٠ درهم من قبل المتسلط أحمد بن بويه الشيعي، ثم يُعزل بعد أن يُجرّ من عمامته وتسلم عيناه، ويسجن حتى الموت.

□ وفي عهد المطيع لله أصبح الأمر كله لمعز الدولة البويهي، حيث تحوّلت الوظائف الكبرى في الدولة كالقضاء والشرطة والحسبة إلى أن تُشترى وتباع «أسلوب الضمان».

□ والمتقي لله إبراهيم بن المقتدر تولى الخلافة والأمور مدبرة، وفتنة ابن رائق والبريدي أدّت إلى نهب دار الخلافة، وهرب المتقي وابنه إلى الموصل، وحكم البريدي بغداد، ثم جاء سيف الدولة الحمداني «الشيعي» إلى واسط فانهزم البريدي، ثم دخل توزون بغداد وعيّنه الخليفة «أمير الأمراء»، واضطر الخليفة للخروج من بغداد طالباً المساعدة من إخشيد مصر، فنصحته الأخير بترك بغداد والمجيء إلى الشام أو مصر، ولكن الخليفة رفض ورجع إلى بغداد، وبمجرد وصوله قام القائد التركي «توزون» بانقلاب عليه وسلم عينيه.

□ قال ابن كثير: «وفي هذه السنة ٣٣١هـ كثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحداً من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة»^(٢).

(١) «الكامل» لابن الأثير (١٨/٨).

(٢) «البدية والنهاية» (٢١٨/١١).

ولم يكن سوء الحال هذا مقصوراً على بغداد بل كان عاماً. وتفشت أنانية مفرطة، ولو أدى ذلك إلى ضعف المسلمين:

□ ففي عام ٤٨٧ هـ قتل السلطان بركيارق عمه «تكش» وغرقه وقتل ولده معه^(١).

وهذا رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب قتل أخويه، واستعان بالباطنية؛ كل ذلك حرصاً على الملك^(٢).

ومدينة الرها يتقاسمها أميران: ابن عطير، ونصر الدولة بن مروان، فما كان من ابن عطير إلا أن راسل ملك الروم «أرمانوس» وباعه حصته بعشرين ألف دينار فدخل الروم البلد وملكوه وقتلوا المسلمين وخربوا المساجد^(٣).

□ وفي عام ٤٢٦ هـ جمع ابن وثاب النميري جمعاً كثيراً من البدو واستنجد من بالرّها من الروم، وقصد بلد نصر بن مروان ونهب وأخرب^(٤).

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويُقال ساسة ووصل هذا الوباء إلى الأندلس «فقد تملك رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً أربعة كلهم يتسمى بأمر المؤمنين، فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة»^(٥)، وفي زحمة الفتن والهرج في قرطبة، قام أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسور القصر ودعا إلى نفسه، فقال له بعض أهل قرطبة: «نخش عليك أن تُقتل في

(١) «الكامل» (٢٣٩/٩).

(٢) «الكامل» (٤٩٩/١٠).

(٣) «الكامل» (٤١٣/٩).

(٤) «الكامل» (٤٤٣/٩).

(٥) «الكامل» (٢٨٢/٩).

هذه الفتنة، فإن السعادة قد ولّت عنكم، فقال: بايعوني اليوم واقتلونني غدًا»^(١).

ويسبب هذا التمزق الداخلي طمع الكفار النصارى في بلاد المسلمين قبل مجيء الصليبيين بمائة وأربعين عامًا:

□ ففي عام ٣٥١هـ هاجم الروم بلدة «عين زربة» واستولوا عليها، وجمع قائدهم «الدمستق» المسلمين في المسجد الجامع، ومن تخلف عن المسجد قتلوه، ثم أمر من في المسجد بالرحيل حيث شاءوا، فهاموا على وجوههم لا يدرون أين يتوجهون^(٢).

وفي عام ٣٥٣هـ حاصر الروم «المصيصة» وقتلوا أهلها وأحرقوا أراضيها ورجعوا^(٣).

وفي سنة ٣٥٨هـ دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه أحد ولا قاتله، وسار إلى طرابلس وأحرق البلد، ثم إلى حمص، ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهبًا وتخريبًا، وكان بحلب «قرعويه» غلام سيف الدولة «الشيعة»، وقد صانع الروم^(٤).

وفي سنة ٣٥٩هـ تملك الروم مدينة أنطاكية بمساعدة النصارى من جيرانهم، وأخرجوا أهلها من الأطفال والعجائز والمشايخ، وأسروا الشباب والنساء^(٥).

(١) «الكامل» (٢٨٣/٩).

(٢) «الكامل» (٥٣٨/٨).

(٣) المصدر السابق (٥٥٢/٨).

(٤) المصدر السابق (٦٠٣/٨).

(٥) «البداية والنهاية» (٣٠١/١١).

مثلما يحدث الآن كتب الحكام لأنفسهم تاريخاً مظلماً لا يشرفهم ولا يُشرف أمة تسكت عنهم ولا تنهاهم عن المنكر.

٢ - جشع كبار القوم وترفهم وشطف العيش وفقر عامة الناس من جانب آخر:

تجمّعت الأموال في يد حفنة قليلة لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، وتركوا البلاد قاعاً صفصفاً يعانون شطف العيش بدون تأنيب ضمير أو حس.

فها هو سبكتكين الحاجب التركي مولى معز الدولة البويهى «قد ترك من الأموال شيئاً كثيراً جداً، من ذلك ألف ألف دينار «مليون» وصندوقاً من الجوهر»^(١).

والأفضل بن أمير الجيوش الأرمني وزير الفاطميين الذي ضاعت القدس في أيامه: «ترك من الذهب والثياب والرقيق والخيل والمسك ما لا يعلم قدره إلا الله»^(٢).

وعضد الدولة البويهى الشيعي يُنشئُ بستاناً بلغت النفقة عليه وعلى سوق الماء إليه خمسة آلاف ألف درهم.

والوزير بن كلّس عنده من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام.

□ ويصف ابن كثير جهاز وزواج ابنة السلطان ملكشاة عام ٤٨٠هـ فيقول: «في المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي، غالبها أواني الذهب والفضة

(١) «البداية والنهاية» (١١/٣٠١).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/٢٠٢).

وعلى أربع وسبعين بغلة مجللة بالديباج الملكي»^(١).

في حين كان أكثر الأمة لا يجدون القوت الضروري.

□ فقد نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢١٩/٦): في حوادث

٣٣١هـ: «وفيها غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع البلاء في

الناس».

وظهر العيَّارون^(٢) وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس، وأُحرقت

الدور.

وفي عام ٤٤٨هـ انقطعت الطرق لخوف النهب فغلت الأسعار

وأكل الناس الميتة، واستغل التجار هذه الأوضاع، فاحتكروا المواد

الغذائية، وباعوها في الأزمات، فقد باع رجل داراً بعشرين رطل دقيق،

وكان قد اشتراها من قبل بتسعمائة دينار، وبيعت البيضة بدينار^(٣).

□ أما الوزراء فانظر إلى الوزير المهلبي «يبتاع له في ثلاثة أيام ورد

بألف دينار، فرش به مجالسه وطرحه في بركة عظيمة»^(٤).

هذه حال الوزراء بينما نجد أن الفقيه المالكي عبد الوهاب التغلبي

يغادر بغداد، متأسفاً عليها ويقول لمودّعيه: «لو وجدت بين ظهرانيكم

رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمانة»، وفي ذلك يقول:

بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفالس دار الضنك والضيق

(١) «البداية والنهاية» (٢١٩/٦).

(٢) اللصوص.

(٣) «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١٧/٢).

(٤) «ضحى الإسلام» (١٠٤/١). مثلما حدث في أيامنا هذه أن يشتري مليونير فلسطيني

يعيش في الكويت بقايا حطام سيارة ديانا بملابن الجنيحات، وأبناء دينه وبلده لا يجدون

القوت الضروري في الخيام.

ظلت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق^(١)

وقد قال ابن بسام في «الذخيرة» عن هذا الفقيه المالكي: كان بقية الناس، ولسان أصحاب القياس.

□ ولقد بلغ الفساد الاقتصادي أرذله عندما أقرت الدولة مبدأ الضمان حتى وصل الأمر للضمان في القضاء والحسبة والشرطة.

«والضمان هو إعطاء الحق لبعض الأفراد بجمع الخراج من مدينة أو منطقة بكاملها لقاء مبلغ يؤدونه سلفاً للدولة، ولهم الفرق بين ما يجمعونه وبين ما يؤدونه، ويتولى الضامن جباية الخراج بمساعدة السلطة أو بدون ذلك أحياناً»^(٢)، وهذا كان من أكبر أسباب خراب الدولة.

□ يقول ابن خلدون: «اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، فإذا قعد الناس عن المعاش كسدت أسواق العمران، وخفّ ساكن القطر وخربت أمصاره»^(٣).

□ ويقول: «ولا تحسّن الظلم إنما هو أخذ المال من يد مالكة من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعمّ من ذلك، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغُصّاب الأموال على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران»^(٤).

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢٢١/٣).

(٢) «أعيان التاريخ نفسه» لمحمد العبدية ص (٢٠).

(٣) مقدمة ابن خلدون (٧٤١/٢).

(٤) المصدر السابق (٧٤٣/٢).

٣ - ابتعاد العلماء عن قيادة الأمة التي سطر الخلاص على أيديهم
إذا جاءها الضر عن طريق الأمراء:

* فالعلماء هم المقصودون بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ {النساء: ٥٩}.

□ قال المفسرون: ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾: العلماء والأمراء، فلماذا لا يُعلّمون الناس أن يرجعوا إليهم إذا حذبهم أمر أو ادلهمت مصيبة.
وإذا كان لبعض العلماء دور إيجابي في النصح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهؤلاء قلّة إذا ما قيسوا بالأعداد الكبيرة من العلماء.
□ يقول الشيخ رشيد رضا: «ثم رسخت السلطة الشخصية في زمن العباسيين، وجاراهم علماء الدين بعدما كان لعلماء السلف من الإنكار الشديد على الملوك والأمراء في زمن بني أمية وأوائل زمن العباسيين»^(١).

□ وقد يكون لسان حال بعض العلماء أو طلبة العلم: «إننا نبتعد عن الهرج والمرج، وعن التمرّغ في أحوال السياسة والانقلابات والصراعات حول الحكم، ونربي الأجيال على حب الإسلام، وننشر العلم حتى لا يندرس. وهذا هدف كبير لا شك في ذلك، وعمل جليل يستحق التفرّغ له، ولكن هذه الأجيال التي ربّيت يجب أن يكون لها دور إيجابي بعدئذ في تصحيح الانحرافات، وقيادة الأمة».

قد يكون ضيق الحال الذي ابتلي به كثير من طلبة العلم، أو خطط له من قبل الحكّام سبباً لانزواء كثير منهم عن الحياة العامة، ولكن يبقى

السؤال: كيف يتسنّى لعالم أو طالب علم أن يعيش خالي البال، وأمته تتقاذفها الأهواء والفتن، وأهل البدع لهم صولة وجولة، والفساد السياسي والاقتصادي وصل إلى حد لا يُطاق؟ ثم لا يكون للعلماء حول ولا طول في ردّ هذا الطوفان.

لا بد من الاعتراف أن من عوامل الانحلال والضعف الذي أصاب الأمة هو ابتعاد العلماء عن القيادة، وعن الحكم، وأصبح المثل الأعلى هو العالم الذي يتبعد عن السلطان، فهذه فكرة خاطئة إذا عُمِّمت، فهناك علماء ربانيون يتولون التربية فهؤلاء من الأفضل ابتعادهم عن الحكم، أمّا أن يصبح الابتعاد هو المثل الأعلى فهذا من المصائب التي جرّت على المسلمين الضعف، وهل يتصور مسلم أن يجد أحد يكون أعلم وأتقى من رسول الله ﷺ، وقد كان هو بنفسه قائد جيوش المسلمين في بدر والأحزاب وغيرها.

□ ويقول ابن تيمية واصفًا هذه الحالة: وبسبب ضعف الفقهاء من العلم الكافي للسياسة العادلة، وقع انفصام في المجتمع الإسلامي فصار يُقال: الشرع والسياسة، هذا يدعو خصمه إلى الشرع، وهذا يدعوه إلى السياسة، والسبب تقصير هؤلاء في معرفة السنة^(١).

كما صورّ أحد الشعراء هذا الفصام، وانشغال العلماء والأدباء عن السياسة، وكيف تركوا الخلفاء تحت رحمة الأتراك الظلمة القُساة، فقال يخاطب جماعة في مكة يبحثون في النحو والصرف:

أما تستحون الله يا معدن النحو شغلهم بذا والناس في أعظم الشغل

إمامكم أضحي قتيلاً مجندلاً وقد أصبح الإسلام مفترق الشمل
وأنتم على الأشعار والنحو عكفاً تصيحون بالأصوات في أحسن السبل^(١)

□ وكانت ثلاثة الأثافي أن القضاء الذي كان مؤسسة مستقلة بعيدة
نوعاً ما عن تأثير الحكام، تحول في هذا العصر إلى نظام الضمان.

٤ - الباطنيون والإرهاب الداخلي :

من المصائب الكبيرة التي نزلت بالمسلمين في هذا العصر وزادت
الطين بلة ابتلاء الناس بالباطنية الذين أشاعوا الرعب في قلوب الناس،
وغدرهم وفتكهم بالعلماء وولاة أهل السنة، فقتلوا الوزراء والملوك
والعلماء في الأوقات الحرجة، وتحالفوا مع أعداء الإسلام من الصليبيين
والتتار، وهذه الصورة ليست بعيدة عما يقع الآن من تحالف الباطنيين مع
الاستعمار الغربي واليهود كرهاً في أهل السنة، وفي لبنان ذاق أهل السنة
الويلات منهم، وذاق الفلسطينيون الأمرين، والقديانية والإسماعيلية في
باكستان يتحالفون مع الغرب، والبهايون يتحالفون مع اليهود.

والباطنية اسم يجمع كل الفرق التي ظاهرها الرفض، وباطنها
الكفر المحض، كالحشاشين أو القرامطة أو الخرمية أو الإسماعيلية، أو
الدرزية أو النصيرية، ومن يقرأ الماضي تنجلي أمامه صورة الحاضر،
حسن الصباح شيخ الإسماعيلية، وشيخ الجبل في بلاد الشام، والقرامطة
وما فعلوه بالمسلمين حول الكعبة إلى آخر سلسلة الإجرام.

□ يقول الأستاذ محمد كرد علي: «والغريب أن شيعة جبل عامله

(١) «البداية والنهاية» (٢٦/١١).

كانوا من حزب الصليبيين على المسلمين إلا قليلاً، كما أن هوى الموارنة مع الصليبيين ويعملون عندهم أدلاء وتراجمة^(١).

فبسبب هذه الصراعات الداخلية وفساد الباطنية لم يتمكن المسلمون في بغداد وغيرها من مساعدة إخوانهم في بلاد الشام حين دهمها الفرنجة والصليبيون، فحين وصل الصليبيون إلى القدس كان العالم الإسلامي يعيش بعيداً عن هذه الأحداث كأن في أذنيه وقرأ كما يحدث الآن.

فبعد وصول الصليبيين إلى بلاد الشام، خرج القاضي أبو علي بن عمار صاحب طرابلس مسرعاً إلى بغداد مستنفرًا المسلمين لإنقاذ بلاد الشام، وخطب في مساجد بغداد داعياً للجهاد، وتحمس الناس وتأهبوا، ووعدده السلطان بإرسال الجيوش، ولكن لم يتم شيء، ورجع القاضي إلى طرابلس، ويفاجأ بأن العبيديين «الفاطميين» أصحاب مصر قد استولوا على مدينته عوضاً عن مساعدته ضد الفرنجة^(٢).

٥ - انتشار الفكر الشيعي والباطني في بلاد الإسلام.. وخيانة الفاطميين للقدس:

هل كان يتصور أن يصمد المسلمون أمام الصليبيين وقد تفشى الفكر الشيعي وانتشرت البدع، وقامت للمبتدعة الزنادقة دول:

فالعبيديون الفاطميون بمصر (٢٩٧ - ٥٦٧هـ). والبويهيون وقد تملكوا مقاليد الأمور في بغداد وأهانوا الخلفاء أسوأ إهانة، والقرامطة وما فعلوه بالحجيج سنة ٣١٧هـ بل وبأهل دمشق سنة ٣٦٠هـ فقد أوقعوا

(١) «خطط الشام» (١٤/٢).

(٢) «الكامل» (١٠/٤٥٢).

بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ومحاولتهم إضعاف الدولة العباسية، وبنو حمدان (٣١٧ - ٣٩٤هـ) بحلب، والأسديون في الحلة (٤٠٣ - ٥٤٥هـ): لم يكتفوا بإماراتهم بل شاركوا في أحداث الدولة العباسية، من إثارة الفتن على الخليفة.

□ فهذا دبس أميرهم يرغم على الجلاء عن الحلة فيذهب إلى الشام ويساعد الروم في حصار حلب على شرط أن يملكها بعد الانتصار على المسلمين، ولكن الحملة تفشل ويعود دبس إلى الحلة فيقتل من قبل السلطان مسعود السلجوقي.

ولقد تعاون الأسديون مع أرسلان البساسيري الداعي إلى طاعة العبيدين في مصر، وقد كان مملوكًا تركيًّا من ممالك بهاء الدولة البويهية، ثم صار من القواد المشهورين، ثم إنه كاتب حكّام مصر ليكون عونًا لهم على أخذ بغداد وساعده في ذلك دبس بن مزيد، وتنمّر البساسيري، ودخل بغداد وخطب في جامع المنصور للمستنصر العبيدي، وتلقاه أهل الكرخ الرافضة وسألوه أن يجتاز من عندهم، وأمر فأذن بـ «حيّ على خير العمل» وذلك سنة ٤٥٠هـ ونهب دار الخلافة، ولم يطل الأمر بالبساسيري حتى جاء السلطان السلجوقي طغرل بك، ودخل بغداد وأرسل جيشًا قوامه ألف فارس لاحق البساسيري في الكوفة وما حولها واستطاع الظفر به وقتله.

□ فالأسديون لتشيّعهم ساعدوا هذا المارق، كما ساعدوا الروم ضد

المسلمين^(١)

□ والصليحيون في اليمن (٤٢٩ - ٤٩٢) وخروج أميرهم علي بن محمد الصليحي بعد استيلائهم على اليمن وملكها سنة ٤٥٥ هـ، خرج سنة ٤٥٩ هـ لإخضاع الحجاز للدولة العبيدية فأراح الله المسلمين من شره بقتله، وضعف أمرهم واستقلت زوجته بحكم اليمن سنة ٤٧١ هـ، ويخاطبها المستنصر العبيدي بـ «الحرّة السديدة».

* الفاطميون زنادقة خونة :

الفاطميون لا صلة لهم ببيت النبوة، والدولة الفاطمية هي دولة باطنية، وهذا رأي أكثر علماء الأمة الذين حققوا نسبهم وعلموا بواطنهم وأسرارهم.

□ وقد سأل الشريف ابن طباطبا ملكهم المعز العبيدي الذي فتح مصر عن نسبه، فسلّ سيفه، وقال: هذا نسبي، ونثر الذهب، وقال: هذا حسبي^(١).

□ وصدق الشاعر عندما قال فيهم:

إنا سمعنا نسباً منكراً يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدّعي صادقاً فاذكر أبا بعد الأب الرابع

فهم أولاد ميمون القداح بن ديسان اليهودي.

□ قال أبو شامة عن عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية: «كان زنديقاً خبيثاً عدواً للإسلام، متظاهراً بالتشيع، حريصاً على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة»^(٢)

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٨٠).

(٢) «الروضتين في أخبار الدولتين» ص (٢٠١).

□ والمعز الفاطمي هو الذي أمر بقتل شيخ علماء السنة بمصر أبي بكر بن النابلسي، وضرب بالسياط، ثم سلخ جلده، سلخه يهودي حتى قتله، فلعنة الله على الظالمين.

ومن العلماء الذين قتلوا على أيديهم محمد بن الحُبلي قاضي مدينة برقة^(١).

□ ومنهم الإمام ابن البردون تلميذ أبي عثمان بن الحداد، قتله أبو عبيد الله الشيعي، وقد قال له لما جرد للقتل: أترجع عن مذهبك؟ فقال: أعن الإسلام أرجع؟! ثم صلب^(٢) - رحمه الله -.

□ ومنهم ابن خيرون الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري، أمر عبيد الله المهدي بأن يُداس حتى الموت، فقفز عليه الجنود السودان حتى مات، وذلك بسبب جهاده وبغضه لعبيد الله وجنده^(٣).

□ قال الذهبي: وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد، لما شهدوه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه، وقد رأيت في ذلك تواريخ عدة يصدق بعضها بعضاً، وخرج كثير من العلماء والعباد مع أبي يزيد الخارجي لقتال القائم بن عبيد الله، وقالوا: نكون مع أهل القبلة ضد من ليس من أهل القبلة^(٤).

وخرب الفاطميون القيروان سنة ٤٤٩هـ، وجلا علماؤها إلى الأقطار، ومات منهم كثير^(٥). وصلتهم بالقرامطة الملاحدة صلة أكيدة

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣٧٤/١٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١٦/١٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢١٧/١٤).

(٤) «السير» (١٥٤/١٥).

(٥) الفكر السامي في تاريخ الفقة الإسلامي (١٦٥/٢) لمحمد بن الحسن الحجوي.

ودعوتهم دعوة واحدة.

□ يقول ابن خلكان: «كان العاضد شديد التشيع متغالياً في سب الصحابة، وإذا رأى سنياً استحلّ دمه^(١)».

□ قال الإمام الشاطبي: أما الدجالون فمنهم معد من العبيدية الذين ملكوا إفريقية، فقد حكى عنه أنه جعل المؤذن يقول: أشهد أن معداً رسول الله، فهم المسلمون بقتله «أي: المؤذن» ثم رفعوه إلى معد ليروا هل هذا عن أمره، فلما انتهى كلامه إليه قال: «اردد عليهم أذانهم لعنهم الله»^(٢).

□ وفي حوادث ٤١٤هـ قام رجل من المصريين «العبيدين» بضرب الحجر الأسود بآلة ثقيلة، والسيف في يده الأخرى وهو يقول: «إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي، فتمكن منه أحد الحجاج من اليمن فضربه بخنجر فقتله».

هذه حقيقتهم لا يؤمنون بالرسالات ولا بالأنبياء.

وكل الإرهاب الذي زرعه الحشاشون في العالم الإسلامي، إنما هو ثمرة من ثمار الدعوة الإسماعيلية العبيدية في مصر. وحسن الصباح زعيم قلعة «الموت» الذي أرسل رجاله يقتلون العلماء والأمراء المجاهدين إنما تلقى الدعوة على أيدي أصحابها في مصر، والدروز في بلاد الشام من آثار دعوة الدولة العبيدية، وهم يؤلّهون الحاكم العبيدي، وعلاقتهم بإسرائيل علاقة جيدة.

(١) «وفيات الأعيان» (٣/ ١١٠).

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٩٧).

ولما اجتاحت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ ووصلوا إلى بيروت قاوم المسلمون السنيون هذا الاجتياح بما لديهم من أسلحة، ولم يقاوم الدروز أبداً ومعهم السلاح الجيد، ودخلت كتية من جيش إسرائيل إلى منطقة الشوف دون مقاومة، وفي مقابلة لشيخ الدروز محمد أبو شقرا مع صحفي أمريكي قال: «إن جيش الدفاع الإسرائيلي أخذ يعيد للدروز حقوقهم المغتصبة».

* وزراءؤهم:

استعان العبيديون في شئون الحكم باليهود والنصارى وغلاة الشيعة ومنهم:

□ يعقوب بن كلس اليهودي الأصل والوزير الأول في أيام العزيز، وجاء في صحبة المعز إلى مصر، وتحول من اليهودية إلى الإسماعيلية.

□ وعيسى بن نسطورس النصراني الذي ضجّ المسلمون في مصر منه لمحاباته للنصارى، ومساعدته لليهود وإرساله منشا اليهودي نائباً عنه إلى الشام.

□ وفي عهد الحاكم عيّن الحسين بن جوهر قائداً للقوادر، وفوض إليه تدبير المملكة، فعين نائباً له فهد بن إبراهيم النصراني.

وتولى الوزارة أيضاً في عهد الحاكم: زرعة بن عيسى بن نسطورس، وصاعد بن عيسى بن نسطورس.

□ وفي عهد المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧هـ): تولى الوزارة صدقة بن يوسف الفلاحى وهو يهودى تحول إلى المذهب الإسماعيلي. ومن الوزراء المشهورين في عصره بدر الجمالي الأرمني الشيعي.

❑ وفي عهد المستعلي والآخر: تولى الوزارة الأفضل بن بدر الجمالي، وفي عهده تولى يهودي شؤون قصر أم الخليفة فاشتد نفوذه وأسند مناصب الدولة لليهود^(١).

والأفضل هذا كان في أيامه نكبة القدس. وهو الذي عرض على الفرنجة الصليبيين عند وصولهم إلى أنطاكية «مقترحاً تقسيم الشام، فيكون شمال سورية من نصيب الفرنج، وتستولي مصر على فلسطين»^(٢) ورفض الصليبيون.

❑ يصف الذهبي عموم جيوشهم بأنهم أهل شر وزعارة لا سيما من تزندق منهم.

وقد ذاق المسلمون منهم من القتل والنهب والسبي حتى أن أهل صور استنجدوا بنصارى الروم من ظلمهم وجورهم وأخذهم النساء من الحمامات والطرق^(٣).

❑ وقد وصف ابن كثير ملوك الدولة العبيدية: بأنهم من أنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، وقد ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء، وكثر بأرض الشام النصرانية، والدرزية والحشيشية، وتغلّب الفرنج على الساحل.

فهؤلاء الخونة الزنادقة ما دافعوا عن القدس لما حاصرها الصليبيون، وهرب قائد حاميتها أمير الجيوش الأفضل الجمالي وزير المستعلي وتركها

(١) «أخبار ملوك بني عبيد» للصنهاجي ص (٧١).

(٢) «الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي» للمنياوي ص (٢٢٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤٦٨/١٦).

للفرنجة دون مقاومة تذكر .

قال ابن خلكان معلقاً: «ولو كانت في يد الأرتقية «أمراء الشام من الأتراك» لكان أصلح للمسلمين»^(١) .

وفي أيام نور الدين محمود زنكي كان وزيرهم «شاور» يستنجد بالصليبيين خوفاً على منصبه من ابن زنكي .

وعندما تملك صلاح الدين مصر، وانقطعت الدولة العبيدية، اتفق بقايا العبيدية على إرجاع الدولة، فراسلوا الفرنجة في صقلية يطلبون المساعدة، ولكن المؤامرة كُشفت وقُتل من تولى كبرها^(٢) .

ومن آثار دعوتهم أن أمير حلب محمود بن صالح بن مرداس عندما أراد تحويل الخطبة لبني العباس والسلاجقة - في عهد السلطان ألب أرسلان - ويترك العبيدين رفض العامة في حلب هذا التحول، وحملوا أثاث المسجد، وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب، فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها الناس؟! .

ولما استقرّ لهم الأمر في دمشق أُذِّن في نواحيها بـ «حي على خير العمل»، وكتب سب الشيخين على أبواب الجوامع، ولم تزل كذلك حتى أزيلت زمن دولة الأتراك والأكراد^(٣) .

لو لم يكن لهؤلاء الباطنية: إلا قتلهم للصالحين لكفى . . وقبل احتلال الصليبيين للقدس، قتل الباطنية في مستهل رمضان ٤٨٥ هـ في

(١) «وفيات الأعيان» (١/١٧٩) .

(٢) «الكامل» (١١/٣٩٨) .

(٣) «البداية والنهاية» (١١/٢٨٤) .

اليوم العاشر الوزير نظام الملك .

وفي التاريخ عظة وعبرة . أنه ما ضعف المسلمون إلا في عهود
دول البدع والزنادقة ، وكل هوان وذل حلّ بالقدس إنما هو من آثار البدع
عن دين الله عز وجل ، وتفشي البدع . . والواقع خير شاهد .



القدس

فتح بيت المقدس
على يد صلاح الدين

استعادة بيت المقدس

أفاق المسلمون من سباتهم ومن غفلتهم وبدءوا محاولاتهم لاستعادة الشام من أيدي الصليبيين. تكلمنا وأسهبنا في الحديث عن ضياع القدس، وسنسهب في الحديث عن عودتها هي وبلاد الشام، بل وعصور ما قبل الفتح التي مهدت وهيأت لعودة القدس.

□ ففي عام (٥٠٥هـ) تحمّس السلطان غياث الدين السلجوقي لمساعدة المسلمين في بلاد الشام، فجهز جيشًا كثيفًا برئاسة الأمير مودود ومعه من الأمراء: صاحب تبريز «سكمان القطبي»، وصاحب مراغة «أحمد بل»، والأمير إيلغازي صاحب «ماردين».

جمع مودود الجموع من أقاليم الجزيرة، وتوجه إلى الشام وانتزع من الصليبيين حصونًا كثيرة، ورجع أكثر الأمراء إلى مدنهم خوفًا من حصول أي انقلاب عليهم، ولما دخل الأمير مودود دمشق ذهب للصلاة في جامعها، فجاءه باطني بزيّ سائل فطلب منه شيئًا فأعطاه، فلما اقترب منه ضربه بسكين فمات من ساعته - رحمه الله - ^(١).

وأرسل ملك القدس الصليبي رسالة إلى ملك دمشق يقول فيها: «إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها، في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها» ^(٢).

□ وقام العلماء بالدعوة إلى الإصلاح، وكانت جهودهم كقطرات

(١) «البداية والنهاية» (١٢/١٨٥).

(٢) وثائق الحروب الصليبية.

الماء التي تتسرب في شقوق الأرض، ثم تتجمع وتخرج ينبوعاً صافياً. والأمة الإسلامية - حتى في حالات ضعفها - إذا سمعت بالجهاد، ورأت من يقوم به، فإنه يهزها هزاً، ويبعث كوامن شعورها ويستثيرها للطموح والمعالي، فعندما قدم القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام على بغداد مستنقراً للجهاد «سير الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب لاستقباله، فلقوه وأنزلوه المنزل اللائق به وكذلك فعل السلطان السلجوقي، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك أمثاله، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ولأجر الآخرة أكبر»^(١).

عماد الدين زنكي واسترجاع الرها:

في عهد السلطان محمد السلجوقي تولى عماد الدين زنكي شحنة بغداد «الحامية العسكرية» ولما توفي صاحب الموصل مسعود بن البرسقي قام القاضي بهاء الدين الشهرزوري، وصلاح الدين محمد صاحب البرسقي وعرضاً على السلطان أن يولي الموصل عماد الدين فوافق لما يعلمه من كفايته وشهامته. فأبان زنكي عن كفاية وحزم وبدأ مرحلة الجهاد التي آتت أكلها وأثمرت نتائجها، على يد ابنه نور الدين محمود، ثم صلاح الدين فكانا من خيرة السلاطين ديناً وشجاعة وحرصاً على الإسلام.

□ استطاع زنكي بفترة قصيرة توحيد أكثر أقاليم الجزيرة، ثم بدأ ببلاد الشام وأخذ بعض الحصون فلما رأى الروم والفرنجة ما فعله عماد الدين قرروا حصر حلب، ولم ير زنكي منازلهم بكثرتهم، بل نزل قريباً منهم لمناوشتهم، وأرسل القاضي كمال الدين الشهرزوري إلى السلطان

(١) «الكامل» (١٠/٤٥٣).

مسعود في بغداد يخبره بالواقع ويطلب النجدة، فقال القاضي محذراً عماد الدين من الاستعانة بعساكر السلطان: «إذا جاءت عساكر السلطان اتخذوا هذا حجة وملكوا البلاد». فقال زنكي: إن هذا العدو قد طمع فيّ وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام، وعلى كلّ فالمسلمون أولى بها من الكفار»^(١).

وكلام زنكي يختلف عما كان عليه كثير من أمراء المدن الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على ولايتهم ولو استعانوا بالكفار، بينما نجد أن زنكي لا يمانع من أخذ السلطان لحلب وتكون للمسلمين.

□ وفي سنة (٥٢٢هـ) استطاع زنكي تسلم مدينة حلب، وهكذا صار الفرنجة بإزاء رجل قوي يستطيع حشد الجيوش والأموال، فلما استقر له الحال ورأى أنه قد مهد الأمور، عند ذلك قرر مجابهة الفرنجة، وبدأ بحصن «الأثارب» الذي يقع بين حلب وأنطاكية، وذلك لشدة ضرره على المسلمين، وحاصر الحصن، وخرج له الصليبيون بخيلهم ورجلهم، وكان النصر للمسلمين وهي أول وقعة معهم، وخاف أهل قلعة حارم فصالحوه، ومن هنا استدار الزمان، وقوي المسلمون بتلك الأعمال، وضعفت قوى الكافرين، وعلموا أن البلاد جاءها ما لم يكن بالحسبان وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع»^(٢).

□ وفي سنة (٥٣٢) جاء الروم بجيش عظيم ومعهم الفرنجة، واستولوا على البلاد المحيطة بحلب، ثم حصروا مدينة شيزر، فأرسل صاحبها سلطان بن منقذ الكناني يستنجد زنكي، فجاء ونزل على حماه،

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (١/٣٥).

(٢) «الكامل» (١٠/٦٦٣).

وكل يوم يرسل السرايا يتخطف من الروم ويخرج لهم ويقول: اخرجوا إلى الصحراء نكتفي وهو يفعل ذلك ترهيباً لهم، ولكن ملك الروم آثر السلامة وانسحب إلى بلاده.

□ وفي سنة (٥٣٤) أغار زنكي على ممالك الإفرنج فاجتمعوا إليه، فلقيهم بالقرب من حصن «بارين» وصبر المسلمون صبراً لم يسمع بمثله إلا ما يحكى عن ليلة الهرير «القادسية» ونصر الله المسلمين، وهرب ملوك الإفرنج، ثم تسلم حصن «بارين» بالأمان، واستراح المسلمون ما بين حلب وحماه من شرهم^(١). وكان في نية زنكي توحيد بلاد الجزيرة تحت قيادته حتى يتمكن من مجابهة الأعداء، فسار إلى بلاد الهكارية، وكانت بيد الأكراد فأخذها ثم بلاد آق، وكل هذا كان تمهيداً للقيام بأعظم أعماله وهو فتح «الرها».

□ ففي سنة (٥٣٩) قرر زنكي محاصرة هذه المدينة، وكانت تحت حكم الصليبيين ويتملكها «جوسلين»، وحاصرها ثمانية وعشرين يوماً، ثم دخلها عنوة فاستباحها ونكس صلبانها، وأباد قسوسها ورهبانها، وعادت إلى حكم الإسلام، وهي من أشرف المدن عند النصارى، وسقطت بعدها الحصون القريبة، وأخلى الديار الجزيرة من حكم الفرنج وشرهم^(٢). لم يستطع زنكي إتمام هذه المرحلة فقد قتل وهو يحاصر قلعة «جعبر» التي تقع على نهر الفرات في إقليم الجزيرة.

□ قال ابن كثير يصفه: «من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، كان شجاعاً

(١) «الروضتين» (١/٣٤).

(٢) «الروضتين» (١/٣٦).

مقدامًا حازمًا»، وهو الذي بدأ بجهاد الصليبيين، وعادت الثقة إلى نفوس المسلمين ولكن التجديد الجهادي كان على يد ابنه نور الدين محمود.

نور الدين محمود زنكي

إذا ذكرت القدس . . . وكيف عادت إلى المسلمين بعد أخذ الصليبيين لها فلا بد من ذكر البطلين نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، وسنطيل في ذكر عهدهما لنعرف بم تنتصر الأمم، وكيف أن استعادة القدس كان ثمرة طيبة، لشجرة طيبة، ومن ثمارهم تعرفونهم.

إذا أردنا معرفة فضل هذا السلطان وأثره وجهاده، وأنه يمثل هو وصلاح الدين التجديد الجهادي في عصرهم، لا بد أن نذكر ما قاله المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي الملقب بأبي شامة عندما ذكر سبب اهتمامه بتاريخ هاتين الدولتين «النورية والصلاحية»، يقول عن نور الدين: «أطربني ما رأيت من آثاره، وسمعت من أخباره مع تأخر زمانه ثم وقفت بعد ذلك على سيرة سيد الملوك بعده الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين - رضي الله عنهما - في المتقدمين، فله درهما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة، والفضل للمتقدم «نور الدين» فإنه أصل ذلك الخير كله، مهد الأمور بعدله وجهاده وهيبته في جميع بلاده، ولكن صلاح الدين أكثر جهاداً وأعم بلاداً، صبر وصابر وذخر الله له من الفتوح أنفسه، وهو الذي فتح الأرض المقدسة»^(٢).

(١) «الروضتين» (٣٦/١).

(٢) «الروضتين» (٤/١).

□ ولد نور الدين سنة (٥١١) ونشأ مع والده في العراق، ثم الموصل وبلاد الشام، وبعد وفاة والده قام مقامه، وأظهر السُّنة في حلب وغير البدعة وقمع الرافضة، وبنى المدارس، ووقف الأوقاف، وأظهر العدل، وكان كثير المطالعة للكتب الدينية متبعاً الآثار النبوية مواظباً على الصلوات في الجماعات عاكفاً على تلاوة القرآن، عفيف البطن والفرج، مقتصدًا في الإنفاق، متحرياً في المطاعم والملابس، لم تسمع منه كلمة فحش^(١). قال عنه ابن الأثير: «طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وبعده إلى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة منه»^(٢).

ومن زهده وتقواه أنه كان لا يأكل ولا يلبس إلا من ملِك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة، ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، وقد شكت إليه زوجته الضائقة، وزيادة النفقة فاحمر وجهه وقال: من أين أعطيها ما يكفيها، واللَّه لا أخوض نار جهنم في هواها، ثم قال: لي بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكًا، وقد وهبتها إياها فلتأخذها^(٣).

روى أحد الملازمين له من أمرائه فقال: «كنت معه يوماً في الميدان بالرَّها والشمس في ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا فأجري فرسه وهو يلتفت وراءه، وقال لي: أتدري لأي شيء أجرى فرسي وألتفت ورائي؟ قلت: لا، قال: قد شبَّهت ما

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (٥/١).

(٢) «الكامل» (٤٠٣/١١).

(٣) المصدر السابق (٤٠٣/١١).

نحن فله بالءنا ءهرب من يطلبها؁ وءطلب من يهرب منها». قال أبو شامة: رضى الله عن ملك يفكر فى مثل هذا^(١)
 □ وقال ابن الأثير: وكان يصلى كثيراً من الليل؁ ويدعو ويستغفر؁ ولا يزال كذلك إلى أن يركب:

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب فى المحراب^(٢)

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبى حنيفة؁ وليس عنده تعصب؁ بل الإنصاف سجيته فى كل شىء؁ وعلى الحقيقة فهو الذى جدد للملوك اتباع سنة العدل والإنصاف؁ وترك المحرمات من المأكلى والمشرب والملبس؁ فإنهم كانوا قبل ذلك كالأهلىة همة أحدهم بطنه وفرجه؁ لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً؁ أما عدله فإنه كان أحسن الملوك سيرة؁ فلم يترك فى بلد من بلاده ضريبة ولا مكساً ولا عشراً؁ بل أطلقها - رحمه الله - جميعها فى بلاد الشام والجزيرة ومصر^(٣).

ومن عدله أنه بنى داراً للعدل؁ وكان سبب بنائها أن أمراء وقواد جيوشه تعدوا على من يجاورهم؁ فكثرت الشكاوى إلى القاضى كمال الدين؁ فأنصف بعضهم ولم يتجراً على القائد أسد الدين شيركوه؁ فلما سمع نور الدين بذلك بنى هذه الدار وأحسن أسد الدين بهذا فقال لنوابه: والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم لأصلبته؁ فامضوا إلى

(١) «الروضتين» (٦/١).

(٢) «الكامل» (٤٠٣/١١).

(٣) «الروضتين» (٣٤/١).

كل من بينكم وبينه منازعة فأرضوه وافصلوا الحال معه^(١) ، فقالوا: إذا فعلنا هذا فإن الناس يشتطون في الطلب، فقال: خروج أملاكي عن يدي أسهل علي من أن يراني نور الدين بعين أبي ظالم، وكان نور الدين يجلس في هذه الدار يومين في الأسبوع، فلما علم ما حصل مع أسد الدين شيركوه سجد لله شكراً^(٢) .

وأما فعله في بلاد الإسلام من المصالح فكثير، فقد بنى أسوار مدن الشام جميعها وأحكم بناءها، وبنى المدارس بحلب وحماه ودمشق، وكان أهل الدين عنده في أعلى محل، وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك، فقد ذكر أحد الأمراء الشيخ قطب الدين النيسابوري أمام نور الدين، فقال له السلطان: «يا هذا، الذي تتكلم عليه فله حسنة تغفر كل زلة، وهي: العلم والدين، وأما أنت وأصحابك ففيكم أضعاف ما ذكرت، وليست لكم حسنة تغفرها، وأنا أحمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم، أفلا أحمل سيئة هذا - إن صحت - مع وجود حسنته، على أنني والله لا أصدقك فيما تقول، وإن عدت وذكرته بسوء لأؤدبكم»^(٣) .

ومن عفته وتقواه أن ما كان يهدى إليه من هدايا الملوك لا يتصرف في شيء منه لا قليل ولا كثير، بل يخرجها إلى مجلس القاضي ويحصل ثمنه ويصرفه في عمارة المساجد المهجورة، وأمر الخطباء بإسقاط ألقابه في الدعاء له على المنابر، وكان كما وصفه العماد الأصفهاني: «هو الذي

(١) أي: أنهوا المشكلة بأي طريقة، ولو أن ترهنوا له كل ما يطلب.

(٢) «الروضتين» (٨/١).

(٣) «الروضتين» (٩/١).

أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام وقد غلب الكفر، وبلغ الضرر، فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها^(١). وعندما تملك الموصل أمر قائد شرطتها أن لا يعمل شيئاً إلا بالشرع الذي يأمر القاضي به، وكانوا قبله يعملون بالسياسة^(٢)، وطلب منه أن يزيد في العقوبات فرفض وقال: هذا زيادة في الشريعة.

العلماء في عهد نور الدين:

إن للعلماء الدور الأكبر في الإصلاح الذي يبتغيه نور الدين، فقد أفسح لهم المجال وقدرهم أكبر التقدير ولذلك وفد عليه العلماء، أو طلبهم ليساعدوه في مهمته الصعبة.

ومن العلماء الذين تربوا في المدرسة الشافعية: القاضي كمال الدين الشهرزوري محمد بن أبي محمد، وكان رسول عماد الدين زنكي إلى بغداد، ثم انتقل إلى دولة نور الدين بالشام، وتولى تعيين القضاة، وترقى إلى درجة الوزارة وحكم في بلاد الشام، وكان فقيهاً أديباً، شاعراً شهماً جسوراً، عظيم الرياسة خبيراً في تدبير الملك^(٣).

ومنهم علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ الحنبلي، قدم بغداد وتفقه بها، وسمع الحديث، ثم رجع إلى بلده دمشق، وكان رسول نور الدين إلى بغداد عام (٥٦٤) ثم كانت له حظوة عند صلاح الدين^(٤).

(١) «الروضتين» (١١/١).

(٢) المصدر السابق (١٣/١).

(٣) «وفيات الأعيان» (٤/٣٤١).

(٤) «البداية» (٣٩/١٣).

ومنهم القاضي عبد الله بن محمد بن أبي عصرون أحد أئمة الشافعية، باشر في أيام نور الدين التدريس في الغزالية، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين مدرسة وبحمص أخرى توفي عام (٥٨٥) (١).

والقاضي محي الدين محمد بن كمال الدين الشهرزوري قاضي حلب تفقه بالمدرسة النظامية في بغداد (٢).

جهاد نور الدين محمود :

لم يكن الجهاد عند نور الدين حلاً مؤقتاً، أو مصلحة تقتضيها الظروف، بل الأصل هو الاستعداد للجهاد وغزو الكفار، فقد عاتب نور الدين السلطان قلع أرسلان السلجوقي الذي كان يحكم ملطية وسيواس، وأقصرا من بلاد الأناضول المجاورة للروم، عاتبه؛ لأنه يحاول التسلط على بلاد الإسلام، ولا يقاتل الروم، وقال له: «أنت مجاور للروم ولا تغزوهم، وبلادك قطعة كبيرة من بلاد الإسلام، ولا بد من الغزاة معي» (٣).

وفي إحدى عزماته لقتال الصليبيين، أرسل إلى أخيه قطب الدين صاحب الموصل وإلى صاحب حصن «كيفا» وصاحب ماردين، فاستجابوا له، أما صاحب حصن كيفا فقد قال له أصحابه: على أي شيء عزمت؟ قال: على القعود فإن نور الدين يلقي نفسه والناس في المهالك (٤) فوافقه على رأيه فلما كان الغد أمر بالتجهز للغزاة، فقال له

(١) «البداية» (١٢/٣٥٥).

(٢) «الروضتين» (١/١٨٥).

(٣) «الكامل» (١١/٣٩٢).

(٤) هذا منطق المهزمين الذين لا يرغبون في الجهاد ويبررون لأنفسهم القعود، وهذا كله بسبب حب الدنيا والتهالك عليها. والدول العربية تبرر عدم نصرة فلسطين بأنهم لا يستطيعون محاربة أمريكا، ولا يريدون أن تجرهم إسرائيل إلى معركة لم يعدوا لها.

أولئك: ما عدا مما بدا؟ فارقناك أمس على حالة، فترى اليوم ضدها.
قال: إن نور الدين قد سلك معي طريقاً إن لم أنجده خرج أهل بلادي
عن طاعتي، فإنه قد كاتب زهادها وعبادها يذكر لهم ما لقي المسلمون
من الفرنج ويستمد منهم الدعاء ويطلب إليهم أن يحثوا المسلمين على
الغزاة، فقعد هؤلاء ييكون ويلعونني ويدعون عليّ، فلا بد من المسير إليه^(١).
وفي وقعة بانياس، وفتح قلعتها كان معه أخوه نصر الدين فأصابه
سهم أذهب إحدى عينيه، فلما رآه نور الدين قال: لو كشف لك الأجر
الذي أعد لك لتمنيت ذهاب الأخرى، وكان معه في هذا الفتح ولد
«معين الدين أنر» الذي سلّم قلعة بانياس للفرنجية، فقال له نور الدين:
للمسلمين فرجة واحدة بهذا الفتح ولك فرجتان، فقال: كيف ذاك؟
قال: لأن اليوم برّد الله جلد والدك من النار^(٢).
فتوحات نور الدين:

من أوائل وقعاته مع الفرنجة أنه أثناء زيارة والي دمشق «معين الدين
أنر» في بعلبك جاءهم كتاب من صاحب طرابلس الصليبي يحثهم فيها
على أخذ حصن العريمة، فاستغل نور الدين هذا الطلب، وحاصر هو
ومعين الدين الحصن وأخذه.

□ وفي سنة (٥٤٣) سار نور الدين إلى بصرى الشام، وقد اجتمع
فيها الفرنجة عازمين على قصد الجزء الداخلي من بلاد الشام، فالتقى بهم
هناك واقتتلوا أشد القتال، ثم أنزل الله نصره على المسلمين وانهزم الفرنجة^(٣).

(١) «الكامل» (١١/٣٠٢).

(٢) «الكامل» (١١/٣٠٤).

(٣) «الروضتين» (١/٥٥).

وفي سنة (٥٤٤) هاجم حصن حارم وخرّب ما حوله، ونهب ثم رحل عنه إلى حصن آتب ودارت معركة مع الفرنجة، انتصر فيها المسلمون وقتل فيها أمير أنطاكية، ثم سار نور الدين إلى حصن «فاميا» وحاصره وضيق عليه ثم تملكه صلحاً^(١).

وفي سنة (٥٤٦) استطاع نور الدين بعد أسر «جوسلين» أخذ شياطين الفرنجة، استطاع أخذ قلاع تل باشر، وعين تاب، وعزاز، ومرعش وغيرها من أعمال حلب.

وفي سنة (٥٤٩) دخلت دمشق ضمن دولته، وكان نور الدين يخطط من زمن لأخذها لأنها في طريقه إلى الصليبيين، وهي ضعيفة وحدها وإذا حاول أخذها بالقوة فإن ملكها يستجير بالصليبيين، عدا عن كره نور الدين لسفك الدماء، ولذلك تحايل على مجير الدين حتى فاجأه بهجوم سريع بعد أن كاتب أهل دمشق ليسلموها له فدخلها دون قتال يذكر، وأعطى مجير الدين مدينة حمص.

وفي سنة (٥٥٩) كان فتح حارم وهي من أعظم معارك نور الدين مع الصليبيين إذ جاء الفرنج بحدّهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم، وكان المقدم عليهم البرنس «بيموند» صاحب أنطاكية و«قمص» صاحب طرابلس وابن جوسلين، واستطاع نور الدين جرهم إلى معركة خارج حصن حارم وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً ووقع كل الأمراء والملوك أسرى بين يديه.

وفي سنة (٥٦٠) فتح حصن المنيطرة وغنم فيه مغانم كثيرة.

وفي سنة (٥٦٢) تملك نور الدين صافيتا والعريمة.

توحيد مصر والشام:

لم يغب عن بال السلطان محمود أن توحيد بلاد الشام ومصر من أقوى الأسباب للوقوف في وجه الصليبيين، وجاءت الفرصة المناسبة عندما استجار به وزير العبيدين في مصر شاور السعدي، وذلك لمساعدته في إرجاع منصب الوزارة الذي فقده، بادر نور الدين للإجابة، وأرسل جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين ثلث دخل مصر، دخل جيش نور الدين القاهرة، وأعاد شاور للوزارة، ولكن شاور غدر ما عاهد عليه، وطلب من أسد الدين مغادرة مصر واستنجد بالصليبيين الذين وجدوها فرصة فاضطر أسد الدين للانسحاب دون خسائر، وفي نيته العودة لمصر لتأديب شاور.

وفي عام (٥٦٢) كان أسد الدين قد أكمل الاستعدادات وجدّ في السير فوصل مصر وعسكر غربي القاهرة، فالتقى مع المصريين يساعدهم الفرنجة، وهزمهم شر هزيمة، وليس معه إلا ألفان من الفرسان، ثم إن المصريين بذلوا له الأموال للصالح فوافق ورجع للشام، وكان الفرنجة في هذه المرة قد تمكنوا من شاور وحكومته وشرطوا شروطاً منها: أن يكون لهم حامية في القاهرة، فتحكموا في المسلمين واستدعوا الصليبيين من فلسطين لأخذ مصر، فاشتد خوف نور الدين أن يأخذ الكفار مصر، فتجهز أسد الدين للمرة الثالثة، وأخذ معه ابن أخيه صلاح الدين وهو كاره لذلك، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، وكان شاور قد أرضى الصليبيين بالمال ليعودوا عن مصر، فاستجابوا له، ولكن أسد

الدين كان قد عزم هذه المرة أن يستقر بمصر وبدأ شاور يماطل، ويعمل الحيل لإبعاد جيش نور الدين، وقرر القبض على أسد الدين وأمرائه، فأشار عليه ابنه «الكامل» بألا يفعل، فقال له شاور: لئن لم أفعل لنقتلن جميعاً، قال الابن: لأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج، ولكن شاور أصر على غدره، وشعر به قواد أسد فاتفقوا على قتله واستراحوا منه واستراحت مصر منه أيضاً، وأصبح أسد الدين وزيراً للدولة المصرية العبيدية، وكان آخر ملوكها العاضد ليس له من الأمر شيء. فكانت وزارة شيركوه أول خطوة على طريق إعادة مصر إلى السنة، وبعد شهرين من وزارته توفي - رحمه الله - وتولى بعده ابن أخيه صلاح الدين، وهو الذي أزال الدولة العبيدية بعد إلحاح من نور الدين بأن يقطع الخطبة للعاضد، ويخطب للخليفة العباسي وصلاح الدين يعتذر خوفاً من أهل مصر، ولكن عندما استجاب لم يخالفه أحد ولم ينتطح فيها عنزان، وهكذا كان إرجاع مصر للسنة وتوحيدها مع بلاد الشام من خطوات الجهاد المباركة التي بدأها نور الدين - رحمه الله - وأكمل هذه الخطوات السلطان المجاهد صلاح الدين.

إن فكرة الوحدة بين الأقطار - الإسلامية - ولو كانت مبدئياً بين الأقطار المتجاورة - من أعظم الخطوات في مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية، خاصة إذا قامت هذه الوحدة على أسس سليمة، والبديل عن الوحدة هو التمزق وإثارة الإقليميات الضيقة، وإذا كانت الوحدة بين المسلمين مطلباً شرعياً، فإنهم بحاجة إليها هذه الأيام أكثر مما سبق، فالعالم كله يتكتل كي ينافس ويقوى على التحديات، فكيف إذا كان

العالم الإسلامي غارقاً في المشاكل الإقتصادية والاجتماعية. وفي واقعنا الآن لا تتأتي هذه الوحدة إلا إذا سبقتها وحدة الدعاة المخلصين، لأنهم هم الأجدر بإقامة الوحدة بعدئذ، وأما غيرهم ففي دعوته للوحدة شوائب وأكدار...

* وقفات مع نور الدين محمود بن زنكي:

□ يرحم الله ذلك الجبل الشامخ القائل:

«إذا كان معي ألف فارس لا أبالي بأعدائي قلّوا أم كثروا. والله لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأري»^(١).

«ذكر أبو شامة في كتابه «الروضتين»: «أنه جاء إلى السلطان نور الدين ذات يوم جماعة من العلماء... وقال قائلهم: أيها السلطان نطيب إليك أن تبتسم، فسألهم السلطان: وعلام الابتسام؟ فقال الرجل: جئنا إليك أيها السلطان نروي عليك بسندنا المتصل إلى الرسول ﷺ حديثاً مسلسلاً قاله الرسول، وهو يبتسم، ومن شروط الحديث المسلسل أن يفعل راويه مثلما كان يفعل الرسول ﷺ وهو يحدث به، فالتفت إليهم السلطان، والأسى يكاد يفطر فؤاده، وقال: كيف أبتسم أيها القوم، والمسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس، راسف في قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الأعداء؟».

(١) «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» لابن الأثير ص (١١٧ - ١١٨)، و«الكامل» (١١/ ٢٩٤ - ٢٩٥)، و«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي (٨/ ٢٢٤).

وقد دأب نور الدين على إرسال الفدائيين للإغارة على أطراف مملكة القدس الفرنجية، ومما هو جدير بالإشارة إليه في هذا الصدد، أن أحد الباحثين - الأجانب - عن الآثار عثر على صهريج قديم في منطقة وادي الجوز بالقدس، بداخله كتابات لم يستطع أن يقرأها، فحوّلت إلى العالم «ماكس فان برشم» فقرأ فيها أسماء أشخاص تلت كل اسم منهم عبارة: «خرج وهو يسأل الله الشهادة».

وقد أكّد «عادل جبر» - أحد علماء فلسطين - بعد أن زار المكان وقرأ الكتابات أن الأسماء هي أسماء الأبطال من رجال نور الدين زنكي، كان يبعث بهم ليجمعوا له المعلومات عن أحوال العدو، وكان نور الدين على ثقة تامة من استرجاع القدس، حتى أمر بصنع منبر في حلب للمسجد الأقصى سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م.

* منبر نور الدين محمود بن زنكي :

ولا ريب أن التفكير في إعداد المنبر من قبل نور الدين واستحضار أمهر المهندسين والخبراء لإعداده وقضاء عدة سنين في ذلك يدل على تصميم نور الدين في إعداد العدة لإنقاذ القدس، وهو موقف نابع من شعوره الإسلامي في عدم جواز السكوت على القدس خارجة عن السيادة الإسلامية^(١).

(١) مجلة القدس العدد ٦ - صفر ١٤٢٠ هـ مقال: «منبر نور الدين بالقدس» نبوءة بالعزيمة غدت حقيقة - بقلم فيصل الخيري.

إن عدهءاً من أشهر الصناع المهندسين في مدينه حلب بدءوا في إعداد المنبر بأمر نور الدين واستمروا في صنعه عده سنين، حتى جاء تحفة فريده من نوعها من حيث الدقة والجمال والزخرفة. لم يكن هذا المنبر مفخرة الأقصى فحسب، بل مفخرة الحرم كله، لا بل إن فلسطين أو حتى سورية كلها كانت تفتخر به. وإن حضارة القرن العشرين تعجز عن صنع مثيل له، فهو مصنوع من الخشب الثمين - الأرز والأبنوس - ومطعمً بالعاج والصدف، فيه لوحات صغيرة زخرفتها أنيقة، ولفائف وأوراق صغيرة ونخيل صغير، توفق بينها أنماط خفيفة ذات فن هندسي، ويقال بأن هؤلاء الصناع حرصوا على إتمام المنبر من أوله إلى آخره، دون أن يدخلوا فيه أي مسمار أو أي مادة غير الخشب الثمين، وقد أعجب به رواة الأخبار من أهل العصور الوسطى - المتقدمين منهم والمتأخرين - أكثر من إعجابهم بأي شيء مصنوع من الخشب في هذا الجزء من العالم، غير أن المنية عاجلت نور الدين قبل تحقيق أمنيته، فمات والمنبر في طور الإعداد، فلما تولى السلطان الملك الصالح إسماعيل، تابع ما كان أبوه قد بدأه حتى أتمه نهائياً في أيامه، أي في حوالي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م.

□ ولما دخل صلاح الدين القدس فاتحاً أمر بأن يُعمل له منبر، فقيل له: «إن نور الدين محموداً كان قد عمل بحلب منبراً، أمر الصناع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه، قال: هذا قد عملناه لينصب ببيت المقدس،

فأمر صلاح الدين بإحضاره، فحمل من حلب ونُصِبَ بالقدس، وكان بين عمل المنبر وحمله عشرين سنة، وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده - رحمه الله -.

□ قال أبو شامة: «قال العماد: لما فتحنا القدس أمر بتعمير المحراب وترخيمه، وتكميل حُسنه وتتميمه، ووضع منبر رسمي في أول يوم قضى فيه الفرض، واحتيج بعد ذلك إلى منبر حسن رائق، بحسنه لائق، وبجماله شائق، وبكَماله فائق، فذكر السلطان المنبر الذي أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي - رحمه الله - لبيت المقدس قبل فتحه بنيف وعشرين سنة، وأودعه له من ذخائره عند الله حَسَنَةً، فأمر أن يكتب إلى حلب ويطلب، فحُمِلَ وعُمِلَ على ما أمر به وامتل، فجاء كالروض النضير، والوشي الحبير، عديم النظر.

وكان من حديث إحدائه، ما ألهم الله نور الدين - رحمه الله - لارتياح خاطره إليه وانبعائه، وقد أوقع في رُوعه، من النور الفاضل من ينبوع ضلوعه، أن البيت المقدس بعده سيفُفتح، وأن صدور المسلمين الحُرَجَة لأجله ستُشرح، وهو من أولياء الله المُلهَمين، وعباده المُحدَثين المُكْرَمين، وكان بحلب نجار يعرف بالأختريني من ضيعة تُعرف بأخترين، لم يُلَفَ له في براعته وصناعته قرين، فأمره نور الدين بعمل منبر لبيت الله المقدس، وقال له: اجتهد أن تأتي به على النَّعْتِ المُهْنَدِمِ والنَّحْتِ المِهْنَدِس. فجمع الصَّنَاع، وأحسن الإبداع، وأتمه في سنين، واستحقَّ بحسن إحسانه التحسين، والناس يقولون: هذا أمر مستحيل، وحكم ما

له دليل، وذكر جميل، وأجر جزيل لو كان إليه سبيل، وهيهات أن يعود القدس إلى الإسلام، ويقضي الإصباح فيه على الإظلام، فإن الفرنج مستولون مستعلون، ويكثرون على الأيام ولا يقلّون، أما ناصفونا على أكثر أعمال حوران، وقابلوا الكفر بالإيمان! وقد أعجزوا ملوك الإسلام إلى اليوم، فما أصعب وأتعب وقم^(١) القوم. ويقول من له قوة اليقين، وعرف أن الله كافل بنصره الدين: اصبروا، فليسرّ هذه الأمة نبأ، وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفَلَكَ وَكَلَّمَ مَرْءًا عَلَيْهِ مَلَأً﴾ {هود: ٣٨}.

ولم يزل لنور الدين في قلبه من الدين نور، وأثر تقواه للمتقين مأثور، أزهّد العباد، وأعبد الزهاد، ومن الأولياء الأبرار، والأتقياء الأخيار، وقد نظر بنور الفراسة أن الفتح قريب، وأن الله لدعائه ولو بعد وفاته مجيب، ويزيد قوة عزمه جدًّا، وتمدّه بحياة الربانية مدًّا، قد طهره الله من العيب، ونزّهه من الرّيب لنقاء الجيب، وشملت الإسلام بعده بركته، وخُتِمت بافتتاح مُلكٍ صلاح الدين مملكته، وهو الذي ربّاه ولبّاه، وأحبّه وحباه، وهو الذي سنّ الفتح، وسنّى النّجح.

ولما فتح السلطان القدس تقدّم بحمله، وصحّ به في محراب الأقصى اجتماع شمله، وظهر سرّ الكرامة في فوز الإسلام بالسلامة، وتناصرت الألسن بالدعاء لنور الدين بالرحمة، ولصلاح الدين بالنصرة والنّعمة.

(١) الوقم: القهر.

□ وقال العماد في موضع آخر من كتاب «البرق»: وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي - رحمه الله - في عهده عَرَفَ بنور فراسته فتح البيت المقدس من بعده، فأمر في حلب باتخاذ منبر للقدس، تَعِبَ النَجَّارون والصُّنَّاع والمهندسون فيه سنين، وأبدعوا في تركيبه الإحكام والتزيين، وأنفق في إبداع محاسنه وإبداء مزاينه أُلُوفًا، وكان لترديد النظر فيه على الأيام أُلُوفًا، وبقي ذلك المنبر بجامع حلب منصوبًا، سيقًا في صَوَانِ الحِفظ مقروبًا، حتى أمر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالنَّذَرِ النوري، ونَقَلَ المنبر إلى موضعه القدسي، فعُرِفَتْ بذلك كرامات نور الدين، التي أشرق نورها بعده بسنين، وكان من المحسنين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

□ قال أبو شامة: وهذا الذي نسبته إلى نور الدين - رحمه الله - من أنه كرامة من كراماته لائق بمحلّه ومنزلته من الدين، وليس بالبعيد من مثل ذلك.

وكان - رحمه الله - قد بَدَتْ له مخايل ذلك بما تسنّى له من فتح البلاد الشامية والمصرية، وقهر العدو بين يديه مرارًا، وكان فتح القدس في همته من أول مُلكه، فإن لم يكن حَصَلَ له مباشرة فقد حصل له تسبُّبًا، فإن الفاتحين له - رحمهم الله - بنّوا على ما أسَّسه لهم من المُلك والتدبير، وهم أمراؤه وأتباعه وأجناده وأشياعه^(١).

وقد صنع هذا المنبر: ابن ظافر الحلبي، وسليمان بن معالي،

(١) كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» (٣/ ٣٩٢ - ٣٩٤).

وحميد بن ظافر؁ وفضايل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي - رحمهم الله - .
ولقد ظلّ هذا المنبر الرائع بالمسجد الأقصى حتى التهمه حريق
الأقصى بتدير اليهود يوم الخميس ٨ من جمادى الآخر سنة ١٣٨٩هـ/
٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩م .

صلاآ الدين يوسف بن أيوب

في أجواء الجهاد الذي أقامه نور الدين محمود وفي أجواء الجد
والإصلاح وإعادة دور العلماء في التوجيه والمشاركة . في هذه الأجواء وجد
صلاآ الدين نفسه في موقع المسؤولية بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه
وزيراً لآخر ملوك الدولة العبيدية في القاهرة «العاصد» الذي رغب في أن
يكون صلاآ الدين وزيراً له لأنه ظن فيه الضعف؁ ويستطيع الاستفادة من
الجيش الذي معه لحماية مصر؁ ولكن الأمور جاءت على غير ما يحتسب؁
فقد شمر صلاآ الدين عن ساعد الجد «وترك اللهو؁ وتقمص بلباس
الدين؁ وحفظ ناموس الشرع» ^(١) وكشف هذه المسؤولية التي ألزمها عن
شخصية فريدة؁ ومعدن أصيل فحمل هموم المسلمين والإسلام؁ ولم يهدأ
له بال؁ ولم يذق طعم الراحة حتى لقي ربه .

ونحن هنا لا نؤرخ للدولة الأيوبية؁ وإنما نذكر أثر هذا الجو
الجهادي في شخصية صلاآ الدين؁ وكيف هياأ له رجالاً من العلماء؁
والقادة العسكريين مما أعانه على مهمته الكبيرة .

(١) «الروضتين» (١/١٧٣) .

بعض أعمال صلاح الدين:

١ - إرجاع مصر إلى السنة:

عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة، وولى رئيساً للقضاة: عبد الملك بن درباس الشافعي، كما قطع الأذان بـ«حي على خير العمل» وأقام الخطبة للخليفة العباسي بعد أن انقطعت الخطبة للعباسيين بمصر (٢٠٨) سنة، وقد بشر نور الدين محمود الخليفة العباسي بذلك، وفرح الناس ونظم العماد الأصفهاني في هذه المناسبة:

توفي العاضد الدعيّ فما	يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا	يوسفها في الأمور محتكما
وصار شمل الصلاح ملتئماً	بها وعقد السداد منتظماً

٢ - توحيد بلاد الشام ومصر:

بعد وفاة نور الدين - رحمه الله - واضطراب بلاد الشام جاء صلاح الدين فاستلم دمشق ثم حمص وحماه، وحاصر مدينة حلب، ولكن المنتفذين فيها الأوصياء على ابن نور الدين «إسماعيل» لصغر سنه طلبوا المساعدة من الشعب، ويبدو أن قسماً كبيراً من هذا الشعب كان يحن إلى التشيع الذي أبطله نور الدين، فاشتروا للمساعدة العمل بأقوالهم وأفعالهم، فاستجاب زعماء المدينة لهذا الشرط ولم يكتفوا بهذا، فعندما رأوا قوة صلاح الدين واستمراره في الحصار طلبوا المساعدة من الحشاشين الإسماعيلية الذين اتخذوا من مدينة «بانياس» مقراً لهم. فحاول هؤلاء - على طريقتهم - اغتيال صلاح الدين، ولكن الله نجاه منهم، وترك

حصار حلب فترة ثم رجع لها مرة أخرى، وحاول الحشاشون اغتياله للمرة الثانية ففشلوا، وقتل من جاء منهم لهذه العملية والذين يسمونهم «الفداوية» ولم يكتف أهل حلب بذلك بل استعانوا بصاحب طرابلس الصليبي، فلم يهتم به صلاح الدين، وأرسل كتيبة تناوشه عند حمص^(١).

ومع ذلك فقد تراجع صلاح الدين عن حلب مؤثراً عدم الدخول في حرب طاحنة مع أهلها، خاصة وأنهم طلبوا الصلح، وشفعوا في ذلك بآبن نور الدين محمود، ولكن نية السلطان لا تزال في توحيد بلاد الشام ومصر حتى تقوى على الوقوف في وجه العدو، وأثناء هذا أراد قطع دابر الفساد وضرب «الحشاشين» فهاجمهم في عقر دارهم، وقتل منهم وسبى، ولكن خاله شهاب الدين الحارمي صاحب حماه شفع بهم فقبل السلطان شفاعته^(٢). ولم يتمكن صلاح الدين من ضم حلب إلا بعد وفاة آبن نور الدين واختلاف أقاربه بعده، فسلموها للسلطان وبذلك يكون قد اطمأن إلى القاعدة الأساسية الراسخة للصدام مع الصليبيين.

كما قال القاضي آبن شداد: «لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولده طفلاً لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عدو الله عن البلاد، تجهز للخروج إلى الشام إذ هو أصل بلاد الإسلام»^(٣)، ومع

(١) هذه من المصائب التي ابتلي بها المسلمون، وهي استعانة بعض الأمراء بأعداء الله كي تبقى لهم السلطة والسيطرة على مدينة واحدة. وهذا هو حال المجتمع عندما تسيطر عليه الأنانية والأهواء وخسة الطباع، وهو راجع إلى تدهور الحالة الأخلاقية وضعف الوازع الديني، وليس في الأذهان أي مشروع حضاري.

(٢) تتكرر هذه الشفاعات في عدم استئصال الباطنيين في بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية ومن بعدها، وهذه غفلة من أهل السنة ناتجة عن طيب قلوبهم.

(٣) «الروضتين» (١/٢٣٦).

ذلك فلم يترك صلاح الدين الجهاد في هذه الفترة بل اصطدم مع الصليبيين في عدة معارك مثل «مرج عيون» وغيرها، ولكنه لم يكن مطمئناً إلى الصدام الكامل مع الفرنجة.

جهاده:

استقر الأمر لصلاح الدين في مصر والشام وكثير من مدن إقليم الجزيرة، وقد مرض في إحدى حملاته على إقليم الجزيرة، فنذر لئن شفاه الله ليصرفن كل همه لقتال الفرنجة وفتح بيت المقدس، وليقتلن «صاحب الكرك» الصليبي بيده، وكان هذا النذر بإشارة من وزيره القاضي الفاضل^(١).

بعد هذا بدأ بحملات مركزة على المدن القريبة قبل أن يظفره الله بالفتح الأعظم، وهو استرجاع بيت المقدس فقد انتصر على الفرنجة في موقعة «مرج عيون» سنة ٥٧٥هـ وموقعة «بانياس» وأسر رؤساءهم ودمر حصن الأحزان في صفد، وما زال يناوش الفرنجة حصناً بعد حصن حتى تجمع عنده جيش كبير في سهل حطين حيث كانت الموقعة الكبرى.

حطين مقبرة للصليبيين مهدت لفتح القدس:

هو للمسلمين يوم النصر، وللفرنج يوم الكسرة، مُلك عليهم صليب الصلبوت، وتم أسر ملوكهم: الملك جفري، والبرنس أرنات، وأخي الملك جفري، و«أوك» صاحب جُبيل، و«هنفري بن هنفري»، وابن صاحب إسكندرونة صاحب مَرْقِية، وأسر الشيطان وجنوده، وملك

(١) «عيون الروضتين» (١/٣٦).

الملك وكنوده «فمن شاهد القتلى، قال: ما هناك أسير، ومن عاين الأسرى، قال: ما هناك قتيل. ومُذ استولى الفرنج على ساحل الشام، ما شُفي للمسلمين كيوم حطين غليل، فما أفلت من تلك الآلاف إلا آحاد، وما نجا من أولئك الأعداء إلا أعداد».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٤٢/١٢): «كان النصر من الله عز وجلّ، فمنحهم الله أكتافهم، فقتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أُسر جميع ملوكهم، سوى «قومس» طرابلس؛ فإنهم انهزموا في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صُلب عليه المصلوب، وقد غلّفوه بالذهب واللالئ والجواهر النفيسة، ولم يُسمع بمثل هذا اليوم في عزّ الإسلام وأهله، ودَمَغ الباطل وأهله، حتى ذُكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيّفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج، وقد ربطهم بطُنب خيمة، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يُسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فلله الحمد دائماً كثيراً، طيباً مباركاً».

وقال العماد: «ولقد رأيت في الحبل الواحد ثلاثين أو أربعين يقودهم فارس، وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميمهم حارس». وبلغ ثمن الأسير بدمشق ثلاثة دنائير، وبيع الرجل وزوجته وأولاده في النداء بيعة واحدة».

وكان من الأسرى صاحب الكرك «أرناط» الذي كان يؤذي الحجاج وفي نيته احتلال المدينة النبوية، فقتله صلاح الدين بيده ووفى بنذره،

وقتل كل «الداوية»، و«الأسبارتية» لأنهم من شياطين الصليبيين وأشدّهم عداوة.

السلطان الناصر يوسف يخرج بلاد الحق فلسطين من سجنها ويحررها:

لقد فتح صلاح الدين بعد كسره حطين، وقبل فتح بيت المقدس، أكثر من خمسين بلدة ومدينة، فتح طبرية ثاني يوم الكسرة.

□ قال القاضي بهاء الدين بن شداد: «ثم رحل السلطان طالباً عكاً فقاتلها بكرة الخميس مستهل جمادى الأول، فأخذها واستنفذ من كان بها من الأسارى، وكانوا زهاء أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الذخائر والأموال، والتجائر والبضائع؛ فإنها كانت مظنة التجار، وتفرقت العساكر في بلاد الساحل، يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة، فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية، وصفورية، والناصرية، وكان ذلك لخلوّ الرجال بالقتل والأسر.

□ وقال العماد: خرج أهل البلد - يعني عكاً - يطلبون الأمان، فأمنهم على أنفسهم فقط، وفتحوا البلد يوم الجمعة، فجئنا إلى كنيسة العظمى، فرتّب بها المنبر والقبلة، وهي أول جمعة أُقيمت بالساحل بعد يوم الفتح^(١)، وفتح العادل حصن «مسجد يابا» ومدينة «يافا» عنوة. وفُتحت «القلعة» وهي قلعة للداوية حصينة، وفيها ذخائرهم وأموالهم، وفُتحت «دبورية»، و«جنين»، و«زرعين»، و«الطور»، و«اللجون»، و«بيسان»، و«القيمون»، و«مالعكا»، و«طبرية» من الولايات، و«الزيب»

(١) بعد غياب اثنتين وسبعين سنة.

و«معليا»، و«البعنة»، و«إسكندرونة»، و«منواث»، و«أرسوف»، واستولى على تلك الشמוש والأقمار الكسوف والخسوف، وفتح المسلمون «سبيطية»، وفيها مشهد زكريا - عليه السلام -، وقد اتخذ «الأقسا» كنيسة، وقد حجبه وحلّوه، ففتح للمسلمين أبوابه، وأظهر للمصلين محرابه. وأرسل السلطان إلى «تبين» ابن أخيه تقي الدين فضايقةا، فراسلوا السلطان وسألوه الأمان، واستمهلوا خمسة أيام، فأمهلوا، وأطلقوا أسارى المسلمين، وهذا دأبه في كل بلد يفتحه؛ أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها، ويعيد بعد عدها وجودها، فخلص - تلك السنة - من الأسر أكثر من عشرين ألف أسير، ووقع في أسره من الكفار مائة ألف، ثم تسلم السلطان بعد «تبين» «صيда»، و«صرفند»، و«بيروت»، و«جبيل»، وكان صاحب جبيل في الأسر فسلّمها وسلّم، وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجبيل ونابلس مسلمين، فذاقوا العزة بعد الذلة، ورفع المسلمون رؤوسهم، وعرفوا نفوسهم، وكان كلّ من استأمن من الكفار يمضي إلى صور محميّ الذمار.

ونزل السلطان على عسقلان فحاصرها، وتردّت مراسلات بين أهلها والملك، ثم سلموها يوم السبت سلخ جمادى الآخرة، وخرجوا بنسائهم وأموالهم، وكان السلطان أخذ في طريقه إليها «الرملة»، و«تبين»، و«بيت لحم»، و«الخليل»، وأقام بها حتى تسلّم حصون «الداوية»، وغزة، والنطرون، وبيت جبريل، ولدّ، والداروم، ولم يبق في الساحل من جبيل إلى أوائل حدود مصر سوى القدس وصور.

وكان السلطان - رحمه الله - قد استدعى الأساطيل من مصر،

فجاءت مع مقدمها الحاجب لؤلؤ فطفق يكسر ويكسب، ويسلّ ويسلب، ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه، ويقف له في جزائر البحر على مذهب^(١).

ثم كان فتح بيت القدس، وسنفر له فصلاً مطوّلاً. ولم يستقر في القدس إلا قليلاً، ثم بدأ جولة من الفتوحات، فأتم فتح صيدا وبيروت، وجبله، واللاذقية، وحصن صهيون، وحصن بغراس، ورجع بعدها إلى صفد والكرك ففتحها، ثم قلعة الشقيف.

وفي ردة فعل صليبية شديدة حاولوا استرجاع عكا، فحاصروها من جهة البحر، فأسرع السلطان إليها ووقف بإزائهم، فكانت الإمدادات تأتي الصليبيين من جهة البحر بشكل دائم فاضطر السلطان والمسلمون لمصابرتهم ستة وثلاثين شهراً «رجب ٥٨٥ - شعبان ٥٨٨» وفي هذا الحصار ظهرت شخصية صلاح الدين العظيمة، ثلاث سنوات وهو في حالة قتال وتأهب واستعداد.

□ قال ابن شداد: «وكان - رحمه الله - من عظماء الشجعان، قوي النفس شديد البأس، لا يهوله أمر ولقد وصل في ليلة واحدة من الإفرنج نيف وسبعون مركباً على عكا، وأنا أعدها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وهو لا يزداد إلا قوة نفس»^(٢).

وخلال هذا الحصار الطويل جرت وقعات كبيرة بينه وبين الفرنجة، وانتصر فيها، ولكن الإمدادات كانت تتوالى من أوروبا عن طريق البحر،

(١) «عيون الروضتين» (٢/ ١٤٨ - ١٥٢).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٢٠).

وصابر الفريقان مصابرة عجيبة، وكان القتال يتم يوميًا أحيانًا وفي البر والبحر، وفي هذا الحصار استنجد صلاح الدين بملك المغرب أمير دولة الموحدين، فرفض المساعدة لأنه لم يذكر في رسالته «أمير المؤمنين»!! وفي نهاية هذه المعاناة مرض السلطان، واضطر للصالح مع الإفرنج، وأخذوا عكا مرة ثانية، وحاولوا أخذ يافا ولكنهم لم يفلحوا، وعاد السلطان إلى القدس يرتب أمورها ويصلح من سورها، وكان - رحمه الله - يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الأمكنة البعيدة، فيقتدي به العسكر^(١).

عاد بعد هذا الغياب الطويل عن العاصمة دمشق وفي نيته التهيؤ للحج، ولم يتيسر له، وفي نيته استمرار الجهاد وملاحقة الصليبيين في ديارهم، ولكن عاجلته المنية عن تحقيق هذه الرغبة، وتوفي - رحمه الله - في دمشق في السابع والعشرين من صفر سنة (٥٨٩هـ).

شغفه بالجهاد:

قال القاضي ابن شداد: «وكان - رحمه الله - شديد المواظبة على الجهاد، عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد دينارًا ولا درهماً إلا في الجهاد وفي الأرفاد لصدق وبر في يمينه، ولقد كان الجهاد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيمًا، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا في آتته، ولا اهتمام إلا برجاله ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبته

(١) ابن الأثير: «الكامل» (١٢/٧٤).

الجهاد أهله وولده ووطنه وسكنه، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمينة ويسرة، وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد، وقد ألف له كتب عدة في الجهاد وأنا ممن جمع له كتاباً جمعت فيه آدابه وكل آية وردت فيه، وكل حديث، ولقد سرنا مع السلطان على الساحل طالبي عكا، وكان الزمان شتاء عظيمًا، والبحر هائجًا وموجه كالجبال، وكنت حديث عهد برؤية البحر فعظم عندي، واستخففت رأي من يركب البحر، فبينما أنا في ذلك إذ التفت إليّ وقال في نفسه: إنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم، أتبعهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت، فعظم وقع هذا الكلام عندي وحكيت له ما خطر لي، فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها، وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجرها. اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك رجاء رحمتك فارحمه، وأما صبره فلقد رأيته بمرج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دمايل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبته بحيث لا يستطيع الجلوس، وكان مع ذلك يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر، وهو صابر على شدة الألم ويقول: «إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل»^(١).

ويكتب للخليفة العباسي: وهذه المقاصد الثلاثة: الجهاد في سبيل الله، والكف عن مظالم عباد الله، والطاعة للخليفة هي مراد الخادم من البلاد إذا فتحها، والله العالم أنه لا يقاتل لعيش ألين من عيش، ولا

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٢١ - ٢٢٢).

لغضب يملأ العيان»^(١) .

وقد ذكرنا كيف أنه كان ينقل الحجارة بنفسه لعمارة سور القدس، ولو رأيتة وهو يحمل حجراً في حجره لعلمت أن له قلباً قد حمل جبلاً في فكره^(٢) . وعندما رجع إلى دمشق وجد وكيل الخزانة قد بنى له داراً فغضب عليه، وقال: «إنا لم نخلق للمقام في دمشق ولا بغيرها، وإنما خلقنا للجهاد».

✽ ويحلو الحديث عن الناصر صلاح الدين محرر الأقصى من الصليبيين:

ولد السلطان يوسف بن أيوب سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت في العراق، وكان والده أيوب بن شادي والياً عليها، ثم انتقل الوالد إلى الموصل ومعه أخوه أسد الدين شيركوه، ثم إلى الشام متولياً لقلعة بعلبك، وانتقل الابن معه، وبدأ نور الدين يقدم الابن، ويوكل إليه بعض الوظائف المهمة إلى أن انتدب لمرافقة عمه أسد الدين في الحملة التي وجهت إلى مصر، وبعد وفاة عمه تسلم منصبه وهو الوزارة في نهاية الدولة العبيدية، ثم صار إلى ما صار إليه من توحيد بلاد الشام ومصر والجزيرة تحت قيادته ومجاهدته للصليبيين وفتح بيت المقدس، توفي سنة ٥٨٩هـ، يقول قاضيه ابن شداد تعليقاً على وفاته: «وتالله لقد كنت أسمع من بعض الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم

(١) «الروضتين» (٤٨/٢).

(٢) «الروضتين» (١٩٦/٢).

فكنت أحمل ذلك على ضرب من التجوز والترخص إلى ذلك اليوم فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قُبِلَ الفداء لفداه بالنفس»^(١) .

□ قال ابن شداد: ولم يخلف السلطان أموالاً ولا أملاً جوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم حتى إلى أعدائه، ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً وديناراً واحداً، وكان متقللاً في ملبسه ومأكله ومركبه، ولا يلبس إلا ما يحل له وتطيب به نفسه، مواظباً على الصلاة في أوقاتها مع الجماعة، ومواظباً على سماع الحديث، وقد سمع الحديث وهو بين الصفيين، وكانت مجالسه منزهة عن الهزل واللغو يغلظ على الفاجرين ويلين للمؤمنين^(٢) . وقد أمر ولده الظاهر وهو بحلب أن يقتل الشهاب السهروردي لما علم عنه من الشعبة والانحراف عن الدين .

وكان متواضعاً جداً، يخرج للقاء من يقدم عليه، ويكارم الناس مكارمة عظيمة، وربما طلب الماء من خدمه فلا يستجاب له، ولا يقول لهم شيئاً .

□ قال القاضي الفاضل: «وكانت طرحته تداس عند التراحم عليه لعرض القصص (ما يطلبه الناس) وهو لا يتأثر بذلك، ولقد دخلت بين يديه في يوم ريح مطير، كثير الوحل فنضحت البغلة عليه في الطين، حتى أهلكت جميع ما كان عليه وهو يبتسم»^(٣) .

(١) «الروضتين» (٢/٢١٣) .

(٢) «الروضتين» (٢/٢١٧) .

(٣) «الروضتين» (٢/٢٢٣) .

* منزلة العلم والعلماء عنده :

إن الأواء العلمفة الفف رصف فف عهء نور الففن - رحمه الله - اسفمر فف عهء صلاء الففن؁ فالسلطان فذهب إلى العلماء وفحضرف ءروسهم .

□ ففف سنة ٥٧٢ ذهب إلى الإسفنءرفف وترف على الشفخ أبف طاهر السلفف^(١)؁ وفءاوم الحضور عنءه لسماع الفءف؁ وكان القاضف كمال الففن الشهرزورف من كبار العلماء والوزراء فف عهء نور الففن؁ ولما ءولى صلاء الففن أقره على ما كان علىه من فعفن القضاة رغم أن كمال الففن ظن أن السلطان سفعزله لما كان بفنفما من مفاصمة فف عهء نور الففن .

□ وفف سنة ٥٧٧ عفن السلطان مفقا؆ا لسماع الأحاءفء النبوة؁ وجمع به أهل العلم والعلماء .

ومن العلماء المقرففن من صلاء الففن على بن إبراهفم بن فجا الفمشقف الفنبلف؁ وهو الفف كشف مؤامرة العففففن للانقلاب على صلاء الففن^(٢) .

ومنهم نجم الففن الفبوشانف؁ الفففه الشافعف؁ وهو الفف شجع صلاء الففن على إنهاء الفولة العفففة وقطع الخطبة لهم؁ بنف له

(١) أءمء بن مءمء بن سلفة الأصبهانف؁ ورف بفءاء واشفغل على الكفا الهراسف فف الفقه؁ ءفل الإسفنءرفف وأقام بها وكان مءء؆ا مشهورا؆ا ءوفف ٥٧٦هـ؁ انظر ابن فلكان . «وفاف

الأعفا» (١/١٠٥) .

(٢) «البءافة» (١٣/٣٩) .

صلاح الدين مدرسة وفوض تدريسها إليه ومن الفقهاء الأمراء الفقيه عيسى الهكاري «وكان جندياً شجاعاً كريماً، تفقه على الشيخ أبي القاسم البرزي، واتصل بالأمير أسد الدين شيركوه، وكان يخاطب صلاح الدين بما لا يقدر عليه غيره، وتوفي وصلاح الدين محاصر لعكا»^(١) وكان إذا زاره عالم اهتم به جداً، ولا يتركه حتى يزوده بالمال والأمتعة له ولجيرانه وأقربائه.

إن هذه الانتصارات العظيمة لا تكون إلا بوجود مثل هذا التلاحم والتعاطف بين الأمراء والعلماء.

□ قال القاضي ابن شداد: وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة، وكان يفعل ذلك سفيراً وحضراً^(٢) وكان آل المقدسي الذين سكنوا حي الصالحية في دمشق أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة، وأخوه وابن خالهم الحافظ عبدالغني، والشيخ العماد، كانوا لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها صلاح الدين، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها^(٣).

✽ وزراؤه وأمرأؤه:

إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم هي علاقة جدلية كما يقال، فعندما يكون الحاكم صالحاً يحب أهل الدين والخير، يوفقه الله سبحانه وتعالى

(١) «الكامل» (٤٢/١٢)، «وفيات الأعيان» (٤٩٧/٣).

(٢) «الروضتين» (٢١٩/٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٦٥/١٣).

إلى بطانة صالحة من وزراء وأمرء، وهذا ما ينطبق تماماً على صلاح الدين، فقد وفق إلى وزير صدق وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، وكان ذا رأي سديد وعقل رشيد، معظماً عند صلاح الدين، يأخذ برأيه ويستشير في المهمات الكبيرة خاصة، بل يقول العماد الأصفهاني الكاتب عنه: «سلطان مطاع والسلطان له مطيع، وما اففتح السلطان الأقاليم إلا بأقاليد آرابه وآرائه، وكانت كتابته كتاب النصر، وهو صاحب القريحة الوقادة والبصيرة النفاذة»^(١).

وهو الذي كتب لصلاح الدين وهو محاصر لعكا يخوفه من الذنوب، ويحذره من أن يظلم الجنود أحداً فيكون سبباً للهزيمة يقول: «إن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته أو لا تفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، والمعاصي في كل مكان بادية والمظالم في كل موضع فاشية، وقد أجرى الله على يد مولانا من فتح المقدس ما يكون له بمشيئة الله حجة في رضاه، ونعوذ بالله أن يكون حجة عليه في غضبه»^(٢).

كما وفق صلاح الدين إلى قادة جيوش مخلصين في الجهاد، وربما كان للبيئة الجهادية أثر عليهم، فمن أمرائه عز الدين جورديك وهو من مماليك نور الدين، جمع الديانة والشجاعة^(٣)، وسيف الدين جاولي، وكان شهماً شجاعاً يرجع إلى دين وعبادة^(٤)، وأبو الهيجاء بن السمين وابن المشطوب، وبهاء الدين قراقوش الذي كان من كتابه وأمرائه، شهماً

(١) «الروستين» (٢/٢٤١).

(٢) «البداية» (١٢/٣٣٩).

(٣) «الكامل» (١١/٥٥٧).

(٤) «الكامل» (١١/٥٥٨).

شجاعاً، عمّر سور القاهرة، وبنى قلعة الجبل، وكان صلاح الدين قد سلمه عكا فوق الحصار وهو فيها، وصنع الناس عليه قصصاً غير صحيحة^(١).

* هل تنازل صلاح الدين عن فلسطين؟

رغم تكالب الصليبيين بعد فتح بيت المقدس وأخذهم لعكا، واضطرار صلاح الدين للصلح لمدة ثلاث سنوات، لكنه لم يتنازل عن الأرض لأنها ليست ملكه بل هي للمسلمين، ولقد حاول معه ملك الإنكليز ولكنه أبى أشد الإباء أن يتنازل عن شيء من فلسطين لأعداء الله، والرجال العظام أمثال صلاح الدين ليس من شيمهم التساهل بحقوق المسلمين.

كتب له ملك الإنكليز: «إن المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت البلاد، وتلفت الأموال والأرواح، والقدس متعبدا ما ننزل عنه لو لم يبق منا واحد، وأما البلاد فيعاد إلينا ما هو قاطع الأردن...»، وطبعاً هذه مناورة من ملك الإنكليز، يطلب الكثير ليحصل على ما يستطيع عليه أو على القليل^(٢).

(١) «البداية» (٣٤/١٣).

(٢) وقد كان مضطراً للصلح، ويريد الرجوع إلى بلاده ويقول في رسالة للسلطان: «بالله عليك أجب سؤالي في الصلح، فهذا أمر لا بد له من آخر، وقد هلكت بلادنا وراء البحر...».

يقول ابن شداد: «فانظر إلى هذه الصناعة في استخلاص الغرض باللين تارة، وبالحشونة أخرى، وكان لعنه الله مضطراً إلى الرواح، وهذا عمله مع اضطرابه، والله المسؤول أن يكفي المسلمين مكروه...» قلت: وهذا دأب الإنكليز إلى الآن.

وقد أجا به صلاح الدين: «القدس لنا وهو مسرى نبينا فلا يتصور أن ننزل عنه، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، وأما البلاد فهي أيضاً لنا في الأصل، واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت...»^(١).

فأرسل ملك الإنكليز: «الذي أطلبه منك أن يكون لنا في قلعة القدس عشرون نفراً، وأن من سكن من النصارى في البلد لا يتعرض لهم». فأجا به السلطان: «إن القدس ليس لكم منه حديث سوى الزيارة»^(٢). ألا ما أشبه الليلة بالبارحة، لقد تكالب اليهود في هذا العصر على فلسطين، يؤزهم الغرب الصليبي، ولا يزالون يراوون ويراوون ليستفيدوا من الوقت، ويحصلوا على مكاسب جديدة وأصحاب السلام الهزيل ينتظرون الوعود الشيطانية لأن إرادة القتال والجهاد غير واردة عندهم، فهم حريصون على السلام بأي ثمن، ولكن اليهود يريدون الأرض خاصة وقد جاءهم المدد من يهود روسيا^(٣).

رحم الله صلاح الدين وأجزل له المثوبة، فقد كان كثير العفو والصفح، يطلق الأسرى من الصليبيين، فيعودوا لقتاله مرة ثانية، مثلما فعل مع باليان بن بارزان، وغير هذا كان أولى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَبْخُنَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية . {الأنفال: ٦٧}.

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٠٠).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٠٠).

(٣) قام الشعب الفلسطيني في السنوات الأخيرة بواجهه تجاه اليهود، وصمد صموداً عجيباً، لكن كل الدول لا تريد حديث الجهاد، ولذلك سيكون الصراع طويلاً مع اليهود، وستكون العاقبة للمسلمين بإذن الله.

* نور الدين محمود وصلاح الدين من المجددين ^(١) :

بعد أن استعرضنا بعض أعمال هذين الملكين المسلمين لا بد أن نقرر هنا أن ما قاما به يعتبر تجديدًا في الإسلام في كثير من النواحي. وإذا كان بعض العلماء قبلهم أو بعدهم يوصف بالتجديد فإنه لم يجدد كل الأمور فالغالب أن الحكم يبقى على ما هو عليه ولكن العالم يعيد للعقيدة صفاءها ويضع الناس على الطريق الصحيح.

□ ونحن هنا بإزاء تجديد في نواح يمكن إيجازها فيما يلي :

أولاً : الحديث عن الجهاد وممارسته عملياً :

من قبل السلطان والوزراء والقواد وكافة الشعب وهذا شيء قد ترك من مدة طويلة، فماتت الأمة واستنامت للأعداء فتسلط عليها الباطنيون من الداخل وبدأ الروم يناوشونها من الخارج، ثم جاء الصليبيون فاحتلوا أراضيها. وقد مر معنا شغف نور الدين وصلاح الدين بالجهاد والاستعداد له من تدريب وآلات عسكرية، وتحصين الحدود والقلاع، وحث الناس عليه وشهود العلماء والوعاظ المعارك معهم، ومعلوم أن الجهاد يوقظ الأمة ويفجر الطاقات، ويعزها بعد ذل، ويكفي للتدليل على ذلك أن صلاح الدين بعد فتح القدس وكل مدن فلسطين دافع عن عكا ستة وثلاثين شهراً كان يعيش خلالها في خيمة وليس في مقر، ويركب فرسه كل يوم لمناوشة الأعداء.

(١) ويُؤخذ عليهما فقط أنهما كانا من الأشاعرة غفر الله لهما... «إن الماء إذا بلغ القلتين لا يحمل الخبث».

ٲانياً : إشاعة روح العدل :

وقد كان الأمراء والوزراء من قبل يتسلطون على الناس في أموالهم وأراضيتهم ، والملوك يسمحون لهم بذلك إرضاء لهم وحتى تبقى لهم طاعتهم . بينما نرى أنه في عهد نور الدين محمود يتمنى القائد أسد الدين شيركوه أن ينزل عن كل أمواله ، ولا يجلس في المحكمة أمام نور الدين .

ٲالثاً : عدم التصرف بأموال الدولة :

وهذا شيء يختلف عن كل الدول السابقة ، فقد كان نور الدين إذا جاءته هدايا يضعها في خزينة الدولة ولما طلبت زوجته نفقة لم يعطها من خزينة الدولة بل أعطاها من دكاكين له في حمص ، وصلاح الدين لم يترك إلا ديناراً وأربعين درهماً ، وهذا شيء لم يسمع به من بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز .

ٲابعاً : العمل بالسياسة :

كان الأمراء قبلهم وملوك المدن يتحكمون في بعض أمورهم إلى أعراف سياسية وليس إلى الشرع وبعض الناس لا يذهب إلى القاضي الشرعي بل يذهب إلى الشرطة فتحكم له بمقتضى قوانين عندهم .
 □ يقول المؤرخ أبو شامة : «وكان نور الدين لما صارت له الموصل أمر قائد شرطتها أن لا يعمل شيئاً إلا بالشرع إذا أمره القاضي به ، ثم يعقب هذا المؤرخ نقلاً عن القاضي يوسف بن رافع : أن نور الدين كان لا يعمل بالسياسة^(١) .

(١) «الروضتين» (١٣/١) .

﴿ويقول عنه أيضاً: «لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكساً ولا عشراً، بل أطلقها - رحمه الله -»^(١). أي: أنه رفع الظلم عن الناس وفرض أشياء ليست في شرع الله.

خامساً: تقريب العلماء:

وحبهم واستشارتهم وإعطاءهم المكانة اللائقة بهم، وإحياء المدارس والعلم، وحضور السلطان مجالس العلم، بل إن السلطان صلاح الدين يذهب إلى الإسكندرية مصطحباً معه ولديه علي وعثمان لحضور مجلس الحافظ السلفي.

وترقى العالم كمال الدين الشهرزوري إلى مرتبة الوزارة، ومن مستشاري صلاح الدين العالم الواعظ ابن نجبا الحنبلي، ووزيره القاضي الفاضل كان من أكابر الكتاب محباً للعلم وأهله^(٢).



(١) «الروضتين» (٦/١).

(٢) انظر «أعياد التاريخ نفسه» لمحمد العبدية ص (٧٩ - ٩٩).

أطيب الكلام في فتح
صلاح الدين للقدس
مدينة السلام

✽ أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس ✽

وهذا فصل يكتب بماء العيون، نوره بأقلام الفصحاء البلغاء من أساطين أعلام المسلمين... يلوح في كل سطر منه.. فرح المسلمين بهذا النصر العظيم الذي أعاد للناس فتوح الصحابة وأيامهم:

✽ وصف الفتح بقلم القاضي ابن شدّاد:

❏ قال القاضي ابن شدّاد: لما تسلّم السلطانُ عسقلان والأماكن التي هي محيطُة بالقدس، شمرَّ عن ساق الجدِّ والاجتهاد في قصده، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرّقة في السّاحل بعد قضاء لُبانتها من النهب والغارة، فسار نحوه معتمداً على الله، مفوضاً أمره إلى الله، منتهزاً فرصة فتح باب الخير الذي حُتَّ على انتهازه إذا فُتح بقوله عليه السلام: «من فُتِحَ له بابٌ خَيْرٌ فلينتهزه، فإنه لا يُعلم متى يُغلقُ دونه»^(١)، وكان نزوله عليه - قدّس الله روحه - يوم الأحد الخامس عشر من رجب، فنزل بالجانب الغربي، وكان مشحوناً بالمقاتلة من الخيالة والرجالة، ولقد تحازر أهل الخبرة عدّة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين ألفاً ما عدا النساء والصبيان. ثم انتقل - رحمه الله - لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالي، وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين من رجب، ونصب عليه

(١) مرسل: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٧)، وأحمد في «الزهد» (٤٧٢) من حديث حكيم بن عمير مرسلأ، وأورده المزي في «تهذيب الكمال» (١٧٢/٨) من قول خالد بن معدان.

المنجنيقات، وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرُمّة، حتى أخذ النَّقَب في السُّور مما يلي وادي جهنّم في قُرنة شمالية. ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع، وظهرت لهم أمارات نُصرة الحق على الباطل، وكان الله قد ألقى في قلوبهم الرعب بما جرى على أبطالهم ورجالهم من السَّبي والقَتْل والأسر، وما جرى على حُصونهم من الاستيلاء والأخذ، علموا أنهم إلى ما صاروا إليه صائرون، وبالسيف الذي قُتلَ به إخوانهم يُقتلون، فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان، واستقرت القاعدة بالمراسلة بين الطائفتين. وكان تسلمه له يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وليلته كانت ليلة المعراج، المنصوص عليها في القرآن المجيد، فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب، كيف يسر الله عوده إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم، وهذه علامةٌ قبُول هذه الطاعة من الله تعالى^(١).

﴿قلتُ: هذا أحد الأقوال في ليلة المعراج، وفي ذلك اختلافٌ كثير، ذكرناه في مواضع غير هذا، والله أعلم.﴾

﴿ثم قال القاضي: وكان فتوحًا عظيمًا شهده من أهل العلم خلقٌ عظيم، ومن أرباب الحرق^(٢) والحرق^(٣)؛ وذلك أن الناس لما بلغهم ما منَّ الله به على يده من فتوح الساحل، شاع قصده للقدس، فقصده العلماء من مصر والشام، بحيث لم يتخلف معروفٌ عن الحضور، وارتفعت

(١) هذا لا يصح. . فقد قال الحافظ ابن حجر في «تبين العجب فيما ورد في فضل رجب»:

أما ما يقوله القصاص والمذكرون من أن الإسراء والمعراج كان في رجب فذلك كذب.

(٢) يعني الصوفية.

(٣) الحرق: السيوف الماضية، ولعل المراد من أرباب الحرق هم المتطوعة.

الأصواتُ بالضجيج والدُّعاء، والتهلِيل والتكبير، وخطبَ فيه، وصليت فيه الجمعة يوم فتّحه، وخطَّ الصليب الذي كان على قُبَّة الصَّخْرة، وكان شكلاً عظيماً، ونصر الله الإسلام نصر عزيزٍ مقتدر. وكان قاعدة الصُّلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجلٍ عشرة دنائير، وعن كل امرأة خمسة دنائير، وعن كل صغيرٍ ذكر أو أنثى ديناراً واحداً.

قلتُ: كذا قال، وسيأتي في كتاب العماد أن على كل صغير دينارين، وكذا قال: إن الجمعة صُليت ببيت المقدس يوم فتحه، وسيأتي في كتاب العماد التصريح بأنَّ يوم الفتح ضاق عن ذلك، فصُليت في يوم الجمعة الآتي.

ثم قال القاضي: فمن أحضر القطيعة سلّمَ بنفسه وإلا أخذ أسيراً، وفرّج الله عمن كان فيه من أسرى المسلمين، وكانوا خلقاً عظيماً زهاء ثلاثة آلاف أسير، وأقام عليه - رحمه الله - يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء، ويوصل من دفع قطيعته منهم إلى مأمنه، وهو صور.

قال: ولقد بلغني أنه - رحمه الله - رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المال شيء، وكان مئتي ألف دينار وعشرين ألفاً، وكان رحيْلُه عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثٍ وثمانين وخمسة مئة^(١).

✽ فتح بيت المقدس بقلم الحافظ ابن كثير:

قال الحافظ ابن كثير تحت عنوان «فتح بيت المقدس واستنقاده

من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وسبعين سنة»: -

(١) «عيون الروضتين» لأبي شامة (٣/ ٣٣١ - ٣٣٢).

«لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدّم، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس، فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة - أعني: سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - فوجد البلد قد حصّنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل، دون بيت المقدس أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يُقال له بالبان بن بازران، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان، من الداوية والاستثارية أتباع الشيطان، وعبد الصليبان، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه، ثم تحوّل السلطان إلى ناحية الشام؛ لأنه رآها أوسع للمجال، والجلاد والنزال، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقماتهم، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين، فحقق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين، واجتهدوا في القتال ونصب المناجنيق والعرادات^(١) على البلد، وغنّت السيوف والرماح الخطيات، والعيون تنظر إلى الصليبان منصوبة فوق الجدران، وفوق قبة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقاً وشدة للشمير، وكان ذلك يوماً عسيراً على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وحشاها وأحرقها، فسقط ذلك الجانب، وخرّ البرج برمته فإذا هو واجب^(٢)، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع، والخطب المؤلم الوجيع، قصد

(١) العرادات: آلات تستعمل في الحصار.

(٢) واجب: أي: ساقط.

أكابرهم السلطان، وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فامتنع من ذلك وقال: لا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه، فلما حضر ترقق للسلطان وذلّ ذلاً عظيماً، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا: إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا - وكانوا قريباً من أربعة آلاف - وقتلنا ذراريها وأولادنا ونساءنا، وخربنا الدور والأماكن الحسنة، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه، ولا نبقى ممكناً في إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعداداً منكم، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟

فلما سمع السلطان أجاب إلى الصلح وأتاب، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل صغير وصغيرة دينارين، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين، وأنهم يتحوّلون منها إلى مأمّنهم وهي مدينة صور، فكتب الصلح بذلك، وأنّ من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير، فكان جملة من أسير بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها

أُقيمت يومئذ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت، وإنما أُقيمت في الجمعة المقبلة، وكان الخطيب محيي الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي.

ولكن نظّفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وخُرّبَت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير، واتخذوا المحراب مشتمًا لعنهم الله، فنُظّف من ذلك كله، وأُعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، وغُسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأُعيد غسلها بماء الورود والمسك الفاخر وأبرزت للناظرين وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين، ووُضع الصليب عن قبتها وعادت إلى حرمتها، وقد كان الفرنج قلّعوا منها قطعًا فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهبًا، فتعذّر استعادة ما قُطع منها.

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال، وأطلق السلطان خلقًا منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال، ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم، وفرّق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئًا مما يقتنى ويدّخر، وكان - رحمه الله - حليمًا كريمًا مقدامًا شجاعًا رحيماً^(١).

* فتح القدس بقلم العماد :

□ قال العماد - رحمه الله - :

«رحل السلطان من عسقلان للقدس طالبًا، وبالعزم غالبًا، وللنصر

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٣٤٤ - ٣٤٦).

مُصاحبًا، ولذيل العِزِّ صاحبًا. والإسلام يخطُبُ من القُدس عروسًا، ويَبْذُلُ لها في المَهرِ نفوسًا، ويحمل إليها نُعمي ليحمل عنها بُوسى، ويهدي بِشرًا ليذهبَ عبوسًا، ويسمع صرخة الصَّخرة المستدعية المُستعدية لإعدادها على أعدائها، وإجابة دعائها وتلبية ندائها، وإِطْلاع زُهر المصابيح في سمائها، وإِعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه، وردّه إلى سكونه وسكنه، وإِقصاء الذين أقصاهم الله تعالى بلعنته من الأقصى، وجذب قياد فَتَحَه الذي استعصى، وإِسكات الناقوس منه بِإِناطق الأذان، وكَفَّ كَفَّ الكُفر عنه بِإِيمان الإيمان، وتطهيره من أنجاس تلك الأجناس، وأدناس أدنى النَّاس.

وطار الخبر إلى القدس، فطارت قلوب من به رُعبًا وطاشت، وخَفَقَتْ أفئدتهم خوفًا من جيش الإسلام وجاشت، وتمنَّتِ الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت، وكان به من مقدَّمي الفرنج باليان بن بارزان، وهو وملكهم في التَّسلُّطِ سيَّان، والبطرك الأعظم وهو الشَّاني العظيم الشَّان، والذين أغفلتهم حياطةُ حطين من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية، من ذوي الكُفر والشَّان، وقد حشروا وحشدوا، ونشروا ونشدوا، وحميت حميتهم، وأبت الضَّيمَ أبيتهم، وحارت غيرتهم، وغارت خيرتهم، وتبلَّدوا وتلدَّدوا، وقاموا وقعدوا، وصوبوا وصعدوا، فاشتغل بال باليان، واشتعل بالنيران، وخمدت نارُ بطر البطرك، وضافت بالقوم منازلهم، فكأنَّ كل دارٍ منها شَرَكٌ للمُشرك، وقاموا للتدبير في مقام الإِدبار، وتقسَّمت أفكار الكفار، وأيسَ الفرنج من الفرج، وأجمعوا على بذل المُهج، وقالوا: ها هنا نطرح الرؤوس،

ونسبك النفوس، ونسفك الدماء، ونهلك الدهماء، ونصبر على اقتراح القروح، واجتراح الجروح، ونسمح بالأرواح شحاً بمحل الروح، فهذه قُمامتنا^(١)، فيها مقامتنا، ومنها تقوم قيامتنا، وتصيح هامتنا، وتصح ندَامتنا، وتسيح علامتنا، وتسح غمامتنا، وبها غرامنا، وعليها غرامتنا، وبإكرامها كرامتنا، وبسلامتها سلامتنا، وباستقامتها استقامتنا، وفي استدامتها استدامتنا، وإن تخلينا عنها لزمنا لآمتنا، ووجبت ملامتنا، ففيها المصلب والمطلب، والمذبح والمقرب، والمجمع والمبعد، والمهبط والمصعد، والمرقى والمرقب، والمشرّب والملاعب، والمموءة والمذهب، والمطلع والمقطع، والمربى والمربع، والمُرخّم والمخرّم، والمُحلّل والمُحرم، والصور والأشكال، والأنظار والأمثال، والأشباه والأشباح، والأعمدة والألواح، والأجسام والأرواح، وفيها صور الحواريين في حوارهم، والأخبار في أخبارهم، والرهّابين في صوامعهم، والأقساء في مجامعهم، والسحرة وحبالها، والكهنة وخیالها، ومثال السيّدة والسيد، والهيكل والمولد، والمائدة والحوت، والمنعوت والمنحوت، والتلميذ والمعلّم، والمهد والصبي المتكلّم، وصورة الكبش والحمار، والجنة والنار، والنواقيس والنواميس.

قالوا: وفيها صلب المسيح، وقرب الذبيح، وتجدد اللاهوت، وتأله الناسوت، واستقام التركيب، وقام الصليب، ونزل النور، وزال الديجور، وازدوجت الطبيعة بالأقنوم، وامتزج الوجود بالمعدوم، وعمدت معمودية المعبود، ومخضت البتول بالمولود، وأضافوا إلى

(١) القمامة من أعظم الكنائس في بيت المقدس. وتسمى أيضاً كنيسة القيامة.

متعبدهم من هذه الضلالات ما ضلّوا فيه بالشُّبه عن نهج الدلالات، وقالوا: دون مقبرة ربنا نموت، وعلى خوف فوتها منا نفوت، وعنّها ندافع، وعليها نقارع، وما لنا ألا نقاتل! وكيف لا ننازع ولا ننازل! ولأيّ معنى نتركهم حتى يأخذوا، ونَدعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستقذوا؟!

وتأهبوا وتباهوا، وما انتهوا بل تناهوا، ونصبوا المجانيق على الأسوار، وسترُوا بظلمات السّتائر وجوه الأنوار، واستشاطت شياطينهم، وسرّحت سراحينهم، وطغت اطواغيّتهم، وأصليت مصاليتهم، وهاج هائجهم، وماج مائجهم، وخضتْهم قسوسهم، وحرّضتْهم رؤوسهم، وحرّكتْهم نفوسهم، وجاءتْهم بجوى السُّوء جواسيسهم.

ونصبوا على كل نيق^(١) منجنيقًا، وحفّروا في الخندق حفراً عميقًا، وشادوا في كل جانب ركنًا وثيقًا، وفرّقوا على كل بُرج فريقًا، وجعلوا إلى كل طارق بالردى للردّ طريقًا، وأعادوا كل نهج واسع بما وعروه وعوروه به مضيقًا، وتحمل كلُّ منهم ما لم يكن له من قبل مطيقًا، وخرج جماعةٌ منهم على سبيل اليزك^(٢)، فأدجلوا ليلاً، واعترضوا عدّة من أصحابنا غارّة، على طريق السلامة مارّة، وكان قد شدّ من المقدمة المنصورة أميرٌ تقدّم، وما تحرز ولا تحزّم، وما ظن أن قُدّامه من له جرأة الإقدام، ومن يعتقد أن ربح كُفره خسارة الإسلام، وهو الأمير جمال الدين شروين بن حسن الزرزارى، فوقعوا عليه في موضع

(١) النيق: أرفع موضع في الجبل. انظر «القاموس المحيط» (نوق).

(٢) اليزك: كلمة فارسية تعني: طلائع الجيش.

يُعرف بالقُبَيَّات، فاستشهد - رحمه الله - . ولما بلغ السلطان خبره ساءه وغمه .

ثم أقبل بإقبال سلطانه وأبطال شجاعانه، وأقيال أولاده وإخوانه، وأشبال ممالكه وعلمانه، وكبار أمرائه وعظام أوليائه، وأصبح يسأل عن الأقصى، وطريقه الأدنى، وفريقه الأسنى، ويذكر ما يفتح الله عليه بحسن فتحه من الحسن، وقال: إن أسعدنا من الله على إخراج أعدائه من بيته المقدس فما أسعدنا، وأي يد له عندنا إذا أيدنا، وإنه مكث في أيدي الكفر إحدى وتسعين سنة لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة، ودامت همم الملوك دونه متوسنة^(١)، وخلت القرون عنه متخلية، وخلت الفرنج به متولية، فما أدخر الله فضيلة فتحه إلا لآل أيوب، ليجمع لهم بالقبول القلوب .

وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس والمسجد الأقصى، المؤسس على التقوى، وهو مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومزار أبدال الأرض وملائكة السماء، ومنه المحشر والمنشر، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر، وفيه الصخرة التي صينت جده أبهاجها من الإنهاج^(٢)، ومنها منهاج المعراج، ولها القبة السماء التي هي على رأسها كالتاج، وفيه ومض البارق ومضى البراق، وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق .

ومن أبوابه باب الرحمة، الذي يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول

(١) أي: نائمة.

(٢) الإنهاج: البلى، ومنه: نهج الثوب، بلى وخلق. انظر «لسان العرب» «نهج» .

الخلود، وفيه كرسي سليمان ومحراب داود، وفيه عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الخوض المورود، وهو أول القبلتين، وثاني البنتين، وثالث الحرمين، وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تُشدُّ إليها الرِّحال، وتعتقد الرجاء بها الرِّجال. ولعل الله يعيده بنا إلى أحسن صورة، كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة، فقال عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ {الإسراء: ١} وله فضائل ومناقب لا تحصى، ومنه كان الإسراء، ولأرضه فُتِحَت السماء، وعنه تؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء، ومشاهد الشهداء، وكرامات الكرماء، وعلامات العلماء، وفيه مبارك المبار، ومسارح المسار، وصخرتها الطولى القبلة الأولى، ومنها تعالت القدم النبوية، وتوالت البركة العلوية، وعندها صلى نبينا ﷺ بالنبيين، وصحب الروح الأمين، وصعد منها إلى أعلى عليين، وفيه محراب مريم عليها السلام، الذي قال الله فيه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ {آل عمران: ٣٧}، ولنهاره التعبد، ولليلة المحيا، وهو الذي أسسه داود، وأوصى ببناؤه سليمان، ولأجل إجلاله أنزل الله سبحانه ﴿سُبْحَانَ﴾ وهو الذي افتتحه الفاروق، وافتتحت به سورة من الفرقان.

فما أجله وأعظمه، وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجله، وأسماءه وأسنائه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزائنه، وقد أظهر الله طوله وطوله بقوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ وكم فيه من الآيات التي أراها الله نبيه، وجعل مسموعنا من فضائله مرئية، ووصف للسلطان من خصائصه ومزاياه، ما وثق على

استعادة آلائه موثيقه وألاياه^(١)، وأقسم لا يبرح حتى يبر قسمه، ويرفع بأعلاه علمه، وتخطو إلى زيارة موضع القدم النبوية قدمه، ويصغي إلى صرخة الصخرة، وسار واثقًا بكمال النصرة.

نزول السلطان على البيت المقدس

وحصره وما كان من أمره

□ قال العماد: نزل السلطان على غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب، وكان في القدس حينئذ من الفرنج ستون ألف مقاتل من فارس وراجل، وسائف ونابل، فاستهدفوا للسهم، واستوقفوا للحمام، وقالوا: كل واحد منا بعشرين وكل عشرة بمئتين، ودون القيامة تقوم القيامة، ولحب سلامتها تُقلَى السلامة.

وأقام السلطان خمسة أيام يدور حول البلد، ويقسم على حصاره أهل الجلد، وأبصر في شماليه أرضاً رضيها للحصار، متسعة لمجال الأسماع والأبصار، ممكنة للدنو من النقب إن صار من حيز الأنصار. فانتقل إلى المنزل الشمالي يوم الجمعة العشرين من شهر رجب، فما أصبح يوم السبت إلا على منجنيقات قد نُصبت بلا نصب، فدام القتال والنزال، وفرسانهم في كل يوم يباشرون دون الباشورة، أمام جموعهم المحصورة المحسورة المحشورة، وبرزون ويبرزون، ويطاعنون، ويحاجزون، والمطيعون لله عليهم يحملون، ومن دمائم ينهلون وينهلون، كما قال الله تعالى فيهم ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ

(١) ألايا: جمع مفردا الألوة: اليمين. انظر «لسان العرب» «ألا».

ويقتلون ﴿٣٢١﴾ ومن استشهد مبارراً، ولم يشهد بينه وبين الجنة حاجزاً، الأمير عز الدين عيسى بن مالك، كان أبوه صاحب قلعة جعبر، فإنه حاز بشهادته في المحشر المفخر، وأكثر ورود الموت إلى أن ورد الكوثر، وكان في كل يوم يفرس فوارس، ويلقى ببشر وجهه وجوه المنون العوابس، فاغتم المسلمون من صرعته، وهان عليهم إتلاف المهج بعد تلاف مهجته، فركبوا أكتاف الرهج، حتى وصلوا إلى الخندق فخرقوه، وبددوا جمعه وفرقوه، والتصقوا بالسور فنقبوه، وعلقوه وحشوه وأحرقوه، وصدقوا وعد الله في القتال لأعدائه فصدقوه، ولما غصتهم الحرب، وقع السور واتسع النقب، فصعب عليهم الهين وهان لنا الصعب، عقدوا ما بينهم مشورة، وقعدوا ما بينهم ضرورة، وقالوا: ما لنا إلا الاستئمان، فقد أخذ لنا بخطه الخذلان والحِرمَان. وأخرجوا كبراءهم ليؤخذ لهم الأمان، فأبى السلطان إلا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم، وقال: ما آخذ القدس إلا كما أخذوه من المسلمين منذ إحدى وتسعين سنة، فإنهم استباحوا القتل، ولم يتركوا طرُقاً يستزير سنّة، فأنا أفني رجالهم قتلاً، وأحوي نساءهم سبيّاً. فبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان بموثقه، وطلب الأمان لقومه، وتمنّع السلطان، وتسامى في سومه، وقال: لا أمن لكم ولا أمان، وما هوانا إلا أن نديم لكم الهوان، وغداً نملككم قسراً، ونوسعكم قتلاً وأسراً، ونسفك من الرجال الدماء، ونسلط على الذرية والنساء السباء. وأبى في تأمينهم إلا الإباء، فتعرضوا للتضرع، وخوفوا عاقبة التسرع، وقالوا: إذا أيسنا من أمانكم، وخفنا من سلطانكم، وخبنا من إحسانكم، وأيقنا أنه لا نجاة ولا نجاح، ولا صلح ولا صلاح، ولا

سلم ولا سلامة، ولا نعمة ولا كرامة، فإننا نستقتل فنقاتل قتال الدم والندم، ونقابل الوجود بالعدم، ونلقي أنفسنا على النار، ولا نُلقَى بأيدنا إلى التهلكة والعار، ولا يجرح منا واحد حتى يجرح عشرة، وإننا نحرق الدُّور، ونخرب القُبَّة، ونترك عليكم في سبينا السُّبَّة، ونقلع الصَّخرة، ونوجدكم عليها الحسرة، وقُبَّة الصَّخرة نرميها وعين سُلوَان نعيمها، والمصانع نخسفها، والمطالع نكسفها، وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير، ما بين غنيٍّ وفقير، وكبير وصغير، فنبداً بقتلهم، وشتَّ شملهم، وأما الأموال فإننا نعطبها ولا نُعطيها، وأما الذراري فإننا نسارع إلى إعدامها ولا نستبطيها، فلا يحصل لكم سبيٌّ، ولا يُقبل لكم سعي، ولا يسلم عمر ولا عمارة، ولا نُضار ولا نُضارة، ولا نساء ولا صبيان، ولا جماد ولا حيوان، فأَيُّ فائدة لكم في هذا الشُّح، وكل خُسِر لكم في هذا الربح، ورُبَّ خيبة جاءت من رجاء النُّجح، ولا يصلح السوء سوى الصُّلح. فشاور السلطان أصحابه، فقليل له: الصواب أن نحسبهم أَسَارانا، فنبيعهم نفوسهم، ونعَمِّم بصغار الجزية رؤوسهم، ويدخل في القطيعة مرؤوسهم ورؤيسهم.

واستقر بعد مراودات ومعاودات، ومفاوضات وتفويضات، وضراعات من القوم وشفاعات، على قطيعة تكمَّل بها الغبظة، ويحصل منها الحوطة، اشتروا بها منا أنفسهم وأموالهم، وخلَّصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم، على أنه من عجز بعد أربعين يوماً عما لزمه، أو امتنع منه وما سلَّمه، ضُربَ عليه الرُّق، وثبت في تملكه لنا الحق، وهو عن كل رجل عشرة دنانير، وعن كل امرأة خمسة دنانير، وعن كل

صغيرة أو صغير ديناران، الذكر والأنثى في ذلك سيان، ودخل ابن بارزان، والبطرك، ومقدمًا الدأوية، والإسبتار في هذا الضمان، وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء، وقام بالأداء، ولم ينكل عن الوفاء، فمن سلم خرج من بيته آمنًا، ولم يعد إليه ساكنًا، وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة، وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة، وكان فيه أكثر من مائة ألف إنسان من رجال ونساء وصبيان، فأغلقت دونهم الأبواب، ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم النواب، ووكل بكل باب أمير ومقدم كبير، يحصر الخارجين، ويحصي الواجحين، فمن استخرج منه خرج، ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج، ولو حفظ ذلك المال حق حفظه، لفاز منه بيت المال بأوفر حظه، لكنما تم التفريط، وعم التخليط، فكل من رشا مشى، وتنكب الأمانة نهج الرشد بالرشا، فمنهم من أدلي من السور بالحبال، ومنهم من حمل مخفيًا في الرحال، ومنهم من غيرت لبسته فخرج مخفيًا في زي الجند، ومنهم من وقعت فيه شفاعاة مطاعة لم تقابل بالرد، والثقات الأكابر استنابوا أصاغر، فأقاموا في تقصيرهم المعاذر، وقنوا لأنفسهم الذخائر، وأدعى مظفر الدين كوكبوري أن منهم جماعة من أرمن الرها، وعددها ألف نسمة، فجعل إليه أمرها، وكذلك صاحب البيرة ادعى بالعدة الكثيرة زهاء خمس مائة أرمني ذكر أنهم من بلده، وأن الواصل منهم إلى القدس لأجل متعبده، وكذلك كل من استوهب عدة استطلقها، وحصل له مرفقها، ثم تولى الملك العادل استخراجهم، وقوم على الأداء منهاجهم، وسهل على السلطان لفرط جوده الاستخراج والإخراج، وتوفر لعامة الناس وخاصتهم ببهجة سماحه الابتهاج، وما فينا

إلا من فاز بأوفى نصيب، ورعى منه في مرعى خصيب .

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين، في كل ديوانٍ منها عدة من النواب المصريين، وفيهم من الشاميين، فمن أخذ من أحد الدواوين خطأ بالأداء، انطلق مع الطلقاء، بعد عرض خطه على من بالباب من الأمناء والوكلاء، فذكر لي من لا أشك في مقاله أنه كان يحضر في الديوان، ويطلع على حاله، فربما كتبوا خطأ لمن نقده في كيسهم، وتلبس أمر تلبسهم، فكانوا شركاء بيت المال لا أمناء، وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما أضر غناه، ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار، وبقي من بقي تحت رق وإسار، ينتظر به انقضاء المدة المضروبة، والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة .

وكانت بالقدس ملكة رومية متعبدة مترهبة، في عبادة الصليب متصلبة، وعلى مصابها مُتلهبة، وفي التمسك بملتها متصعبة متعصبة، أنفاسها متصاعدة للحزن، وعبراتها متحدرة تحدر القطرات من الزن، ولها حال ومال ومتاع، وأشياء وأشياء وأتباع، فعازت بالسلطان فأعازها، ومن عليها وعلى كل من معها بالإفراج، وأذن في إخراج كل ما لها في الأكياس والأخراج، وأبقى عليها من مصوغات صلبانها الذهبية المجوهرة ونفائسها، وكرائم خزائنها، فخرجت بجميع مالها وحالها، ونسائها ورجالها، وأسفاطها وأعدالها، والصناديق بأقفالها، وتبعها من لم يكن من أتباعها، فراحت فرحى، وإن كانت من شجنها قرحى .

وكذلك خرجت زوجة الملك المأسور كي، وهي ابنة الملك أماري،

وكانت مقيمة في جوار القدس مع مالها من الخول والخدم والجواري، فاستأذنت في الإلمام بزوجها، وكان بقيدته مقيماً في بُرج نابلس موكلاً به ليوم وعدٍ تسريحه، فأذن لها، فخلصت هي ومن تبعها، وأقامت عند زوجها.

وكذلك خرجت الإبرنساسة أم هنفري، وهي ابنة فليب وزوجة الإبرنس الذي سُفِكَ دمه يوم حطين، وهي صاحبة الكرك والشوبك، وهي بنوابها محوطة، وبرأيها منوطة، فجاءت سائلة في ولدها العاني، فوعدت أنها إن سمحت بحصنها سمح لها بابنها، ثم أعفيت وأطلقت وعُصمت، واستحضر ابنها هنفري بن هنفري من دمشق إليها، وأقرَّ برؤيته عينيها، وسار معها من الأمراء والأمناء من يتسلم منهم تلك المعادل، فخرجت فمضت إلى حصونها لتسلمها، فمانعها أهلها ودافعوها، وردوها ذليلة خائبة، فسكنت صور، واستودعت السلطان ابنها المأسور، ووعداها بإطلاقه إذا تسلم تلك الحصون.

ذكر يوم الفتح وبعض كتب البشائر إلى البلاد

□ قال العماد: تسلم المسلمون البلد يوم الجمعة أوان وجوب صلاتها، وطلعت الرايات الناصرية على شرفاتها، وأغلقت أبوابها لحفظ ناسها، في طلب القطيعة والتماسها، وضاق وقتُ الفريضة، وتعذر أداؤها. وللجمعة مقدمات وشروط لم يمكن استيفائها، وكان الأقصى لا سيما محرابه مشغولاً بالخنازير والخنا، مملوءاً بما أحدثوا من البناء، مسكوناً ممن كفر وغوى، وضل وظلم وجنى، مغموراً بالنجاسات التي

حَرَمٌ عَلَيْنَا فِي تَطْهِيرِهِ مِنْهَا الْوَنَى، فَوْقَ الْاِسْتِغَالِ بِالْأَهَمِ الْاَنْفَعِ، وَالْاَتَمُّ
وَالْاَنْجَحُ الْاَنْجَعُ، وَهُوَ حَفْظُهُمْ وَضَبْطُهُمْ إِلَى أَنْ يَوْجِدَ شَرْطَهُمْ، وَيُؤْخَذَ
قَسْطُهُمْ.

وَجَلَسَ السُّلْطَانُ بِالْمَخِيْمِ ظَاهِرَ الْقُدُسِ لِلْهِنَاءِ، وَلِلْقَاءِ الْأَكَابِرِ
وَالْأُمَرَاءِ، وَالْمُتَصَوِّفَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى هَيْئَةِ التَّوَاضُعِ وَهَيْبَةِ
الْوَقَارِ، بَيْنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ جُلَسَاءِ الْأُبْرَارِ، وَوَجْهَهُ بَنُورُ الْبَشَرِ
سَافِرٌ، وَأَمْلُهُ بَعْزُ النُّجُجِ ظَافِرٌ، وَبَابُهُ مَفْتُوحٌ، وَرَفْدُهُ مَمْنُوحٌ، وَحِجَابُهُ
مَرْفُوعٌ، وَخُطَابُهُ مَسْمُوعٌ، وَنَشَاطُهُ مُقْبَلٌ، وَبَسَاطَةُ مُقْبَلٌ، وَمَحْيَاةٌ يَلُوحُ،
وَرِيَاءٌ يَفُوحُ، قَدْ جَلَّتْ لَهُ حَالَةُ الظَّفَرِ، وَكَأَنَّ دَسَّتَهُ بِهِ هَالَةُ الْقَمَرِ، وَالْقِرَاءُ
جُلُوسٌ يُقَرَّوْنَ وَيُرْشَدُونَ، وَالشُّعْرَاءُ وَقُوفٌ يَنْشُدُونَ وَيَنْشُدُونَ، وَالْأَعْلَامُ
تَبْرُزُ لَتَنْشُرَ، وَالْأَقْلَامُ تُزْبِرُ لَتَبْشُرَ، وَالْعَيُونَ مِنْ فِرْطِ الْمَسْرَةِ تَدْمَعُ،
وَالْقُلُوبُ لِلْفَرَحِ بِالنَّصْرَةِ تَخْشَعُ، وَالْأَلْسِنَةُ بِالِابْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَضْرَعُ،
وَبُشْرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِخِلَاصِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَتَلِي ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ
الدِّينِ مَا وَصَّى﴾ [الشورى: ١٣]، وَهَنَى الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِالصَّخْرَةِ الْبَيْضَاءِ،
وَمَنْزَلَ الْوَحْيِ بِمَحَلِّ الْإِسْرَاءِ، وَمَقَرَّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ بِمَقَرِّ
الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ بِمَوْضِعِ قَدَمِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَعَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ، وَأَدَامَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ بِشَرَفِ بَنِيهِ مَسْتَمْتَعِينَ. وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِهَذَا
النَّصْرِ الْكَرِيمِ، وَالْفَتْحِ الْعَظِيمِ، فَوَفَدُوا لِلزِّيَارَةِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ،
وَسَلَكُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ طَرِيقٍ، وَأَحْرَمُوا مِنَ الْبَيْتِ الْمَقْدُسِ إِلَى الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ، وَتَنَزَّهُوا مِنْ زَهْرِ كَرَامَاتِهِ فِي الرُّوْضِ الْأَتِيقِ.

وَكُتِبَ الْعِمَادُ فِي ثَانِي يَوْمِ الْفَتْحِ سَبْعِينَ كِتَابَ بَشَارَةٍ، كُلُّ كِتَابٍ

بمعنى بديع وعبارة، فمنها الكتاب إلى الديوان العزيز ببغداد افتتحه بهذه الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ {النور: ٥٥}.

الحمد لله الذي أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والخلاف، وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة، ومكن دينه المرتضى، وبذل الأمن من المخافة، وذخر هذا الفتح الأسنى والنصر الأهنى للعصر الإمامي النبوي الناصري على يد الخادم؛ أخلص أوليائه، وأخص من اعتزازه باعتزائه إليه وانتمائه. وهذا الفتح العظيم والنجح الكريم قد انقضى من الملوك الماضية، والقرون الخالية على حسرة تمنية، وحيرة ترجيه، ووحشة اليأس من تسنيه، وتقاصرت عنه طوال الهمم، وتخاذلت عن الانتصار له أملاك الأمم، فالحمد لله الذي أعاد القدس إلى القدس، وأعاده من الرجس، وحقق من فتح ما كان في النفس، وبذل وحشة الكفر فيه من الإسلام بالأنس، وجعل عز يومه ماحياً ذل الأمم، وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجهال والضلال من البطرك والقس، وعبد الصليب ومستقبلي الشمس، وقد أظهر الله على المشركين الضالين جنوده المؤمنين العالمين، وقطع دابر القوم الظالمين، والحمد لله رب العالمين، فكأن الله شرف هذه الأمة، وقال لهم: اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها فضلكم، وحقق في حقهم امتثال أمره في قوله الكريم: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ {المائدة: ٢١}.

وهذا الفتح قد أقدره الله على افتضاضه بالحرب العوان، وجعل

ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر الأعوان، وأخرج يوم الجمعة من بيته المقدس أهل الأحد، وقمع من كان يقول: إن الله ثالث ثلاثة بمن يقول: هو الله أحد. وأعان الله بإنزال الملائكة والروح، وأتى بهذا النصر الممنوح، الذي هو فتح الفتوح، وقد تعالى أن يحيط به وصف البليغ نظماً ونثراً، وعبد الله في البيت المقدس سرّاً وجهراً، وملكت بلاد الأردن وفلسطين غوراً ونجداً، وبراً وبحراً، وملئت إسلاماً، وكانت قد ملئت كفرًا، وتقاضى الخادم دين الدين الذي غلق رهنه دهرًا، والحمد لله شكرًا، حمداً يُجدد للإسلام كل يوم نصرًا، ويزيد وجوه أهله ببشرى فتوحه بشرًا، وأبى الخادم إلا استباحة أموالهم وأرواحهم، وحسم داء اجتراحهم باجتياحهم، وأنه لا بد من تطهير الأرض المقدسة برجس دمائهم، وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم، ولما أيسوا من النجاة، وفتح أبوابها المرتجة من أسبابها المرتجة، خوفوا بقتل الأسارى المسلمين، وهم أكثر من ثلاثة آلاف، وأنهم يفسدون جميع ما في البلد من مال وبناء بهدم وإحراق وإتلاف، وعرف أن جهلهم يحملهم على كل نكرٍ شنيع، وأنهم تدعوهم فظاظتهم إلى كل ضرٍ فظيع، وبذلوا إطلاق الأسرى، وشرطوا حمل مال الفداء، وما زالوا ييتمهلون ويضرعون، ويذلون ويخشعون، حتى استقر الأمر أنهم يُفادون، وأجيب الصخرة المقدسة عند استصراخها، وبركت البركة الناهضة إليها في مناخها، وغسلت من أوضارها وأوزارها بعبرات العيون، ورجع اضطرابها إلى السكون، وفديت بنواظر أهل الإيمان، وصوفحت للوفاء بعهداها المجدد بالإيمان، وذكرت في يوم خلاصها من رجب ليلة المعراج، وتجلّى

إظلامها بإنارة سنا السراج، وأعيدت الكنائس مدارس، وأضحت بإحياء
رميم التوحيد رسوم الكفر عفية دوارس، وزالت ضجرة الصخرة،
ونعشها الله من العثرة، وبدل بالأنس فيها ما كان من الوحشة والحسرة،
فالحمد لله على هذه النصره، والمنة له على هذه المبرة.

وقد تسلمنا مع بيت المقدس جميع المعازل من حد الداروم إلى حد
طرابلس، وكل ما كان جارياً في مملكة ملك القدس ونابلس، ولم يبق
إلا صور، فإنها قد تأخر انتزاعها، وتقدم امتناعها، والفرنج فيها قد
ضريت بآمالها أطماعها، وهي بتأييد الله مستفتحة، والقلوب بتذليل
جامحها منسرحه.

* ومن كتب آخر: فُتِحَ بيت الله المقدس الذي عجز الملوك عن تمنيه
فكيف تسنيه؟ وماتت الأطماع دونه فلم تطمع فيه، فمن الله علينا بتذليل
صعبه، وإعذاب شربه، وتسهيل وعره، وتحصيل فخره، وقضى الملوك
في ليله، وجئنا نحن عند إسفار فجره. وقد كانت الصخرة مُستصرخة،
ومطايا الكفر بكلاكها عليها منوخة، فأجيب دعوتها، وأصينت
حظوتها، وتناثرت على حَجَرها يواقيت الشفاه، وقوبلت قبلتها بِقُبُل
الأفواه، ودنا المسجد الأقصى للقاصي والداني، وزال رين العائن وقرت
عين الراني.

هذا فتحٌ عظيمٌ قدره، جسيم فخره، فاضلٌ عصره، كاملٌ نصره،
غير منسيٍّ إلى يوم الحشر ذكره، وقد افتُض بنا بكره، واقتُضي بسيفنا
وتره، وزهر زهره، وظهر قهره، وهلك الكافر وكفره، وجاء من نعم
الله ما لزم على الأبد شكره.

أبيناً إلا إحراقهم بنيران الصوارم، وإغراقهم في أمواه الطلى والجماجم، وتسلمنا القدس في يوم كانت في مثل ليلته ليلة المعراج، وحتت الصخرة حين جذع المعجزة الأولى في ظلمة ليلها إلى ذلك السراج الوهاج، والحمد لله على سلوك ما وضح من المنهاج، ونضوب ما كان نبع من الأجاج، وخلا بيت الله لقصد الحاج، وصدق الحاج.

مبشرة بما فضل الله به عصرنا، وعجل به نصرنا، ونظم به سلكتنا، وطرز به ملكتنا، وهو فتح بيت الله المقدس الذي غلق رهنه دهرًا، واغتصبت من الإسلام قهراً، وارتد كفرًا، وامتدت به الأيام عمراً فعمراً، وتقاصرت الهمم عن استفتاحه، وأصلد زند^(١) الملوك فيه فعجزوا عن اقتداحه، ونزلوا بالرغم على التماس الكفر واقتراحه، واحتملوا لحفظ مواضعهم نكايه اجترامه واجتراحه، فلا جرم أعده الله لأيماننا، وذخره لمواسم اعتزامنا، وفتحه بنا إظهاراً لفضيلة هذه الأيام، وإيثاراً لما نحن نؤثره من إعلاء كلمة الإسلام، فأصرخنا الصخرة، وأهدينا إليها النصر، ومكنا من قلبها وإن كان من الحجر المسرة.

وتسلمنا القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وقضينا من حق هذا البيت ما وجب، وجاء القُدُس إلى القُدُس، وزال الرجس وذهب، وتولى فيه الإسلام وتولى عنه الكفر، عظم الأجر وفخم الفخر، وطاب النشر وزاد البشر، ومُحي الرجس وثبت الطهر، وهلك المشرك، وذل البطرك، وأقصى من المسجد الأقصى الساجد إلى الشمس، وتجلّى الحق بنوره الكاشف للبس.

(١) أصلد الزند: صوت، ولم يور.

عاد بيت الله المقدس إلى طهارته، ونطق منه لسان التقديس بعبارته، وتهلل وجه السعد بنضارته، وخصنا القدر في إتمام أمره بخطابه وإشارته، وزادت الوجوه بشرًا ببشارته، وقد أعاد الله إلى الإسلام المسجد الأقصى، وملكنا أذناه وأقصاه، وأسنى دولتنا بما سناه من فتحه وهناه، وعلموا أنهم هالكون؛ وأنا لهم بالقهر مالكون، وفي سبيل القتل والأسر والسبي سالكون، فخرجوا يطلبون الأمان، ويبذلون الإذعان، حتى يسلموا المكان، فقليل لهم: الآن وقد عصيتهم، ورضيتهم بما فيه هلاكهم وأبيتهم، فروعوا بقتل أسارى المسلمين وهم ألوف، وعرفنا أنهم لا يقصرون عن شرٍّ، فإن جهلهم معروف. فتضرعوا وتشافعوا وتعفروا في تراب الذل ووقعوا، وتقرر عليهم مال اشتروا به أنفسهم، فنزعوا به من الخوف ملبسهم، وسلموا القدس، فأعدناه إلى القدس، وطهرناه من الرجز، وأجبنا دعوة الصخرة، وغسلنا عنها وضر الكفر بعبرات العبرة.

فُتِحَ بيتُ الله المقدس، الذي غَلِقَ رهنُهُ، وطال في يد الكفر أسرُه وسجنه، واستهل بغر أيامنا مُزْنه، وأثار يمينه، وعاد بإحساننا حُسْنه، وزال بنا خوفه وزاد أمنه، وبقي قريب مائة سنة في يد الكفر مسجونًا، وبرجس الشرك مشحونًا، حتى أعاد الله بنا رونقه، وأذهب قلقه، وأعدم فرقهُ.

وهذا فتحٌ لم يكن منذ عصرِ الصحابة - رضي الله عنهم - له نظير، وأفقُ الدين به منيفٌ منير، وشرف أيامنا به كبير، وهو إمام فتوحنا المُدخرة لنا، وما لها بتأييد الله تأخير.

فُتِحَ البيت المقدس الذي لم يخطر تمني به خاطر الملوك، وتوعد على

عزائمهم نهجُ طريقه المسلوك، وحالت دونه قنطاريات الفرنج وطوارقُها، وجنت على الإسلام فيه حوادثُ الليالي وطوارقُها، حتى دعانا الله لفتحه فأجبناه، ووعدنا بالفوز فأصبناه، وأوردنا مشرع صفائه فاستعذبناه، وعرفنا طيب عرفه فاستطبناه، وذخر لعصرنا هذا الفتح فاستقبلناه.

رأوا أحجار المنجنيقات قد أنزلتِ الأسواء بالأسوار، وغارتِ الصخور للصخرة المباركة فجدت في إنقاذها من الإسار، وهتمت ثنانيا الأبراج، وأعضل بها في العلاج داءُ الأعلاج، فعاینوا الحمام، وشاهدوا الموت الزؤام.

أقامت المنجنيقات على حصانته جد الرجم، وواقعت ثنانيا شرفاته بالهتَم، وتطايرت الصخور من نصرة الصخرة المباركة، وحجرت على حكم السور بسفه الأحجار المتداركة، وحسرت النُّقوبُ عن عروسِ البلد نُقْبُ الأسوار، وانكشفت للعيون انكشاف الأسرار.

نَهَضَتْ لإصراخ الصخرة المقدسة الصخور، وطارت من أوكار المجانيق كأنها الصقور، ما أسر البيت الحرام بفكاك أخيه من الأسر، وإجراء ماء الإسلام فيه لغسل أوضار الكُفر، وإنقاذ الصخرة المباركة ممن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، وإلحافها من البهاء والرونق والعز الإسلامي كسوة، ولقد غُسِلَتْ من أدران الكفر وأدناسه، وطُهرت من أرجاس أنجاسه، بمياه العيون التي بها قذيت، وصُقِلت بشفاه المؤمنين وطالما بأيدي الكفر صديت، وأعيد إليها ذكرُ الله تعالى بعد طول الغربة، وتذكرت بصحبة الأولياء ما سلف لها في عهد الصحابة - رضي

اللّٰهَ عنهم - من حُسْنِ الصّحبة، ودنا المسجد الأقصى فأقضي منه الساجد للشمس، وسكن العلماء والفقهاء في مواطن البطرك والقس، وأبدل الناقوس بالأذان، بل الكفر بالإيمان، وصلى محراب^(١) الإسلام في المحراب الذي أسلم، وقد سنّى الله تعالى هذا الفتح الأعظم، والنّجح الأفخم.

وقد نُدبَ فلان في الرسالة القدسية، والبشارة العُرسية، التي تم بها مآتم الكفر وعُرس الإسلام، وعاد بها المسجد الأقصى إلى مدانة المسجد الحرام، وتجلت عروس الصخرة لعيون الناظرين، وفاضت عليها مياه أحداق الأولياء، فَرَحَصَتْ^(٢) عنها أوضار الكافرين، وكان الإسلام منه غريب فرجع إلى وطنه، وسكن منه إلى التوطن في مسكنه، وزالت مخاوفه وعاد إلى مأمّنه، وفاض العرف من منبعه، وأثار التوحيد من مطلعه، وعلا سنا السنة، وحلا جنى الجنة، وخلصت مواضع المُخلصين من أولياء الأُمّة، وخرج البطارقة والقسيسون من مساجد الأئمّة، وعادت الكنائس مدارس، وآيات التثليث بها دوارس، ووجوه أهل الإيمان باشرة، ووجوه أهل الصليب عوابس، ومحت أيا من هذه الأيام تلك الليالي الدوامس، وقد أقيمت الجُمع والجماعات، ونُظفت بل طهرت تلك الساحات، وصلى محرابه المحرب، ودرس فيه الخلاف والمذهب، فالحمد لله الذي تسنى بفضله هذا المطلب، وتيسر بتأييده الأمر الأصعب.

✽ قال العماد: وكان المولى الأجل الفاضل متأخراً بدمشق لعارضٍ من

(١) المحراب والمحرب: الشديد الحرب، والشجاع، ويعني به صلاح الدين. «القاموس المحيط» (حرب).

(٢) رحضت: أي: غسّلت. انظر «القاموس المحيط» (رحض).

اللَّهُ بشفائه، فمن جملة ما كتب السلطان إليه: أما الفتح فمن جملة بركات همته، وآثار جذبت عزمته، فإن الله تعالى سهل ما سجل أهل الدهر بأنه صعب، وأهب نسيم النصر إبان يقال ليس له مهيب، وخصنا بهذا الشرف، وألحقنا في هذه الفضيلة بصالحى السلف، وقد بَدَل الكفر بالإيمان، والناقوس بالأذان. وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان، وفتحت بهذا الفتح من بيت الله المقدس أبواب الجنان، وتراحَم الخارجون من البلد من الفرنج والنصارى في دخول أبواب النيران، وصلى محارب الدين في المحراب، ورفع الملائكة ما كان تكاثف بأنفاس الكفر من الحجاب، وغُسِلَت الصخرة المباركة من أوضارها بماء العيون، الفائض الفائق غزارة الأمواه، وقُبِلت بالشفاء وبوشرت بالأفواه، وطهرت بأهل العلم والحلم من أدناس أهل الجهل والسفاه.

والحمد لله ثم الحمد لله، وما كان يعوزنا ويعوزه إلا حضور المجلس السامي أسماء الله، فما لهذا الأمر رُوء إلا بروائه، ولا للأنس لقاء إلا بأنس لقائه، وكاد يُصحف الفتح لولا صالح دعائه، وحسن آلائه.

والحمد لله الذي خصنا بهذه الخاصية، وفضلنا بالنصرة القدسية، وذخر لنا هذا البر الذي عجز بل قصر عنه ملوك البرية.

والحمد لله على هذه النعمة السنية، فما أشوقنا وأشوق القدس إلى قدومه، وما أظمأنا وأظمأه إلى خصوص الري به وعمومه، ويا حظ هذا البيت الذي هو أخو البيت الحرام من زيارته، وما آتق روضه وأوفق رضاه إذا فاز بنظره ونضارته، ونحن نعرف أن همته العالية تحدوه، وأن دينه إلى إجابة دعوته تدعوه، ونسأل الله تعالى أن يكمل صحته،

وَيُنْعَشَ نَهَضَتَهُ، وَيُقَوِّي قُوَّتَهُ، وَمَا أَقْمَنَا بِهَذَا الْبَلَدِ إِلَّا لِتَطْهِيرِهِ، وَتَرْتِيبِ أَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

* وَمَنْ كُتِبَ آخَرُ: نَصَرْنَا اللَّهَ بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَوِّمِينَ، وَأَوْلِيَاءِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَاسْتَخْلَصْنَا بِتَأْيِيدِهِ الْبِلَادَ وَانْتَزَعْنَاهَا، وَاقْتَضَضْنَا بِالْبَيْضِ الذُّكُورَ مِنَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ أَبْكَارَ الْفُتُوحِ وَافْتَرَعْنَاهَا، وَهَذِهِ مُوهَبَةٌ مُذْهَبَةٌ، وَمَنْقَبَةٌ لَا تَبْلُغُ إِلَى وَصْفِهَا بِلَاغَةَ مُوجِزَةٍ وَلَا مُسْهَبَةٍ، وَنُوبَةٌ مَا لِلْإِسْلَامِ بَعْدَهَا نُبُوءَةٌ، وَحِظُوءَةٌ فِي مَذَاقِ أَهْلِ التَّقْوَى وَالْمَغْبِرَةِ حُلُوءَةٌ، وَبُشْرَى تَجْلُو الْوُجُوهَ بِبُشْرَاهَا، وَتَضُوعُ مِهَابِ الْمَحَابِّ بِنُشْرَاهَا، وَيُغْرَقُ أَهْلُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ سِجَالُ غَرْبِهَا، وَتَقْرَعُ عَيْنُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْبَعْدِ وَالْقَرَبِ بِأَنْوَارِ قَرَبِهَا.

عَادَ التَّقْدِيسَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بِهِ وَصَفَتْ، وَأَحَاطَتْ الْبَرَكَةُ بِالْبَقْعَةِ الَّتِي يَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ عُرِفَتْ، وَظَهَرَتْ الصَّخْرَةُ الْمَقْدَسَةُ وَطُهِرَتْ، وَزُهِيتْ أَيَّامُنَ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَزَهَرَتْ، وَقُمِعَتْ الطَّائِفَةُ الْبَاغِيَةُ مِنْ أَهْلِ التَّثْلِيثِ بِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَقُهِرَتْ، وَاسْتَبَشَرَ الْمَحْرَابَ وَالْمَنْبِرَ بِخُطْبَتِهِ وَإِمَامِهِ، وَافْتَخَرَ الزَّمَانُ بِعَصْرِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَيَّامِهِ، وَقَدْ تَمَلَّكْنَا الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ وَتَسَلَّمْنَاهَا حَصْنًا حَصْنًا، وَنَقَضْنَا مِنَ الْكُفْرِ رُكْنًا رُكْنًا، وَأَجْلَيْنَا الْكُفَّارَ مِنْهَا فَاجْتَلَيْنَا بِهَا مِنَ الْحَسَنِ حُسْنًا.

فَتَحَّ شَرَفُ اللَّهِ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَجَلَا بِهِ الْغُيُومَ، وَكُشِفَ الْمُلُومَةُ، بَلْ شَرَفْنَا بِفَخْرِهِ، وَأَعَدْنَا لَذُخْرِهِ، وَخَصَّنَا بِفَضِيلَتِهِ فِي عَصْرِهِ، وَأَجْرَى لَنَا مَا كَانَ قَدْ أَبْطَأَ مِنْ عَادَةِ نَصْرِهِ، وَقَمَعَ بِأَهْلِ دِينِهِ مِنْ عَسَاكِرِنَا أَهْلَ كُفْرِهِ، وَقَامَتْ بِوَاتَرُنَا بِوَتَرِهِ^(١)، وَعَرَقَ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ مِنْ دَمِ الْكُفْرِ بِبَحْرِهِ،

(١) بَوَاتَرُ جَمْعٌ، وَمُفْرَدُهَا: بَاتَرٌ وَهُوَ السِّيفُ الْقَاطِعُ. وَالْوَتَرُ: الْقَتْلُ.

وأصْرخت الصخرة، وحفت بها النُّصرة، وزالت عنها المضرة، وعادت إليها المبرة، ونُعثت منها العثرة، وفاضت لها من عين المؤمنين العبرة، وزُفت عروسها البكر محصنة لم تُقتض منها العُدرة، وحالت العُرَّة^(١) ولاحت الغُرة، وظهرت من صدف قُبْتها الدرة، وصُوفحت آثار القدم النبوية بالآيمان، وجُددت بعدها صفقة الإيْمان، وبطل الناقوسُ بحق الأذان، وفُتحت أبواب الجنان لأهلها، وأُخرج منها أهل النيران، والحمد لله على هذا الإحسان حمداً مستمراً على مر الزمان.

□ ومن كتاب إلى سيف الإسلام باليمن: الفتح الأكبر والنجح الأزهر، والنصر الأشهر والعصر الأبهر، والفضل الأكثر، والإفضال الأوفر واليوم الأنور واليمن الأنضر والفجر الأسفر والفخر الأظهر... هو الفتح الذي تفوح بمحابه مهاب الفتوح وتبوح بسر روحه وملكه سرائر الملائكة والروح، وتروح وتغدو عوادي النعم وروائحها إلى روض الهدى المروح، وتلوح تباشير بشرائه في لوح الدهر لكل مؤمن يتلقاها بالوجه السافر الصدر المشروح، وتنوح ناعية الكفر في كل ناحية، ولكل نادبة للأنس على قتيْلها القلب المقروح، فُتح بيت الله المقدس الذي غلِقَ نيفاً وتسعين سنةً مع الكفر رهْنُه، وطال في أسره سجنه، واستحكم وهْنُه، وقوي نكره، وضعف ركنه، وزاد حزنه، وزال حُسْنه، وأجذبت من الهدى أرضه وأخلف مُزْنه، وواصله خوفه وفارقه أَمْنه، واشتغل خاطرُ الإسلام بسببه وساء ظنه، وذكرَ فيه الواحدُ الأحد الذي تعالى عن

(١) حالت: زالت. والعُرَّة: الجرب، والقدر. انظر «اللسان» (حول، عرر).

الولد أن المسيح ابنه، ورُبِع فيه التثليث فعز صليبه وصلّبه، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهيئ متنه، ودرج الملوك المتقدمون على تمنّي استنقاذه، فأبى الشيطان غير استيلائه واستحواده، وكان في الغيب الإلهي أن معاده في الآخرة إلى معاده، وطنت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس، وجلّلت الصخرة المقدسة جلوة العروس، وزارها شهر رمضان مضيئاً لها، نهارُ صومها بالتسبيح، وليلُ فطرها بالتراويح.

* ومن كتب آخر: البيت المقدس صار مقدساً، وأصبح للإسلام مُعرّساً، ورجع أهل التقوى إليه فقد كان بها مؤسساً، وخرس الجرس، وذهب الدنس، وبطل الناقوس، وخرج القسوس، وزال الأذى بالأذان، وصوّفت الصخرة المقدسة بأيمان أهل الإيمان، وما صلّت في محراب البيت المقدس الثقة، حتى صلّت في محارب رقاب الكفر المشرفيات، وما تمّ الرضى بفتح المسجد الأقصى حتى أقصي منه من أقصاه الله عن رضاه، وما تبوأ المسلم المصلّي فيه مثواه من الجنة حتى تبوأ الكافر المصلّي بالنار مثواه.

صوّف موضع القدم المباركة ليلة المعراج بالأيدي، وقال لأولياء الله أهل الإخلاص: أهلاً بكم فما أحسن الخلاص من ولاية أهل التعدي، وعاد المسجد الأقصى للمصلّين المُقربين جنّةً ومناراً، بعد أن كان للمُقصّين المُضلين ناراً وداراً، وتسلم محارب الإسلام محرابه، وأصبحت لألافه لما ألقى أصحابه، وترنّح المنبر لترنم الخطيب، وانجبر الدين بانكسار صلب عابد الصليب السليب.

خلا بأله من أمر القدس بإعادته إلى قدسه، وإخلائه من رجز

الشُّرْكُ وَرَجْسُهُ، وإِجْلَاءُ دَاوِيَّهِ وَاسْتِبَارَهُ وَبَطْرَكَه وَقَسَّهُ، وَتَعْوِيضُهُ مِنْ وَحْشَةِ الضَّلَالَةِ مِنَ الْهُدَى بِأَنْسِهِ، وَرَدُّ الْإِسْلَامِ الْغَرِيبِ إِلَى بَيْتِهِ الْمَقْدَسِ، وَنَفْيُ الْكَافِرِ مِنْ كَاسِفِ الْبَالِ رَاغِمَ الْمَعْطُوسِ، وَنَصْبُ الْمَنِيرِ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لِإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَرَفْعُ مَا رُفِعَ قَدْرُهُ مِنَ الْأَعْلَامِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَالْإِفْرَاجُ عَنْ مُحْرَابِهِ بِهَدْمِ مَا بَنِيَ دُونَهُ مِنْ مَبَانِي الشُّرْكِ، وَكَشْفُ أَسْتَارِ الْكُفْرَةِ الَّتِي حَجَبَتْ بِالْهَتَكِ وَالْفَتَكِ، وَإِقَامَةُ الْجُمُعِ فِيهِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَإِدَامَةُ أَوْرَادِ الْعِبَادَاتِ بِهِ وَوُظَائِفِ الطَّاعَاتِ، وَغَسْلُ الصَّخْرَةِ الْمَقْدَسَةِ بِدَمِ الْكَافِرِ وَدَمْعِ الْمُؤْمِنِ، وَنَزْعُ لِبَاسِ بَأْسِ الْمَسِيءِ عَنْهَا بِإِفَاضَةِ ثَوْبِ ثَوَابِ الْمُحْسِنِ، وَتَنْزِيهِ تِلْكَ الْجَنَّةِ مِنْ دَنَسِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِعْلَاءُ مَا كَانَ دَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ الْأَبْرَارِ وَمَطَالَعِ الْأَنْوَارِ.

وَقَدْ رَجَعَ الْإِسْلَامُ الْغَرِيبَ مِنْهُ إِلَى دَارِهِ، وَخَرَجَ قَمَرُ الْهُدَى بِهِ مِنْ سِرَارِهِ، وَذَهَبَتْ ظِلْمُ الضَّلَالَةِ بِأَنْوَارِهِ، وَعَادَتْ الْأَرْضُ الْمَقْدَسَةُ إِلَى مَا كَانَتْ مُوصُوفَةً بِهِ مِنَ التَّقْدِيسِ، وَأُمِنَتْ الْمَخَافُ فِيهَا وَبِهَا فَصَارَتْ صَبَاحَ السُّرَى وَمَنَاخَ التَّعْرِيسِ، وَقَدْ أُقْصِيَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْأَقْصُونَ مِنَ اللَّهِ الْأَبْعَدُونَ، وَتَوَافَى إِلَيْهِ الْمُصْطَفُونَ الْأَقْرَبُونَ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَخَرَسَ النَّاقُوسُ بِزَجَلٍ^(١) الْمَسْبُوحِينَ، وَخَرَجَ الْمَفْسُودُونَ بِدُخُولِ الْمُصْلِحِينَ، وَقَالَ الْمُحْرَابُ لِأَهْلِهِ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، وَشَمَلَ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ مَا جُمِعَ لِلْإِسْلَامِ فِيهِ شَمَلًا، وَرُفِعَتِ الْأَعْلَامُ الْعَبَّاسِيَّةُ عَلَى مَنِيرِهِ، فَأَخَذَتْ مِنْ بَرِّهِ أَوْفَى نَصِيبِ، وَتَلَّتْ بِأَلْسِنَةِ عَذْبِهَا ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وَغَسَلَتِ الصَّخْرَةَ الْمُبَارَكَةَ بِدَمْعِ الْمُتَّقِينَ مِنْ دَنَسِ

(١) الزَّجَلُ: رَفْعُ الصَّوْتِ.

المُشركين. وبعء أهل الأءء من قُربها بقُرب الموحءين؁ فذكر بها ما كاء يُنسئ من عَهء المعراج النبوي؁ وأقامت بءلائلها براهين الإعجاز المحمءي.

عاء الإسلام بإسلام البيت المقدس إلى تقءيسه؁ ورجع بُنيانه من التقوى إلى تأسيسه؁ وزال ناموس ناقوسه؁ وبطلَ بنصر النصر قياسُ قسَّيسه؁ وفتحَ باب الرءمة لأهلها وءءلت فيه الصخرة لفضلها؁ وباشرت الحياة بها مواضع سجودها؁ وصافحت أيءي الأولياء آثار القدم النبوية بتجءيد عهودها؁ وشُهدَ مقام المعراج وموطئ بُراقه؁ ورئي نور الإسلام ومطلعُ إشراقه؁ وءنا المسجد الأقصى للرائع والسَّاجء؁ وامتلاء ذلك الفضاء بالأتقاء.

* ومن كتاب فاضلي إلى بعءاء: تقلَّص ظلُّ الكافر المبسوط؁ وصدق الله أهل دينه؁ فلما وقع الشرط وقع المشروط؁ وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة؁ وأءجت السيوف والأجال نائمة؁ واستردَّ المسلمون تُرائًا كان عنهم آبقًا؁ وظفروا يقظةً بما لم يصدَّقوا أنهم يظفرون به طيفًا على النأي طارفاً.

* ومنه في وصف نقب السور: فأءلي السور من السيارة؁ والحرب من النظارة؁ وأمكن النقب أن يسفرَ للحرب النقب؁ وأن يعيد الحجرَ إلى سيرته من التراب؁ فتقدمَ إلى الصخر فمضع سرءه بأنياب معوكه؁ وحلَّ عَقءه بضربه الأخرق الدالَّ على لطافة أنمله؁ وأسمع الصخرة الشريفة جنيته فاستغاثته إلى أن كاءت ترقُّ لمقتله؁ وتبرأ بعضُ الحجارة من

بعض، وأخذ الخراب عليها موثقاً فلن يبرح الأرض.

* ثم قال: واستقرت على الأعلى أقدامهم، وخفقت على الأقصى أعلامهم، وتلاقت على الصخرة قبلهم، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما يشفى بالماء غلهم، وملك الإسلام خطّة كان عهده بها دمنة سكان، فخدمها الكفر إلى أن صارت روضة جنان، لا جرم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم، وأرضى أهل الحق وأسخطهم. وأوعز الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود، وأقام له من الأئمة من يوفيه ورده المورود. وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السماوات للسجود^(١) يتفطرن، والكواكب منها للطرب يتثرن، ورُفعت إلى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة، وظهرت قبور الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة، وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدّها، وجهرت الألسن بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها، وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر، فرحب به ترحيب من برّ بمن برّ، وخفق علماء في حفاقيّه، فلو طار سروراً لطار بجناحيه. وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى، ولا يقاسي تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى، ولا يحارب من يستظلمه إلا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى من الدنيا، وكانت الألسن ربما سلقته، فأنضج قلوبها بالاحتقار، وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها، فأطفأها بالاحتمال والاضطبار، ومن طلب خطيراً خاطراً، ومن رام صفقة رابحة جاسراً، ومن سما لأن يجلي غمرة غامراً.

(١) من انسجم الدمع: إذا سال وانصب. انظر اللسان «سجم».

* ووصف فيه يوم حطين فقال : وكان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة له شهوداً ، وكان الصليب صارخاً وكان الإسلام مولوداً ، وأسر الملك ويده أوثق وثائقه ، وأكد وصّله بالدين وعلاقته ، وهو صليب الصلبوت ، وقائد أهل الجبروت ، ما دهموا قطُّ بأمرٍ إلا وقام بين دهائهم يحرضهم ؛ ييسط لهم باعه ، وكان مدّ اليدين في هذه الدفعة وداعه ، لا جرم أنه يتهافت على ناره فرأشهم ، ويجتمع في ظلّ ظلامه خشاشهم ، ويقاثلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقّه ، ويرونه ميثاقاً يبنون عليه أشدّ عقد وأوثقه ، ويعدونه سوراً تحفر حوافر الخيل خندقه ، ولم يقلت منهم معروف إلا القومص ، وكان - لعنه الله - ملياً يوم الظفر بالقتال ، وملياً يوم الخذلان بالاحتيال ، فنجا ولكن كيف ، وطار خوفاً من أن يلحقه منسر الرُمح وجناح السيّف ، ثم أخذه الله بعد أيام بيده ، وأهلكه لموعده ، وكان لعدّتهم فذلك ، وانتقل من ملك الموت إلى مالك ، وبعد الكسرة مرّ الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الرأية السوداء صبغاً البيضاء صنعا ، الخافقة هي وقلوب أعدائها ، العالية هي وعزائم أوليائها .



* الشعر وفتح القدس :

على مثل هذه الغايات النبيلة تُوقف القصائد، وفي دوحة الفتح الأعظم
يحلو المديح .. مديح الرجل .. مديح البطل .. صلاح الدين :

مديحك أحلى في فمي من جنا المنى ومن طعم برد الماء عذباً على الصدى
أسامر فيك الشعر مستمتعاً به فأبسطه بسط الخميعة في الندى
أودُّ لو أن البيت ألف قصيدةٍ وكل قصيد ألف حزبٍ تردداً
وكيف اقتصادٌ في مدائح يوسف وقد بذَّ غايات السوابق في المدى^(١)

□ وقال الجلياني :

أبا المظفر أنت المجتبي لهدى أخرى الزمان على خبرٍ بخبرته
فلو رآك وقد حُزَّت العلاء عمرٌ في قلة التلّ قضى كنه عبّره^(٢)
ولو رآك وأهل القدس في وّله أبو عبيدة فدى^(٣) من مسرته
غداة جزوا النواصي في قمامته وأعولوا بالتباكي حول صخرته
دارت بك الملة الحسنى فنحن على عهد الصحابة في استمرار مرته
وأنت كاسمك صديقٌ وصاحبه الـ ملك المظفر سامٍ في مبرته
وفي السلالة عثمانٌ يؤيده علا عليّ على إيثار نصّره
وكم لديك ذوي قرّبي رقوا شرفاً وكم بعيدٍ رأى الزلفى بهجرته

(١) ديوان «المبشرات القدسيات» للجلياني - جمع د. عبد الجليل حسن عبد المهدي - دار
البشير ص (١٤٤).

(٢) العبرة: العجب. «معجم متن اللغة» (١١/٤).

(٣) يعني يقال له: جعلت فداك. «القاموس المحيط» (فدي).

مَلِكَ الْفَرَنْجِ أَخِيذاً^(٢) بَيْنَ عِثْرَتِهِ
حَتَّى رَمَتْ كُلَّ ذِي مُلْكٍ بِحَسْرَتِهِ
وَبَاتَ يَطْوِي الْعِدَى فِي سَدِّ ثُغْرَتِهِ
فَاسْتَفْتَحَ الْقُدْسَ مُحْشَوْاً بِزُمرَتِهِ
بَوْقَةِ التَّلِّ وَاسْتَشْرَى بِسُورَتِهِ
بَدَأَ النَّشَاطَ عَشِيّاً مِثْلَ بُكْرَتِهِ
وَقَانَصَ الْجَيْشَ لَا يُحْصَى بِقَفْرَتِهِ
عَلَى الْبَسِيطَةِ فَتَّاحٍ بِنَشْرَتِهِ
تَحْكِي النُّبُوَّةَ فِي أَيَّامِ فَتْرَتِهِ
□ قصيدة فخر الكتاب أبي علي الحسن بن علي الجويني في فتح المقدس :

قال - رحمه الله - :

مَنْ شَكَّ فِيهِمْ فَهَذَا الْفَتْحُ بُرْهَانُ
وَقَدْ مَضَتْ قَبْلُ أَزْمَانُ وَأَزْمَانُ
لَهَا سِوَى الشُّكْرِ بِالْأَفْعَالِ أَثْمَانُ
صَيْداً وَمَا ضَعُفُوا يَوْماً وَمَا هَانُوا
خَوْفَ الْفَرَنْجَةِ وَلِدَانُ وَنِسْوَانُ

يُشَبِّه الْقُبُجُ^(١) مَا بَيْنَ الْبُرْزَةِ لَقَى
أَمَّا رَأَيْتَ مَعَالِي يُوسُفَ نُسِقَتْ
أَضْحَى لِنَشْرِ الْهُدَى فِي فَتْحِ مَنْهَجِهِ
وَاسْتَقْبَحَ الرُّجْسَ مَمْنُوءاً بِمَشْهَدِهِ
لَكِنَّ بَأْسَ صِلَاحِ الدِّينِ أَذْهَلَهُمْ
تَعْيَا الْجَوَارِحُ وَالْفُرْسَانُ وَهُوَ عَلَى
يَا فَاتِحَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى بُهْمٍ^(٣)
أَبْشِرْ بِمُلْكٍ كَظْهَرِ الشَّمْسِ مُطْلِعٍ
حَتَّى يَكُونَ لِهَذَا الدِّينِ مِلْحَمَةٌ

جُنْدُ السَّمَاءِ لِهَذَا الْمَلِكِ أَعْوَانُ
مَتَى رَأَى النَّاسُ مَا نَحْكِيهِ فِي زَمَنِ
هَذَا الْفُتُوحِ فَتُوحُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا
أَضْحَتْ مَلُوكُ الْفَرَنْجِ الصَّيْدُ فِي يَدِهِ
كَمْ مَنْ فُحُولِ مَلُوكٍ غُودِرُوا وَهُمْ

(١) الْقُبُجُ: وَيَسْكُنُ: الْحَجَلُ. «معجم متن اللغة» (٤/ ٤٨٠).

(٢) أَي: أَسِيرًا.

(٣) الْبُهْمُ جَمْعٌ، مُفْرَدُهَا بُهْمَةٌ: بِالضَّمِّ: الشَّجَاعُ، وَقِيلَ: الْفَارَسُ الَّذِي لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى لَهُ مِنْ شِدَّةِ بَأْسِهِ، وَتَأْتِي أَيْضًا بِمَعْنَى: الْجَيْشُ. «اللسان» (بهم).

فخام عنها وصُمَّتْ منه آذانُ
 لإسلامٍ يُطَوَّى وَيُحَوَّى وهو سَكَرَانُ
 لإسلامٍ نُصَّارُهُ صُمُّ وَعُمَيَّانُ
 بأمرٍ مَنْ هو لِلْمِعْوَانِ مِعْوَانُ
 سَمَتْ لَهَا هِمَمُ الْأَمْلَاقِ مُذْ كَانُوا
 لَ النَّاسِ دَاوُدُ هَذَا أَمِ سُلَيْمَانُ
 فَطَهَّرَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
 بَلْ أَيْنَ وَالِدُهُمْ بَلْ أَيْنَ مَرْوَانُ
 يَبْذُهُمْ مِنْ مَلُوكِ الْأَرْضِ إِنْسَانُ
 تَنْزَلَتْ فِيهِ آيَاتُ وَقُرْآنُ
 غَدَا يُبْرِقُهَا شُؤْمٌ وَخِذْلَانُ
 مَلَكَتُهُ وَمَلُوكُ الْأَرْضِ خُزَانُ
 مِنْ أَنْ يُضَامَ وَيُلْفَى وهو حَيْرَانُ
 فَالْكَفَرِ فِي سِنَةِ وَالنَّصْرِ يَقْظَانُ
 مَعْبُودُهُ دُونَ رَبِّ الْعَرْشِ صُلْبَانُ
 يُطَوَّى لِأَجْرِ صِلَاحِ الدِّينِ دِيوَانُ

□ وَلنَقِيبَ الْأَشْرَافِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَةِ النَّسَابَةَ الْجَوَانِي :

الْقُدْسُ يَفْتَحُ وَالْفَرَنْجَةُ تُكْسَرُ
 بِزَوَالِهِ وَزَوَالُهَا يَتَطَهَّرُ
 يَرَقُبَلْ ذَاكَ لَهُمْ مَلِيكَ يُؤَسَّرُ

اسْتَصْرَخَتْ بِمَلِكِشَاهِ طَرَابُلُسُ
 هَذَا وَكَمْ مَلِكٍ مِنْ بَعْدِهِ نَظَرَ الـ
 تَسْعُونَ عَامًا بِلَادُ اللَّهِ تَصْرَخُ وَالـ
 فَالْآنَ لَبَّى صِلَاحُ الدِّينِ دَعْوَتَهُمْ
 لِلنَّاصِرِ ادْخَرْتَ هَذَا الْفُتُوحُ وَمَا
 حَبَّاهُ ذُو الْعَرْشِ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ فَقَا
 فِي نِصْفِ شَهْرِ غَدَا لِلشُّرْكِ مُصْطَلَمًا
 فَأَيْنَ مَسْلَمَةٌ عَنْهَا وَإِخْوَتُهُ
 وَعَدُّ عَمَّا سِوَاهِ فَالْفَرَنْجَةُ لَمْ
 لَوْ أَنَّ ذَا الْفَتْحِ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ لَقَدْ
 يَا قُبْحَ أَوْجِهَ عِبَادِ الصَّلِيبِ وَقَدْ
 خَزَنْتَ عِنْدَ إِلَهِ الْعَرْشِ سَائِرَ مَا
 فَاللَّهُ يُبْقِيكَ لِلْإِسْلَامِ تَحْرُسُهُ
 وَهَذِهِ سَنَةٌ أَكْرَمَ بِهَا سَنَةٌ
 يَا جَامِعًا كَلِمَةَ الْإِيمَانِ قَامَعَ مَنْ
 إِذَا طَوَّى اللَّهُ دِيوَانَ الْعِبَادِ فَمَا

أُتْرَى مَنَامًا مَا بَعَيْنِي أَبْصَرُ
 وَقُمامةٌ قُمتُ مِنَ الرَّجْسِ الَّذِي
 وَمَلِيكُهُمْ فِي الْقَيْدِ مَصْفُودٌ وَلَمْ

وَعَدَ الرَّسُولُ فَسَبَّحُوا وَاسْتَغْفِرُوا
هُوَ فِي الْقِيَامَةِ لِلْأَنَامِ الْمَحْشُرُ
مَاذَا يُقَالُ لَهُ وَمَاذَا يُذْكَرُ
فَارَوْقُهَا عُمَرُ الْإِمَامُ الْأَطْهَرُ
وَلَأَنْتَ فِي نَصْرِ النُّبُوَّةِ حَيْدَرُ
يَخْتَالُ وَالْدُنْيَا بِهِ تَتَبَخَّرُ
فَالرُّمَحُ يَنْظُمُ وَالْمِهْنَدُ يَنْثُرُ
نُ خَوَاشِعُ حَيْثُ الْجَبَاهُ تُعَفَّرُ
فِيهَا السِّیُوفُ فَكُلُّ هَامٍ مَنِبَرُ
تُحَذِي نَعَالاً أَوْ دِمَاءً تُهْدَرُ
فَيَصْدُهَا عَنْهُ طُلَى وَسَنُورُ^(٢)
عَرَجُ بِهَا لَكْنَهَا تَتَعَثَّرُ

قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ الَّذِي
فُتِحَ الشَّامُ وَطُهِرَ الْقُدْسُ الَّذِي
مِنْ كَانَ هَذَا فَتَحَهُ مُحَمَّدٍ
يَا يُوسُفَ الصَّدِيقُ أَنْتَ لِفَتْحِهَا
وَلَأَنْتَ عُثْمَانُ الشَّرِيعَةُ بَعْدَهُ
مَلِكُ غَدَا الْإِسْلَامُ مِنْ عَجَبٍ بِهِ
نَثَرُ وَنَظْمُ طَعْنُهُ وَضِرَابُهُ
حَيْثُ الرِّقَابُ خَوَاضِعُ حَيْثُ الْعِيُو
غَارَاتُهُ جُمُعُ فَإِنْ خَطَبْتَ لَهُ
إِذْ لَا تَرَى إِلَّا طُلَى^(١) بِسَنَابِكٍ
وَصُوفَانًا تَخْتَارُ أَنْ تَطَأَ الثُّرَى
تَمْشِي عَلَى جُثَثِ الْعِدَى عُرْجًا وَلَا

□ وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ جُبَيْرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ:

سُعُودٌ مِنَ الْفَلَكَ الدَّائِرِ
تُمَدُّ إِلَى سَيْفِكَ الْبَاتِرِ
بَكُنْدِهِمُ النَّكَاثُ الْغَسَادِرِ
سَحَائِبُ مِنْ دَمِهَا الْهَامِرِ
حَكَتْ فَتَكَّةَ الْأَسَدِ الْخَادِرِ

أَطَلْتُ عَلَى أَفْقِكَ الزَّاهِرِ
فَأَبْشِرْ فَإِنْ رِقَابَ الْعِدَى
وَعَمَّا قَرِيبٍ يَحُلُّ الرَّدَى
وَخِصْبُ الْوَرَى يَوْمَ تَسْقِي الثُّرَى
وَكَمْ لَكَ مِنْ فَتَكَةٍ فِيهِمْ

(١) الطُّلَى جمع، مفردُهَا الطُّلَّةُ: وهي العنق. انظر «لسان العرب» (طلي).

(٢) السُّنُور: جملة السلاح وخصَّ بعضهم به الدروع. انظر «لسان العرب» (سنر).

كَسَرْتَ صَلِيبَهُمْ عَنُودَ
وَغَيَّرْتَ آثَارَهُمْ كُلَّهَا
وَأَمْضَيْتَ جَدَكَ فِي غَزْوِهِمْ
وَأَذْبَرَ مُلْكُهُمْ بِالشَّامِ
جَنُودَكَ بِالرُّعْبِ مَنْصُورَةً
فَكُلَّهُمْ غَرِقُ هَالِكِ
ثَأَرْتَ لِدَيْنِ الْهُدَى فِي الْعِدَى
وَقُتِمَتْ بِنَصْرِ إِلِهِ الْوَرَى
وَجَاهَدْتَ مَجْتَهِدًا صَابِرًا
تَبَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى فُرْشِهِمْ
وَتَوَثَّرُ جَاهِدَ عَيْشِ الْجِهَادِ
وَتَسْهَرُ لَيْلِكَ فِي حَقِّ مَنْ
فَتَحْتَ الْمَقْدَسِ مِنْ أَرْضِهِ
وَجِئْتَ إِلَى قُدْسِهِ الْمُرْتَضَى
وَأَعْلَيْتَ فِيهِ مَنَارَ الْهُدَى
لَكُمْ ذَخَرَ اللَّهِ هَذَا الْفَتْوحِ
وَخَصَّكَ مِنْ بَعْدِ فَارُوقِهِ
مَحَبَّتُكُمْ أُلْقِيَتْ فِي النُّفُوسِ
فَكَمْ لَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ الْمُلُوكِ

فَلَلَهُ دُرُّكَ مِنْ كَاسِرِ
فَلَيْسَ لَهَا الدَّهْرُ مِنْ جَابِرِ
فَتَعَسَا لِحَدِّهِمُ الْعَاثِرِ
وَوَلَّى كَأَمْسِهِمُ الدَّابِرِ
فَنَاجِزُ مَتْنِ شِئْتِ أَوْ صَابِرِ
بَتِيَّارِ عَسْكَرِكَ الذَّاخِرِ
فَنَآثِرِكَ اللَّهُ مِنْ ثَائِرِ
فَسَمَّاءِكَ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ
فَلَلَهُ أَجْرُكَ مِنْ صَابِرِ
وَتَرْفُلُ فِي الزَّرْدِ السَّابِرِ
عَلَى طِيبِ عَيْشِهِمُ النَّاصِرِ
سَيْرِضِيكَ فِي جَفْنِكَ السَّاهِرِ
فَعَادَتْ إِلَى وَصْفِهَا الطَّاهِرِ
فَخَلَّصْتَهُ مِنْ يَدِ الْكَافِرِ
وَأَحْيَيْتَ مِنْ رَسْمِهِ الدَّائِرِ
مِنَ الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الْغَابِرِ
بَهَا لَاصْطِنَاعِكَ فِي الْآخِرِ
بَذَكَرٍ لَكُمْ فِي الْوَرَى طَائِرِ
لِمَثَلِكَ مِنْ مَثَلٍ سَائِرِ



وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي :

أعياً وقد عاينتُم الآيةَ العُظمى
وقد ساعَ فَتَحُ القُدسِ في كلِّ منطِقٍ
حَباً مَكَّةَ الحُسنى وَثَنى بيثربٍ
فَلَيْتَ فَتَى الخُطابِ شَاهِدَ فَتَحِهَا
وما كانَ إلّا الداءُ أَعْيَا دِواءَهُ
وأصبحَ ثَغْرُ الدِّينِ جَذلانَ بِاسِماً
سَلُّوا السَّاحِلَ المَخشيَ عَن سَطَواتِهِ
لأَيَّةِ حالٍ تَذَخروا النِّثَرَ والنَّظْماً
وشاعَ إلى أن أَسْمَعَ الأَسْلَ الصُّمَّاءَ
وأطربَ ذِيكَ الضَّرِيحَ وما ضَمَّماً
فَيَشْهَدُ أن السِّيفَ من يوسِفٍ أَصْمَى
وَعَبْرُ الحُسامِ العَضْبِ لا يُحسِنُ الحُسْماً
وَألسنَةُ الأَغمادِ تُوسِعُهُ لثِماً
فما كانَ إلّا سَاحِلاً صَادَفَ اليَمَّاءَ

وله من قصيدةٍ أُخرى في السُّلطان :

عَصَفْتُ بِهِ رِيحُ الخُطوبِ زَعازِعاً
هو مَنقَذُ البَيتِ المَقْدَسِ بَعْدَما
بَيتٌ تأسَّسَ بالسُّكُونِ وإِنما
أَمَشَتَتْ الأَعْداءُ وَهي جَحافلٌ
أُوتِيتَ عَزْماً في الحُرُوبِ مَسدِّداً
أَحسنتَ بالبَيتِ العَتِيقِ وَيَثربٍ
هَذي سَيَوفُكَ مُحَرِّماتٌ دُونَهُ
فَلَقِينِ طَووداً لا تَخَفُ أَنائِهِ
طالَتْ فِما وَجَدَ الشِّفاءَ شُكائِهِ
عندَ الزَّحافِ تَحَرَّكَتْ سَكَنائِهِ
عَن شَمْلِ دِينٍ جُمِعَتْ أَشْتائِهِ
لا زَيعُهُ يُخَشى ولا هَفَوائِهِ
ولَكَ الفِعالُ كَثِيرةٌ حَسَنائِهِ
لَبَكائِهِنَّ تَبَسَّمتْ حُجْرائِهِ

وله من قصيدةٍ أُخرى :

هو الفاتِحُ البَيتِ المَقْدَسِ بَعْدَما
فَضِيلَةُ فَتَحٍ كانَ ثَاني خَلِيفَةٍ
تَحامَتِ ساداتُ الدُّنا وَمَسودُها
مِن القومِ مُبديها وَأنتَ مُعِيدُها



□ وللعقاد قصيدة يهنئ بها صلاح الدين بفتح القدس وهو مخيم عليه
يقول فيها :

رأيت صلاح الدين أشرف من غدا
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر
سجيته الحسنى وشيمته الرضا
فلا عدمت أيامنا منه مشرقا
جنودك أملاك السماء وظنهم
فلا يستحق القدس غيرك في الورى
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا
وطهرته من رجسهم بدمائهم
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها
وعادت بيت الله أحكام دينه
وقد شاع في الآفاق عنك بشارة
جرى بالذي تهوى القضاء وظاهرت
وكم لبني أيوب عبد كعنتر
وقد طاب ريانا على طبرية
وعكا وما عكا فقد كان فتحها
وصيدا وبירות وتبين كلها

وأفضل من أضحى وأكرم من أمسى
ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا
وبطشته الكبرى وعزته القسعا
ينير بما يولي ليالينا الدمسا
عدأتك جن الأرض في الفتك لا الإنسا
فانت الذي من دونهم فتح القدس
فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا
فأذهبت بالرجس الذي ذهب الرجسا
وألبتها الدين الذي كشف اللبسا
فلا بطركا أبقيت فيها ولا قسا
بأن أذان القدس قد بطل النقسا
ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا^(١)
فإن ذكروا بالبأس لا يذكروا عبسا
فيا طيبها مغنى ويا حسنها مرسى
لإجلاتهم عن مدن ساحلهم كنسا
بسيافك ألقى أنفه الرغم والتعسا

(١) الخمس: جمع أحمس، وهو الشجاع، والمتشدد على نفسه في الدين.

تَخَذَتْ بِهَا بَيْنَ الطُّلَى وَالطُّبَى عُرْسًا
فَمَنْظَرُهُ بَلْ أَمْرُهُ أَرِيدٌ وَارْجَسًا
فَلَا تُبْطِئُوا عَنْهَا وَحُسُوهُمْ حَسًا
كَلَاءَتُهُ دِرْعًا وَعِصْمَتُهُ ثَرَسًا
فَإِنَّكَ قَدْ صَيَّرْتَ دِينَارَهُمْ فَلَسًا
بِمَاءِ الطُّلَى مِنْ صَادِيَاتِ الطُّبَى الْخَمْسَا
خُرْسَانَ وَالنَّهْرَيْنِ وَالتُّرْكَ وَالْفُرْسَا
بِعِزْمِكَ وَأَمْلَأَ مِنْ دِمَائِهِمُ الرَّسَا^(٢)
وَقَدْ طَرَدْتَ عَنْهُ ذُنَابَهُمُ الطُّلْسَا

□ وَلَنَجْمُ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُجَاوِرِ قَصِيدَةٌ:

مَوْسُومَةٌ بِصِفَاتٍ أَغِيدَ أَهْيَفِ
وَالْهَزْلُ فِيهِ مَعَ الْغَوَايَةِ مُخْتَفِ
سُبُلِ الْجِهَادِ أَبِي الْمُظْفَرِ يَوْسُفِ
مَنْصُورِ وَالْمُسْتَظْهَرِ الْبِرِّ الْوَفِيِّ
وَتَجَمَّلْتَ بِجِهَادِهِ فِي الْمَوْقِفِ
لَا ذَوَا بِأَكْرَمٍ مِنْ يُؤْمُ وَأَشْرَفِ
وَقَفُوا بِأَعْظَمٍ مِنْ يَصُولُ وَأَرَأَفِ
حَدِبٍ عَلَى أُنْبَاءِهِ مُتَرْفَرِفِ

وَيَافَا وَأَرْسُوفَ وَيُبْنَى وَغَزَّةً
وَفِي عَسْقلَانِ الْكُفْرُ ذَلْ بِمَلِكِكُمْ
وَصَارَ بِصُورٍ عُصْبَةٌ يَرْقُبُونَكُمْ
تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَكَ أَصْبَحَتْ
وَدَمَّرَ عَلَى الْبَاقِينَ وَاجْتَثَ أَصْلَهُمْ
وَلَا يَنْسُ شِرْكَ الشَّرْقِ غَرْبُكَ^(١) مُرُويًا
وَإِنْ بِلَادَ الشَّرْقِ مَظْلَمَةٌ فَخُذْ
وَبَعْدَ الْفَرَنْجِ الْكُرْجَ فَاقْصِدْ بِلَادَهُمْ
أَقَامَتْ بِغَابِ السَّاحِلِينَ أُسُودُكُمْ

الْوَقْتُ أَضْيَقُ مِنْ سَمَاعِ قَصِيدَةٍ
الْجِدُّ فِي هَذَا الزَّمَانِ مُبِينٌ
بِالنَّاصِرِ الْمُهْدِيِّ وَالْهَادِي إِلَى
الْمُسْتَتَعِينَ بِرَبِّهِ وَالْوَاثِقِ إِلَى
شُدَّتْ قُوَى أَرْكَانِ مِلَّةِ أَحْمَدٍ
مَلِكٌ إِذَا أَمَّ الْمُلُوكُ جَنَابَهُ
وَإِذَا أَتَوْا أَسْرَى إِلَى أَبْوَابِهِ
مَوْلَى غَدَا لِلدِّينِ أَكْرَمَ وَالِدِ

(١) الغرب: حدة السيف.

(٢) الرس: البثر.

عَزَلَ الفرنجة ثم وَلَّى جَيْشَهُ
 قَدْ أَنْصَفَ التَّوْحِيدَ مِنْ تَثْلِيثِهِمْ
 مُغَرِّىً بِتَجْرِيعِ الرُّجَالِ لِأَنَّهُ
 مَلِكٌ لَهُ فِي الْحَرْبِ بَحْرُ تَفَقُّهِ
 وَعَلَيْهِ أُنْزِلَ فِي الْجِهَادِ مُفَصَّلٌ
 عَزَمَ وَحَلَّمَ أَنْسِيَا مَا كَانَ مِنْ
 يَا صَاحِ قُلْ لِلْإِنْكَتِيرِ الْكَلْبِ دَغِ
 الْقُدْسُ مَا فِيهِ لِسِرْجِكَ مَطْمَعٌ
 وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى فَعَنهُ تَقْصٌّ مِنْ
 وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ فَهِيَ أَخْبَثُ نَاصِحٌ
 وَاعْجَبْ لِرُمَحٍ بِالرُّؤُوسِ مُعَمَّمِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَطِبَاعِهِ
 لِلَّهِ يَوْمَ عَرُوبَةٍ إِذْ أَعْرَبْتَ
 سَنَتْ سَيُوفِكَ فِي الرُّؤُوسِ خِتَانَةً
 آفَاتِهِمْ وَافَتْ بِأَخْذِكَ مِنْهُمْ
 أَوْ مَا رَأَى الْأَعْلَاجُ حِينَ دَعَوْتَهَا
 لَمْ تَسْتَطِعْ عَصِيَانُ أَمْرِكَ بَلْ أَتَتْ
 فَاسْتَدْعِ جَارَتَهَا وَثْنٌ بِأَخْتِهَا
 مَا لِلْسَوَاحِلِ غَيْرُ بَحْرِكَ حَافِظٌ
 هَذَا الطَّرَازُ الْأَخْضَرُ اسْتَفْتَحْتَهُ

أَعْظَمَ بِهِ مِنْ صَارِفٍ وَمُصَرِّفٍ
 وَأَقَامَ فِي الْإِنْجِيلِ حَدَّ الْمُصْحَفِ
 يَرُوي أَحَادِيثَ الْعَوَالِي الرُّعْفِ
 وَلَهُ غَدَاةُ السَّلَامِ زُهْدٌ تَصَوُّفِ
 فَلِذَاكَ يَقْرُؤُهُ بِسَبْعَةِ أَحْرَفِ
 عَزَمَ ابْنُ مِرْدَاسٍ وَحَلَّمَ الْأَخْنَفِ
 عَنْكَ الْجَنُونَ وَخَذَ مَقَالَةَ مُنْصِفِ
 كَلَّا وَلَا نَوْرُ الْإِلَهِ بِمَنْطَفِي
 وَقَعَ الدَّبَابِيسُ الْأَلِيمَةُ تَعْرِفِ
 وَاتْرَكَ مَتَابِعَةَ اللَّجَاجِ الْمُتَلِفِ
 وَاطْرَبَ لِسَيْفٍ بِالْدِّمَاءِ مُغْلَفِ
 وَسَيُوفِهِ خُلُقًا رَضَى وَتَعَسَّفِ
 سَاعَاتُهُ عَنْ نَصْرِكَ الْمُتَعَرِّفِ
 ذَهَبَتْ بِمَهْجَةٍ كُلِّ عِلْجٍ أَقْلَفِ
 يَافَا فِكْمٍ مِنْ حَسْرَةٍ وَتَأْسَفِ
 بِلِسَانِ سَيْفٍ فِي الْكَرْيَهَةِ مُلْحَفِ
 مُنْقَادَةً طَوْعًا وَلَمْ تَتَخَلَّفِ
 وَكَذَاكَ حَتَّى الْأَرْبَعِينَ وَنِيفِ
 بِشْبَا سَنَانٍ أَوْ بِصَفْحَةِ مُرْهَفِ
 فَرَزَهَا بِشُوبٍ مِنْ عُلَاكَ مُسْجَفِ

أَحْيَيْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ وَأَقَمْتَهُ
وَضَبَطْتَ دِيوَانَ الْجِهَادِ بِعَامِلٍ
وَبَجْهَبِذِ الْعَزْمِ الَّذِي لَا يَنْثَنِي
فَخَذَ الْخَرَجَ مِنَ الْبَسِيطَةِ كُلِّهَا
وَأَقْبَضَ عَلَى الدُّنْيَا بِكَفِّ زَهَادَةٍ
جَاءَتْ جُنُودُ اللَّهِ تَطْلُبُ ثَارَهَا
فَانْهَضَ بِهَا وَتَقَاضَى حَقُّكَ مَوْقِنًا
هُمْ فَتِيَّةُ الْأَتْرَاكِ كُلِّ مُجَفَّجٍ
قَوْمٌ يَخُوضُونَ الْحِمَامَ شَجَاعَةً
إِنْ صَبَّحُوا الْأَعْدَاءَ فِي أَوْطَانِهِمْ
أَنْتَ اصْطَفَيْتَهُمْ لِنُصْرَةِ دِينِنَا
□ وقال الرشيد بن بدر النابلسي^(١) في فتح القدس بمدح صلاح الدين

ويهنئه بما أوتي من الفتوح :

هَذَا الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ تَنْتَظِرُ
هَذَا الْفَتْوحُ الَّذِي جَاءَ الزَّمَانُ بِهِ
تَجَلَّى عَلَيْهِ عَنْ مَدْحٍ يُحِيطُ بِهِ
يَا نِعْمَةً كَبُرَتْ عِنْدَ الْأَنَامِ لَهُ
فَلْيُوفِ لِلَّهِ أَقْوَامٌ بِمَا نَذَرُوا
إِلَيْكَ مِنْ هَفَوَاتِ الدَّهْرِ يَعْتَذِرُ
وَصَفٌّ وَإِنْ نَظِمَ الْمَدَاحُ أَوْ نَشَرُوا
قَدْرًا فِي كُلِّ شُكْرٍ عِنْدَهَا صِغَرُ

(١) العامل: الرمح. المشرفي: السيف ينسب إلى المشارف، من قرى اليمن. انظر «لسان

العرب» (عمل - مشرف).

(٢) «عقد الجمان» للعيني ٢٥ / حوادث ٥٨٣ هـ.

لا تروين لفتوح بعدها قصصاً
وإن تعاضم منها الخبر والخبر
ومنها:

توضح الدهر عن يوم أغرَّ به
يومٌ تعالى محلاً واستنار سناً
يومٌ به التأم الكفار في عدد
فالرُوع متصلٌ والصبر منفصل
جاءوا كما أقبل الطود الأشمُّ له
وجئتهم مثل ما انقضَّ القضاء فلا

تزهى وتفتخر الآصال والبُكرُ
فدون مرتبتيه الأنجمُ الزهرُ
جمٍ ولكن لكسر ليس ينجبرُ
والنقع مرتفع والنصر منحدر
من حيثُ ما سرت فيه مسلك وعر
والله لم يُغنهم بأسٌ ولا وزرُ

بنفسِ حانٍ على الإسلام محتمل الـ

آلام لم يُثنيه خوفٌ ولا حذرُ
حُسنِي إلى الخلق أهداها مليكهمُ
نُعْمَى من الله مرحوماً بها البشرُ
وعصبةٍ من بني أيوب كاشفة الـ
كروب ساعة وجه النصر مستتر
مدَّوا كما مدَّ فيضُ البحر ملتطم الـ
أمواج حتى إذا قابلتهم جزروا
لقد فتحت عصياً من تُغورهمُ
لولاك ما هُدَّ من أركانها حَجَرُ
منهم بلاقع لا أنثى ولا ذكرُ
عمرت ما هدموا هدمت ما عمروا
في سالف الدهر أخبار ولا سير
لله طيب العشايا منه والبكر
ونام من لم يزل حلفاً له السهرُ
بيت المحرمٍ إحرام ومعتمرُ

حُسنِي إلى الخلق أهداها مليكهمُ
وعصبةٍ من بني أيوب كاشفة الـ
مدَّوا كما مدَّ فيضُ البحر ملتطم الـ
لقد فتحت عصياً من تُغورهمُ
تركت أرضهم من طول ما عمرت
نقضت ما أبرموا أبرمت ما نقضوا
بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت
حين به حان هلك المشركين فيا
الآن قُرت جنوبٌ في مضاجعها
الآن طاب إلى البيت المقدس كالـ

يا بهجة القدس إذ أضحي به علم الـ

إيمان من بعد طي وهو منتشر

يا نور مسجده الأقصى وقد رفعت
شتان ما بين ناقوس يدان به
اللّه أكبر صوت تقشعر له
يا مالك الأرض مهدها فما أحد
ما اخضر هذا الطراز الساحلي ثمر
أضحي بنو الأصفر الأنكاس موعظة

فيها لأعدائك الآيات والنذر

صاروا حديثاً وكانوا قبلُ حادثة
سلبتهم دولة الدنيا وعيشتها
هذا الذي سلب الإفرنج دولتهم
مراكز ما اختطأها الخوف مذمّة
ولا أصرّح بأسماء البلاد فقد
هذا الإمام صلاح الدين أشرف من
دانت ودانت له الدنيا فما أحد
يا خاطباً جنة الفردوس مُهرها
يغنيك إجمال قولي عن مُفصله

على الورى يتقيها البدو والحضر
حتى لقد ضجرت من وفدهم سقر
وملكهم يا ملوك الأرض فاعتبروا
عاماً ولا ريع أهلوها ولا ذعروا
أسهبت والقائل المنطيق يختصر
به الممالك والأملاك تفتخر
في الأرض إلا إلى نِعماك يفتقر
أجر الجياد لنِعَم الصّهر والمهر
في لفظه البحر معنى تحته الدرر



وقال الدكتور عدنان النحوي في «ملحمة فلسطين»:

هذه القدسُ زينتها الليالي
يا صلاح الدين العهودُ رؤاها
جردِ السيف شُعلةً في الدياجي
أهدها حلية الفتوح فيزهو
واجعل النصر طاعة الله بالحد
علم الناس كيف تهوي رؤوسُ الـ

والفتوحات والهوى المنشودُ
حاليات وبشريات وعيدُ
رب سيفٍ يضيء منه الوجودُ
لؤلؤٌ عندها وتزهو برودُ
نق وطلاً يأوي إليه الشريدُ
كفرٍ عدلاً وكيف يعفو الشديدُ

✽ صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس ✽

يا «لبالبان» عند بابك يستجد
وجيوشُ الفرنج يسحقها الذُّ
نسي المجرمون أي دماءٍ
فأتوا في جفونهم دمة الذُّ
جد علينا، على الطفولة، بالعف
حكمة أشرق بقلب صلاح الـ
المروءات في يديك: فعفو
فارم بالسيف رأس كل شقي
وهب العفو للضعاف، ففي السأ
واقبل الفدية التي دفعوها

دي أماناً وأنت عنه تحيد^(١)
ل يطوي لواءها التشريدُ
قد أصابوا وأي قوم أبيدوا
ل، وفي دمهم رجاء وحيدُ
و، حنانيك أنت، أنت الرشيدُ
دين، رأي من الرشاد سديدُ
من قوي وفدية وحدودُ
غادر ظل في الديار يكيّد
حات ناج مروع وفقيّد
واحذر العذر منهم أن يعودوا

(١) رئيس الصليبيين في القدس الذي ذل لصلاح الدين ذلاً عظيماً طلباً للأمان وفي البداية لم يجبه صلاح الدين ثم أجابه ورقّ صلاح الدين لأسرى المسلمين بالقدس.

مَنْ جَمِيلٍ صَنَعْتَهُ أَوْ يَزِيدُ
مَنْ قَوِيٌّ يَأْوِي إِلَى الطَّرِيدِ
لَمْ يَزَلْ مِنْهُ عَزَّةٌ وَصُعودُ
وَالوَرَى فِيهِ رُكْعٌ وَسُجُودُ
كَيْ تَرَى مَجْدَهَا لَدَيْكَ يَعُودُ
عَبْقَرِيٌّ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ
رِوْدَارُ الْإِسْلَامِ عُرْسٌ وَعِيدُ
وَجَبَانٌ مُمَزَّقٌ وَشَرِيدُ
وَهُوَ فِي زَهْوَةِ الْإِبَاءِ يَجُودُ
لَحْ أَعْيَتُهُ حِيلَةٌ وَجُهُودُ
□ وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي يمدح الملك الناصر صلاح

كُلَّ يَوْمٍ يُحْطَمُوا أَلْفَ قَيْدٍ
وَاجْعَلِ الْهُدْنَةَ الرَّحِيمَةَ عَزْمًا
يَا لِيَوْمٍ أَغْرَفَ فِي الدَّهْرِ بَاقٍ
وَرَوَابِي الْأَقْصَى نِدَاءً وَذِكْرُ
الْفُتُوحَاتِ أَقْبَلَتْ تَتَوَالِي
شَرَفُ الْهُدْنَةِ الْأَبْيَةِ نَصْرُ
وَفِلَسْطِينَ كُلِّهَا زَهْوَةُ النَّصْرِ
وَالْأَعَادِي شَرَاذِمٌ وَأَسَارَى
يَهْبُ الصَّلْحُ سَيْدٌ حِينَ يَعْفُو
وَذَلِيلٌ تَرَاهُ يَلْهَثُ خَلْفَ الصُّ

الدين :

فَقَدْ قَرَّتْ عَيُونَ الْمُسْلِمِينَ
غَدَا صَرَفُ الْقَضَاءِ بِهَا ضَمِينَا
يَعِزُّ عَلَى الْعَوَالِي أَنْ يَهُونَا
وَأَنْتِ تُقَاتِلُ الْأَعْدَاءَ دِينَا
وَفِي جَيْدِ الْعُلَى عَقْدًا ثَمِينًا
وَيَا لِلَّهِ كَمْ أَبَكَتْ عَيُونَنَا
تَرْفَعُ عَنْ أَكْفِ اللَّامِ سِينَا
وَسَلَّ عَنْهَا اللَّيَالِي وَالسِّنِينَ

جَلَّتْ عِزَمَاتُكَ الْفَتْحِ الْمُبِينَا
رَدَدْتَ أَخِيذَةَ الْإِسْلَامِ لَمَّا
وَهَانَ بِكَ الصَّلِيبُ وَكَانَ قَدَمًا
يُقَاتِلُ كُلُّ ذِي مُلْكٍ رِيَاءً
غَدَتِ فِي وَجْنَةِ الْأَيَّامِ خَالًا
فِيَا لِلَّهِ كَمْ سَرَّتْ قُلُوبَنَا
وَمَا طَبْرِيَّةٌ إِلَّا هَدْيٌ
حَصَانُ الذَّيْلِ لَمْ تُقْذَفْ بِسُوءٍ

فَضَضْتَ خَتَامَهَا قَسْرًا وَمَنْ ذَا
لَقَدْ أَنْكَحَتْهَا صَمَّ الْعَوَالِي
هَنَّاكَ نَدَى أَهْلَ الْأَرْضِ طُرًّا
قَسْتُ حَتَّى رَأَتْ كَفْوًا فَلَانَتْ
قَضَيْتَ فَرِيضَةَ الْإِسْلَامِ مِنْهَا
تَهْزُ مَعَاظِفَ الْقُدْسِ ابْتِهَاجًا
فَلَوْ أَنَّ الْجِهَادَ يُطِيقُ نُطْقًا
جَعَلْتَ صَبَاحَ أَهْلِهَا ظَلَامًا
تَخَالُ حَمَاءُ حُوزَتِهَا نِسَاءً
لَبِيضُكَ فِي جَمَاجِمِهِمْ غِنَاءُ
تَمِيلُ إِلَى الْمُثَقَفَةِ الْعَوَالِي
يَكَادُ النِّقْعُ يُذْهِلُهَا فَلَوْلَا
فَكَمْ حَازَتْ قُدُودَ قَنَاكَ مِنْهَا
وَعِيدَ كَالْجَاذِرِ آنَسَاتٍ
وَلَمَّا بَاكَرَتْهَا مِنْكَ نُعْمَى
أَعَدْتَ بِهَا اللَّيَالِي وَهِيَ بَيْضُ
فَلَيْسَ بَعَادِمٍ مَرَعَى خَصِيبًا
فَلَا عَدَمِ الشَّامِ وَسَاكِنُوهُ
سُهَادُ جُفُونِهَا فِي كُلِّ فَيْحٍ
فَأَلَمَ بِالسَّوَاوِحِلِ فَهِيَ صَوْرُ

يَصْدُ اللَّيْثُ أَنْ يَلْجَ الْعَرِينَا
فَكَانَ نَتَاجُهَا الْحَرْبَ الزَّيُونَا
سَوَاكُ وَمَعْقِلَ أَعْيَا الْقُرُونَا
وَعَايَةُ كُلِّ قَاسٍ أَنْ يَلِينَا
وَصَدَّقْتَ الْأَمَانِي وَالظُّنُونَا
وَتُرْضِي عَنْكَ مَكَّةَ وَالْحُجُونَا
لِنَادَتْكَ: ادْخُلُوهَا آمَنِينَا
وَأَبْدَلْتَ الزَّيْرَ بِهَا أَنِينَا
يَخُوضُونَ الْحَدِيدَ مَقْنَعِينَا
لَذِيذُ عِلْمِ الطَّيْرِ الْحَنِينَا
فَهَلْ أُمَسْتَ رَمَاحًا أَمْ غُصُونًا
بُرُوقُ الْقَاضِيَاتِ لَمَّا هُدِينَا
قُدُودًا كَالْقَنَا لُونَا وَلِينَا
كَغَيْدِ نَدَاكَ أَبْكَارًا وَعُونَا
بَنَانٍ تَفْضُحُ الْغَيْثَ الْهَتُونَا
وَقَدْ كَانَتْ بِهَا الْأَيَّامُ جُونَا
أَخُو سَغَبٍ وَلَا مَاءً مَعِينَا
ظُبَى تَشْفِي بِهَا الدَّاءَ الدَّفِينَا
سُهَادٌ يَمْنَحُ الْغَمَضَ الْجَفُونَا
إِلَيْكَ وَالْحَقُّ الْهَامُ الْمَتُونَا

سُطَّاكَ لَكَانَ مَكْتَبًا حَزِينًا
 جَمُوعُهُمْ عَلَيْكَ رَحَى طَحُونَا
 وَفِي صَفَدٍ أَتَوَكَ مَصْفَدِينَا
 كَأَنَّ صُرُوفَهَا كَانَتْ كَمِينَا
 فَلَسْتَ بِمُبْغِضٍ زَمَنًا خَوْنَا
 يُحْدِثُ عَنْ سَنَاهِ طُورِ سِينَا
 نَجُومَ مَلُوكِهَا لَكَ مُذْعِنَا
 لَهُ هَوَاتِ الْكَوَاكِبُ سَاجِدِينَا
 كَمَا فَضَّلَ الْعَبِيرُ الْيَاسْمِينَ
 فَلَيْسَ يَضِيعُ أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَاوَلَ أَنْ يُؤْوِسَ الْمُسْلِمِينَ
 فَإِنَّ مُحَمَّدًا فِي الْآخِرِينَ

فَقَلْبُ الْقَدَسِ مَسْرُورٌ وَلَوْلَا
 أَدْرَتَ عَلَى الْفَرْنَجِ وَقَدْ تَلَاقَتْ
 فِي بَيْسَانَ ذَاقُوا مِنْكَ بُؤْسًا
 لَقَدْ جَاءَتْهُمْ الْأَحْدَاثُ جَمْعًا
 وَخَانَهُمُ الزَّمَانُ وَلَا مَلَامٌ
 لَقَدْ جَرَّدَتْ عِزْمًا نَاصِرِيًّا
 وَأَذَعْنَ كَوَكَبٌ لَمَّا تَهَادَتْ
 فَكُنْتَ كَيُوسُفَ الصَّدِيقِ حَقًّا
 لَقَدْ فَضَّلْتَ قَوَافِيكَ الْقَوَافِي
 فَأَحْسَنَ وَاثِقًا بِاللَّهِ صَنِعًا
 لَقَدْ أَتَعَبْتَ مِنْ طَلَبِ الْمَعَالِي
 وَإِنَّ تَكَ آخِرًا وَخِلَاكَ ذَمًّا



❖ صفة إقامة الجمعة بالأقصى شرفه الله تعالى

❖ في رابع شعبان ثامن يوم الفتح ❖

❑ قال العماد: لما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب، وكان الدأوية قد بنوا في وجهه جداراً، وتركوه للغلة هُرياً^(١) وقيل: كانوا اتخذوا مستراحاً عُدواناً وبغياً، وكانوا قد بنوا من غربي القبلة داراً واسعة، وكنيسة رفيعة، فأوعز برفع ذلك الحجاب، وكشف النقاب عن عروس المحراب، وهدم ما قدامه من الأبنية، وتنظيف ما حوله من الأبنية، بحيث يجتمع الناس للجمعة في العرصة المتسعة.

ونُصِبَ المنبر، وأظهر المحراب المطهر، ونُقِضَ ما أحدثوه بين السواري، وفرشوا تلك البسيطة بالبُسط الرفيعة عوضَ الحُصر والبواري^(٢)، وعُلِّقَتِ القناديل، وتُلي التنزيل، وحق الحق وبطلت الأباطيل، وتولى الفرقان وعُزِلَ الإنجيل، وصفت السجادات، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأدِيت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وانجابت الغيابات، واثابت الهدايات، وتُليت الآيات، وأعليت الرايات. ونطق الأذان وخرس الناقوس، وحضر المؤذنون وغاب القُسوس، وزال العبوس والبوس، وطابت الأنفاس والنفوس، وأقبلت السعود

(١) الهُري مفرد: الأهراء، وهو بيت كبير ضخم يُجمع فيه طعام السلطان. انظر «المعجم الوسيط» (٢/٩٤٤)، و«خطط المقرئ» (٢/٢٢٩).

(٢) البواري: جمع، مفرداها: الباري والبارياء، وهو الحصار المنسوج. فارس معرّب. انظر «لسان العرب» (بري).

وأدبرت النحوس، وعاد الإيمان الغريب منه إلى موطنه، وطُلبَ الفضلُ من معدنه، وورد القراء وقرئ الأوراد، واجتمع الزهاد والعباد، والأبدال والأوتاد، وعُبدَ الواحد، ووحّد العابد، وتوافد الراكع والساجد، والخاشع والواجد، والزَّاهي والزَّاهد، والحاكم والشاهد، والجاهد والمجاهد، والقائم والقاعد، والمتهجد والساهد، والزائر والوافد.

وصَدَحَ المنبر، وصدع المُذَكِّر، وانبعث المعشر، وذكر البعث والمحشر، وأملَى الحُفَاف، وأبكى الوعاظ، وتذاكر العلماء، وتناظر الفقهاء، وتحدثت الرواة، وروى المحدثون، وتحف الهداة، وهدى المتحنفون، وأخلص الداعون، ودعا المخلصون، وأخذ بالعزيمة المترخصون، ولخص المُفسرون، وفسر الملخصون، وانتدى الفضلاء، وانتدب الخطباء، وكثر المترشحون للخطابة، المتوشحون بالإصابة، المعروفون بالفصاحة، الموصوفون بالخصافة، فما فيهم إلا من خطب الرتبة، ورتب الخطبة، وأنشأ معنى شائقاً، ووشى لفظاً رائعاً، وسوى كلاماً بالموضع لائقاً، وروى مبتكراً من البلاغة فائقاً، وفيهم من عرض علي خطبته، وطلب مني نصيبته، وتمنى أن ترجح فضيلته، وتنجح وسيلته، وتسبق منيته، فيها أمنيته، وكلهم طال إلى الالتهاه بها عنقه، وسال من الالتهاه عليها عرقه. وما منهم إلا من يتأهب ويترقب، ويتوسل ويتقرب، وفيهم من يتعرض ويتضرع، ويتشوف ويتشفع، وكل قد لبس وقاره ووقر لباسه، وضرب في أحماسه أسداسه، ورفع لهذه الرياسة راسه، والسلطان لا يعين ولا يبين، ولا يخص ولا ينص، ومنهم من يقول: ليتني خطبتُ في الجمعة الأولى، وفُرت باليد الطولى،

وإذا ظفرتُ بطالع سَعدِي، فما أبالي بمن خطب بعدي.

فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان، وامتلاً الجامعُ، واحتفلت المجامع، وتوجست الأبصار والمسامع، وفاضت لركة القلوب المدامع، وراعت لولية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع، وغصت بالسابقين لها المواضع، وتوسمت العيون، وتقسمت الظنون، وقال الناس: هذا يومٌ كريم، وفضلٌ عميم، وموسم عظيم، هذا يوم تُجاب فيه الدعوات، وتُصبُّ البركات، وتسال العبرات، وتُقال العثرات، ويتيقظ الغافلون، ويتعظ العاملون. وطوبى لمن عاش، حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الإسلام وارتاش، وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة، والعصبة الطاهرة، والأمة الظاهرة، وما أكرم هذه النصره الناصرية، والأسرة الإمامية والدولة العباسية، والمملكة الأيوبية، والدولة الصلاحية، وهل في بلد الإسلام أشرفُ من هذه الجماعة، التي شرفها الله بالتوفيق لهذه الطاعة.

وتكلموا فيمن يخطب، ولمن يكون المنصب، وتفاوضوا في التفويض، وتحدثوا بالتصريح والتعريض. والأعلام تُعلَى، والمنبر يُكسى ويجلَى، والأصوات ترتفع، والجماعات تجتمع، والأفواج تزدهم، والأمواج تلتطم، وللعارفين من الضجيج ما في عرفات للحجيج، حتى حان الزوال، وزال الاعتدال، وحيل^(١) الداعي، وأعجل الساعي، نصب السلطان الخطيب بنصه، وأبان عن اختياره بعد فحصه، وأوعز إلى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بأن

(١) حيل، أي: قال: حيّ على الصلاة.

يرقى ذلك المرقى، وترك جباه الباقيين بتقديمه عرقى، فأعرتة من عندي
أهبةً سوداء من تشريف الخلافة، حتى يكمل له شرف الإفاضة
والإضافة، فَرَقِيَ العُود، ولقي السعود، واهتزت أعطاف المنبر، واعتزت
أطرافُ المعشر.

وخطب وأنصتوا، ونطق وسكتوا، وأفصح وأعرب، وأبدع
وأغرب، وأعجز وأعجب، وأوجز وأسهب، ووعظ في خطبته، وخطب
بموعظتيه، وأبان عن فضل البيت المقدس وتقديسه، والمسجد الأقصى من
أول تأسيسه، وتطهيره بعد تنجيسه، وإخراص ناقوسه، وإخراج قسيسه،
ودعا للخليفة والسلطان، وختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ﴾ {النحل: ٩٠}. ونزل وصلى في المحراب، وافتتح ببسم الله
الرحمن الرحيم من أم الكتاب، فأم بتلك الأمة، وتم نزول الرحمة،
وكمل وصول النعمة.

ولما قُضيت الصلاة انتشر الناس، واشتهر الإيناس، وانعقد الإجماع
واطرد القياس، وكان قد نُصِبَ للوعظ تجاه القبلة سرير، ليفرعه كبير،
فجلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجا، فذكر من خاف ومن
رجا، ومن سَعِدَ ومن شقي، ومن هلك ومن نجا، وخوفٌ بذِي الحجة
ذوي الحجا، وجلا بنور عظاته من ظلم الشبهات ما دجا، وأتى بكل
عظة للراقيين موقظة، وللظالمين محفظة، ولأولياء الله مرققة، ولأعداء
الله مغلظة.

وضجَّ المتباكون، وعج المتشاكون، ورقت القلوب، وحقَّت
الكُروب، وتصاعدت النعرات، وتحدرت العبرات، وتاب المذنبون،

وأَناب المتحَوِّبون، وصاح التوابون، وناح الأوابون، وجرت حالات جلت، وجلوات حلت، ودعوات علت، وضراعات قُبلت، وفُرُصٌ من الولاية الإلهية انتَهَزت، وحُصَصٌ من العناية الربانية أُحْرِزَت.

وصلى السلطان في قُبّة الصخرة، والصفوف على سعة الصحن بها مُتَّصلة، والأمة إلى الله بدوام نصره مبتهلة، والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مُقبلة، والأيدي إلى الله مرفوعة، والدعوات له مسموعة، ثم رُتِبَ في المسجد الأقصى خطيباً استمرت خطبته، واستقرت نصبته.

﴿قلتُ: هذه ألفاظ العمد في هذا الفصل من كتاب «الفتح»، وذكره في كتاب «البرق» بعبارة أخرى تشتمل على فوائد زائدة، وفي تكرار ما تقدم أيضاً بغير تلك العبارة فائدة فإنها معانٍ جليلة كلما كررت حَلَّتْ.

❁ فصل ❁

❑ قال العمد في كتاب «البرق»: لما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العِراض، وإخلاؤها لأهل الإخلاص، وتنظيفها من الأدناس، وكس ما في أرجائها من الأرجاس. وقد كان سبق أمره من مبدأ الأمر، بهدم ما هناك من أبنية الكفر، وإبراز المحراب القديم، وإعادة موضعه إلي الوضع الكريم، فقد كان الداوية بنوا غريبه داراً وأدخلوه فيها، وخلطوه بمبانيها، واتخذوا منه جانباً مستراحاً للأعلال، وجانباً هُرباً للغلال، فأمر في العاجل بكشف قناعه، ورفع الوضع من أوضاعه، ونقل ما وقع من أنقاضه، ونقض ما اعتور ذلك الجوهر النفيس من أعراضه، حتى طُهرَ موضع المنبر

والأأراب؁ واسأأأهر بأزالأ ما قُءامه من الأأاب؁ وأأأمع الأَلق في ذاك الأسبوع على أفرأق ذاك الهأم المأموع؁ وأعاونوا أأى كأشفوه؁ ونظفوه؁ ورشوه وفرشوه؁ وكان قء أمر بأأأا ذ منبر في ألك الأأام؁ فنأزوه وركبوه .

ولما أصأأنا يوم الأأمعة وأنا العَلل مُزأحة؁ والأهم مُراحة؁ والأواطر إلى ورأها ملأأحة مرأأحة؁ وهناك فضاء بلأاء؁ وعلماء أأقاء؁ وكلُّ منهم قء سبأ بأأبة الأُأبة؁ وأمل الفوز بأفضألة ألك الرأبة؁ وأعد لألك المأام مقلالاً؁ ونَشَطَ بشَقْشَقَة فصأأه من قَرَمِ أصاصأه عقالاً؁ أأى إذا أأعل الأاعأ؁ وأعأن الفرض على الساعأ؁ أأر السلأان للألاة قبة الصأرة؁ بأأة على أسارأره أسرار سروره بالأسرة؁ وأمأأأ ألك العراض والأصون؁ واسأعأرت للأرح بما أسره الله العأون؁ وأن لأأن الله أن تُقضى له الأأون وأُفك الرهون؁ ووألت القلوب؁ وأشأأ الأصوات؁ وأأسأ الظنون؁ وعأن السلأان القاضأ مأأأ الأأن أبا المأالأ مأأم بن على القرشأ الزكأ بن الزكأ للألاة والأأبة؁ وفرع ألك الرأبة؁ فصعدَ وسعدَ؁ وأأم وأأم؁ وأأأ المأانأ الشرفة ألفاظه؁ ونبه الأاقاصأ والأأانأ إأفاظه؁ وألا المسامع؁ وألت المأامع؁ وأأى بالأأأأأ المفروضأأ على الواأ المأروع؁ والأناهأ المأبوع؁ والشراطِ الموضوع؁ وذأر في الفأأ البأر ما أأأض به أبأار الاستعارات بأأأ البراعات؁ وأأرع العأارات؁ وأصأ بالصدق؁ ونطق بالأق؁ وفاز بالسبأ؁ وأاز الفضألة على فُضاء الغرب والأرق؁ فهو لأشر المأانأ أضم أأأب؁ له بأشر المأالأ أضمأ طأب؁ فأأن قُس في عأاظه من

قياس ألفاظه! وأين سبحان من سجعاته! وابن نُباته من نباته! ولو عاشا لافتقرا إلى فقْرِهِ، واحتقرا أعراضهما عند جواهره، ودعا لأمير المؤمنين، ثم لسلطان المسلمين، ونزل وقام إمامًا أكمل بصلاته الفرض، أرضى بسمت دعواته والطمأنينة في ركعاته وسجداته أهل السماء والأرض، وسُر السلطان بنصبه ورفع، وامتلاً صدره حبوراً منه بجلاء بصره وسمعه، فقد أخذت بالأبصار أشعة أنوار الخطبة، في سواد الأهبة، وعظمت أخطار المهابة في خواطر المحبة، وكرُمت سرائر الزلفى إلى الله والقربة.

ثم رتب السلطان بعده خطيباً تستمر إقامته للجمع والجماعات، وتستقر ملازمته لأداء الصلوات.

ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة، نُصب سريرٌ للوعظ أبقى تلك الأمة المجتمعة، وتقدم السلطان إلى زين الدين الواعظ ليفرع السرير، وينفع بعظاته الصغير والكبير، وحضر المجلس بمرأى منه ومسمع، فكان أنور مجلس ومجلى وأشرف جمع ومجمع، فحقق ورقق، وأشهد وأشهب، وحلب بعباراته الحلوة العبرات، وشار العسل بمعسول الإشارات، وبشر البشر بشارة البشارات، وذكر الفتح وبكارتته، والقدس وطهارته، والدين وجسارته، والكفر وخسارته، والقدر وإعانتته، والظفر وإبانته، والصخرة وإصراخها، والروعة وإفراخها، والنار وصراطها، والقيامة وأشراطها، والرحمة وبابها من باب الرحمة، والجنة وجناها لهذه الزحمة، وما أعده الله لهذه الطائفة، وما أنزله من الأمن على القلوب الخائفة، ووصف ببلاغته ما لا يبلغ إليه نطق الألسنة والواصفة،

ووصف الجهاد وفرائضه وفوائده، والخير ودلائله، والنجح ووسائله،
والشرع ومسائله، والذنوب وغوائله، وإحسان السلطان وفوائده، والبحر
وساحله، والدين وحقه، والكفر وباطله، وكان يوماً راجحاً، وسوماً راجحاً.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢ / ٣٤٦):

«لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان
والقساقس، ودخله أهل الإيمان، ونودي بالأذان وقُرئ القرآن، ووحد
الرحمن، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم
الفتح بثمان، فنُصب المنبر إلى جانب المحراب، وبُسطت البُسط، وعُلقت
القناديل، وتلى التنزيل، وجاء الحق وبطلت الأباطيل، وصفت
السجادات، وكثرت السجادات، وتنوعت العبادات، وارتفعت الدعوات،
ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأقيمت الصلوات، وأذن المؤذنون،
وخرس القسيسون، وزال البوس، وطابت النفوس، وأقبلت السعود
وأدبرت النحوس، وعُبد الله الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾
﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الأخلاص: ٣، ٤]، وكبره الراكع والساجد،
والقائم والقاعد، وامتلاً الجامع، وسالت لركة القلوب المدامع، ولما أذن
المؤذنون للصلاة قبل الزوال، كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك
الحال، ولم يكن عيّن خطيب فبرز من السلطان المرسوم الصلاحي وهو
في قبة الصخرة أن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيباً،
فلبس الخلعة السوداء، وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة».



✽ خطبة القاضي محيي الدين بن الزكي ✽

□ قال العماد: وخطب القاضي محيي الدين بن زكي الدين أربع خُطَبٍ. في أربع جُمَع، كلها من إنشائه، وأودعها سر بلاغة عُتيت بإفشائه، وذكرت الخطبة الأولى، ويد الفصاحة فيها طُولى، افتتاحها بهذه الآيات: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٣] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

✽ والخطبة: الحمد لله مُعِزُّ الإسلام بنصره، ومُذِلُّ الشرك بقهره، ومُصْرِفُ الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دُولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليقته فلا يُنازع، والأمر بما يشاء فلا يُراجع، والحاكم بما يريد فلا يُدافع.

أحمد على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر

الحمد باطن سره وظاهر جهاره .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأحد الصمد الذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ﴿ ٣ ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الأخلاص: ٣ ، ٤] ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه .

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ، ورسوله ، رافع الشك ، وداحض الشرك ، وراحض الإفك ، الذي أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعُرجَ به منه إلى السماوات العُلا إلى سِدرة المنتهى . عندها جَنَّةُ المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى .

صلى الله عليه ، وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رَفَعَ عن هذا البيت شعار الصليبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى ، والدرجة العليا ، لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يُرْفَعَ وأن يُذكر فيه اسمه ، وإمطة الشرك عن طُرُقه بعد أن امتد عليها رُواقه ، واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بُني عليه ، وبالتقوى فإنه أُسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن أبيكم إبراهيم ، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تُصلون إليها في

ابتداء الإسلام، وهو مقرُّ الأنبياء، ومقصد الأولياء، ومفرُّ الرُّسل، ومهبط الوحي، ومنزل تنزَّل الأمر والنهي، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله بالملائكة المقربين، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحها؛ عيسى الذي شرفه الله برسالته، وكرمه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تُشدُّ الرِّحالُ بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقدُ الخناصر بعد الوطنين إلا عليه، ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده، واصطفاه من سُكَّانِ بلاده، لما خصَّكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مُجارٍ، ولا يباريكم في شرفها مُبارٍ، فطوبى لكم من جيشٍ ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العُمرية، والجيوش العُثمانية، والفتكات العلوية، جدَّدتم للإسلام أيامَ القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية، فجزاكم الله عن نبيه محمد ﷺ أفضلَ الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مُهَجِّكم في مقارعة الأعداء، وتقَبَّلَ منكم ما تقرَّبتم به إليه من مُهرَاقِ الدماء، وأثابكم الجنَّةَ فهي دار السعداء، فاقدروا - رحمكم الله - هذه النعمة حق قدرها، وقوموا لله تعالى بواجبِ شُكرها، فله النعمة عليكم

بتخصيصكم بهذه النعمة، وترشيحكم لهذه الخدمة، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء، وتبلى بأنواره وجوه الظلماء، وابتهج به الملائكة المقربون، وقر به عينا الأنبياء والمرسلون، فماذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر الزمان، والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان، فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء^(١)، أكثر من التهاني به بين أهل الغبراء، أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه، ونص عليه في خطابه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] - الآية؟ أليس هو البيت الذي عظّمته الملوك، وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم عز وجل؟ أليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمس على يوشع لأجله أن تغرب، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب؟ أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلا، وغضب عليهم لأجله، فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان؟

فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفّقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتي، وأغناكم بما أمضته «كان» و«قد» عن «سوف» و«حتى». فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم - بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم - جُنده، وشكركم الملائكة المنزّلون على ما أهديتهم إلى هذا البيت من طيب التوحيد، ونشر التقديس

(١) الخضراء: السماء. انظر: «القاموس المحيط» مادة (خضر).

والتَّحْمِيد، وما أَمَطْتُمْ عن طُرُقهم فيه من أذى الشُّرك والتَّثْلِيث، والاعتقاد الفاجر الخبيث، فالآن يستغفر لكم أملاكُ السماوات، وتصلِّي عليكم الصلوات المباركات.

فاحفظوا - رحمكم الله - هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة عندكم، بتقوى الله التي من تمسَّك بها سَلِمَ، ومن اعتصم بعُرْوَتها نجا وعُصِمَ، واحذروا من اتباع الهوى، وموافقة الرَّدَى، ورجوع القَهْقَرَى، والنكول عن العِدَى، وخذوا في انتهاز الفرصة، وإزالة ما بقي من الغُصَّة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وبيعوا عبادَ الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من عبادِه، وإياكم أن يستزلكمُ الشيطان، وأن يتداخلكم الطُّغيان، فيخيِّلَ لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجِلاد، لا والله، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {الأنفال: ١٠}.

واحذروا عبادَ الله - بعد أن شَرَّفكم بهذا الفتح الجليل، والمنح الجزيل، وخصَّكم بهذا الفتح المبين، وأعلق أيديكم بحبله المتين - أن تقترفوا كبيراً من مناهيه، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه، فتكونوا كالتي نَقَضَتْ غَزْلَها من بعد قوةٍ أنكاثاً، والذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، والجهادَ الجهادَ فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا الله ينصركم، واذكروا الله يذكركم، اشكروا الله يزدكم ويشرككم، جُدُّوا في حَسَمِ الدَّاءِ، وقطع شأفة الأعداء، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكُفر واحتشوا أصوله، فقد نادى الأيام بالثارات الإسلامية، والملة المحمدية.

الله أكبر، فتَحَ الله ونَصَرَ، غَلَبَ الله وقَهَرَ، أَذَلَّ الله من كَفَرَ.
واعلموا - رحمكم الله - أن هذه فُرْصة فانتهزوها، وفريسة
فناجزوها، ومهمّة فأخرجوا لها هممكم وبرزوها، وسيروا إليها سرايا
عزماتكم وجهزوها، فالأمور بأواخرها، والمكاسب بذخائرها، فقد
أظفركم الله بهذا العدو المخدول، وهم مثلكم أو يزيدون، فكيف وقد
أضحى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ {الأنفال: ٦٥} أعاننا الله وإياكم
على اتباع أوامره، والازدجار بزواجه، وأيدنا معشر المسلمين بنصر من
عنده ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ﴾ {آل عمران: ١٦٠}.

وتمام الخطبة والخطبة الثانية قريب مما جرّت به العادة، وقال بعد
الدُّعاء للخليفة: اللهم، وأدم سلطان عبدك، الخاضع لهيبتك، الشاكر
لنعمتك، المُعترف بموهبتك، سيفك القاطع، وشهابك اللامع، والمحمي
عن دينك المُدافع، والذابُّ عن حرَمك الممانع، السَّيِّد الأجل، الملك
الناصر، جامع كلمة الإيمان، وقامع عبدة الصلبان، صلاح الدُّنيا
والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، مطهر البيت المقدس، أبي المظفر
يوسف بن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين.

اللهم عمّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك براياته محيطة،
وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عزمه
ومضاءه.

اللهم أبقِ للإسلام مُهجته، ووقِّ للإيمان حوزته، وانظر في المشارق

والمغرب دعوته .

اللَّهُمَّ كما فتحت على يَدِهِ البيتَ المقدس بعد أن ظُنت الظنون،
وابتلي المؤمنين، فافتح على يده أداني الأرض وأقاصيها، وملِّكهُ
صياصي الكفرة ونواصيها، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مَرَّقَهَا، ولا جماعة
إلا فَرَّقَهَا، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها .

اللَّهُمَّ اشكر عن محمد ﷺ سَعِيهِ، وأنفذ في المشارق والمغرب
أمره ونَهْيهِ، اللَّهُمَّ وأصلح به أوساطَ البلاد وأطرافَهَا، وأرجاء الممالك
وأكنافها .

اللَّهُمَّ ذلل به مَعَاطِسَ الكُفَّار، وأرغم به أنوفَ الفُجَّار، وانشر
ذوائب مُلكه على الأمصار، وابثُ سرايا جنوده في سُبُل الأقطار .
اللَّهُمَّ ثبتِ المُلْكَ فيه وفي عَقْبِهِ إلى يوم الدين، واحفظه في بنيهِ
وبني أبيه الملوك الميامين، واشدد عَضُدَهُ ببقائهم، واقض بإعزاز أوليائه
وأوليائهم .

اللَّهُمَّ كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على
الأيام، وتتخلد على مرَّ الشهور والأعوام، فارزُقهُ المُلْكَ الأبديَّ الذي لا
ينفد في دار المتقين، وأجب دَعَاءَهُ في قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل: ١٩ .

ثم دعا بما جرت به العادة^(١) .

(١) «عيون الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة (٣/ ٣٧٦ - ٣٩١) - مؤسسة الرسالة .

✽ من وصايا صلاح الدين لجنوده... ويا لها من وصية!!!:

□ قال - رحمه الله -: «اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذرايهم في ذممكم معلقة، والله - عز وجل - سائلكم يوم القيامة عنهم، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن البلاد والعباد غيركم، فإن توليتم - والعياذ بالله - طوى البلاد وأهلك العباد، وأخذ الأموال والأطفال والنساء، وعُبد الصليب في المساجد، وعُزل القرآن منها والصلاة، وكان ذلك كله في ذممكم، فإنكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله، وأكلتم أموال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم وتنصروا ضعيفهم، فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم، والسلام»^(١).

المدرسة الصلاحية من مآثر صلاح الدين

✽ أضاعها سلاطين الأتراك:

□ قال الأصبهاني في «الفتح القُسي» ص(١٤٥): «فاوض السلطان جلساءه من العلماء الأبرار، والأتقياء الأخيار، في مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباط للصلحاء الصوفية، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بـ(صند حنة) عند باب أسباط، وعين دار البطرك، وهي قرب كنيسة القيامة للرباط ووقف عليهما وقوفاً، وأسدى بذلك للطائفتين معروفاً - يريد الشافعية والصوفية - وارتاد أيضاً مدارس للطوائف - يريد المذاهب الإسلامية الأخرى - ليضيفها إلى ما أولاه من العوارف».

(١) «البداية والنهاية» (١٢/٣٤٨).

□ وقد أوقف صلاح الدين مكان المدرسة الصلاحية. في ثالث عشر شهر رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة: وجعلها للشافعية... وكانت على مرّ قرون متتابعة من أجل المدارس في ديار الإسلام، وتولى مشيختها والتدريس فيها أعلام من العلماء:

وأولهم: قاضي القضاة المعروف «ابن شدّاد» صاحب كتاب «المحاسن اليوسفية» في سيرة صلاح الدين. وكان من المعاصرين، الذين يعملون في خدمة السلطان.

ومنهم: شيخ الإسلام عبد الرحمن محمد بن الحسين بن عساكر شيخ الشافعية بالشام... كان يقيم بالقدس أشهراً وبدمشق أشهراً. وتوفي سنة ٦٢٠هـ.

ومن مشاهيرهم: شيخ الإسلام أبو عمر عثمان، المشهور بابن الصلاح، صاحب كتاب «علوم الحديث» توفي سنة ٦٤٣هـ.

ومنهم شيخ الإسلام محمد بن محمد الجزري المقرئ الشافعي صاحب كتاب «النشر في القراءات العشر» توفي سنة ٨٣٣هـ.

وفي أواخر العهد المملوكي كان يدرس فيها إبراهيم بن الأمير ناصر الدين علامه عصره وكان حياً على رأس سنة ٩٠٠هـ^(١).

□ وفي سنة ١٨٥٦م أصدر السلطان عبد المجيد أمراً لتصرف القدس بتسليم المدرسة الصلاحية لقنصل فرنسا، فسُلّمت له، وبُني لها

(١) انظر «الأنس الجليل» فقد ذكر المؤلف أسماء العلماء الذين درسوا في المدرسة الصلاحية حتى زمانه سنة ٩٠٠هـ (١٠٢/٢).

سوراً وحصناً، وقُدِّمت هدية من السلطان عبد المجيد إلى إمبراطور فرنسا «نابليون الثالث» اعترافاً بجميل فرنسا لمساعدته في حرب القرم عام ١٨٥٦م. فعمَّرها الرهبان المُسمَّون بالآباء البيض، وجعلوها مدرسة إكليريكية.

وفي الحرب العالمية الأولى استردها جمال باشا، وأقامها كلية علمية دينية، أتى لها بالأدوات المطلوبة من ألمانيا.

وبعد خروج العثمانيين من القدس أُعيدت إلى الآباء البيض، وهي اليوم مدرسة، وفيها متحف وكنيسة.

أخرجها السلطان عبد المجيد من ملكية الأوقاف الإسلامية، وقدمها هدية للأعداء، وعندما جاء الإنجليز كان عندهم علم بهذا فأرجعوها إلى من امتلكها بالهبة من السلطان. أما عمل جمال باشا فلم يعتمد فيه على فرمان سلطاني، فكان فرمان السلطان عبد المجيد أقوى فثبتت لهم.

□ والذي نقوله للسلطان عبد المجيد في قبره:

من الذي ملكك أرض القدس لتُهدي منها من تشاء؟

لا يوجد في شرع الخلافة الإسلامية التي تمثلها أن يهدي الخليفة

أوقاف المسلمين إلى أعدائهم؟^(١).



(١) «بيت المقدس» لشرّاب ص (١٤٩ - ١٥٠).

عكا وما أدراك ما عكا؟ صفحات مجد وبطولة

□ بعد عودة القدس إلى أيدي المسلمين ركبت جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا يبيت المقدس وغيره، . . . من صور في أربعة مراكب، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا: هذا نبي العرب يضربه، وقد جرحه ومات. فيتزعجون لذلك ويحمون ويكون ويحزنون، فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبیهم، وموضع حجبهم على الصعب والذلّول حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهلهم أعز الثمرات»^(١).

وصل الصليبيون إلى عكا وحاصروها سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وتابعت عليهم الإمدادات من كل أنحاء أوروبا، ومن القواعد الصليبية في البحر المتوسط، حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال، ومنهن من تأتي بنية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة، فيتخذن راحة وخدمة وقضاء وطر، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء، وأجملهن بهذه النية^(٢).

(١) «البداية والنهاية» (١٢/٣٣٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/٣٣٤).

ورابط المسلمون داخل عكا وحولها بقيادة الملك الناصر صلاح الدين، وصبروا وصابروا لمدة سبعة وثلاثين شهراً، ولكن شاءت إرادة الله أن تسقط عكا في أيدي الصليبيين.

❖ شباب صنعهم الإسلام وبطولات نادرة في عكا :

قال ابن كثير: «تواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة؛ لأجل نصرة أصحابهم، يمدونهم بالقوة والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد، عليها جلود مسقاة بالخل، لئلا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلا من أبرجة البلد، وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرهم، وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا، وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره بإحراقها، وأحضر النفاطين ووعدهم الأموال الجزيلة إن هم أحرقوها، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها، وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار ناراً تتأجج، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً يأذن الله، لها ألسنة في الجو متصاعدة، واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل، واحترق في كل برج منها سبعون كفوراً، وكان يوماً على الكافرين عسيراً، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة (٥٨٥هـ)، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر، فاحترقت في يوم واحد

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾ {الفرقان: ٢٣}، ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعبية سنية، وأموال كثيرة، فامتنع أن يقبل شيئاً من ذلك، وقال: إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده سبحانه، فلا أريد منكم جزاء ولا شكوراً^(١).

* البطل المسلم عيسى العوام قصة نهديها لمن زوروا التاريخ وزيفوه:

نهدي قصة هذا البطل إلى القزم يوسف شاهين، وهو وأمثاله دأبوا على تزوير التاريخ فصوروا عيسى على أنه مسيحي.

والقصة يرويها القاضي ابن شداد في «النوادر السلطانية» أيام محنة عكا: قال: «ومن نوادر هذه الواقعة ومحاسنها أن عواماً مسلماً كان يقال له عيسى، وكان يدخل إلى البلد^(٢) بالكتب والنفقات على وسطه ليلاً، على غرة من العدو، وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو، وكان ذات ليلة شدّ على وسطه ثلاثة أكياس، فيها ألف دينار، وكتب للعسكر، وعام في البحر فجرى عليه من أهلكه، وأبطأ خبره عنا، وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طير عرفنا بوصوله، فأبطأ الطير، فاستشعر الناس هلاكه، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد، وإذا البحر قد قذف إليهم ميتاً غريقاً، فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام، ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب، وكان الذهب

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٥ - ٣٣٦).

(٢) أي: عكا أثناء حصار الفرنج لها.

نفقة للمجاهدين، فما رئي من أدّى الأمانة في حال حياته وقد أداها بعد وفاته إلا هذا الرجل، وكان ذلك في العشر الأخير من رجب»^(١).

فهل أدّى من زوروا التاريخ أمانة الكلمة للأجيال أم ضيّعوها؟!

وأمام أسوار عكا كان السلطان البطل صلاح الدين يطوف بين الأطلاب، وينادي بنفسه: «يا للإسلام» وعيناه تذرّفان بالدمع، وكلما نظر إلى عكا، وما حلّ بها من البلاء، وما يجرى على ساكنيها من المصاب العظيم، اشتد في الزحف والحث على القتال، ولم يطعم في يوم زحفهم على عكا طعاماً البتة، وإنما شرب أقذاح مشروب كان يشير بها الطبيب.

ويرسل إليه أهل عكا: «إنا قد بلغ منا العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم، ونحن في الغد - يعني يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة - إن لم تعملوا معنا شيئاً نطلب الأمان، ونسلم البلد ونشتري مجرد رقابنا، وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكاه في قلوبهم، فإن عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ودمشق وحلب ومصر أيضاً وجميع البلاد الإسلامية، واحتوت على كبار من أمراء العسكر وشجعان الإسلام، كسيف الدين المشطوب، وبهاء الدين قراقوش^(٢)، وغيرهما؛ وكان بهاء الدين قراقوش ملزماً بحراستها منذ

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد.

(٢) انظر إلى من زيفوا التاريخ... وكيف جعلوا من هذا البطل العظيم الذي تولّى الدفاع عن عكا في أشد أوقات المحن... كيف جعلوا منه رمزاً للحاكم المستبد. ألا لعنة الله على الكاذبين.

قدوم العدو المخذول عليها، وأصاب السلطان - رحمه الله - من ذلك ما لم يصبه بشيء غيره، وخيف على مزاجه التشوش.

وانظر كيف اجتمعت الدنيا على قتال الأبطال الأشاوس:

لقد قدم مع من قدم لقتال المسلمين ملك الألمان: (فإنه أقبل في عدد وعدد كثير جداً، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين، والانتصار لبيت المقدس، وأن يأخذ البلاد إقليمًا بعد إقليم، حتى مكة والمدينة، فما نال من ذلك شيئًا بعون الله وقوته، بل أهلكهم الله - عز وجل - في كل مكان وزمان، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية، فدعته نفسه لأن يسبح فيه، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت رأسه، وأخمدت أنفاسه، وأراح الله منه العباد والبلاد، فأقيم ولده الأصغر في الملك، وقد تمزق شملهم، وقلّت منهم العدة، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا في ألف فارس، فلم يرفعوا بهم رأسًا، ولا لهم قدرًا، ولا قيمة بينهم، ولا عند أحد من أهل ملتهم، ولا غيرهم، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله، وإذلال دين الإسلام^(١).

* وانظر إلى أبطال الإسلام:

لما أحس العدو الصليبي في نفسه قوة، بسبب توالي النجد عليهم، اشتد طمعهم في عكا، وسلطوا عليها المنجنقات من كل جانب،

(١) «البداية والنهاية» (١٢/٣٣٦).

وتناوبوا عليها بحيث لا يعطل رميها ليلاً ولا نهاراً، وذلك في رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة، «ولما رأى أهل البلد ما نزل بهم من مضايقة العدو وتعلق طمعه بهم حركتهم النخوة الإسلامية، وكان مقدموه حيثئذ: أما والي البلد وحارسه فالأمير الكبير بهاء الدين قراقوش، وأما مقدم العسكر الكبير حسام الدين أبو الهيجاء، وكان رجلاً ذا كرم وشجاعة، وقدمة في عشيرته ومضاء في عزيمته، فاجتمع رأيهم على أنهم يخرجون إلى العدو، فارسهم وراجلهم، عن غرة وغفلة منهم، ففعلوا ذلك، وفُتحت الأبواب، وخرجوا دفعة واحدة من كل جانب، ولم يشعر العدو إلا والسيف فيهم حاكم عادل، وسهم قضاء الله وقدره فيهم نافذ خاذل، وهجم الإسلام على الكفر في منازلهم، وأخذ بناصية مناضله، وداس مقاتله، ولما ولج المسلمون خيام العدو ذهلوا عن المنجنيقات وحراستها، وحفظها وسياستها، فوصلت شهب الزرّاقين المقدوفة، وجاءت عوائد الله في نصرة دينه المألوفة، فلم تكن ساعة حتى اضطربت فيها النيران، وتحرق منها بيدها ما شيد الأعداء في المدة الطويلة في أقرب آن، وقُتل من العدو في ذلك اليوم سبعون فارساً وأسِر خلق عظيم، وكان من جملة الأسرى رجل مذكور منهم، ظفر به واحد من آحاد الناس ولم يعلم بمكانته، فلما انفصل الحرب، سأل الفرنج عنه هل هو حيّ أم لا؟ فعرف الذي هو عنده عند سؤالهم أنه رجل كبير، وخاف أن يُغلب عليه ويرد إليهم بنوع مصانعة أو على وجه من الوجوه، فسارع وقتله، وبذل الفرنج فيه أموالاً كثيرة، ولم يزالوا يشتدون في طلبه ويحرصون عليه حتى رُميت إليهم جثته، فضربوا

بنفوسهم الأرض، وحثوا على وجوههم الثراب، ووقعت عليهم بسبب ذلك خمدة عظيمة، وكنمو أمره، ولم يظهروا مَنْ كان، واستصغر المسلمون بعد ذلك أمرهم، وهجم عليهم العرب من كل جانب يسرقون ويقتلون، ويأسرون إلى ليلة النصف من شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وكان الكندھري قد أنفق على منجنيق كبير عظيم الشكل - على ما نقل الجواسيس والمستأمنون - ألفاً وخمسمائة دينار، وأعدّه ليقدمه إلى البلد، ومنع من حريقه ذلك اليوم كونه بعيداً عن البلد، ولم يقدم بعد إليه، فلما كانت الليلة المباركة المذكورة خرج الزرقاؤون والمقاتلة، والههم يحفظهم من كل جانب، واللّه يكلؤهم، فساروا من تحت ستر اللّه حتى أتوا المنجنيق المذكور، وأضرموا فيه النار، فأحترق من ساعته، ووقع الصياح من الطائفتين، وذهل العدو، فإنه كان بعيداً من البلد، وخاف أن يكون قد أحيط به من الجوانب، وكان نصراً من عند اللّه، وأحرق بلهيبه منجنيق لطيف إلى جانبه»^(١).

* ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ :

□ قال الحافظ ابن كثير:

«كتب متولي عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش في العشر الأول من شعبان إلى السلطان: أنه لم يبق عندهم في المدينة من الأقوات إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان،

(١) «النوادر السلطانية» لابن شداد ص (١٣٤ - ١٣٥).

فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، خوفاً من إشاعة ذلك، فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين، وتضعف القلوب. وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا، فتأخر سيره، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء، وهي صحبة الحاجب لؤلؤ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد، ويتلف ما فيها، فاقتلوا في البحر قتالاً شديداً، والمسلمون في البر يبتهلون إلى الله - عز وجل - في سلامتها، والفرنج أيضاً تصرخ براً وبحراً، وقد ارتفع الضجيج، فنصر الله المسلمين، وسلم مراكبهم، وطابت الرياح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء، ودخلت البلد سالمة، ففرح بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً، وكان السلطان قد جهز قبل هذا البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت، فيها أربعمائة غرارة، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زيَّ الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم، وشدوا الزنانير، واستصحبوا في البطشة معهم شيئاً من الخنازير، وقدموا بها على مراكب الفرنج، فاعتقدوا أنهم منهم، وهي سائرة إليهم كالسهم إذا خرج من كبد القوس، فحذرهم الفرنج غائلة المياء من ناحية البلد، فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها، ولا يمكنهم حبسها من قوة الرياح، وما زالوا كذلك حتى لجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت الميناء فامتأأ الثغر بها خيراً، فكفتهم إلا أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية، وكانت البلد يوجد بها برجان يُقال لأحدهما: برج

الديان، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات، إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين، ولم يزلوا في أمرها محتالين، حتى أرسل الله عليها شواظاً من نار فأحرقها وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطاً كثيراً وحطباً جزلاً، وأخرى خلفها فيها حطب محض، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين، واحترقت الأخرى، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت، وهلك من فيها، فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين في قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

* رحم الله شهداء عكا... وما أغدر النصارى وأخسهم:

كثر القتل في رجالة عكا وخيالتها وقلّت المؤن... وخرج الأبطال رحمة بعوام المسلمين - يفاوضون ملوك الفرنجة.

خرج البطل سيف الدين المشطوب إلى ملك الإفرنسيس بأمان، وقال: «إنا قد أخذنا منكم بلاداً عدة، وكنا نهدم البلد وندخل فيه، ومع هذا إذا سألونا الأمان أعطيناهم وحملناهم إلى مأمئهم وأكرمناهم، ونحن

(١) «البداية والنهاية» (١٢/٣٣٧ - ٣٣٨).

نُسلّم البلد، وتعطينا الأمان على أنفسنا؟ فأجابه بأن «هؤلاء الملوك الذين أخذتموهم منا، وأنتم أيضاً ممالكي وعبيدي، فأرى فيكم رأيي». وبلغنا بعد ذلك أن المشطوب أغلظ له في القول، وقال: «إنا ما نسلّم البلد حتى نُقتل بأجمعنا، ولا يُقتل واحد منا حتى يقتل خمسين نفساً من كباركم»، وانصرف عنه وحمل العوام كتب أهل عكا للسلطان: «إنا قد تبايعنا على الموت، ولا نزال نقاتل حتى نُقتل، ولا نُسلّم البلد ونحن أحياء، فانظروا أنتم كيف تعملون في شغل العدو عنا، ودفعه عن قتالنا، فهذه عزائمنّا، وإياكم أن تخضعوا لهذا العدو أو تليّنوا له، فأما نحن فقد فات أمرنا»^(١).

ولما ضاق الأمر بأهل عكا، وقلّت المؤن، تيقّنوا أنه متى أخذ البلد عنوة ضربت أعناقهم عن آخرهم، وأخذ جميع ما فيه من العدد والأسلحة والمراكب صالح أهل عكا الفرنجة على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، هم وذرايرهم ونسائهم، ولكن متى رعى النصارى للمسلمين ذمة وعهداً، «ففي عصر يوم الثلاثاء السابع وعشرين من رجب سنة سبع وثمانين وخمسائة ركب الانكثار وجميع عسكر الفرنجة راجلهم وفارسهم، ثم أحضروا من الأسارى المسلمين من كتب الله شهادته في ذلك، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم أوثقوهم في الحبال، وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد، فقتلوهم صبراً طعناً وضرباً بالسيف - رحمة الله عليهم -، وأصبح المسلمون يكشفون الحال فوجدوا المسلمين الشهداء في مصارعهم، وعرفوا من عرفوه منهم، وغشي المسلمون بذلك حزن عظيم

(١) «النوادر السلطانية» ص (١٦٨، ١٦٩ - ١٧٠).

وكآبة عظيمة، ولم يبقوا من المسلمين إلا رجلاً معروفاً مقدماً أو قوياً أيّداً للعمل في عمائرهم»^(١).

* الأيوبيون بعد صلاح الدين :

بعد وفاة صلاح الدين ومجيء أولاده الثلاثة الذين اقتسموا البلاد ما بين مصر ودمشق وحلب، تراجعت الدولة، وبدأ التنافر بين الإخوة أنفسهم على ما عهد في مثل هذه الأحوال.

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل: «علي بن صلاح الدين» وأنشأ المدرسة الأفضلية وتعرف قديماً بالقبة، بحارة المغاربة. وقفها على فقهاء المالكية بالقدس.

وأوقف الملك الأفضل عام ٥٨٨هـ ما يحيط ويتصل بموضع البراق الشريف من أرض، وغيرها على أهل المغرب فليل: «حي المغاربة» وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الحرم.

□ يقول ابن كثير: «وكان الأفضل^(٢) بعد موت أبيه قد أساء التدبير، فأبعد أمراء أبيه وقرب الأجانب وأقبل على اللهو»^(٣).

بعد أولاد صلاح الدين جاء عمهم العادل، واستطاع أولاد العادل الذين ورثوا الملك الأيوبي مقاومة الصليبيين بعض الشيء، وكان للملك عيسى بن العادل جهاد مع الصليبيين وكان عالماً يحب العلماء، ويقول: أنا على عقيدة الطحاوي، وقد ساعد أخاه الكامل في موقعة دمياط مع

(١) «النوادر السلطانية» ص (١٧٤).

(٢) ابن صلاح الدين.

(٣) «البداية والنهاية» (١٣ / ١٠).

الفرنجية، ويقول: «واقعة دمياط أدخرها عند الله تعالى وأرجو أن يرحمني بها»^(١).

* تخريب سور بيت المقدس :

دمر المعظم عيسى أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها وخرّب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف.

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣ / ٩٠ - ٩١) في أحداث سنة ست عشرة وستمئة:

«في مستهل هذه السنة خرب سور بيت المقدس عمره الله بذكره، أمر بذلك المعظم خوفاً من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار بذلك، فإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه، فشرع في تخريب السور في أول يوم المحرم، فهرب منه أهله خوفاً من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهاراً، وتركوا أموالهم وأثاثهم، وتمزقوا في البلاد كل ممزق، حتى قيل إنه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم، والرطل النحاس بنصف درهم. وضجّ الناس وابتهلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى، وهي أيضاً فعلة شعناء من المعظم، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضي، فقال بعضهم يهجو المعظم لذلك:

في رجب حلّ الحميّا وأخرب القدس في المحرم



(١) «البداية والنهاية» (١٣ / ١٣١).

□ وبكى خطيب بيت المقدس محمد بن المبارك القرقساني الخطيب

هذه المصيبة فقال:

وقد لبس الخطيب به حدادا	مُصَابُ القدس قد سَلَبَ الرُّقَادَا
يمت لخراب ما أعلى وشادا	وقاضيه قضى نحباً وإن لم
بهذا الفعل من فرض الجهادا	ونادى المسجد الأقصى أيرضى
ومما حَلَّ بالمحارب مَادَا	ومنبههُ الشريف يئنّ خوفاً
فكم قد أقرحت أسفاً فؤادا	ولا تَرْقَى لصخرته دموع
ككآبةٍ دمعهُ مَجلى العهادَا	كذا محراب داودٍ علتُهُ الـ
وسحَّ الطورُ أدمعهُ وجادا	ولازم باب رحمته عذاب
تُريق محابر الفتيا المدَادَا ^(١)	وأصبحت المدارس مُعْولات

□ وبكاه قاضي الطور مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي فقال:

على ما تَبَقَّى من رُبوع كَأُنْجُمٍ	مررتُ على القدس الشريف مُسَلِّماً
على ما مضى من عصرنا المتقدم	ففاضتُ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً
وشمَّرَ عن كَفِي لئيم مُذَمَّمٍ	وقد رام عِلْجٌ أن يُعْفِي رُسُومَهُ
لمعتبرٍ أو سائلٍ أو مُسَلِّمٍ	فقلتُ له شَلْتَ يمينك خَلَّهَا
بنفسي وهذا الظنُّ في كل مُسَلِّمٍ ^(١)	فلو كان تُفْدَى بالنفوس فديته



(١) «عقود الجمان» (٦/ ٢٦٠ - ٢٦١).

(٢) «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٤٥)، «شذرات الذهب» (٥/ ٦٦)، «عقود الجمان» للعيني.

تسليم بيت المقدس للفرنجة

□ من ثمارهم تعرفونهم... أبعد صلاح الدين يأتي الأقزام
ليسلموا بيت المقدس لفرديريك الثاني وملوك أوربا... ويضع ملوك
بني أيوب أمجاد سيدهم وفخرهم صلاح الدين؟
أتى الأمبراطور فرديريك الثاني إلى سورية سنة ٦٢٦هـ من أجل
القدس وبعث إلى الكامل يقول:

«إن عتيقك، وتعلم أنني أكبر ملوك الفرنج، وأنت كاتبتي بالمجيء،
وقد علم البابا والملوك باهتمامي، فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي.
وهذه القدس فهي أصل دين النصرانية. وأنتم قد خربتموها، وليس لها
طائل، فإن رأيت أن تنعم عليّ بقصبة البلد ليرتفع رأسي بين الملوك، وأنا
ألتزم بحمل دخلها إليك»^(١).

ولما وصل فرديريك الثاني إلى عكا أرسل إلى الكامل يقول مع رسول:
«الملك يقول: كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء
ولا أجيء إليهم، والآن، فقد كنتم بذلتهم لنائبي^(٢) الساحل كله، وإطلاق
الحقوق بالإسكندرية، وما فعلنا. وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم
وإعادتها لكم. ومن نائبي؟ إن هو إلا أقل غلماني، فلا أقل من إعطائي
ما كنتم بذلتموه له»^(٣).

(١) «العبر في خبر من غير» للذهبي (١٠٢/٥).

(٢) في زمن حصار دمياط.

(٣) «كتاب السلوك» للمقريزي (ج ١، ق ٢٢٨/٢ - ٢٢٩)، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» ص (٢٤٨).

يقول ابن كثير: «ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة... استهلت هذه السنة وملك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا أحزاباً وفرقاً، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان صلاح الدين منهم، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده، وتبقى بأيديهم بقية البلاد فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم أسواره، فعظم ذلك على المسلمين جداً، وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون»^(١).

* بكاء الشعراء لبيت المقدس بعد تسليمه للفرنج:

وبكت الأمة تسليم أغلى مقدساتها للصليبيين، وكان الشعراء لسان حال الأمة.

قال أبو شامة في «الروضتين» (٢/٢٠٥): «ورثاه الرئيس الفاضل شهاب الدين أبو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة منها:

أعيني لا ترقّي من العَبَرَات	صلي في البُكا الآصالَ بالبَكَراتِ
لعل سيولَ الدمع يُطفئ فيضُها	توقّد ما في القلب من جَمَرَاتِ
ويا قلبُ أسعرنار وجدك كَلْما	خَبت بادكار يبعثُ الحَسَرَاتِ
ويا فمُ بَح بالشجو منك لعله	يُروح ما ألقى من الكُرْبَاتِ

(١) «البداية والنهاية» (١٣/١٣٣).

على المسجد الأقصى الذي جلَّ قدره

على موطن الإخبات^(١) والصلوات

على منزل الأملاك والوحي والهدى	على مشهد الأبدال والبدلات
على سلم المعراج والصخرة التي	أنافت بما في الأرض من صخرات
على القبلة الأولى التي اتجهت لها	صلاة البرايا في اختلاف جهات
على خير معمر وأكرم عامر	وأشرف مبني لخير بُناة
وما زال فيه للنبيين معبد	يوالون في أرجائه السجّادات

عفا المسجد الأقصى المبارك حوله الـ

رفيع العماد العالي الشرفات

عفا بعدما قد كان للخير موسماً	وللبر والإحسان والقربات
يُوافي إليه كل أشعث قانت	لمولاه برّ دائم الخلّوات
خلا من صلاة لا يمل مُقيمها	تُوشح بالآيات والسُورات
خلا من حنين التائبين وحزنهم	فمن بين نواح وبين بُكاة
لتبكِ على القدس البلاد بأسرها	وتعلن بالأحزان والترحات
لتبكِ عليها مكة فهي أختها	وتشكو الذي لاقت إلى عرّفات
لتبكِ على ما حل بالقدس طيبة	وتشرحه في أكرم الحجرات
لقد أشتّوا عكا وصور بهدمها	ويا طالما غادتهما بشمات
لقد شتّتوا عنها جماعة أهلها	وكل اجتماع مؤذن بشتات

(١) الإخبات: الخشوع والتواضع.

وقد هَدَمُوا مَجْدَ الصَّلَاحِ بِهَدْمِهَا
وقد أَخْمَدُوا صَوْتًا وَصِيَّتًا أَثَارَهُ
أَمَّا عَلِمْتَ أَبْنَاءَ أَيُّوبَ أَنَّهُمْ
وَأَن افْتَتَحَ الْقُدْسَ زَهْرَةً مُلْكُهُمْ
فَمَنْ لِي بِنَوَّاحٍ يَنْحَنَ عَلَى الَّذِي
يُرَدِّدُنَ بَيْتًا لِلخَزَاعِيِّ قَالَهُ
مِدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ
وقد كَانَ مَجْدًا بَاذِخَ الْغُرُفَاتِ
لَهُمْ عُظْمٌ مَا وَالُوا مِنَ الْغَزَوَاتِ
بِمَسْعَاتِهِ عُدُّوْا مِنَ السَّرَوَاتِ^(١)
وَهَلْ ثَمَرٌ إِلَّا مِنَ الزَّهْرَاتِ
شَجَانِي بِأَصْوَاتٍ لَهْنٍ شَجَاةٍ
يُؤَبِّنُ فِيهِ خَيْرَةَ الْخَيْرَاتِ
وَمَنْزِلَ وَحْيٍ مُقْفِرٍ الْعَرَصَاتِ^(٢)

□ وَأَنْشُدَ عَبْدَ الرِّزَاقِ بْنَ رَزَقِ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْهَيْجَاءِ الرَّسْغَنِيَّ لَمَّا سَمِعَ
الْخَبَرَ بِتَسْلِيمِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ إِلَى الْفَرَنْجِ خَذَلَهُمُ اللَّهُ:

تَعَالَوْا نُقِيمِ الْحَزْنَ فِي مَجْمَعِ الْأَنْسِ
وَنَعْمَلِ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مَائِمٍ
وَنَبْكِي دَمًا بَعْدَ الدَّمِوعِ وَإِنَّهُ
أَيُّوْخِذُ وَالْإِسْلَامُ فِيهِ بَقِيَّةٌ
عَذِيرَكَ مِنْ ضَرْبِ النُّوَاقِيسِ مَوْضِعَ الْـ
وَنَصْبِغُ أَثْوَابَ الْمَصِيبَةِ بِالنَّفْسِ^(٣)
كَمَا أَنَّ عِبَادَ الطَّوَاغِيَّتِ فِي عُرْسٍ
قَلِيلٌ عَلَى مَا قَدْ أَصَبْنَا مِنَ الْقُدْسِ
فَوَا عَجَبًا أَيْنَ النِّخَاةُ مِنَ الْحُمْسِ

أَذَانٍ وَتَبْدِيلِ الْأَثْمَةِ بِالْقُسْ

مَنَامًا أَرَى أُمَّ يَقْظَةً مَا سَمِعْتُهُ
لَعْنَتُكُمْ هَذَا الْأَمْرَ لَا تَمَّ إِنَّهُ
أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أُمَّ خَانِي حَسِي
لَأَشْهَى إِلَى نَفْسِي حُلُولِي فِي رَمْسِي

(١) السروات: أهل الشرف والدين والكرم والمروءة.

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

(٣) النَّفْسُ: بكسر النون المشددة: المداد الذي يكتب به، والنَّفْسُ بفتح النون المشددة: العيب.

لئلا أرى داعي الضلال مُصَوِّتاً على المسجد الأقصى يؤذنُ بالنَّقْسِ^(١)
لعمرك هذا الرُّزء لا هُلْكُ هالكٍ ولا سَلْبُ مالٍ لا ولا عَدَمُ النَّفْسِ
□ ولو قيل للبيت المقدس تكلم عن مصابك لقال مثلما قال

الشاعر:

إن يكن بالشام قلَّ نصيري وتَهَدَّمَتْ ثم دَامَ هُلوكي
فلقد أصبح الغداة خرابي سمة العار في حياة الملوك^(٢)

□ سلّم الملك الكامل لفردريك الثاني ملك الفرنجة القدس ما عدا
المسجد الأقصى، سلّمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط سنة ٦٢٦هـ
١٢٢٩م.

وبقيت في أيديهم حتى سنة ٦٣٧هـ عندما استردها الملك الناصر
داود ابن أخي الكامل ولكن الناصر سلّمها مرة أخرى سنة ٦٤١هـ.. ثم
عادت إلى الإسلام نهائياً سنة ٦٤٢هـ عندما استردها الخوارزمية، جنود
الملك نجم الدين أيوب ملك مصر. وقد بلغ عدد السنين التي دخلت
القدس فيها تحت سيطرة الأوربيين ٩٩ سنة من سنة ١٠٩٩ - ١١٨٧م
(٨٨ سنة).

ومن سنة ١٢٢٩م - ١٢٣٩م (١٠ سنوات).

ومن سنة (١٢٤٢ - ١٢٤٣م) سنة واحدة المجموع: ٩٩ سنة).



(١) النَّقْس: الضرب بالناقوس.

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢١٨/٦)، و«نفح الطيب» (١٦/٢).

الممالك مغاوير الإسلام.. حفظة فلسطين الأمان

صارت القدس بأيدي الممالك سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م وبقيت كذلك حتى سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م...
وقفوا سداً منيعاً أمام الصليبيين وحرموهم من تحقيق أطماعهم في العودة إلى القدس.

* بيارس المجاهد العظيم الذي أدب التتار والصليبيين:

□ الملك الظاهر ركن الدين بيارس الذي قال عنه ابن كثير: «كان شهماً شجاعاً عالي الهمة بعيد الغور مقدماً جسوراً، يشفق على الإسلام، له قصد في نصرة الإسلام وأهله»^(١).

أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها، وبقي الناس بلا خليفة نحواً من ثلاث سنين. أقامه الله عوناً ونصراً للإسلام وأهله، وشجاً في حلق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين.

أرسل البطل بيارس إلى مقدم الاستبارية لما نقضوا عهودهم معه:

«ما جعلنا حصوننا إلا خيولنا، ولا خنادقنا إلا سيوفنا، ولا أسوارنا إلا رجالنا. وأما قولكم إن قلاعكم ما تخاف إلا الله، ولا يجسر أحد أن يصل إليها، فسوف ترون كيف يكون الوصول إليها إن شاء الله تعالى»^(٢).

(١) «البدية والنهاية» (١٣/٢٧٥).

(٢) «كتاب السلوك» للمقريزي (١/٢ق - ٩٦٥).

« من خفي عليه خروج هذه العساكر، وجاهل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيطان في المياه من كثرتها التي لعل بيوتكم ما فيها موضع إلا ويكنس منه التراب الذي أثارته خيل هذه العساكر، ولعل وقع سناكبها قد أصم أسمع من وراء البحر من الفرنج ومَن في موقان^(١) من التتر».

□ فتح بيبرس قيسارية عنوة سنة ٦٦٣هـ، وفتح في طريقه عثليت، والملوحة وحيفا.

□ وفتح قلعة أرسوف^(٢) عنوة سنة ٦٦٣هـ بعد أن أقام الحصار على هذه القلعة أربعين يوماً ليلاً ونهاراً بأنواع الحصار.

ولما أعيا الفرنج الأمر طلبوا الأمان فلم يؤمنوا، وتسَلَّقت إليهم الرجال، وأُخِذت، وأسر من بها غير من قتل. وكان فتح القلعة يوم الخميس حادي عشر من رجب، استسلم قائد القلعة الذي فقد ثلث فرسانه، مقابل الحصول على وعدٍ بالإبقاء على حياة الذين نجوا من القتل. وأثار سقوط هذا الحصن الكبير مشاعر الإفرنج ومخاوفهم، وهذا ما أوحى إلى شاعر الداوية الغنائي «ريسوبونوميل» من التروبادور أن ينظم قصيدة بالغة المرارة يشكو فيها من أن المسيح أصبح - فيما يظهر - مسروراً لما حلّ بالمسيحيين من مذلة وهوان^(٣).

(١) موقان إحدى أقسام أذربيجان، انظر: «السلوك».

(٢) مدينة على الساحل بين قيسارية ويافا.

(٣) «الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة» لبسام العسلي ص (٢٨ - ٢٩) - دار النفائس.

ولما أرسل المسيحيون الذين في عكا وفدًا يطلبون من بيرس السماح له بمواراة جثث قتلى قرية «قارة» أغلظ في رفض طلبهم، وقال لهم بأنهم إذا كانوا يلتمسون جثث القتلى فسوف يجدونها في وطنهم، ولتنفيذ تهديده هبط إلى الساحل، وقتل كل من وقع في يديه من المسيحيين.

□ كما انتزع الملك الظاهر صفد من بين أيدي الفرنج قهراً سنة أربع وستين وستمائة^(١) وتسلم الحصن وقت صلاة الجمعة ثامن عشر شوال.

□ وتم فتح يافا التي تغلب عليها من قبل الفرنج، ونازلتها ملوك كالناصر صلاح الدين والعاذل أخيه وغيرهما، ولم يتفق فتحها، وخبيئ للسلطان^(٢)، وذلك سنة ست وستين وستمائة، تمت إبادة المقاومة، وتدمير القلعة.

□ وكذلك فتح حصن الشقيف في نفس السنة، وقال الإسلام: هذي بضاعتنا ردت إلينا، وذلك في سابعة يوم الأحد سلخ شهر رجب المبارك.

وبحمد الله قد أصبحت تلك الضالة التي فقدتها الإسلام منشودة، وتلك العارية التي استولت عليها يد الكفر مردودة. هذه القلعة التي فرض الداوية سيطرتهم عليها، وأصبح رجالها بعد ذلك أرقاء.



(١) «البدية والنهاية» (١٣/٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي ص (٢٥٦) - الرياض.

* الملك الأشرف خليل، يفتح عكا، ثم يدمرها سنة ٦٩٠ هـ ويطهر

كل الساحل من دنس الصليبيين:

سار هذا البطل العظيم لفتح عكا بجيش يضم ستين ألف فارس، ومائة وستين ألفاً من المشاة، ومعهم العرّادات، والمجانيق التي اشتهرت باسم «الثيران السوداء» . . .

واحتشد النصارى من الداوية والأسبترية، وفئة من الإنكليز والألمان ومقاتلي قبرص، وانضم إليهم بعد مدة ملك قبرص «هنري»، وكانت تحصينات المدينة قوية ومتينة.

ونصب السلطان الأشرف على عكا اثنين وسبعين منجنيقاً، وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يوماً حتى فتحها عنوة، في يوم الجمعة السابع عشر جمادى الأول، وهدمها كلها بما فيها وحرقتها.

□ أخذها الصليبيون بعد أن غدروا بأهلها في يوليو ١١٩١م بعد مقاومة باسلة من قراقوش، ثم استردها الأشرف خليل في ١٨ من مايو سنة ١٢٩١، أي بعد قرن كامل من الزمان.

ولم تكد عكا تقع في قبضة الأشرف، حتى شرع في تدميرها، واستباحة دورها وأسواقها، ثم إشعال الحريق بها، كما تم تدمير الأبراج والقلاع المنيعة حتى لا تكون رأس حربة لما يقوم به الفرنج الصليبيون من اعتداء على بلاد الشام، ولقد قتل جيش الملك الأشرف خليل في اجتياحه للمدينة حوالي عشرة آلاف صليبي، ولم يقبل السلطان أن يأخذ أسرى من المدحورين، بل فرق عشرة آلاف منهم على أمراء الجند فقتلوهم عن آخرهم^(١).

(١) «فتح عكا تذكارات وعلامات تاريخية» مقال للدكتور أحمد السيد الصاوي - من مجلة القدس العدد ٢٠ - جمادى الأولى ١٤٢١ هـ ص (٢٧).

ما مثل عكا في الحصون لأنها
كانت لهم كرسي مملكة إلى
حتى أتاها الأشرف الملك الذي
فشفى صدور المسلمين بفتحها
أم القرى يأتّمها الكفار
تحصينها في المعضلات يصار
خافت فرنج بأسه وتثار
ولتفتحنّ بغزوه الأمصار

□ والحقيقة أن الأشرف لم يلجأ إلى هذه المذبحة انتقاماً لمثلتها من
مائة عام، ولكن قبل ذلك وبعده ليوقع الرعب في قلوب الصليبيين
الذين ارتجفت أوصالهم في بقية الإمارات الصليبية في الشام، ورحلوا
عن بقية مدن الساحل تبعاً.

وطهرت صور، وصيدا، وحيفا، وجبل الكرمل، وطرسوس،
وعثليت. وسيذكر التاريخ لهذه الملك العظيم اقتلعه لآخر مواقع الفرنج
الذين بقوا - وعلى امتداد مائتي سنة - جرثومة في بلاد الطهر اجتثها
سيف الأشرف.

نالت القدس من الممالك اهتماماً كبيراً، فأنشؤوا المدارس، وأجروا
تعميرات على قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وفي سنة ٧٧٧هـ جعلوا
القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان، بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق،
ومن آثارهم أنهم سحبوا الماء من عين العروب إلى القدس. وغدت
القدس زمن الممالك مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم
الإسلامي.. يفد إليها الدارسون من الأقطار كلها.

□ يقول الأستاذ «محمد حسن شرّاب» في كتابه القيم «بيت
المقدس» (٤٢٥ - ٤٣٠):

«وهؤلاء الذين نصفهم بالممالك، هم الذين هزموا أكبر غزو

وحشي على البلاد الإسلامية، بعد الغزو الصليبي، ألا وهو الغزو المغولي ومعركة عين جالوت تتحدث عنها الركبان، وتُعدُّ رمزاً لقوة الإسلام فالمعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام هي: بدرٌ، وحنين، وعين جالوت..

.. وعهد هؤلاء الأفذاذ العلمي، من العهود الزاهرة، وآثارهم العلمية، والعمرانية شاهدة لتاريخهم المجيد.

فقد عدت لهم في القدس وحدها خمسا وثلاثين مدرسة لتعليم العلوم النافعة وعشرات من المساجد، والبنيات والأوقاف والأربطة، والإصلاحات.. وإنَّ عصرهم كان خيراً للمسلمين، وللعرب، وللأماكن المقدسة، من العصر التركي، الذي كان يملك العالم في عصره، وأمواله لا يحصيها العداد. إنها إذا كانوا مماليك، فإنهم في رأيي مماليك الإحسان، على معنى قول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحساناً

وقول الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهؤلاء أحسوا في قرارة نفوسهم أنَّ الله أحسن إليهم عندما جعلهم مسلمين وحكاماً، فامتلك قلوبهم هذا الإحسان. لم يفخروا بنسب ينتمون إليه، وإنما فخروا بأعمالهم التي خلدتهم. ومن حقهم علينا، أن نلقبهم بأحب الألقاب إليهم في حياتهم، ومن حقهم علينا أن نذكرهم في التاريخ بالصفة التي تدل على الوفاء لهم جزاء ما قدموا للعرب والمسلمين. ومن الأوصاف المناسبة لعصرهم أن نقول «عصر الأفذاذ».

* ثانياً: آثارهم في المسجد الأقصى، والحرم القدسي:

(أ) الأروقة في المسجد الأقصى:

في حرم المسجد الأقصى من جهة الغرب أروقة مبنية بالبناء المحكم. وهي ممتدة من جهة القبلة إلى جهة الشمال.

وأولها: عند باب الحرم المعروف بباب المغاربة. وآخرها عند باب الغوانمة [انظر: «مخطط الحرم الشريف»] وكلها عُمِّرت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في مُدد مختلفة.

فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة، عُمِّر سنة ٧١٣هـ. والرواق الممتد مما يلي منارة باب السلسلة، إلى قرب باب الناظر عُمِّر سنة ٧٣٧هـ.

والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة، عُمِّر سنة ٧٠٧هـ.

(ب) رُحِم صدر المسجد الأقصى، أي: حائط المسجد الجنوبي، وفتح بالمسجد الشباكان اللذان على يمين المحراب وشماله سنة ٧٣١هـ.

(ج) جُدِّد تذهيب قبة الصخرة، وقبة الأقصى حوالي سنة ٧٢٠هـ.

(د) عُمِّرت القناطر التي تسمى «الميازين» على رأس المرقبين الشماليين بصحن قبة الصخرة، أحدهما مقابل باب حطة، والآخر مقابل باب شرف الأنبياء، وكانت عمارة الأول سنة ٧٢١هـ والثاني سنة ٧٣٦هـ.

(هـ) جُدِّدت عمارة باب القطانين سنة ٧٣٦هـ، وهو أحد أبواب الحرم

الغربية.

(و) المدرسة الجاولية: (ولتعرّف بكلية روضة المعارف الوطنية سابقاً) وهي واقعة في الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم الشريف. وقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة سنة ٧١٥هـ وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة.

(ز) سبيل قايتباي: بناه السلطان قايتباي سنة ٨٨٧هـ.

(ح) المدرسة التنكزية: واقفها الأمير تنكز، نائب الشام، وهي مدرسة مُتقنة البناء. وموقعها على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة، وهو باب الحرم الرئيس. وعلى باب المدرسة نقش يفيد بناء المدرسة سنة ٧٢٩هـ.

(ط) الرخام المبني في حائط المسجد الأقصى الجنوبي عند المحراب لجهة الشرق... وهو من آثار تنكز نائب الشام.

(ي) جدّد تنكز، قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس من العُروب سنة ٧٢٧هـ ووصلت إلى القدس، ودخلت وسط الحرم سنة ٧٢٨هـ. وبني تنكز البركة الرخام التي بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

(ك) مئذنة باب الأسباط: عُمّرت في أيام الملك الأشرف شعبان سنة ٧٦٩هـ. وجددت في أيامه الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد الأقصى، وعمارة القناطر على السلالم الموصلة إلى صحن قبة الصخرة المقابل لباب الناظر.

(ل) منبر برهان الدين: مبنيّ بالرخام الأبيض على رأس السلم المقابل للباب الجنوبي لقبة الصخرة. وقد عمره قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة وإلى جانبه إلى الغرب منه محراب. ويُصلّى في

هذا المكان العيد والاستسقاء وتوفي القاضي المذكور سنة ٧٩٠هـ.

.. هذا ما تيسرت معرفته من إنشاءات وإصلاحات الأفاضل في منطقة الحرم الشريف، وأذكر الآن بإيجاز أسماء المدارس التي أوقفوها في القدس الشريف لخدمة المجاورين في المسجد الأقصى.

❖ ثالثاً: المدارس التي أوقفها السلاطين الأفاضل، لخدمة أهل المسجد الأقصى:

❑ دار الحديث: سنة ٦٦٦هـ.

❑ المدرسة الدوادارية، وتعرف اليوم بمدرسة الإناث الإسلامية سنة ٦٩٥هـ.

❑ المدرسة السلامية: سنة ٧٠٠هـ.

❑ المدرسة الكريمة: بالقرب من باب حطة سنة ٧١٨هـ.

❑ المدرسة الجاولية: سنة ٧١٥هـ.

❑ المدرسة التنكزية: نسبة إلى تنكز، والي الشام. سنة ٧٢٩هـ.

❑ المدرسة الأمينية: على الجانب الغربي من الطريق المؤدي باب

الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء سنة ٧٣٠هـ.

❑ المدرسة الملكية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٤١هـ.

❑ المدرسة الفارسية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٥٥هـ،

ووقفها الأمير فارس الدين، نائب غزة.

❑ المدرسة والتربة الأرغونية: بالقرب من باب الحديد سنة ٨٥٩هـ.

ودفن فيها الملك حسين بن علي.

❑ المدرسة الطشتمرية: بباب الناظر: سنة ٧٥٩هـ.

□ المدرسة المنكبيّة: بالقرب من مدخل الحرم الغربي المعروف بباب الناظر، وكان يشغل مبناها دوائر المجلس الإسلامي الأعلى سابقاً. سنة ٧٦٢هـ.

□ المدرسة الطازية: بطريق باب السلسلة لجهة الشمال. سنة ٧٦٣هـ.

□ المدرسة الشيخونية: سنة ٧٦١هـ.

□ دار القرآن السلامية: على الجانب الغربي من طريق باب السلسلة سنة ٧٦١هـ.

□ المدرسة المحدثية: عند باب الغوانمة سنة ٧٦٢هـ.

□ المدرسة الإسعردية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٦٠هـ.

□ المدرسة اللؤلؤية: سنة ٧٨١هـ.

□ المدرسة البلدية: في الجهة الشمالية من باب السكينة، ويسمونه

باب السلام، وهذا الباب بحذاء باب السلسلة لجهة الشمال سنة ٧٨٢هـ.

□ المدرسة الخاتونية: بالجهة الغربية من الحرم على يمين الخارج من

باب القطانين وقد دُفن فيها الزعيم الهندي مولانا محمد علي. ودفن

فيها موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية، وابنه الشهيد

عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل ٨/٤/١٩٤٨م..

والمدرسة موقوفة سنة ٧٥٥هـ، وأُكملت سنة ٧٨٢هـ.

□ المدرسة البارودية: بباب الناظر، سنة ٧٦٨هـ.

□ المدرسة الحنبلية: بباب الحديد، في سنة ٧٧٧هـ.

□ المدرسة الجهاركسية: سنة ٧٩١هـ.

□ المدرسة الصيبية: في الجهة الشمالية من ساحة الحرم سنة ٨٠٩هـ.

□ المدرسة الكاملية: بخط باب حطة لجهة الغرب. أوقفت سنة ٨١٦هـ.

□ المدرسة الباسطية: شمال الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل) سنة ٨٣٤هـ.

□ المدرسة الطولونية: بداخل ساحة المسجد الأقصى عند الرواق الشمالي، يُصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة باب الأسباط. سنة ٨٠٠هـ.

□ المدرسة الغادرية: في الجهة الشمالية من ساحة الحرم بين باب شرف الأنبياء ومئذنة باب الأسباط. سنة ٨٣٦هـ.

□ المدرسة الحسنية: بطريق باب الناظر سنة ٨٣٧هـ.

□ المدرسة العثمانية: وتعرف بدار الفتياني واقعة على يسار الخارج من الحرم من باب المتوضأ المعروف بباب المطهرة سنة ٨٤٠هـ.

□ المدرسة الجوهريّة: بطريق باب الحديد في الجهة الشمالية، وتعرف بدار الخطيب سنة ٨٤٤هـ.

□ المدرسة المزهرية: بباب الحديد سنة ٨٨٥هـ.

□ المدرسة الأشرفية: على ميسرة الداخل على الحرم عند باب السلسلة، وتقف على سطحها مئذنة باب السلسلة سنة ٨٨٥هـ. بناها السلطان قايتباي. وله أيضاً السيل المعروف باسمه داخل الحرم بناء سنة ٨٨٧هـ، ومن آثاره المرقى الموصل إلى صحن قبة الصخرة في الجهة الجنوبية الغربية بالقرب من المدرسة النحوية وفي سنة ٨٨٧هـ بني مئذنة جامع عمر، بجوار كنيسة القيامة.

□ دار الخطابة: واقعة بظاهر سور المدينة المحيط بالمسجد الأقصى من جهة الجنوب، بجوار الزاوية الختنية من جهة الغرب، ويرجع بناؤها إلى نهاية القرن التاسع الهجري.

القدس

فلسطين
والخلافة العثمانية

فلسطين أيام الخلافة العثمانية

(٩٢٢هـ - ١٣٣٦هـ / ١٥١٧ - ١٩١٧م)

□ دخلت القدس في حماية الأتراك أواخر أيام عام ٩٢٢هـ في عهد السلطان سليم، وهو السلطان التاسع من سلاطين آل عثمان. وكان أول نائب تركي على القدس هو «جان بردي الغزالي»، وكانت ولايته نذير شؤم على القدس؛ لأن هذا الرجل خان قائده قانصوه الغوري، واتصل بالسلطان سليم سراً واتفق معه على أن ينسحب هو وخير بك من جيش الغوري في معركة مرج دابق. وكان أحدهما على ميمنة الغوري، والآخر على يساره.

فكانت هزيمة جيش الغوري بسبب ذلك، فكافأه السلطان سليم بأن ولاه نيابة الشام، ومنها القدس. وبعد موت السلطان سليم طمع في السلطنة، واتصل في هذا السبيل بفرسان القديس يوحنا في رودس لمساعدته، ولكن الله جعل منيته في تدبيره، فمات ولم يصل إلى مطمعه^(١).

□ في عام ١٥٢٠م، تولّى السلطان سليمان القانوني، وفي عهده جدد آخر سور حول القدس الشريف.

□ وفي عام ١٢٤٧هـ ١٨٣١م سقطت القدس في أيدي إبراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري.

ولكن إبراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول الكبرى.

□ وفي عام ١٨٧٤م ١٢٩١هـ ارتبطت متصرفية القدس بوزارة الداخلية في استانبول، وفي سنة ١٩١٧م. سقطت في أيدي بريطانيا.

(١) «بيت المقدس» لشراب ص (٤٥٧)، و«الكواكب السائرة» (١/١٦٨).

حفاظ السلطان عبد الحميد على فلسطين والديار الإسلامية

□ لعل الموقف الذي وقفه السلطان عبد الحميد من فلسطين والصمود الذي أبداه تجاه جميع المحاولات التي بذلها زعماء الصهيونية العالمية كافيان في نظر الباحث العربي المسلم، لثمين دور السلطان عبد الحميد في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية وعدم التفريط بشبر واحد منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبّان تلك الفترة، والتي استغلتها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له باسقاطه عن عرشه، عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات اليهودية.

□ ولم يكن «تيودور هرتزل» هو الوحيد الذي سعى لمقابلة عبد الحميد وحاول استدراجه، لتحقيق مآرب الصهيونية، فلقد تكررت المحاولات واختلفت الوسائل والأساليب، ولم تصل الصهيونية إلى بغيتها، إلا بعد أن نجحت في مخططها لإبعاد عبد الحميد عن عرش الخلافة الإسلامية.

□ وقد روى الشيخ طه الولي^(١) أنه زار مع أخيه فؤاد الولي - قبل وفاته - في ١١ أيلول سبتمبر ١٩٦٧ الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام بלבنا، واستمعا منه إلى هذه الرواية:

□ كان ذلك عام ١٩٠١م ونحن في قصر يلدز باستانبول، وإلى

(١) الشيخ طه الولي، عالم وبخانة لبناني فاضل، يعمل أميناً للمكتبة العامة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، أما شقيقه فؤاد فقد كان رحمه الله، أستاذًا للتاريخ في كلية التربية والتعليم بمدينة طرابلس الشام بלבنا.

جانبي الشيخ محمود الجيزاوي، أمام جامع العرب في دار السعادة، وإذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثاني فاستقبلهم تحسين باشا رئيس الكتاب وهم:

١ - مزاحي قراصو مدير أحد البنوك.

٢- جاك ولم أعد أذكر باقي اسمه.

٣- ليون ولم أعد أذكر باقي اسمه.

□ وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفياً للسلطان فأبدوا

استعدادهم لـ:

١- الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

٢- بناء أسطول لحماية الدولة.

٣- تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة؛

لانعاش مالية الدولة وإغناء مواردها مقابل:

١- إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة

للزيارة.

٢- السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب

القدس أثناء الزيارة.

□ وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه: قل لهؤلاء

اليهود الوقحين:

١- إن ديون الدولة ليست عاراً عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا

مدينة ولا يضيرها ذلك.

٢- إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مره سيدنا عمر

- رضي الله عنه - ولست مستعداً أن أتحمل تاريخياً وصمة بيع الأراضي

المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.
٣- ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء
حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.
وأخبراهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلي أو الدخول لهذا المكان
بعدها..

□ ويستمر الشيخ علي شيخ العرب^(١) في روايته فيقول: إن
عبد الحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه
بالاتصال برؤوف باشا متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فوراً عن
اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم إلا
الزائرون لمدة محدودة.

□ ويقول: إن اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي»
التي تقنعت بها جماعة «الدونمة»، وهم المتظاهرون بالإسلام من يهود
أسبانيا، فاطاحوا بعبد الحميد عام ١٩٠٨، ولم تكن «المشروطية»^(٢)
غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناداة
بـ «الارتجاعية»^(٣) لإخراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيداً

(١) الشيخ علي شيخ العرب، أحد شيوخ العرب الذين قربهم إليه السلطان عبد الحميد
فعاشوا في كنفه وفي رحاب قصره «يلدز».

(٢) المشروطية: دعوة إلى إباحة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور.

(٣) الارتجاعية: دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وهي ما يعرف اليوم بـ «الرجعية»، وهي
حادث ٣٠ مارت الذي أدى إلى الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد بعد أن تم تدبير
مجزرة كبرى في استانبول نسبت للارتجاعيين، وصورت على أنها مرتبة ومخططة لتثبيت
نفوذ عبد الحميد والانقضاء على المشروطية الثانية، كما حصل في أعقاب المشروطية
الأولى.

إلا أن الوثائق أثبتت كما سنورده في الباب القادم، أنها تمت بتدبير من الاتحاديين =

للتخلص من الإسلام نفسه .

وهذه الرواية الشخصية تعزز الروايات العديدة التي تناقلتها مختلف المصادر حول مساعي اليهود المتكررة مع السلطان عبد الحميد الثاني، لانتزاع موافقته على تسهيل هجرتهم إلى فلسطين^(١) .

وقد بعث السلطان عبد الحميد برسالة إلى شيخه محمود أبوالشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق بعد خلعه من الخلافة، نشرتها مجلة العربي، وهذا نصه يا هو^(٢) .

بِاللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

خطاب عبد الحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات .

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا

محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض

الروح والحياة^(٣) ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي

= والمأسورين والانكليز وقد وردت - اتهامات هذه الجهات صراحة في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، وفي اعترافات لكل من أنور باشا، وجمال باشا عبر مذكراتهما عقب اقصائهما عن الحكم .

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني - ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد .

(٢) يا هو : الذكر بالاسم المفرد «الله الله» يا خليفة المسلمين لا يجوز، والذكر بالاسم المضممر هو نوع من الهوس .

(٣) مفيض الروح والحياة هو الله سبحانه وتعالى . وليس شيخ الطريق الشاذلية، وهكذا يقع خليفة المسلمين في الشرك - رحمه الله - وعافاه . وما سقطت الخلافة العثمانية إلا بمثل هذه المعتقدات البدعية . سقطت لما كان المستشار الديني لها محمد أبو الهادي الصيادي شيخ الرفاعية الذي سمّاه الكواكبي «البغل المزركش» وأتى بالأقوال الطوام . لما انتشرت البدع والشركيات نالها ما نالها .

الشامات، وأقبل يديه المباركتين، راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين. سيدي! إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية^(١) ليلاً ونهاراً، وأعرض أنني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ: إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون ترك» وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرّوا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً. فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

(١) الأوراد الشاذلية بما فيها من بدع واستغاثات وطلب المدد من غير الله.. وأنت خليفة المسلمين رحمك الله وغفر لك.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية، ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسودّ صحائف المسلمين آبائي وأجدادي، والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً».

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية، والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة «فلسطين».

وقد كان ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختتم رسالتي هذه. أثلّم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة، أن أحيط سماحتكم علماً، وتحيطوا جماعتكم بذلك علماً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم المسلمين

٢٢ أيلول ١٣٢٩

عبد الحميد بن عبد المجيد

□ وكان بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا، وقد وجه مذكرة إلى

سفيره بالأستانة عام ١٨٤٠ قال فيها:

«يقوم بين اليهود والمبعوثين الآن في كل أوربا شعور قوي، بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين تأخذ في الاقتراب..»

ومن المعروف جيداً أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كبيرة.. ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداد كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود. فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه، وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل».

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية، إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوربا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيداً لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط منها».

وبعد عام واحد أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى سفيره في الأستانة طالبه فيها بإقناع السلطان بإباحة هجرة اليهود وقال:

«سيكون مفيداً جداً للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوربا وإفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين، لكن اليهود يطلبون نوعاً من الأمان الحقيقي الملموس، ولذلك فإنني أقترح أن يكون في استطاعتهم الاعتماد على حملة بريطانية، وأن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكواهم عن طريق السلطات البريطانية».

كما استعان اليهود الروس بالسفير الأمريكي في الأستانة ليبدل نفوذه ومساعدته لدى السلطان عبد الحميد بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، خصوصاً بعد قرار الولايات المتحدة الأميركية عام (١٨٨٢م)،

وذلك بتحديد هجرة اليهود إليها، لكن وزير خارجية عبد الحميد أخفق في إقناعه، ومضى نحو خمس سنوات والمحاولات اليهودية جارية دون كلل أو ملل، حين جاءت محاولة كبرى من بريطانيا لدى السلطان عام (١٨٨٧م) بذلت فيها كل جهودها وإغراءاتها المالية ووعودها العلنية والسريّة، بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، لكن عبد الحميد ثبت على رفضه القاطع.

□ وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية أثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار مارس (١٨٨١م)، وحملة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية إيواء بعض اليهود الهاربين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا^(١).

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية «البيلوا» في عام (١٨٨٢م) من إيصال ٢٠ مستعمراً يهودياً إلى فلسطين اعتبروا «رواد» الهجرة اليهودية، وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلاً ذريعاً ولولا مساعدات البارون إدمون دي روتشيلد لماتوا جوعاً ومرضاً.

□ وقيل أيضاً أن السير موسى مونتفيوري خاطب إبراهيم باشا والي محمد علي على الشام ليسمح لهم بهجرة اليهود إلى فلسطين، وأبدى

(١) انظر: د. صالح مسعود أبو بصير - «جهاد شعب فلسطين» - رسالة دكتوراه بالأزهر - دار الفتح - بيروت.

استعداده لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن إبراهيم باشا رفض هذا العرض.

□ وفي عام (١٨٩٦م) اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على إذن لمقابلة مع قيصر ألمانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا المشروع، إذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزاً، وتستطيع أن تلعب دوراً في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال إذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حمي القيصر.

□ وعندما أرسل السلطان عبد الحميد الثاني مندوباً سرّياً لأوروبا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتحرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن - كما جاء في مذكراته - مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبد الحميد رفض العرض.

□ وقد أرسل «المسيو كريسي»^(١) مقالاً حول القضية الصهيونية يشير فيه الكاتب إلى حادث وقع خلال سنتي (١٩٠٠ - ١٩٠١م) قال كريسي: «كان الدكتور هرتزل»^(٢) في ذلك العهد رئيس تحرير القسم

(١) وردت هذه الشهادة في صحيفة تركية اسمها «أقشام» أي: المساء بقلم صحفي إنكليزي يدعى «كريسي»، وقد نقلتها جريدة «المعرض» البيروتية في عددها الصادر يوم ١٠ كانون الثاني يناير ١٩٣٣م ص(٢٩).

(٢) الدكتور تيودور هرتزل يهودي بولوني ولد في بوايست (١٨٦٠ - ١٩٠٤) وأقام في فيينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي «دريفوس» وألف كتابه «دير يودنيشتات» أي: الدولة اليهودية عام ١٨٩٦م وترأس أول =

الأدبي في جريدة «نيوفري» في فيينا، فأرادني أن أسعى له في مقابلة السلطان عبد الحميد بعد أن بسط لي بحزن شديد كيف أن غليوم «امبراطور ألمانيا» والبرنس دويلوف خدعاه لما رافقهما في رحلة الإمبراطور إلى فلسطين.

□ فقد وعده هذا الأخير أن يقدمه إلى السلطان، فلما وصلوا إلى الاستانة اكتفى البرنس بأن عرفه إلى عزت باشا «العابد» الذي ما كاد يسمع بالقضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ووجد أنها مزارب من الذهب، وقد قبلت أن أهتم شخصياً بقضية الدكتور هرتزل وخصوصاً أن هذه المطالبة لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ.

وبدأت بكل شجاعة عملي، فاصطدمت في البداية بصعوبات خفية ولولا مساعدة شيخ الإسلام «جمال الدين أفندي» وكنت على صلة دائمة به، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي، فإن هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور هرتزل وتقدماته، وكانت هذه التقدّمات باهرة وإليك بيانها:

أن الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في أنحاء العالم بفلسطين أن يدفعوا الدين العثماني البالغ «إذا لم تخني الذاكرة» ٣٣ مليون ليرة إنكليزية، ويتعهدون كذلك ببناء أسطول كامل للدفاع عن

= مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب اغسطس ١٨٩٧م كما قابل السلطان عبد الحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين، والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط، حتى تمكن هرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره ٢٠٤ من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم.

أراضي الدولة العلية.

وفي هذه الأثناء قبل «أي: هرتزل» أن يعقد للدولة العثمانية قرصاً بمبلغ مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام، ولكن هذه المساعي حبطت ولم تنجح.

□ يعتبر «ليو بنسكر» (١٨٢١ - ١٨٩١م) الداعية الأول للحركة الصهيونية، ثم تلاه «آحاد هاعام» (١٨٥٦ - ١٩٢٧م) الذي اعتبر المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، أما المؤسس الحقيقي للصهيونية كحركة سياسية فهو «تيودور هرتزل» (١٨٠٦ - ١٩٠٤م).

ورواد الصهيونية هؤلاء جميعاً يتفقون على فكرة الإستيلاء على الأرض، رغم الخلافات البسيطة على الأساليب.

□ وقد رسم هرتزل سياسة الاستيطان الصهيوني المبرمج فقال في «يومياته» عام (١٨٩٥م) ما يلي: «يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف، وفي منتهى السرية والتكتم والحذر الشديد، وعلينا أن نقوم بتهجير السكان المعدمين - الفلسطينيين - عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا - فلسطين - بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور». «يوميات هرتزل: ط٢، بيروت ١٩٧٣م».

□ وفي عام (١٨٩٨م) سئل هرتزل عن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المقترحة إقامتها في مؤتمر بال (١٨٩٧م) وما إذا كانت ستقف حدودها عند بيروت أم تتعدها شمالاً فقال: «عندما نصل إلى بيروت سوف يكون من المهم أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، إن حدود دولتنا سوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها، كلما كان هناك مهاجرون، كلما

احتجنا إلى مساحات من الأرض أوسع». «يوميات هرتزل، المصدر السابق».

□ أما الكابتن «نورمان بنتويتش» المفكر الصهيوني الأميركي الذي تولى مهمة نائب المندوب السامي البريطاني على فلسطين أيام «هربرت صموئيل» الإنكليزي فقد ذكر في كتابه «فلسطين اليهود: الماضي والحاضر والمستقبل» الذي أصدره عام (١٩١٩م)، النظرية الصهيونية التوسعية التي يسميها «حكماء صهيون» بنظرية «جلد الغزال» فقال: «إن رقعة الأرض التي يمكن أن يمتد عليها الاستعمار الاستيطاني هي من البحر المتوسط إلى نهر الفرات، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر النيل».

وكان الاستيطان الصهيوني قد بدأ بشكل منظم منذ عام (١٨٥٥م) بقدوم اليهودي البريطاني «موسى مونتفيوري» الذي تمكن من شراء بيارة برتقال قرب يافا لتكون أول «موشاف» صهيوني - قرية زراعية فردية بعكس «الكيبوتز» فهي قرية زراعية جماعية - وفي عام (١٨٧٠م) أنشيء أول معهد زراعي صهيوني قرب يافا أيضاً بتمويل من «روتشيلد»، وفي عام (١٩٠١م) تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي «كيرن كاييت» تنفيذاً لبروتوكولات حكماء صهيون بضرورة شراء أراضي فلسطين لتوطين الشعب اليهودي^(١).

(١) لا يخفى أن المساعي الصهيونية لم تفتّر لحظة واحدة لخلق الكيانات الطائفية في المنطقة، رغم إنفصاح هذا المخطط وتوقف «إسرائيل» وزبائنها عن تنفيذه مرات عديدة، ذلك أن الكيان «الإسرائيلي» بحد ذاته، كيان عنصري طائفي، فضلاً عن إفتقاره لإمكانات الدولة الحقيقية، ولولا الدعم الأميركي المستمر لزال ذلك الكيان المصطنع تلقائياً.

وقد كانت التجربة المرة التي عانتها «إسرائيل» إبان العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) حينما وقف الجنرال دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة إلى جانب القضية =

وبعد نجاح المؤامرة اليهودية بالإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني على يد الاتحاديين عام (١٩٠٩م) أصدر «الاتحاديون» تشريعاً يقضي ببيع جميع الأراضي السلطانية في الدولة وبالمزاد العلني! ولولا يقظة عرب

= العربية من زاوية الحرص الخالص على المصالح الأميركية في المنطقة، درساً بليغاً أكد للصهيانية في «إسرائيل» وأميركا ضرورة الحرص على عدم تكرار هذه التجربة - التي قد لا تحملها «إسرائيل» - ثانية، مما حدا بهم لبرمجة العمل للسيطرة على البيت الأبيض والخارجية والدفاع والمخابرات، ومجلس الشيوخ والنواب ومختلف الأجهزة العسكرية والإعلامية، والجامعية والثقافية والمالية والاقتصادية، ومراكز البحوث والدراسات والاستفتاءات، لضمان استمرار الانحياز الأميركي لتثبيت وجود ذلك الكيان اليهودي المصطنع في المنطقة العربية، وفي قلب العالم الإسلامي.

ومن المؤلم أن يشهد العرب والمسلمون في هذه الآونة المظلمة من تاريخنا، بدايات تنفيذ تلك المشاريع التقسيمية، التي لم يعد الخجل ليمنع دعاتها من رفع عقيرتهم الطائفية، دون الحاجة للبحث عن أعذار أو مبررات منطقية، بحيث تخطوا في «جراتهم» الأجهزة الاستعمارية في أسوأ أيام الانتدابيين الفرنسي والإنكليزي، ولعل الأشد إيلاً أن هذه «الوقاحة الطائفية» تتم على مسمع ومرأى من آذان وأعين الأمة بمختلف فئاتها وأقطارها، دون أن يتحرك ساكن، وكأن المشاعر تبلدت، والهمم فترت، والنخوة طارت من الرؤوس، التي أصبحت مفرغة من العقول، فراغ القلوب من تقوى الله وخشية العاقبة!.

ولقد أكد الكاتب الأميركي ستيفن غرين في كتابه «الانحياز» أن اليهود ما كانوا ليحققوا هذه السلسلة من الانتصارات بدءاً بحرب (١٩٤٨م)، وحتى غزو لبنان (١٩٨٢م)، بل حتى اليوم، لولا التورط الأميركي التدريجي في الانحياز إلى «إسرائيل» ضد العرب، معزراً قناعته بمجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأميركية وغيرها من الدوائر المعنية، والتي تؤكد جميعها أن الجيش «الإسرائيلي» بدون الدعم الأميركي في ألمانيا ونقلها إلى «إسرائيل»، كما يكشف عن المخالفة التي ارتكبتها عسكريون أميركيون للدستور الأميركي بمحاربتهم إلى جانب «إسرائيل» عام (١٩٤٨م)، دولاً ليست في حالة حرب مع أميركا، أيام الرئيس الصهيوني «ترومان»، كما يكشف من جانب آخر أن موسكو سهلت عدة مرات تهريب الأسلحة والمحاربين إلى «إسرائيل»، مما يؤكد تواطؤ الشرق والغرب على قضيتنا العربية والإسلامية، التي لا حل لها إلا بالجهاد، مهما عزت التضحيات.

فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ، فقد بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات ما بين (١٩١٠ - ١٩١٤م) ٣٩ مستوطنة تضم نحو ١٢ ألف يهودي هم مجموع من كان في فلسطين آنذاك. «بلاد فلسطين: مصطفى الدباغ».

وهكذا نجد أن المشروع الصهيوني قطع خطوات واسعة في أيامنا هذه، بالمقارنة مع خطواته المتعثرة منذ «موشاف مونتفيوري»، وقد نجح الصهاينة في تحقيق نظرية «جلد الغزال» التي استمد منها كيسنجر نظريته المعروفة بـ«سياسة الخطوة خطوة»، حتى التهمت «إسرائيل» غزة وسيناء، والضفتين والجلولان، ثم صعدت إلى جنوب لبنان ودخلت بيروت وسيطرت على منابع الحاصباني والليطاني والوزاني، ودان وبانياس والأردن، وبحيث أصبح «سد المخيبة» الذي أقيم منذ سنوات طويلة على نهر اليرموك رمزاً للـ «الحياة العربية» التي جسدها أحداث لبنان المأساوية وجراحه النازفة منذ بداية الفتنة الطائفية الجديدة بافتعال «حادث الباص» في عين الرمانة ببيروت يوم ١٣ نيسان أبريل (١٩٧٥م)، والتي أدت إلى خراب لبنان وهيأت الأجواء لتنفيذ المخطط الصهيوني القديم الهادف لإقامة سلسلة من الدويلات الطائفية في المنطقة لتبرير وجود «إسرائيل» ككيان عنصري^(١).

(١) منذ إعلان الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام (١٩٤٧م) كان اليسار العربي يقف جنباً إلى جنب مع عملاء الغرب في بلادنا، ولا غرو فقد كان الإتحاد السوفيتي أول المعترفين بقيام «إسرائيل» وعلى رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول المعسكرين الغربي والشرقي، ولكن حقدهما الصليبي المتأصل، وخوفهما الموروث من شبح «المراد الإسلامي» قد جمع بينهما للاتفاق على زرع هذا الكيان الدخيل، لضمان استنزاف قوى وطاقات هذه المنطقة.

= ولقد تركز هذا اللقاء «الشرقي - الغربي» بصورة جلية من خلال المحاولات المبذولة في السر والعلن لتحقيق «التفاهم» بين «إسرائيل» و«العرب»، حيث بدأ مسلسل مساعي الحوار «العربي - الإسرائيلي» منذ عام (١٩٥٦م)، حينما وجه المحامي المصري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعيم الشيوعي اليهودي «المصري» هنري كوريال رسالتين لكل من جمال عبد الناصر، وبن جوريون يدعوانهما فيهما باسم «الحركة الديمقراطية» و«حركة السلام المصرية» لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية و«إسرائيل» ودول عدم الانحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) أجهض تلك المحاولة.

وحين نستعرض أسماء «أبطال السلام» على الجبهة «الإسرائيلية» لا يجد بينهم إلا الأيدي القذرة المملوطة بالدماء، بل إن بين ضحاياهم أبطالا حقيقين للسلام، وأولهم: «ناتان يالين - مور» وهو رئيس عصابة «شتيرن»، قاتل «الكونت برنادوت» مندوب الأمم المتحدة إلى فلسطين عام (١٩٤٨م)!! وثانيهم «عاموس كنعان» الكاتب الصهيوني المعروف والعضو في عصابة «شتيرن» أيضاً، أما ثالثهم فهو «يوري أفيري» وهو بدوره إرهابي قديم في منظمة «أرغون» وعضو «الكنيست الإسرائيلي»، والبطل الرابع هو «أريك رولو» وهو اسم مستعار لشخصية إرهابية يهودية مصرية سبق أن طردت من مصر في أعقاب فضيحة «لافون» الشهيرة وأعني به «إلياهو رفول» الذي تحول بعد نزوحه إلى فرنسا إلى «أريك رولو» الكاتب الصحفي الخطير في «لوموند» الفرنسية، وخبير شؤون الشرق الأوسط للخارجية الفرنسية ولإذاعة وتلفزيون باريس!!، أما بقية أبطال السلام من الجانب اليهودي فهم زمرة من الشيوعيين المشبهين من رفاق هنري كوريال وبينهم:

«كلوديا» التي كانت تعمل ضمن وفد مصر للأونسكو في باريس، و«جوزيف حزان»، و«جويس بلو»، و«ريمون اسطمبولي»، و«موريس بارث»، و«دانييل أميت» الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس، وآخرهم الجنرال «ماتيتا هويليد» الذي قاتل في صفوف عصابة «الهاجاناه» منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، وجميعهم ممن شارك في كل الحروب العربية - «الإسرائيلية» فضلاً عن سجلاتهم الإرهابية الحافلة عبر أنشطة عصابات «شتيرن» و«أرغون» و«الهاجاناه»، وتلك هي «الحماثم الإسرائيلية» الوديدة!!.

وعلى الجانب العربي من عسانا نجد من أبطال السلام. إن تاريخ «الحوار العربي - الإسرائيلي» يسجل أن أول «مؤتمر سلمي» عقد في «فلورنسا» بإيطاليا برعاية ولي عهد المغرب - آنذاك - الأمير الحسن بن محمد الخامس، وكان ذلك في عام (١٩٥٨م)، بترتيب من هنري كوريال الذي جمع فيه وفوداً من الأحزاب الشيوعية العربية مع ممثلي

= الحزب الشيوعي الإسرائيلي «راكاح»، وبعد عدوان (١٩٦٧م) التقى النقيب السابق بالجيش المصري «أحمد حمروش» رفيق كوريال في الحزب الشيوعي المصري وعضو «الحركة الديمقراطية»، و«حركة الضباط الأحرار» مع «كوريال» و «أريك رولو» في باريس حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبد الناصر، وناحوم غولدمان رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وقد أجهضت المحاولة ب وفاة عبد الناصر عام (١٩٧٠م).

ثم تابعت منظمة التحرير الفلسطينية «الحوار» عبر القياديين الماركسيين «المتفهمين» بدءاً بممثل المنظمة في لندن سعيد حمامي الذي لقي مصرعه في يناير (١٩٧٨م) ومروراً بنعيم خضر، وبغز الدين قلق اللذين اغتيلوا في أبريل (١٩٨٣م).

كما شارك في «الحوار» المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد، وممثل المنظمة في داكار «أبو خليل»، وكان عراب اللقاءات في كثير من الأحيان رئيس النمسا السابق اليهودي «برونو كرايسكي»، أو رئيس رومانيا اليهودي «نيقولاي شاويسكو» أو رئيس الوزراء الفرنسي اليهودي «بيار منديس فرانس» الذي استضاف الحوار مراراً في قصره الصيفي.

وقد كشف سامي الجندي في كتابيه «البعث» و«كسرة خبز» عن رفضه لتنفيذ تعليمات وزير خارجية سورية الدكتور إبراهيم ماحوس قبيل عدوان يونيو (١٩٦٧م)، بأجراء حوار مع ممثلي «العدو» في باريس، بينما اعترف نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي بإجرائه الحوار مع موسى دايان في الرباط (١٩٧٦م)، تمهيداً لعقد اتفاقيات «كامب ديفيد» التي أسفرت عن اغتيال أنور السادات عام (١٩٨١م).

كما كشفت الأحداث اللبنانية عن اتصالات مشبوهة منذ مطلع السبعينات بين زعماء الموارنة وقادة «العدو الإسرائيلي» حيث رتب كميل شمعون اجتماعات حضرها بيار الجميل ووالده بشير وأمين مع شخصيات «إسرائيلية»، أسفرت عن طبخة الفتنة الطائفية التي ما زالت مندلعة منذ عام (١٩٧٥م).

وقبلها كانت اجتماعات «الشونة» بين «جوالدا ماير» والملك عبد الله التي أدت إلى اغتيال الملك عبد الله في المسجد الأقصى عام (١٩٥٠م).

وهكذا نجد أن أقصى اليمين التقى مع أقصى اليسار في «حوار» ودي لترسيخ كيان «إسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، مستهدفاً زرع هذا الجسم الدخيل لإعاقة أية صحوة إسلامية حقيقية.

□ ونشرت مجلة «المشرق»^(١) تفاصيل محاولة أخرى عن طريق اللورد اليهودي غوش سفير بريطانيا في الاستانة أيام عبد الحميد فقال: «لما كان اللورد «غوش» الإسرائيلي أي: اليهودي سفيراً بالاستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي: جلعاد ومؤاب في غور الأردن، التي مساحتها ستمائة ألف هكتار، مستعمرة لليهود، تحت نظارة الباب العالي، يسمونها كما يشاؤون، بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً عظيماً من الدراهم، ولا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعوة «غوش» وأغنياء اليهود، فذهبت آمالهم أدراج الرياح، وكانت غايتهم أن يمهّدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح. □ وكانت المحاولة الأخيرة التي قام بها تيودور هرتزل في عام (١٩٠١م)، ولكن عبد الحميد رفض مقابلته للصدر الأعظم:

«انصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، التي جاهدت في سبيلها وروتها بدمائها فليحتفظ اليهود بأموالهم وملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن! أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت

(١) لمعرفة حجم النفوذ المالي الذي تتمتع به الصهيونية يكفي أن نعلم أن أسعار الذهب والعملات الدولية يتم تحديدها في نشرتين يوميتين منذ عام (١٩١٩م) من قبل أربعة من كبار تجار الذهب وجميعهم من اليهود وهم: روتشيلد، ومونتاغو، وشارب ويكلي، وجونسون.

من الدولة الإسلامية، وهذا أمر لا يكون، إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة» .

وقد أثار جوابه هرتزل فوجه للسلطان إنذاراً بواسطة يوسف الخالدي كبير النواب العرب، في مجلس المبعوثان العثماني جاء فيه:

«أما إذا رفض فسنواصل البحث، وصدقني إننا سوف نهتدي إلى مكان آخر وفقاً لما نريده، وفي هذه الحالة سوف يضع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها.

وثقوا أن من يصارحكم بهذا القول صديق مخلص للأتراك فاذكروا ذلك دوماً»^(١) .

وقد نبهت هذه الحادثة المسلمين، فوجهت أنظار الحكومة لتنبيه الأهالي إلى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكينهم من التسلل إلى فلسطين فنشرت جريدة «معلومات» التي كانت تصدر في الاستانة، ونقلت عنها «ثمرات الفنون» التي كان يصدرها بيروت المرحوم الشيخ عبد القادر القباني ما يلي:

«لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس»^(٢) ، لأن تلك

(١) انظر نص رسالة عبد الحميد الثاني إلى شيخه محمود أبو الشامات ضمن الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب.

(٢) تكررت هذه الآونة الأخيرة محاولات نفس المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، كما نجح الصهاينة في نفس العديد من المساجد الإسلامية في عدة مدن وقرى فلسطين المحتلة، كما هاجموا مؤخراً طلبة الكلية الإسلامية في الخليل، وقد أطلق الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس آخر صيحة تحذير للعالم الإسلامي، محملاً المسلمين وقادتهم المسؤولية أمام الله والتاريخ، حينما كشف في تصريح له نشرته صحيفة «صوت الشعب» الأردنية، أن الحاخام الصهيوني «مائير كاهانا» =

الأقطار كانت لحداً لا اعتلاء مجدهم في الأزمنة الغابرة، وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية إلى لحد مجد أسلافهم فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الأراضي، وما يزال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الأراضي. وهذا ما يضر بصوالح الدولة والأمة معاً، إذ تصبح القدس في يوم من الأيام وهي بيد اليهود فقط.

□ وهناك حادث سياسي آخر يؤكد التصميم على الحفاظ على فلسطين وذلك حين انتهر السلطان عبد الحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق يوم ٧ كانون الثاني يناير (١٨٩٢م)، وتولية ابنه عباس حلمي فاستغل

= زعيم حركة «كاخ» قد خير بين بيع المسجد الأقصى لليهود بمليون دولار أو الاغتيال، على أن تتم عملية البيع بالهدوء والكتمان، وقال الشيخ العلمي: إنه تعرض لأربع محاولات اغتيال من قبل منظمة «كاخ» بعد هذا التهديد.

كما تكررت أنباء اعتقال وتعذيب وإضطهاد العلماء المجاهدين الذين يواصلون قيادة الكفاح والتعبئة للجهاد داخل الأرض المحتلة، منذ أن نفذ اليهود جريمتهم بإحراق المسجد الأقصى.

ناهيك عن «الحفريات الأثرية» التي بدأت منذ أيام موشي دايان، ولم تنته بوفاته، والتي تستهدف إزالة جميع المقدسات الإسلامية من فلسطين، بحجة التنقيب عن «الهيكل» والكشف عن الآثار اليهودية!.

وفي تحقيق لجريدة «القبس» الكويتية في الأرض المحتلة نشرته يوم ٦ مايو (١٩٨٤م) نقلت على لسان الشيخ عكرمة سعيد صبري صحيفة تحذير أخيرة للمسلمين في العالم جاء فيها: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت!!.

كما كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية، وصحيفة «لوماتان» الفرنسية أن ضباطاً في الجيش الإسرائيلي يقفون من وراء شبكات الإرهاب الصهيوني التي تتخذ من عصابات «غوش إيمونيم» - أي: جبهة المؤمنين - ستاراً لها، فضلاً عن جماعة «المولودين ثانية» الذين يستعجلون مجيء «المسيح المنتظر» بنسف المساجد الإسلامية بفلسطين!.

عبد الحميد دهاء السياسي لإخراج سيناء من ولاية مصر فأصدر فرمان التولية بحدود مصر دون إشارة لسيناء، وحضر المشير أيوب باشا إلى مصر لتلاوة فرمان في الحفل التقليدي، ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بالأمر وقعت أزمة عنيفة بينها وبين عبد الحميد، وكادت تعلن الحرب حتى اضطرت في ٨ نيسان أبريل (١٨٩٢م) إلى إعادة سيناء لولاية مصر.

□ ويقول عبد الرحمن الرافعي في كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»: إن آراء الباحثين اختلفت في تفسير موقف عبد الحميد، وأن الشواهد تشير إلى خشيته من النفوذ البريطاني في مصر، وتسلط الصهيونية على بريطانيا مما يحفزها لتقديم تسهيلات لإسكان اليهود في سيناء^(١).

(١) كلف فيلب كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام (١٩٨٠م) لجنة اقتصادية واجتماعية من يهود العالم بوضع تقرير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسرائيل، يرأسها البارون اليهودي جي دي روتشيلد وتضم نحو ٣٠ فرداً بينهم البروفسور حاييم بن شاما رئيس جامعة تل أبيب، وادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي الحالي، وسول كاني مدير بنك كندا وأمين صندوق المؤتمر اليهودي العالمي، واللورد ليفر أوف مانشتر عمدة ريو دي جانيرو، وموريس ليفنسون رئيس مركز دراسات المؤسسات الديمقراطية، والبروفسور سيمور لبيست أستاذ العلوم السياسية والاجتماع بجامعة ستانفورد الأمريكية، والبروفسور مارتن ميرسون رئيس جامعة بنسلفانيا.

وبعد جهود استمرت ثلاثة أعوام قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن أن عدد اليهود في العالم اليوم ١٥,٣ مليون نسمة موزعين على ١٠٠ دولة منهم ٣,٥ مليون يهودي في إسرائيل و٦ مليون يهودي في الولايات المتحدة، و٢,٤ مليون يهودي في الاتحاد السوفيتي، كما يوجد في فرنسا حوالي ٦٠٠ ألف يهودي، وفي بريطانيا ٤٥٠ ألف يهودي، وفي كندا والأرجنتين حوالي ٣٠٠ ألف بكل منهما، وفي البرازيل ١٤٠ ألفاً، وفي جنوب إفريقيا ١٣٠ ألفاً.

بينما يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون أن عبد الحميد بدهائه السياسي البعيد تعمد إثارة بريطانيا للمطالبة بضم سيناء إلى مصر مما يؤكد أن سيناء مصرية، وأن الاحتلال البريطاني لمصر لا يبرر التصرف بسيناء وإعطائها لليهود، وأن اللعبة لم يكتشفها الانكليز واليهود، إلا بعد أن كرسوا ضم سيناء لمصر رسمياً ودولياً.

أيقنت الصهيونية العالمية بعد فشل محاولاتها المتكررة للحصول على موافقة السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لليهود، بالهجرة المحدودة فقط وليس إقامة وطن قومي في فلسطين - أن وجوده يشكل عقبة كأداء في سبيل تحقيق مقررات المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يملك هرتزل - بعد فشل محاولته الأخيرة - إلا أن يلجأ لسلاح التهديد والوعيد صراحة.

= ويزعم التقرير أن عدد اليهود انكمش نتيجة للمذابح الجماعية من ١٦,٧ مليون عام ١٩٣٩م إلى حوالي ١١ مليون عام ١٩٤٥م.

ويتطرق التقرير إلى قضية المستوطنات في الأرض المحتلة فيرى أنها سوف تؤدي تدريجياً لدفع عرب الضفة الغربية إلى إعلان التحدي السافر، وإبطاء عملية السلام، فضلاً عن تكاليفها الباهظة التي ستؤدي إلى مزيد من إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، وتقليل قدرته على مساندة قوة قتالية فعالة!!.

ويقول التقرير إن إسرائيل تواجه ثلاث مهام جوهرية في الوقت الراهن هي:

١- إقامة سلام آمن.

٢- ترتيب جبهتها الداخلية.

٣- تنمية علاقات صحية وبناء أكثر مع يهود المهجر الدياسبورا.

كما يعترف التقرير بأن إسرائيل تجد نفسها حالياً محاصرة بعدد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، والدينية والسياسية الخطيرة، مما يشكل خطراً داخلياً على مستقبلها لا يعلوه سوى الخطر الخارجي!!.

ولم يكن السلطان عبد الحميد بغافل عن مدى نفوذ وتأثير الصهيونية العالمية على اتجاهات السياسة العالمية من خلال ممارستها في الدول الكبرى، ولكنه في الوقت نفسه لم يملك إلا أن يرفض العروض والوعود الصهيونية التي أخذت تقايض ديار المسلمين المقدسة بأموال اليهود الملوثة.

استقر رأي الصهيونية العالمية على العمل للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، كخطوة على طريق عودة «شعب الله المختار» إلى أرض «الميعاد» في مملكة إسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها من الفرات إلى النيل.

وكان للصهيونية أكثر من وسيلة تسعفها في الوصول لأغراضها، نتيجة للمكر والدهاء اليهودي المعروف.

فقد أوجدت الحركة الماسونية بمحافلها الشرقية والغربية، وكانت السببة اليهودية الروسية «روكزيلان» التي تزوجها السلطان سليمان القانوني وسماها «حرم السلطان» أول بؤرة صهيونية، وأول خرق للشرعية الإسلامية بما حققته من تقارب بين سليمان القانوني وفرنسا، حينما منح لقب «حامي النصارى العثمانيين» وعقد اتفاق الدولة الأكثر رعاية عام (١٩٥٣م)، الذي تحول إلى ما عرف بـ «الامتيازات الأجنبية» فيما بعد^(١).

(١) ما زالت فضيحة المحفل الماسوني بي ٢، تتفاعل منذ انفجارها في مطلع الثمانيات، فقد هدد عميل المخابرات الإيطالية الهارب «فرانشيسكو بازينزا» في مقابلة صحفية مع مجلة «البرجيزي» اليمينية بنشر وثائق مثيرة وخطيرة عن تورط عدد كبير من الساسة، ورجال الاقتصاد الإيطاليين بفضيحة بنك «إمبروزيانو» الذي وجد رئيسه السابق «ريبرتو كالفي» =

ولم يتوقف دور روكزيلان عند هذا الحد بل أنها بعد زواج ابنتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا دبّرت مؤامرة قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ونصبت صهرها مكانه، فكافأها بختق ولي العهد مصطفى ابن ضرته، ونصبت مكانه ابنها سليم الذي أصبح فيما بعد السلطان سليم.

وكانت روكزيلان سبباً في استعطاف سليمان القانوني لقبول هجرة اليهود إلى روسيا هرباً من ظلم القياصرة، كما استعطفته ثانية لقبول إيواء يهود الأندلس الذين شردتهم محاكم التفتيش الأسبانية، فنزلوا سلانيك والأناضول، وجزر المتوسط وموانئ الشام ومصر، وهم الذين سببوا فيما بعد دمار الدولة العثمانية، فنال الخليفة عبد الحميد الثاني حفيد سليمان القانوني على يد اليهودي قره صو جزاء سنمار، ولم يشفع له عند الصهيونية إزاء رفضه لعروض هرتزل، مما حققه البارون اليهودي «هيرس» من ثروة طائلة بفضل تعهده لأعمال الخطوط الحديدية العثمانية (١٩٠٥م)، حتى أنه أوصى قبيل وفاته بإنفاق مائتين وخمسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي لليهود العالم، وهكذا كرر مرة أخرى جزاء سنمار لخلفاء المسلمين، وقد أعطى قره صو أربعمئة ألف ليرة ذهبية قبضها من البنك الإيطالي وسلمها لثري اسمه «نجيب دراغا» الذي

= قتيلاً في ظروف غامضة تحت جسر «بلاك فراير» في لندن عام (١٩٨٢م).

وقال بازينزا: إنه يؤلف كتابين ويصور فيلماً عن أهم الفضائح السياسية مما سيحدث هزة كبيرة، والمعروف أن بازينزا يرتبط بصداقات مع هنري كيسنجر وأليكسندر هيج، وكبار الساسة في أميركا وإيطاليا، بحكم علاقاته القديمة مع الماسونية والمافيا وفروعهما في «الألوية الحمراء» وأجهزة المخابرات الغربية !!.

أعطاهها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس^(١) التي أطاحت بحكم عبد الحميد، وكان قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزله، رغم أنه يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو^(١) بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذ عبد الحميد بخمسة ملايين».

يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم في محاضراته القيمة «غزة أريحا»: «إنه في نفس الليلة الذي أقصي فيها السلطان عبد الحميد آخر سلاطين آل عثمان حدث حادثان خطيران أولهما: غياب الإسلام الفعلي، ثانيًا: سقوط فلسطين في يد اليهود، ومن المعروف أن اليهود بذلوا جهداً كبيراً في إغراء السلطان عبد الحميد حتى يسمح لهم بالاستيطان فقط في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، وبعد ذلك جاء هرسل فعرض على «عبد الحميد» مساعدات مالية مغرية، فقال السلطان ضمن جوابه: سوف نغطيها بدماءنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها مِنّا ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل لكنها لن تُقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحنا بأي ثمن كان. وعرض هرسل بعد ذلك على السلطان اقتراحاً بتأسيس جامعة إسلامية في القدس يدرس فيها الشباب المسلم كل العلوم العلمية والدينية، ولكن لم يفلح كذلك، قدّم هرسل للسلطان مليوني ليرة ذهبية رشوة شخصية له فغضب شر غضبة وطرده، وفي اللقاء

(١) كان اليهودي قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزله ويا لسخرية الأيام يهودي!! وهؤلاء الأربعة هم:

اليهودي قره صو، والأرمني آدم، والأرناؤوطي طوبطائي، والكرجي حكمت.

الأخير حضر هرسل ومعه رئيس الحاخامات يعرضون عليه رشوة لإقامة وطن يهودي، واقترحوا القدس وحدها، وقال هرسل: أحب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالياً من أجل القدس، فقال السلطان - وكان يحكي القصة لأحد أصدقائه في المنفى -: شعرت بالدم يصفى من رأسي، تأمل، لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقابل سلطتنا، صرخت بهما: اخرجوا من هنا حالياً، إن الوطن لا يباع بالمال، وحينما دخل رجال القصر أمرتهما بإخراجهما، منذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء كل ما ألاقه هنا في سلانيك هو جزاء عدم إعطاء الوطن لليهود، ولقد ضحيت بعرشي من أجل فلسطين والقدس، وقلت لهم: لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين عاماً، فلن أسودّ صحائف المسلمين أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

يقول بعدما أبلغوه بقرار خلعه: وحمدت المولى، وأحمدته أنني لم أقبل أن أُلْطَخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم إياي بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة الفلسطينية.

وبعد خلع السلطان عبد الحميد أخذت الصحف اليهودية في سلانيك تترف البشرية بالخلاص من مضطهد إسرائيل، وعاث اليهود فساداً في تركيا، وكان من ضمن الإجراءات التي قام بها السلطان عبد الحميد بعدما أحس بالخطر اليهودي أصدر فرمانات تقضي برفض قبول التجاء اليهود المطرودين إلى الدولة العثمانية، وأعلن ذلك قائلاً: «إن سكن اليهود في أجزاء الإمبراطورية يجعلهم يتسللون إلى فلسطين تدريجياً رغم ما اتخذته من تدابير، وسيسعون إلى تشكيل حكومة

موسوية بتشجيع الدول الأوروبية، فليغادروا إلى أمريكا، أيضاً سنّ تعليمات لضمان عدم بقاء اليهود في القدس بعد إكمال زيارتهم لها، وبعد هذا حدث تسلل لليهود إلى فلسطين حتى بلغ عددهم فيها خمساً وعشرين ألفاً طيلة أكثر من ثلاثين سنة، أغلق السلطان عبد الحميد جميع المحافل الماسونية في الإمبراطورية كلها لكنها استمرت بشكل سري والمعروف أن الماسونية الولد النجيب لليهودية، وكان الذي سلّم السلطان قرار الخلع العم نويل قره صو اليهودي الماسوني فالتفت السلطان إلى الوفد الذي كان معه قائلاً: ألم تجدوا شخصاً آخر غير اليهودي لكي تبلغ خليفة المسلمين قرار الحل؟!

ومن قرارات: «السلطان عبد الحميد» قراراً أبلغ به جميع ممثلي دول العالم في اسطنبول عام ١٩٠٠ بمنع الحجاج اليهود من تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين كما يحدث مع الحجاج في مكة فيسلم الحاج جواز سفره ويعطوه وثيقة يتحرك بها داخل مكة لمدة معينة، وإن تأخر عن هذه المدة فله الويل، فكل من لا يغادر البلاد في هذه المدة يُطرد بالقوة، وأصدر السلطان أمراً بجعل تصريح الإقامة هذا لونه أحمر، حتى يسهل طردهم ولذا فلقد رأى اليهود بعد تمكنهم أن يفرضوا على جميع الجوازات الدبلوماسية على مستوى العالم كله اللون الأحمر، وهو الجواز الذي لا يُفتش صاحبه، وهذا يعتبر إعادة اعتبار لليهود ضد إجراء السلطان عبد الحميد.



✽ السلطان عبد الحميد واليهود ✽

□ قال الدكتور عدنان النحوي - حفظه الله - :

سَلَامٌ عَلَى «عَبْدِ الْحَمِيدِ» وَقَدْ مَضَى

عَلَى الطَّيِّبِ مِنْ أَمْجَادِهِ الْعَطِرَاتِ

فَيَا أَيُّهَا «السُّلْطَانُ» ذَكْرُكَ عَاطِرٌ

عَلَى صِدْقِ مَا جَاهَدْتَ فِي حَلَبَاتِ

دَعَوْتَ إِلَى حَقٍّ وَخُضْتَ سَبِيلَهُ

وَمَا لَنْتَ مِنْ طَعْنٍ وَمِنْ غَمَرَاتِ

دَعَوْتَ إِلَى دِينٍ يُوحِّدُ أُمَّةً

وَيَجْمَعُ نِعْمَى عَيْشَةٍ وَمَمَاتِ

دَعَوْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ يُنْكِرُ فُرْقَةً

وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ شُبُهَاتِ

يُسَاوِمُكَ الْكُفَّارَ مَالاً وَزِينَةً

وَزَهْرَةَ دُنْيَا أَوْ مَتَاعَ حَيَاةٍ

لِتُعْطِيَهُمْ دَاراً وَرَوْضاً وَمَا حَوَتْ

«فِلِسْطِينَ» مِنْ قُدْسٍ وَمِنْ حُرُمَاتِ

فَقُلْتَ لَهُمْ: أَمْضَيْتُ عَهْدِي وَبَيْعَتِي

مَعَ اللَّهِ فِي سَعْيِي وَفِي رَكَعَاتِ

وَبِعْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ نَفْسِي بِجَنَّةٍ

عَلَى حُرْقَةِ الْأَشْوَاقِ وَاللَّهْفَاتِ

فَكَيْفَ تُرَانِي أُرْتَضِي عَرْضًا بِهَا
 إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا هَشِيمَ نَبَاتٍ
 مَضَيْتَ... وَمَا لَأَنْتَ قَنَاتُكَ بَيْنَهُمْ
 وَمَا وَهَنْتَ نَفْسٌ عَلَى شَهَوَاتٍ
 هَوَى بِكَ رُكْنٌ... مَا هَوَى عَزْمُكَ الَّذِي
 بَنَيْتَ بِهِ رُكْنًا وَصَرَّحَ أُبَاةٍ
 نَفْوُكَ... وَمَا هَانَتْ بِذَاكَ مَحَامِدُ
 وَآذُوكَ... فَاسْتَمَسَكْتَ بَيْنَ عَتَاةٍ
 عَلَوْتَ... فَهَانُوا دُونَ صَبْرِكَ وَالْهُدَى
 وَذَلُّوا... وَرُمْتَ الْجَمْدَ فِي ذُرَوَاتٍ
 سَلَامٌ عَلَى رُكْنٍ هَوَى فَهَوَتْ بِهِ
 مِنَ الدَّارِ أَرْكَانٌ وَمِنْ عَزَمَاتٍ

□ وقال - حفظه الله :-

أَيْنَ عَبْدُ الْحَمِيدِ هَانَ لَدَيْهِ
 لَمْ تَهْنِ حُرْمَةُ الدِّيَارِ عَلَيْهِ
 صَدَقَ اللَّهُ وَالرَّسُولَ فَلَانَ السَّ
 رَبُّ يَوْمَ يَنَالُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ
 حَمَلَتْهُ لَهُ الْجَنَانُ فَحُورٌ
 زَخْرَفَ زَائِلٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ
 لَمْ يَرْعُهُ أَذَى وَمَكْرٌ شَدِيدٌ
 عَجُنُ وَالْهَجْرُ وَالْأَسَى الْمَمْدُودُ
 هُ نَعِيمًا أَوْفَى عَلَيْهِ الْخُلُودُ
 مُقْبِلَاتٌ وَلَوْلُوْ مَنْضُودٌ^(١)

* ما يؤخذ على الأتراك :

«المعروف أن اليهود كانوا ممنوعين من دخول القدس والسكنى فيها منذ سنة ١٣٥ قبل الميلاد، وجاء الإسلام وهم على هذه الحال، وكان من شروط عقد الفتح ألا يسكنوا البيت المقدس.

وفي زمن ضعف وتهاون حكام المسلمين، تسرب بعض اليهود إلى القدس لزيارة ما يتوهمونه من آثار أنبيائهم... ولعلّ هذا السماح أو السكوت عن دخولهم القدس كان في زمن السلطان سليمان القانوني ١٥٦٦م أو في عهد ولده سليم الثاني.

وقد ذكروا أن للسلطان سليمان القانوني زوجةً روسية اسمها «روكسيلانة» لعلها كانت يهودية الأصل.. وقد نُسب إليها إنشاء التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي شرقي دار الأيتام الإسلامية، بالقدس..

أقول: ولعلّ بعض ولاية القدس قد سمحوا لليهود بالدخول إلى القدس للزيارة طمعاً في زيادة ما يجنونه من الرسوم المالية على الزائرين، ومما يدلّ على ذلك، أننا لم نكن نقرأ أن لليهود ذكراً في العهد المملوكي فلما جاء العصر التركي أخذوا يتسربون ويزداد عددهم، حتى كان لهم في زمن إبراهيم باشا عضو في مجلس الشورى، وبدءوا منذ ذلك العهد، يتجرؤون على إظهار شعائرهم الدينية».

ومن مشجعات اليهود على الهجرة والاستيطان في العهد التركي،

ما يلي:

أولاً: في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١م) امتلك اليهود أول

أرض في المدن الفلسطينية، وذلك عام ١٨٥٤م، وهي القطعة التي أُقيم عليها «حيّ مونتيفوري» في بيت المقدس، نسبة إلى موسى مونتيفوري (١٧٨٤ - ١٨٨٥م) الثري البريطاني الذي زار فلسطين مراراً، وشجع فكرة الاستيطان اليهودية.

ثانياً: في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦م) منحت الحكومة اليهود قطعة أرض أُقيمت عليها مدرسة «نيترو» الزراعية بالقرب من يافا. وهذا هو نصُّ الفرمان السلطاني الذي صدر في ٤ محرم سنة ١٢٨٧ (٥ نيسان ١٨٧٠م) إلى شارل نيترو، نقلاً عن جريدة فلسطين اليافية في عددها الصادر ٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ «يُفتحُ المكتبُ المذكور لتعلم فنّ الزراعة والفلاحة المرغوبة ترقّيته في بلاد دولتي العلية، ويكون تابعاً لقوانين الدولة العليا تحت نظارة المعارف، وتحت حمايتي السيّة. على أنّ هذا المكتب، وإن يكن أنشئ على اسم أطفال الملة الموسوية، إلا أنّه يقبل فيه تلامذة من سائر الملل والمذاهب، بشرط أن يكونوا جميعهم من التبعية العثمانية».

وحول الفقرة الأخيرة من هذا الفرمان، كتبت الصحيفة المذكورة في عدديها الصادرين في ٢٩/ ٨، ١٨/ ٩/ ١٤١٢، تقول: إنّ مجموع من دخل المدرسة - من الطلاب العرب - خلال ٤٣ سنة هم ١١ طالباً، لم يكملوا دراستهم، وقبولهم كان لأسباب عديدة، منها: كون آبائهم من ذوي النفوذ، أو لهم علاقة بأشغال المدرسة. عن كتاب/ النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه - خيرية قاسمية ص ١٢٤.

ثالثاً: أرهقت الدولة التركية الفلاحين الفلسطينيين بالضرائب، فعجزوا عن دفعها، فأدى ذلك إلى استيلاء الدولة على أراضي الفلاحين،

وقراهم وعرضها في المزاد سنة ١٨٦٩م، لاستيفاء ديون الضرائب المترتبة عليهم، فاشتراها أغنياء بيروت وتجارها الذين لا تربطهم بالوطن رابطة فباعها هؤلاء إلى اليهود «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي ص (٤٥) ..

.. وكلّما قرأت هذا الخبر، تقطّع قلبي ألماً.. لأنني أحصر التاريخ أمامي لأفتش فيه عن مثل هذا الصنيع فلا أجد.. وأسأل: لو كان الحاكم في قلبه ذرة من الإيمان: بالله، والرسول، والوطن، والإنسانية والقومية، والحضارة، والكرامة، والشهامة والمروءة.. لو كان في قلبه ذرة من هذه المقاييس هل يفعل هذا الصنيع؟ والجواب معروف. الفلاح الفلسطيني: يزرع أرضه مرة واحدة في العام إذا جاد الله عليه بالغيث ويجمع منها في كلّ عام، ما يكفيه قوت العام كلّ.. وإن كثيراً منهم تسقط عنهم الزكاة الشرعية؛ لأنه لا يملك إلا قطعة من الأرض، لا تكاد تدرّ عليه إلا قوت الكفاف.. فبأيّ حقّ تطلب منه الضريبة؟ إن الجزية، أو الخراج يسقطان عن الكتابي الذي يعجز عنهما، فكيف يسلب مسلم أرضه؛ لأنه عجز عن دفع الضريبة؟ وبأيّ حقّ تؤخذ الضريبة؟ لأنّ الحكومة تدفع الأعداء عن ثغور الإسلام؟ لأنها تنشر العلم في ديار الإسلام؟ لأنها تشق القنوات وتصلح الأرضين؟.



(و) إن الحقيقة التي وصلت إليها، بعد دراسة متأنية، تقول: إن سلاطين الأتراك، لم يعطوا بيت المقدس حقّه من الرعاية، ولم يكونوا حريصين على بقاءه في حوزتهم، إلا لأنه أحد الأماكن المقدسة التي يزعم السلاطين أنهم يحرسونها ويخدمونها، لكسب عواطف المسلمين. وما حرسوها، وما خدموها ولكن شبه للمسلمين ذلك.

وإننا لنقول: إنهم فرطوا في أرضها، ووضعوا حجر الأساس في استيلاء الأغراب عليها، وإنَّ السلاطين الأتراك كانوا قومين متعصبين لقوميتهم العثمانية، أكثر من تعصب القوميين العرب لقوميتهم العربية، ولم تظهر هذه النزعة على يد الاتحاديين فقط، وإنما ولدت مع ميلاد الدولة التركية. ومن الشواهد لما ذكرته:

١ - من الشواهد على قوميتهم، أنهم أصرّوا على أن تكون اللغة التركية هي لغة الدولة مع أنَّ استخدام اللغة العربية ضرورة بل واجب ديني. . . وهم أول من اتخذ لغة أعجمية لغةً للدولة من الأسر والسلاطين العجم الذين كان لهم سلطان شامل على بلاد العرب، فبنو بويه، والسلاجقة كانوا من العجم، ولكنهم اتخذوا العربية لغة، والمماليك - مع أن أكثرهم أتوا من وراء البحار - اتخذوا العربية لغةً للدواوين، ونجم في عصرهم أعلام الكتابة الديوانية:

النوري، صاحب «نهاية الأرب» و«القلقشندي» صاحب «صبح الأعشى».

ومن قبلهم كان بنو أيوب من أصل كردي، وكان في خدمتهم جهابذة من الكتاب والأدباء. وما كانت تُكتب الرسائل على لسان صلاح الدين، إلا بأرقى الأساليب العربية التي كانت سائدة في أيامهم.

ومن الشواهد على القومية التركية، أنك عندما تقرأ مذكرات السلطان عبد الحميد، فإنه يكثر من استخدام مصطلح «الأمة العثمانية» و«الأمة التركية» و«تراث الآباء والأجداد». مع أنه اتخذ «ال خليفة» لقباً له.

٢ - عدّوا على أرض القدس، وعلى الأوقاف الإسلامية، فقدموها هدية للغرباء. . . والأمثلة لذلك كثيرة.

منها: المدرسة الصلاحية، التي أوقفها صلاح الدين الأيوبي، لتكون مدرسة عليا يتخرج فيها العلماء. أهداها العثمانيون للفرنسيين سنة ١٢٧٣ - ١٨٥٦م وحولوها إلى كنيسة.

وفي سنة ١٨٦٨م أهدى السلطان عبد العزيز فردريك ويلهم، ولي عهد بروسيا «بيمارستان»^(١) صلاح الدين، أو جزءاً منه، وأنشأ عليه الألمان كنيسة المخلص، التي يسميها العرب كنيسة الدباغة. والمعروف أن هذا المستشفى (بيمارستان) بقي يعمل حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي - الثاني عشر الهجري. وقد جرى افتتاح هذه الكنيسة سنة ١٨٩٨م عندما زار غليوم الثاني القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني.

ومنها: أن السلطان عبد الحميد الثاني، أهدى للإمبراطور غليوم الثاني سنة ١٨٩٨م أثناء زيارة الأخير القدس، أهداه قطعة أرض على جبل صهيون مساحتها نحو دونمين، وبنى عليها الألمان كنيسة سموها «كنيسة نياحة العذراء» ويصف شاهد عيان الاحتفال باستلام هذه الأرض، فيقول: «عند الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين في ٣١ تشرين الأول، سار الإمبراطور وزوجه بموكب حافل إلى مكان النبي داود، المعروف بعليّة صهون، ولما بلغا المكان المشار إليه، تقدم توفيق بك سفير الدولة العلية في برلين، وأهدى جلالته باسم الحضرة العلية السلطانية أرضاً في ذلك المكان تبلغ مساحتها نحو ألفي متر مربع، وحضرة متصرف القدس قدّم إليه أوراقها الطغرائية الرسمية الواردة من الآستانة العلية..

(١) بيمارستان: مأخوذة من «بيمار» الفارسية بمعنى «مريض» و«ستان» بمعنى «مكان» وتدل على المستشفى، وتختصر أحياناً فيقال «مرستان» وتطلق عند العامة اليوم على مستشفى المجانين.

فاستلمها بيده الكريمة وسلّمها إلى وزير خارجيته وتقدم حينئذٍ صاحب الفضيلة الشيخ سعيد الداودي أمام جلالته قائلاً: بناءً على الصداقة الكائنة بين جلالته وعظمة متبوعنا الأعظم، فإننا نقدم لجلالتكم هذه الأرض، ونحملكم على الراحة..

وخطب الإمبراطور قائلاً: إن ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان أهدى المرحوم والذي الأرض التي بنيت عليها الكنيسة التي تمّ تدشينها اليوم «كنيسة المخلص».

وأما عظمة صديقي السلطان عبد الحميد خان، فقد أهداني هذه الأرض، وكما أننا بنينا في الأولى كنيسة للألمان الإنجليين، فسوف نبني في هذه كنيسة للألمان الكاثوليك، فشكراً لعظمته ولآل عثمان العظام»
عن كتاب «الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية، لإبراهيم الأسود ص(١١٣ - ١٣٦)».

.. فهل قرأت أو سمعت أن خليفة عظيمًا يهدي أراضي المسلمين وأوقافهم إلى الغرباء؟ وقد ذكرنا في مكان آخر، أن الإمبراطور الألماني هذا كان متكبراً متغطرساً دخل القدس في زيّ الصليبيين، ورفض أن يدخل المدينة من أحد أبوابها حتى لا يكون الإمبراطور تحت سقف أو سلطة أجنبية، فأمرت الحكومة أن يُفتح له باب خاص في هذه المناسبة.

٣ - وأما السلطان عبد الحميد الثاني الذي نُقل عنه أنه رفض التوقيع على وطن قومي لليهود في فلسطين، فإن رفضه لم يكن له تأثير، ولم يفعل شيئاً غير الرفض.. لقد رفض إنشاء دولة، ولكن الهجرة اليهودية السريّة والعلنيّة كانت في ازدياد في أيامه، ولم يتخذ إجراءات حاسمة للفصل في الموضوع.. لقد تولى عبد الحميد الثاني

الخلافة مدة ٣٣ سنة، كان يمكنه فيها، لو كان جاداً، أن يُصدر أوامره، لمنع ازدياد اليهود في فلسطين بعامة، والقدس بخاصة، مع أن المسألة كانت مثارة، ويعلم بقصتها الخاص والعام.

(أ) تولى السلطان عبد الحميد الخلافة من سنة ١٨٧٦ - ١٩٠٩م. . . وكانت الحكومة التركية قبل توليته بسبع سنوات (١٨٦٩م) قد استولت على أراضي مرج بن عامر من أهلها، وباعتها بالمزاد العلني، لأن الفلاحين عجزوا عن تسديد الضرائب المترتبة عليهم. . .

ألم يطّلع السلطان على هذا الظلم الذي حلّ بالناس؟ ألم يكن باستطاعته أن يُعيد الأرض إلى أهلها، وهو يعلم أنها وصلت إلى اليهود؟.

(ب) في سنة ١٨٨٦م بدأت الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين العرب، الذين طردوا من أرضهم، وبين اليهود. . . فماذا فعلت الإدارة التركية؟ أصدرت أمراً أن لا تزيد مدة إقامة السائح اليهودي في البلاد أكثر من ثلاثة أشهر. . . وهذا إجراء ليس حاسماً؛ لأن الإدارة التركية، كانت قد استشرى فيها الفساد، وانتشرت الرشوة، مما جعل القيود المفروضة غير ذات تأثير.

(ج) في سنة ١٨٩٠م، كان في القدس متصرف اسمه رؤوف باشا، أبدى تعاطفاً مع العرب، وحاول أن يمنع اليهود من دخول البلاد، ويمنع انتقال ملكية الأراضي إليهم. . . فعُزل عن منصبه، وحلّ محله رشاد باشا، الذي تعاطف تعاطفاً كاملاً مع مطامع اليهود. . . ومن الذي يعزل ويولي؟ إن الأمر بيد الحكومة التركية في استانبول. . . ولم يكن الأمر سراً على السلطان: فقد ذهب وفدٌ إلى العاصمة التركية من وجهاء

القدس سنة ١٨٩٠م وقدموا شكواهم إلى الحكومة .

وفي سنة ١٨٩١م قدم وفد من أهل القدس عريضة مكتوبة إلى الصدر الأعظم - رئيس الوزراء - وعينوا فيها مطلبين: الأول: تحريم الهجرة اليهودية، والثاني: منع استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية. [راجع «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي، ص(٥٠) - وأقواله مدعمة بالوثائق] ^(١) .

□ وقبل أي شيء فإن انتشار التصوف في أخريات عهد الخلافة العثمانية، وسريان البدع في أرجاء دولة الخلافة كانت العامل الرئيسي لسقوطها قبل تكالب الصليبيين الغربيين على إسقاطها وفي التاريخ عبرة لمن يعتبر.

* العهد العثماني في سنواته الأخيرة في بيت المقدس :

بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى بجانب الألمان، أعلن السلطان محمد رشاد الخامس بوصفه خليفة للمسلمين «الجهاد الأكبر» ضد انكلترا وحلفائها. . وأخذت الحكومة العثمانية تعمل على نشر دعوة الجهاد بين المسلمين .

وأُخرجت راية النبي ﷺ، ووصلت من المدينة إلى بيت المقدس في ٢٠/١٢/١٩١٤م. وأقيم لاستقبالها حفل كبير في الساحة المحيطة بقبة الصخرة، وختم الاحتفال بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى، ووُضعت الراية هناك مؤقتًا، لإخراجها في اليوم الذي سيزحف فيه الجيش على مصر.

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(١٨٩ - ١٩٤).

* ولوجه الله نقول للتاريخ :

أنه لم يهتم الأتراك بالدفاع عن القدس الاهتمام اللائق بمكانتها وفضلها ولذا كان من الغريب إهمال أمر إعداد خطة دفاعية رصينة للدفاع عنها واتخاذ ما يلزم لتنفيذها، بالرغم من مساعدة طبيعة الأرض المحيطة بالقدس وملاءمتها لأغراض الدفاع بصورة ممتازة، وقد أصدر مقرر القيادة العامة للجيش العثمانية (بيلدرم) بالناصره في ١٥ تشرين الثاني أوامره بإعداد دفاعات القدس، وهو أمر كان يجب أن يتم منذ قبول الدفاع وصرف النظر عن مشاريع غزو مصر والتقدم نحو السويس، أي منذ معركة الروماني في آب ١٩١٦م. ولذا لم تكن دفاعات القدس عند الهجوم عليها في كانون الأول من عام ١٩١٧م أكثر من خط واحد من خنادق النار المحفورة حديثاً في أرض كلسية طباشيرية يكشف بها التراب المستخرج حديثاً بياض لونه خط التحصينات، ولم يكن بها ما يكفي لأغراض الدفاع الطويل من أرزاق وعتاد ومدّخرات. ولم تجهّز بمدافع الحصار الثقيلة ولم تتخذ أي إجراءات فيما يتعلق بموضوع السكان المدنيين وإخلائهم، أو ترتيب إعاشة الباقين في المدينة في ظروف المعركة الدفاعية، وبالرغم من كل ذلك فقد أشغل الفيلق العشرون العثماني بقيادة علي فؤاد باشا الذي كان مقره في باب الواد مواضعه للدفاع عن القدس اعتباراً من ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧م.

أعدّ علي فؤاد باشا الذي رُقي إلى رتبة لواء دفاعاته عن القدس، ونظم له «فوذ فالكنهاين» الألماني^(١) على أثر قطع الإنكليز طريق القدس -

(١) تولى القيادة بمقر القيادة العامة للجيش العثمانية في بادئ الأمر المشير «فالكنهاين الألماني» وفي أول أذار من عام ١٩١٨م خلفه المشير درليمان فون ساندرس وهو ألماني أيضاً!!

نابلس - خط مواصلات أمين يمتد شرقاً نحو أريحا والأردن وسكة الحجاز، ولكن علي فؤاد باشا - الذي كان يعتبره فالكنهائين أحسن قادة الفيالق التركية - لم يكن مؤمناً بإمكان الدفاع عن القدس بالنظر للقتال المستمر الذي أنهك فيلقه بالرجال والمعدّات. وكان المشير الألماني يعقد الآمال على وصول القوات الألمانية وغيرها يوم ١٢ كانون الأول، إلا أن جميع الآمال قد انهارت حيث لم يستطع الفيلق العشرون الصمود في معركة القدس الدفاعية حتى لمدة ٢٤ ساعة، إذ تساقطت خطوطه وشرع بالانسحاب، وقد كان لضعف معنويات العثمانيين لدى القائد والجند تأثير كبير لإضعاف العزم على الثبات وهو أول ما يستند عليه الدفاع.

وعُيّن الجنرال النبي يوم ٨/١٢/١٩١٧م للشروع بالهجوم الكاسح للاستيلاء على القدس، وما إن بدأ الهجوم، قدّر علي فؤاد باشا حرجة الموقف وقرّر قبل ظهر ذلك اليوم استحالة الدفاع عن المدينة ووجوب إخراجها والانسحاب شرقاً.

دخول الإنكليز القدس

في اليوم الثامن من كانون الأول عام ١٩١٧م وفي ليلة الأحد بعث متصرف القدس (عزت بك) يطلب مفتي القدس (كامل الحسيني) ورئيس بلديتها (حسين سليم الحسيني) إلى داره. وفيها خاطبهما قائلاً: قد أحاطت الجنود الإنكليزية بالقدس ولا بد من أن تسقط في أيديهم وأنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة سألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم - أي تسليم المدينة للفاطحين.

وفي نحو التاسعة من صباح الأحد ٩/١٢/١٩١٧م خرج رئيس البلدية يصحبه ابن أخيه توفيق صالح الحسيني، ومفتش الشرطة عبدالقادر

العلمي، وأحمد شريف، وفريق من الشبان منهم رشدي محمد المهدي، وجواد إسماعيل الحسيني، وحنّا إسكندر اللحام الذي كان حاملاً العلم الأبيض، إشارة للتسليم. التقى هؤلاء بالإنكليز في الغرب من المدينة على طريق الشيخ بدر، وأخذ الضابط يسأل الرئيس أسئلة استدل منها على أنّ العثمانيين غادروا القدس عندئذ دخل الجيش البريطاني البلدة في العاشرة والنصف، وانتهى العهد التركي الذي دام (٤٠٠ سنة) ١٥١٦ - ١٩١٧م

ويصف صاحباً تاريخ القدس ودليلها (ص ١٣٨ - ١٣٩) دخول هؤلاء البريطانيين للقدس بقولهما:

«وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة، فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وآخرون ولّوا وجوههم شطر نابلس. وكانت السمراء ماطرة، وكان يُخيم على المدينة سحب قائمة من الرهبة والسكون، فدخلها الإنكليز (الأحد ٩ كانون أول ١٩١٧م) دخلوها عن طريق الشيخ بدر، الحي الكائن إلى الغرب من المدينة، وكان أول عمل قام به الإنكليز بعد احتلالهم المدينة، أن نصبوا عند مدخلها من الغرب، وذلك المدخل الذي دخلوها منه. . وهو الحي المعروف بحي الشيخ بدر، نُصباً من الرخام الأبيض تذكّاراً لفتحهم، نقشوا عليه اسم اللورد اللنبي والتاريخ الذي فُتحت على يده، وأنشأوا حول النصب حديقة - وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليباً. إلا أنهم عادوا فعدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود. ووضعوا الصليب لا يراه الناظر من بعيد وفي ١١/١٢/١٩١٧م، وبعد أقل من ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور، دخل الجنرال اللنبي القائد العام للقدس من باب الخليل، وأذاع على

سكان بيت المقدس من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة:

«إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي وفي الوقت الذي أذيع عليكم هذا النبأ، أعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية...»^(١).

* الثورة العربية خنجر دامي في الخلافة العثمانية:

في ٩ شعبان الموافق ١٠ يونيو ١٩١٦م ابتدأت الثورة العربية عندما أطلق الشريف الحسين أمير مكة رصاصة الثورة على ثكنات الجيش العثماني، ثم أذاع منشور «الثورة» وما دري هذا الشريف!! أنه خان أمته ووقع في براثن الكولونيل لورانس المسمى بلورانس العرب.. عاشق الصهيونية.. وبعنود الشريف حسين الأعراب دخل اللبني القدس... من يتصور هذا!! ويغرس علمه على جبل صهيون ويقول: لقد انتهت الحروب الصليبية الآن.

* دخول اللبني فلسطين ومعه الغفاة من القوميين:

فَيا وَقْفَةَ التاريخِ يَسْكُبُ دَمْعَةً
يُودِّعُ من سَاحَاتِهِ الخَضِرَاتِ
وَيَا وَقْفَةَ التاريخِ يَسْكُبُ أَدْمَعًا
عَلَى هَوْلِ ما يَمْتَدُّ من نَكَبَاتِ

(١) «بيت المقدس» لشُرَّاب ص (٢١٥ - ٢١٦).

وَيَا وَقْفَةَ التَّارِيخِ وَالزَّحْفُ مُقْبِلُ
وَفَرَحَهُ قِطْعَانٍ وَفَرَحَهُ شَاةٍ
فَيَا أَيُّهَا الْأَقْصَى...! حَنَانِيكَ.. هَلْ تَرَى
أَكْفَ وَفَاءٍ أَمْ أَكْفَ عُدَاةٍ
وَهَلْ رَاعَكَ الزَّحْفُ الَّذِي شَدَّ جَمْعُهُ
بَنُوكَ وَقَدْ غَذَّوهُ بِالْمُهْجَاتِ
أَلِّلْنِي...! وَقَدْ خَفَّتْ إِلَيْهِ عِمَائِمُ
وَدَفَقُ جَمَاهِيرٍ وَخَفَقُ سُعَاةٍ
وَمَا ضَرَّهُمْ لَوْ كَانَ فِيهِمْ مُضَلَّلُ
وَحَيْدٌ يُغَذِّي الشَّرَّ بَيْنَ هُدَاةٍ
وَلَوْ كَانَ فَرْدًا وَاحِدًا هَانَ أَمْرُهُ
وَلَكِنَّهُمْ جَمْعٌ وَحَشْدٌ غُفَاةٍ
وَلَكِنَّهُمْ، يَا وَيْحَ نَفْسِي، أُمَّةٌ
غَفَّتْ وَتَوَلَّاهَا طَوِيلُ سُبَاتِ
وَمَاجَتْ لَهُ الدُّنْيَا...! دُويَّ مُنَافِقِ
وَرَجَفَةَ رِعْدِيدٍ وَهَمْسَ وَشَاةٍ
وَصَفَّقَ مَاجُورٌ... وَرَجَعَ أَحْمَقُ
عُوَاءَ ذِئَابٍ أَوْ صَدَى طَعَنَاتِ
أَلِّلْنِي...! وَقَدْ أَصَغَتْ مَوَائِقُ أُمَّةٍ
إِلَيْكَ، وَأَمَّالٌ وَعَهْدُ حَيَاةٍ

تكلم...! وقد أصغت قلوبٌ وأضلُعُ
 تَرَجَّعُ من شوقٍ حنينٍ رُقَاتِ
 وَقَتَلَى على المِيدَانِ كُنْتَ تَقُودُهَا
 أَرْمَتْهَا عَهْدٌ وَجَهْلٌ غُفَاةِ
 تكلم...! كأن الغدرَ يهدرُ من فمِ
 وَتَنْطَلِقُ الأحْقَادُ من كَلِمَاتِ
 أَلَلْنَبِي...! أَرْحَ عَنْكَ القِنَاعَ لعلنا
 نَرَى ما طَوَاهِ المَكْرُ من صَرَخَاتِ
 فَدَوَى: هُنَا يُنْهِي الصَّليبُ حُرُوبَهُ
 وَيُمِضِي فُنُونَ المَوْتِ والفَتَكَاتِ
 وَيُمِضِي معَ الأَيَامِ نَهْجَ إبَادَةٍ
 وَخُطَّةَ تَمْزِيْقٍ ووَادَ حَايَاةِ
 ودَوَى بها الأَقْصَى يَمُوجُ بِأَدْمَعِ
 مُفْرَزَةٍ الأَحْزَانِ مُشْتَعِلَاتِ
 وَعَادَ رِجَالُ المُسْلِمِينَ... وَخَلَّفُوا
 هُنَاكَ... بِقَايَا الدَّمْعِ وَالحَسَرَاتِ
 يَعْضُونَ من طُولِ النَّدَامَةِ كَفَّهُمْ
 وَيُحْنُونَ من هَامٍ وَمِنْ نَظَرَاتِ
 يَمُرُونَ... والسَّاحَاتُ صَرَعى وَلَمْ تَجِدْ
 لَهَا من بَوَاكِ حَوْلَهَا وَنُعَاةِ

وَغَابَتْ وَعُودُ «الْإِنْجِلِيزِ» كَأَنَّهَا
 بِقِيَّةُ أَحْلَامٍ وَوَهْمٍ رُؤَاةٍ
 وَكَشَرَتْ الْأَنْيَابُ وَامْتَدَّ مِخْلَبُ
 وَعَوَتْ ذُنَابُ الْبَيْدِ وَالْفَلَّوَاتِ
 وَدَوَتْ وَحُوشُ الْغَابِ تَسْحَقُ دُونَهَا
 دِيَارًا وَتَرْمِي شَاهِقَ الذَّرَوَاتِ
 تُمَزِقُ أَوْصَالَ الْبِلَادِ غَنَائِمًا
 تَنَاهَبُهَا فِي جَهْرَةٍ وَبَيَاتِ
 فَيَا أَيُّهَا الْأَقْصَى إِسَارُكَ خَانِقُ
 عَلَى قَبْضَةٍ تَدْمَى وَكَفَّ جُنَاةٍ
 تُحِيطُ بِكَ الْأَفْعَى وَسُمَّ انتِدَابُهَا
 وَتَزْحَفُ صِهْيُونُ إِلَى أَكْمَاتِ
 وَتَقْطَعُ أَرْحَامًا وَتَنْصُبُ بَيْنَهَا
 حُدُودًا وَتُورِي النَّارَ فِي أَجْمَاتِ
 إِذَا سَقَطَ «الْأَقْصَى» فَكُلْ دُرُوبَهُمْ
 مَفْتَحَةَ الْأَبْوَابِ وَالطَّرِيقَاتِ
 فَسِيرِي «فَرَنْسَا» هَا هُوَ الدَّرْبُ شَقَهُ
 لِرِزْحَفِكَ لَيْلٌ حَالِكُ الظُّلُمَاتِ
 أَفَاقَتْ دِمَشْقُ وَالرَّدَى يَدْفَعُ الرَّدَى
 وَدَفَعَ الْمَنَايَا صَاعِقُ الْخَطَفَاتِ

فَهَبْ إِلَى سَاحَاتِهَا الصَّيْدُ وَالتَّقْتُ
 مَلاحِمٌ مِنْ هَوْلٍ وَمِنْ غَضَبَاتِ
 فِيا «مَيْسَلُونُ» اسْتَرْجِعِي دَمْعَةَ الْأَسَى
 وَيَوْمًا يُرَوِّي الدَّهْرَ بِالْعَبَرَاتِ
 أَحَاطَ بِكَ الْمَكْرُ اللَّئِيمُ وَأَطْبَقْتَ
 عَلَيْكَ زُخُوفَ الْمَوْتِ وَالنَّكَبَاتِ
 فَرَنَسَا...! وَهَذِي الشَّامُ لَمْ تَدُمُوعَهَا
 عَلَى حُرْقَةِ الْأَجْفَانِ وَاللَّمَحَاتِ
 وَهَذِي دِمَشْقُ وَاللَّيَالِي تَمُدُّهَا
 مَاتِمٌ أَجْيَالٍ وَنَعْيُ كُفْمَاةٍ
 ❀ ❀ ❀

غورو الصليبي وقبر صلاح الدين

لما وقف غورو على قبر صلاح الدين ركله بقدمه وقال: ها قد عُدْنَا
 يا صلاح الدين!

أَعِيدِي صَدَى «غورو» وَوَقْفَةَ فَاجِرٍ
 جَبَانَ وَزَيْفَ الْمَجْدِ وَالِدَعَاوَاتِ
 وَقَفْتَ عَلَى قَبْرِ يَضُمُّ جِدَارُهُ
 جَلالَ حَيَاةٍ فِي جَلالِ مَمَاتِ

أَرَاكَ هَذَا الْقَبْرِ أَمْ رَاكَ الَّذِي
يَضُمُّ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَعَاتِ
حَسِبْتَ الَّذِي فِي الْقَبْرِ مَيِّتًا... وَإِنَّهُ
شَهِيدٌ مَضَى لِلَّهِ فِي وَثَبَاتِ
فَخَانِكَ مِنْ عِزِّ الرِّجَالِ عِزْمَةً
وَرُحْتَ ذَلِيلَ الصَّوْتِ وَالْخَطَوَاتِ
تُنَادِي صَلاَحَ الدِّينِ مَهْلًا فَإِنَّهُ
يُدَوِّي دَوِيَّ السَّاحِ وَالْخَلَبَاتِ
دَوِيًّا يَهْزُ الْأَرْضَ تَحْتَكَ هَزَةً
وَيَنْزَعُ مِنْ جَنْبِكَ أَيُّ ثَبَاتِ
نِدَاؤِكَ كَيْدُ الظَّالِمِينَ وَكِبْرُهُمْ
وَزَيْفُ حَضَارَاتٍ وَزَيْفُ دُعَاةِ
نِدَاءِ جَبَانٍ جَاوَزَ الْكِبَرَ جُبْنَهُ
فَخَرَّ صَرِيحُ الْكِبَرِ وَالسَّكْرَاتِ
هُزِمَتْ أَمَامَ الْقَبْرِ شَرُّ هَزِيمَةٍ
كَمَا هُزِمَ الْأَجْدَادُ فِي غَزَوَاتِ
نِدَاءِ صَلاَحِ الدِّينِ مِلَّةً حَوَاضِرِ
وَمِلَّةً زَمَانٍ زَاهِرٍ بِشُّدَّةِ
أُولَئِكَ إِنْ شِئْتَ الْجِدُودُ فَسَلُّهُمْ
لَعَلَّكَ تَلْقَى الصَّدَقَ بَيْنَ رُقَاتِ

جُدُودُكَ طَوَّاهُمُ تُرَابٌ وَغِيْهَبٌ
وَوَارَاهُمُ التَّارِيخُ فِي حُفَرَاتِ
أُولَئِكَ...! سَلَّهْمُ عَنْ شِعَارٍ وَرَايَةٍ
وَمَا زَيَّفُوا مِنْ جَوْهَرٍ وَسِمَاتِ
أَحْرِيَّةِ الْإِنْسَانِ خَنْقُ حَنَاجِرٍ؟
وَزَيْفُ إِخْءَاءٍ فِي لَهْيَبِ تِرَاتِ
وَزَيْفُ مُسَاوَاةٍ عَلَى جَاهِلِيَّةِ
مُؤَجَّجَةِ الْأَهْوَاءِ وَالنِّزَوَاتِ
وَهَذَا صِلَاحُ الدِّينِ مَجْدٌ مُؤَثِّلٌ
عَلَى الصَّدَقِ مَنَشُورٌ عَلَى صَفَحَاتِ



فَأَيْنَ «بُرْطَانِيَا»... أَيْنَ عَهْدُ عَصَابَةٍ...!
وَأَيْنَ «فَرَنْسَا»... مِنْ حَنَانِ عِظَاتِ
وَأَيْنَ «كِلَايْتُون»... أَيْنَ «لُورَنْسُ» حَرَكَا
خُيُوطًا وَمَدًّا بَيْنَهَا شَبِكَاتِ
رَسَائِلَ «مَكْمَاهُون» خُطَّتْ بِأَدْمُعِ
وَبِالْدَمِ دَقَاقًا عَلَى هَضَبَاتِ
طَوْتَهُمْ زَوَايَا «سَايَكْسُ بِيكُو» وَقَسَّمُوا
عَلَى شَهْوَةِ الْأَطْمَاعِ وَالنِّزَعَاتِ
وَوَعْدٌ عَلَى «بَلْفُور» تَحْمِيهِ عُصْبَةٍ
وَتَدْفَعُهُ فِي الْجَهْرِ وَالْعَتَمَاتِ

فَبَكَّوْا كَمَا تَبْكِي النِّسَاءُ وَوَلُولُوا
 عَلَى غُصَصٍ مِنْ دَمْعِهَا شَرِقاتِ
 وَهَلْ بَاتَ يُجَدِّي الدَّمْعُ وَالدارُ أَصْبَحَتْ
 عَلَى ذُلِّ أَهْلِهَا سَخِيَّ هِبَاتِ
 وَأَيْنَ شِفَاءَ الدَّمْعِ وَالنَّصْلُ قَدْ جَرَى
 يَحْزَنُ رُءُوسًا أَسَلَمَتْ لِعُتَاةِ
 عُتَاةٍ... أَصَابُوا الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ وَالْحِشَا
 وَمَدَّوْا قَنَاةً أُتْبِعَتْ بِقَنَاةِ
 يَجُودُونَ بِالْأَقْصَى لِصِهْيُونَ مَنَحَةً
 وَيَرْمُونَ بِالْأَعْرَاضِ وَالْفَلَذَاتِ



وَهَلْ كَانَ يَدْرِي «الْإِنْجِلِيزُ» بَأَنَّهُمْ
 سَيَلْقَوْنَ عُقْبَى الشَّرِّ وَالتَّبِعَاتِ
 سَيَلْقَوْنَ وَالْأَحْلَافَ يَوْمًا يَهْزُهُمْ
 وَيَنْقُضُ مِنْ دَارٍ وَمِنْ شُرُفَاتِ
 تَخِرُّ سُقُوفُ الدَّارِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ
 وَيَهْوَونَ فِي وَادٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ
 يُحِيقُ بِهِمْ مَكْرٌ رَمَوْا وَيُسُومُهُمْ
 مَنْ الذِّلَّ مَا سَامُوهُ مِنْ ضَرَبَاتِ
 فِلَسْطِينَ هَلْ أَبْقَيْتِ دَمْعًا لِنَائِحِ
 حَنَّانِيكَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ عِبَرَاتِ

عداوة اليهود والنصارى
دينية
ومعركة القدس
بين
أبواق اليهود وأجراس النصارى وأذاننا

عداوة اليهود والنصارى دينية

من أصدق من الله قِيلاً؟! ومن أصدق من الله حديثاً؟!

❖ قال الحق عز وجل وكلام الملوك ملوك الكلام: ﴿وَلَنْ تَرْضَى

عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ {البقرة: ١٢٠}.

❖ وقال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ

أَكْبَرُ﴾ {آل عمران: ١١٨}.

إن عداوة اليهود والغرب لنا دينية وعداوتنا لهم دينية. إن طول الحرب على أبواب القدس تخالطها وتعلوها أبواق اليهود وأجراس النصارى، فلماذا يتغابى ويتغافل المتربعين على كراسي القيادة والريادة الفكرية والإدارية لأمة الإسلام...

إن تغيب الإسلام عن معركة القدس وفلسطين خيانة يرتكبها العلمانيون... وستجتمع الزنود والسواعد المتوضئة حول صيحات الأذان تحلو لهم رنات التكبير ويفقهون معنى الشهادة، ولا سبيل غير ذلك لعودة القدس.

ينطلق اليهود في صراعهم مع المسلمين من منطلق ديني؛ مسمى دولتهم إسرائيل سُميت باسم نبي الله يعقوب وهو أيضاً إسرائيل عليه السلام، والأرض التي احتلوها هي أرض وعدهم الرب بها منذ القدم مثلما تقول توراتهم المحرفة.

ونجمة داود في وسط علمهم، والرمز الرسمي لدولة إسرائيل هي الشمعدان بفروعه السبعة ترمز لأيام الخليقة السبعة. وهذه بعض النصوص التي تؤيد ما نقول:

□ قال «هرتزل»: «إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان»^(١).

□ وقال «إيغال آلون»: «جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم، الأرض التي وعدّها الله لهم، ولذا رايهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين الله وبين إبراهيم»^(٢).

□ وقال «مناحيم بيغن» في كتاب الثورة: «منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأبناء إسرائيل، وقد سميت هذه الأرض فيما بعد فلسطين، وكانت تشتمل دومًا على ضفتي نهر الأردن. إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني، وإن توقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها وإلى الأبد»^(٣).

□ وقال أيضًا في ٢٨/٥/١٩٦٨: «إن الأراضي العربية المحتلة هي أراضي إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي»^(٤).

□ وقال «بن جوريون» في تبرير حرب ١٩٥٦م - : «إنه يوطد أمن إسرائيل ويحميها من العدو، ويحرر أرض الأجداد من الغاصبين»^(٥) وبنفس الأسباب برر «ليفني أشكول» العدوان الإسرائيلي على فلسطين عام ١٩٦٧م حيث قال: «حماية إسرائيل، وتوطيد أمن إسرائيل، وتحرير الأرض من الغاصبين»^(٦).

(١) «يوميات هرتزل» ص (٧٢)، مجلة صوت الأقصى عدد (١) سنة ١٤٠١هـ ص (٤).

(٢) جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية في العهد القديم» ص (٢٣).

(٣) «أهداف إسرائيل التوسعية» لمحمود شيت خطاب ص (٢٩).

(٤) المصدر السابق ص (٢٦).

(٥) «أهداف إسرائيل التوسعية» ص (٥١).

(٦) المرجع نفسه.

□ وقال «إيجال آلون» في تصريح أدلى به في ٤/٩/١٩٦٩م: «إن القدس ستظل موحدة إلى الأبد بصفتها عاصمة إسرائيل»^(١).

□ وقال «بن جوريون»: «ولا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولا معنى للقدس من غير الهيكل»^(٢).

□ وقال أيضاً في ١٠/١٠/١٩٦٧م: «إن القدس الموحدة ستظل اليوم وإلى الأبد عاصمة لإسرائيل، كان هذا الوضع منذ ثلاث آلاف عام، وسيظل كذلك حتى نهاية الأيام»^(٣).

* وجوب تحرير أرض إسرائيل في نظر الحاخامات :

يرى حاخامات اليهود وجوب تحرير أرض إسرائيل من الغاصبين، وهم يعتبرون الجيش الذي يقوم بذلك جيشاً مقدساً، كما قال الحاخام «تسفي يهودا كوك» - الزعيم الروحي لجماعة غوش أمونيم - : «إن الجيش الإسرائيلي كله مقدس؛ لأنه يمثل حكم شعب الله على أرضه، وملكوت السماوات تتجلى حتى في حكم دافيد بن جوريون»^(٤).

وكان أبرز ما قاله الحاخام «كوك» في عشية حرب الأيام الستة، إذ كشف النقاب عن أنه بكى عندما اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين، وذلك عندما كان جميع اليهود يرقصون ويحتفلون بالقرار وصرخ في الحضور: «أين

(١) المرجع السابق ص(٤٦).

(٢) المرجع السابق ص(٣١).

(٣) المرجع السابق ص(٤٢).

(٤) «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» لداني روبشتاين ص(١٥).

نابلس؟ أين أريحا؟ أين نهر الأردن؟ إنها جميعاً لنا»^(١).

وفي أواخر صيف عام ١٩٦٧ عقد في مؤسسة الحاخام هرتسوغ في القدس المؤتمر الأول لخريجي المدرسة الدينية، حول وجوب تحرير أرض إسرائيل.

وقد وجه المشتركون الشباب ثلاثة أسئلة لمئات الحاخامين في جميع أرجاء إسرائيل وكانت الأسئلة هي:

- هل يسمح حسب تعاليم التوراة التخلي عن مناطق محررة من (أرض إسرائيل)؟.

- هل يسمح التخلي عن مناطق خوفاً من استيعاب عدد كبير من العرب داخل حدودنا؟

- هل يجب أن يرغمنا الضغط الدولي على الانسحاب؟

وقد أجاب مئات الحاخامين بإجابة واحدة: «يجب عدم التخلي عن أي جزء من أجزاء أرض إسرائيل»^(٢).

وقد أجاب الحاخام الرئيسي آنذاك: «إسحاق نسيم» على الأسئلة بأن أورد فقرة من أحاديث الحاخام الأكبر «موشه بن ميمون» قال فيها: «لقد أمرنا بأن نرث البلاد التي قدمها الله تعالى لأبائنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولن نتركها في يد غيرنا من الأمم، أو للصحرَاء».

وقال الحاخام نسيم: «إن الإجابة واضحة وحاسمة وهي: أنه

(١) المرجع نفسه.

(٢) لقد نشرت ردود الحاخامين والأسئلة المتعلقة بأرض إسرائيل في صحيفة «موراشا» الناطقة بلسان شبان حزب «المفدال» ومدارس بني عكيبا. كما نشرت في كثير من الصحف. (غوش أمونيم ص ١٩ - ٢٠).

حسب ما نصت عليه التوراة ليس لأحد الحق في إسرائيل بما في ذلك حكومة إسرائيل إعادة شبر واحد من حدود دولة إسرائيل الموجودة في أيدينا».

وقد أجاب الحاخام «حاييم هليفي» بمحاضرة «حول بداية الخلاص» الذي نشهده بأمر أعيننا سواء شئنا أم أبينا وقال: «إن من يفكر بإعادة أرض إسرائيل للأجانب يخالف مبادئ الديانة اليهودية، وإن من يخاف الأقلية العربية الكبيرة فإنه كمن ينتهك حرمة يوم السبت، وإن ثقته بالله ضعيفة للغاية».

وقال الحاخام «يهودا غرشوني»: «إن العرب المقيمين في البلاد يحتلون جزءاً من بلادنا، خلافاً لتعاليم التوراة، وهم غرباء ويجب عدم توقيع أي تحالف معهم؛ لأننا مطالبون باحتلال البلاد واستيطانها».

وقال الحاخام «ش. يسرائيلي»: «إن محاربة العرب مثلها كالحرب المقدسة التي وصفها الحاخام موشه بن ميمون بأنها يجب أن تشن ضد ثلاثة هم: عمليكم، والشعوب السبعة، ولمساعدة إسرائيل من أي جيش أجنبي يعتدي عليها. وإذا لا توجد علينا الآن فريضة احتلال البلاد لتحريرها من يد الغرباء، فإننا لم نشن الحرب للاحتلال، بل للدفاع الصرف: أي مساعدة إسرائيل من الاعتداء الأجنبي».

وقال الحاخام «ن. ص. فريدمان»: «إن هناك مشاكل ذات طبيعة سياسية وأمنية، ولكنها غير قائمة بالنسبة لامتلاك مناطق البلاد؛ لأن ما يتعلق بتحرير البلاد واحتوائها ذو طابع ديني وتوراتي. وتقول التوراة: إنه ليس لأحد الحق في التخلي عن أي شبر من أراضي بلادنا المقدسة»^(١).

(١) انظر: «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» لداني روبنشتاين ص(١٥).

هذه أقوال حاخامات اليهود، وهي تدل دلالة صريحة على أن القتال في فلسطين واجب ديني مقدس لتحقيق وعد الله لبني إسرائيل وتحرير أرض إسرائيل.

□ قال مدير إحدى الكليات العسكرية: «إن تدريس المعارك التي جاءت في التوراة ضروري للتربية النفسية للجندي الإسرائيلي»^(١).

فالعقيدة الدينية أفضل حجة عند اليهود؛ لإقناع الشباب بالقتال من أجل إقامة دولة إسرائيل الكبرى على أرض الميعاد في فلسطين، ولذلك حينما سمع الشباب اليهودي الحاخام «كوك» يقول بمناسبة تقسيم فلسطين - عندما كان جمع من اليهود يرقصون ويحتفلون بالقرار أي قرار التقسيم - «أين نابلس؟ أين أريحا؟ أين نهر الأردن؟ إنها جميعاً لنا»^(٢) ذهبوا وتجنّدوا في وحداتهم، واحتلوا القدس وأريحا، وحققوا ما تدعو إليه عقيدتهم.

وقد اعتمد «هرتزل» على الحاخامين لتحقيق أهداف الصهيونية التي تتفق مع الدين اليهودي فقال: «ما يدل على أنني لا أعمل لغير صالح الدين، أنني أريد أن أتعامل مع الحاخامين، جميع الحاخامين»^(٣).

وقد حدد «هرتزل» دور الحاخامين بقوله: «سوف يقوم حاخامونا الذين نتوجه إليهم ببناء خاص بتكريس طاقاتهم لخدمة فكرتنا، وسوف يوحون بها إلى رعيتهم، عن طريق الوعظ من على منابر الصلاة»^(٤).

□ وقال أيضاً: «سنقوم ببناءات خاصة لاشتراك الكهنة: يذهب مع

(١) كامل الشريف: «العقيدة الإسلامية ومعركة التحرير» ص (٧٨ - ٧٩).

(٢) داني روبنشتاين: «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» ص (١٥).

(٣) «يوميات هرتزل». نقلاً عن «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص (١٨٣).

(٤) مجلة صوت الأقصى عدد ١ ص (٤).

كل جماعة حاخامها، وبهذا تسير هذه الجماعات سيراً طبيعياً، فيكون الحاخام نواة الجماعة، وسيكون هناك جماعات بقدر عدد الحاخامين، سيفهم الحاخامون قضيتنا أولاً، ويتحمسون لها، وهم بدورهم ينقلون هذه الحماسة للآخرين من على منابرهم»^(١).

ولم يغفل هرتزل عن التأكيد بأن «الشيء الوحيد الذي ما زال يجمعنا هو إيمان آبائنا. . الإيمان يوحدنا. .»^(٢).

في غضون عامين فقط من الجهد، استطاع هرتزل إقناع عدد كبير من الحاخامين، بحضور جلسات المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل عام ١٨٩٧م، حيث اقترح أحدهم، ويدعى «سيف»، العمل على تدريب اليهود الروس على السلاح في أميركا.

وعندما سئل «موشي ديآن» بعد حرب حزيران:

- هل كنتم تشعرون أن الله معكم في معركة يونيو؟

أجاب:

- كنا نشعر أننا في جانب الله.

وقال مرة:

- إن جيشنا ليست مهمته الأساسية حماية الصناعات، وإنما رسالته

حماية المقدسات وعلى هذا الأساس يتدرب ويقا تل. .»^(٣).

فهو يعزو سبب الانتصار إلى الإيمان بالله، وفي نص آخر يعزوه

(١) يوميات هرتزل: نقلاً عن «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٤).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) هادي المدرسي: «الصراع الإسلامي الإسرائيلي» ص(١٤).

إلى النفسية التي هي: «مزيج من الحب والإيمان والوطنية»، وإلى «تمسك اليهود بالعقيدة التي صهرتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد...»، رابطاً بين معرفة اليهود الدقيقة بالفنون الحربية وبين ذلك «المزيج» وهذا «التمسك»:

«إن الصفات العسكرية الإسرائيلية المتمثلة بتكتيك وتوقيت ممتازين، وبمعرفة دقيقة للفنون الحربية، هي التي حولت الانكسار العربي في نهاية الأمر إلى هزيمة كلاسيكية، ستدرس بإعجاب في الكليات الحربية في مختلف أرجاء العالم، ويكمن وراء هذه الصفات الملموسة تمسك اليهود بالعقيدة التي صهرتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد، وتصميمهم الأكيد على تأمين بقاء إسرائيل كاملة.

كل واحد منا حارب من أجل شيء هو مزيج من الحب والإيمان والوطنية، وكنا نشعر أننا نقاتل لمنع سقوط (الهيكل الثالث)...»^(١).

□ يقول «أندرية شوراكي»: «إن التوراة العبرية والتقاليد التي حواها كتاب التعاليم «التلمود» صارت من بعد وطناً للشعب الذي لا أرض له»^(٢).

□ ويقول المفكر الصهيوني: «يحيئيل بينس»: «إن القومية التي أمثلها، هي تلك القومية التي روحها التوراة، وحياتها مستمدة من تعاليم التوراة، ووصاياها... إن الدين هو مصدر القومية»^(٣).

□ قال «حاييم وايزمان» - أول رئيس لدولة العدو -: «لما بلغت

(١) جريدة التايم ١٦/٦/١٩٦٧ نقلاً عن المسلمون والحرب الرابعة لزهدي الفاتح ص(١٩٤).

(٢) «دولة إسرائيل» لأندرية شوراكي ص(٨).

(٣) «قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل» لأسعد رزق ص(١٤٢).

الرابعة من عمري ذهبت إلى مدرسة الدين اليهودي - وهذا ما لا غنى عنه لأي طفل يهودي - وخلال السنوات التي قضيتها في مدارس الدين تلك، كان عليّ أن أدرس أشياء من أصول الديانة اليهودية، والذي ملك عليّ لبي سفر الأنبياء^(١).

□ وانظر إلى أثر العقيدة اليهودية على اليهود من الناحية الاجتماعية لقد أثرت العقيدة الدينية في الناحية الاجتماعية تأثيراً كبيراً، إلى حد الالتزام بمبادئ التوراة والتلمود من قبل الشعب، على جميع المستويات حكاماً ومحكومين، فعقيدة السبت عندهم مقدسة، حيث تتوقف في ذلك اليوم جميع الأعمال والدوائر الرسمية وغير الرسمية، ويلتزم بها الرئيس كما يلتزم بها الفرد، فقد سار «بن غوريون» في جنازة «ديغول» ثماني ساعات على قدميه، ورفض أن يركب السيارة؛ لالتزامه بعقيدة السبت.

وكذلك حصل مع «بيجن» في جنازة السادات.

وقد طلب اليهود تقديم اجتماع فك ارتباط القوات المصرية والإسرائيلية إلى الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الجمعة، بدلاً من مساء ذلك اليوم؛ لأنه بداية يوم السبت عندهم، فأجيب طلبهم وعقد الاجتماع في الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة في الخيمة (١٠١) وهو وقت صلاة الجمعة عند المسلمين!!

والطعام في شريعة اليهود نوعان: «كوشير» وهو الذي أباحه موسى عليه السلام شفوياً، و«كشروت» وهو الذي أباحت التوراة بالنص،

(١) «التربية اليهودية في فلسطين المحتلة» ص (٦٥).

ويلتزم اليهود بهذا الطعام، فتخضع جميع المؤسسات الغذائية التي تقدم الطعام إلى مراقبة «دار الحاخامية»، ومن هذه المؤسسات الفنادق والمطاعم.

وقد كان طعام الوفد الإسرائيلي الذي شارك في مؤتمر القاهرة يأتي يومياً من النمسا حرصاً على مراعاة التعاليم اليهودية في الطعام. وحرص «بيجن» على أن يكون طعامه أثناء وجوده في مصر من «الكوشير» زيادة في الالتزام الديني^(١).

□ وحينما أراد العدو اليهودي إقامة سفارة له في القاهرة أصرّ اليهود على أن يكون موقع السفارة على الجهة الغربية من النيل . . . لماذا؟ لأن حدودهم تنتهي عند الضفة الشرقية؛ ولذلك رفض اليهود إقامة السفارة على الضفة الشرقية، وأصرّوا على أن تكون على الضفة الغربية احتراماً لعقيدتهم في أن حدود إسرائيل الكبرى تنتهي عند الجهة الشرقية من النيل.

□ وحين دخلت بعض كتائب الجيش اليهودي في أرض سيناء عام ١٩٤٨م وقفت السيارة الأولى وفيها نسخة كبيرة من التوراة، وهبط الضباط والجنود من السيارات وقبّلوا تراب سيناء قبل أن يجتازوها؛ لأنهم يعتبرون سيناء ملكاً لهم.

والقيادة العسكرية تراعي تعاليم الدين مراعاة دقيقة، فهم يضعون في كل دبابة نسخة من التوراة، ويعينون لكل كتيبة واعظاً دينياً،

(١) «صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية» للدكتور محمد عثمان بشير ص (٨٧) - (٨٨) دار الفلاح.

يحرصهم على القتال ويمنيهم بالجنة، ولا يدأون القتال مطلقاً يوم السبت، ويؤيد ذلك ما جاء على لسان «بيغن» في أثناء الغزوة الدموية للبنان: «إن طائرات العال لن تحلق في يوم السبت احتراماً لذلك اليوم المقدس»^(١)، ويتفاءلون ببدء القتال يوم الإثنين، كما كان يفعل أنبيأؤهم، ويطلقون على معاركهم أسماء ترتبط بالدين: فحرب ١٩٤٨م أطلقوا عليها: «حرب التحرير» أي: تحرير أرض إسرائيل، وحرب ١٩٦٧م أطلقوا عليها: «حرب الأيام الستة»، رغم أنها لم تكن ستة أيام؛ ولكن لأن «النبي يوشع» شن حرب الستة أيام على أعدائه يوم الإثنين، وظل يحاربهم إلى أن حلّ مساء الجمعة، فطلب من الله أن يؤخر غروب ذلك اليوم؛ حتى يجهز على أعدائه قبل أن يبدأ يوم السبت.

✽ وللعقيدة اليهودية أثر كبير في الحركة الصهيونية :

□ يقول هرتزل: «الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد»^(٢).

□ وأكد هذا المعنى «وايزمان» أول رئيس لدولة الكيان الصهيوني، فقال: «إن الشعور الديني هو مصدر الصهيونية والحافز لقيامها، هذا الشعور الناجم عن التقاليد والمعتقدات اليهودية، والمبني على أقدم الذكريات للبلاد التي نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى، والتي مارس فيها اليهود حريتهم»^(٣).

(١) «ملف إسرائيل - دراسة للصهيونية السياسية» لجارودي ص(٢٠).

(٢) «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدى الفاتح ص(١٨٦).

(٣) «الصراع الإسلامي الإسرائيلي» لهادي المدرس ص(١٥).

□ وقال «ليني أبو عسل»:

«إن موسى كان أول من شيد صرح الصهيونية، ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية، وقد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها، بعضها ببعض اتصالاً مستمسكاً وثيقاً ومتوافقة أجزاؤها تماسكاً محكمًا شديدًا..»^(١).

وواضح من كلام الصهيوني «ليني أبو عسل» أن الصهيونية هي بعينها الحركة اليهودية التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيام موسى عليه السلام. وعن علاقة الصهيونية باليهودية قال «إسرائيل ابراهامز»: «لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيروا النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية، فجميعنا إذن صهيونيون بحكم أن الصهيونية هي التي تقوي فينا روح التضامن، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة»^(٢).

□ وقال وايزمان لبلفور عندما عرض عليه شرق إفريقيا:

«إذا عرضت عليك باريس بدلاً من لندن، فهل تقبل؟ فاستغرب بلفور هذا السؤال، وقال: ولكن لندن هي لنا».

فقال وايزمان: «وهكذا القدس إنها لنا منذ كانت لندن قاعاً صفيصفاً، فhez بلفور رأسه موافقاً، وقال: «هذا صحيح».

□ ولما اعترض أحد الوزراء على احتلال الجولان، وعلل اعتراضه بعدم وجود روابط توراتية، رد عليه «إيغال آلون» بقوله: «إن الجولان

(١) «جذور البلاء» لعبد الله التل ص (١٤٣).

(٢) المرجع السابق.

قطعة من إسرائيل القديمة لا تقل أهمية عن الخليل ونابلس»^(١) وهبّ زعماء إسرائيل يؤكدون أن استيلاءهم على الأراضي المحتلة إنما هو تحقيق لما جاء في أسفار العهد القديم، وأخذوا يستحضرون بعض النبوءات»^(٢).

وبعث أحد الحاخامات اليهود ببرقية إلى ديان بعد حرب ١٩٦٧م جاء فيها: «إن وجود إسرائيل في المناطق الجديدة هو تحقيق لأحلام السلف من شعبنا»^(٣).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل برر الحاخامات غزو جنوب لبنان، واعتبروا أرض لبنان هي أرض قبيلة «عاشو» التي ورد ذكرها في التوراة... وهكذا فإن إسرائيل تعتمد في سياستها التوسعية على نصوص من التوراة.

□ وقال «بن غوريون» - أحد أقطاب الحركة الصهيونية المعاصرة -: «أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك؛ لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره، ونيابة عنه»^(٤).

□ وقال موشي ديان بعد حرب ١٩٦٧م: «هذا يوم بيوم خير. يا لثارات خير»^(٥).

وبعد هذه الحرب أيضاً أصدر اليهود بطاقات معايدة، كتب على

(١) «الوثيقة الصهيونية في العهد القديم» لجورجي كنعان ص(١٠٣).

(٢) المصدر السابق ص(٧٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٦).

(٥) «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٢٨).

بعضها: «هزيمة الهلال»^(١). ورسم على البعض الآخر جنود يهود يطلون بعريضة وفجور من مآذن المساجد الإسلامية في المناطق المحتلة، وكتبوا تحتها: «المؤذنون الجدد في الشرق الأوسط»^(٢).

□ وحينما دخلت جولدا مائير بعد احتلال القدس سنة ٦٧م فكانت جولدا وجميع وزرائها يمشون وراء الحاخامات حفاة يبكون وهو سائرون نحو حائط المبكى في القدس القديمة.

وحينما وقفت جولدا على شاطئ خليج العقبة - إيلات - وأخذت تستنشق الهواء، وتقول: «إني أشم رائحة أجدادي في خير»^(٣).
فالصراع بيننا وبين اليهود صراع بين الإسلام والكفر.

□ قال بنيامين نتنياهو في شهر ٤/١٩٩٧م خلال زيارته لأمريكا:
«حين أسير في القدس، أشعر بأنني أسير في المكان الذي خطا فيه الملك داود»^(٤).

✽ انظر إلى هوسهم بالقدس:

لما وافق تيودور هرتسل على اقتراح السياسي البريطاني الكبير «تشمبرلين» في إعطاء اليهود وطنًا قوميًا في أوغندا بوسط أفريقيا^(٥)،
ثار غلاة اليهود على زعيمهم، واعتدوا على مساعدته «ماكس نورداو»
بالرصاص، واتهموا هرتزل نفسه بالخيانة، وعند اجتماع المؤتمر الصهيوني

(١) المصدر السابق ص (٢٩).

(٢) «لورنس العرب على خطى هرتزل» لزهدي الفاتح ص (٢٣).

(٣) «صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية» ص (١٠٤).

(٤) مقدمة كتاب «القدس... مدينة الله - أم مدينة داود» ص (١٩).

(٥) كحل مؤقت لتشرّد اليهود في الدول. وإلا فهرتزل يهودي من ناصيته إلى أخمص قدميه.

العالمي السادس بدأوا يهتفون ضده من القاعة، حتى إذا ما بدأ ينشد «إن نسيّتك يا أورشليم . . . نسوا هم كل شيء، وصفا له الجو، وسلّمت له الزعامة»^(١).

هذي ترنيمتهم المقدسة ومزمور من مزاميرهم
(إن نسيّتك يا أورشليم فلتُشَلِّ يميني
وليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك
إن لم أرفع أورشليم على قمة ابتهاجي)

□ إن إسرائيل الكبرى تُرسم خطوطها توراتيا من النيل إلى الفرات، «ومن شك في هذا فليسأل العلم الإسرائيلي ذي الخططين الأزرقين اللذين يرمزان إلى نهري النيل والفرات! وليسأل النجمة السداسية المدّعاة بـ «نجمة داود» التي ترمز إلى مملكة داود، والتي يتطابق مثلثاها للدلالة على تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد مُلْك داود وسليمان - عليهما السلام -، وليسأل اللافتة المنصوبة على مدخل الكنيسة الإسرائيلي متضمنة الوعد المذكور في التوراة، وليسأل بعد ذلك العملة المعدنية الإسرائيلية التي يتعامل بها اليهود منذ أواخر العقد الماضي صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً وأطفالاً، لتذكرهم كل يوم . . . بل كل لحظة وهم يتعاملون بها . . . الوعد الذي لم يكتمل وهو «إسرائيل الكبرى» حيث رُسمت على العملة خريطة لتلك الأرض بحدودها من النيل إلى الفرات»^(٢).

(١) «القدس مدينة الله» لحسن ظاظا ص(٣٢).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» لعبد العزيز مصطفى كامل ص(٣٤).

□ ويقول «مناحم بيجن» في كتابه «الثورة» ص(٣٢٥): «منذ أيام التوراة، وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأنبياء إسرائيل، وقد سُميت هذه الأرض فيما بعد فلسطين، وكانت تشمل دومًا ضفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي وجنوبي غرب سورية... إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، وإن تواقع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها إلى الأبد».

□ وقال «شامير» - وهو زعيم الليكود بعد بيجن - وهو يخاطب جمعًا من المهاجرين: «إن (إسرائيل الكبرى) هي عقيدتي وحلمي شخصيًا، وبدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة، ولا الصعود إلى أرض الميعاد»^(١).
وقد فاز بمنصب رئيس الوزراء بسبب برنامجه الهادف للعمل من أجل إسرائيل الكبرى.

□ و«بنيامين نتنياهو» ينتخب عام ١٩٩٦ تأييدًا لبرنامج الانتخابي، ويكفي أنه اختار للتحالف الذي كان يقوده اسم «أرض إسرائيل».

□ يقول: «مناحم بيجن»: «لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب، مادمنّا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد، حتى لو وقّعنا معاهدات صلح»^(٢).

□ وقال الحاخام «ماكوفر»: «لا أشك لحظة في أن الجامع ذا القبة الذهبية والمقام على الصخرة نفسها، التي أقام عليها الملك سليمان مركز العبادة العبرانية في التاريخ القديم... هذا الجامع سيدمر ليقام مكانه

(١) «السلام الضائع في كامب ديفيد» لمحمد كامل ص(٢٧).

(٢) كتاب «الثورة» لمناحم بيجن ص(٢٣٥).

هيكل القدس الجديد الذي سيعاد بناؤه بكل فخامته».

□ قال بن جوريون مقولته المشهورة، وردّها بعده مناحيم بيجن: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس.. ولا قيمة للقدس بدون الهيكل».

□ وقال نائب وزير المعارف الإسرائيلي السابق «موشى بيلد»: «إن الهيكل هو قلب الشعب اليهودي وروحه»^(١).

□ وقال زعيم منظمة «قائم وحي»: «مهمة هذا الجيل هي تحرير جبل الهيكل وإزالة الرجس والنجاسة عنه» وتابع: «سنرفع راية إسرائيل فوق أرض الحرم، لا صخرة ولا قبة ولا مساجد، بل راية إسرائيل فهذا واجب مفروض على جيلنا»^(٢).

□ ولما افتتح اليهود نفق «الحشمونائيم» في سبتمبر ١٩٩٦م تحت المسجد الأقصى قال نتنياهو: «إنني فخور جداً؛ ومتأثر جداً، فالنفق يمس أساس وجودنا».

إن اليهود كانوا يتبادلون طوال أزمّة الشتات تحية يقولون فيها: «غدا نلتقي في أورشليم»! وبعد أن وصلوا إلى أورشليم أو «القدس» واستولوا على حائط البراق الذي يسمونه حائط (المبكى)، ابتدع لهم حاخاماتهم دعاءً يرددونه في كل صلاة أمام الحائط، وهو عبارة عن قسم وعهد على إعادة بناء الهيكل، ويدعون على أنفسهم باكين أن تلتصق ألسنتهم في حلوقهم إذا هم نسوه!^(٣).

(١) «الأصولية اليهودية» ص (١٠٢).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (٥٧٤).

(٣) «وقد مرّ من قبل «إن نسيك يا قدس فلتشل يميني».

وأول من ردد ذلك الدعاء والتزم هذا التعهد هم القادة العسكريون عندما دخلوا القدس عام ١٩٦٧م، ووقتها لم يتقدم (موشي ديان) وزير الدفاع لدخول المدينة المقدسة إلا وراء الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي (شلومو غورين)!، أما (إسحاق رابين) - رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي آنذاك والذي تحول بعد إلى «ركن من أركان السلام» -، فقد كتب في مذكراته يصف حرارة لحظات دخول القدس والاقتراب من جبل الهيكل. يقول: «كان صبرنا قصيراً - كان يجب أن لا نضيع الفرصة التاريخية، كنا كلما اقتربنا من حائط المبكى ازداد الانفعال.. حائط المبكى الذي يميز إسرائيل، لقد كنت أحلم دوماً بأن أكون شريكاً.. ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل، وإنما في العودة للقدس، وإعادة أرض حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية.. والآن عندما تحقق هذا الحلم، تعجبت: كيف أصبح هذا ملك يدي؟! وشعرت بأنني لن أصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي».

هذا هو رئيس الأركان الذي أصبح بعد ذلك رئيساً للوزراء في الحكومة العمالية «العلمانية»!!

□ أما الرئيس الإسرائيلي نفسه (زلمان شازار) فقد تقدم هو الآخر نحو الحائط في ذلك اليوم بخطى وثيدة وخلفه جموع يهودية صاخبة، ويصف المعلق الصحفي الفرنسي (جان نويل) هذا المشهد فيقول: «دخل «زلمان شازار» رئيس إسرائيل المدينة التي فُتحت، ووقف أمام حائط المبكى، ولأول مرة منذ عشرين قرناً يقف رئيس دولة عبرية مستقلة أمام معبد سليمان الكبير.. إن الإسرائيليين الملحدون أنفسهم تأثروا أيضاً بهذه المشاعر الدينية.. إن اليهود لن يُتزعزَعوا من

القدس دون أن تدمى قلوبهم»^(١) .

□ وقال ديّان وقتها: «لقد أعدنا توحيد المدينة المقدسة، وعدنا إلى أكثر أماكننا قداسة، ولن نغادرها أبداً»^(٢) .

□ وقال رابين في مؤتمر السلام في «الدار البيضاء»، وفي ضيافة الدولة المضيفة للجنة القدس!! قال: «إن القدس الكبرى الموحدة، ستظل عاصمة لإسرائيل لأبد الأبد»^(٣) .

□ أما نتنياهو فقد وقف أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي في أول زيارة له بعد فوزه في الانتخابات عام ١٩٩٦م وجهر بعبارة محددة ورددها ثلاث مرات، وكأنه يردد قسماً، قال:

أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.. أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.. أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.

ومع تعالي نبرات صوته كلما كرّر العبارة، كانت تتعالى أصوات التصفيق الحاد، لتغطي على صوت الميكروفونات، حتى دوت القاعة كلها بتصفيق متواصل، وازداد حماساً بعدما وقف جميع أعضاء الكونجرس الأمريكي لتحيته!

□ أما (يهودا البرق) أو يهود باراك فكان أول تصريح له بعد فوزه أن أعلن تمسكه بالقدس عاصمة موحدة وأبدية للشعب اليهودي.

(١) «الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني ص(٣٦).

(٢) «الخلفية التوراتية» ص(٣٥).

(٣) صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية ١٢/١١/١٩٩٤م.

إن العبارة التي قالها بن جوريون وكان يرددها بعده مناحم بيجن: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل» هذه العبارة تتناسب منطقياً مع النظرة الدينية اليهودية للقضية، وتدل على أنهم يعُون ويعنون ما يقولون، وإلا فماذا تصنع اليهود بدولة يعقوب (إسرائيل) بدون مدينة (داود)؟ وماذا يستفيدون من مدينة داود، دون معبد (سليمان) الذي ترتبط به صلواتهم وحجهم ومجمل ديانتهم (المسوخة)؟^(١).

* إسرائيل دولة دينية حتى النخاع:

إن إسرائيل دولة دينية حتى النخاع: من اسمها، وعلمها، وشعارها، وعملتها، ومؤسستها، وعاصمتها، وحدودها.. تناصب المسلمين أشد العدا من أجل دينهم.. ومن يظن غير هذا من أقزام العلمانية فهو عريض القفا، غافل، خائن لدينه.

□ يقول بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل الأسبق: «وجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وإن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل، بعد إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي»^(٢).

□ ويقول حاييم وايزمان: «ها نحن يهود فقط، ولا شيء آخر، شعب داخل شعوب»^(٣).

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠ ص (١٢٣، ١٢٤).

(٢) «العرب واليهود في التاريخ» للدكتور أحمد سوسة ص (٣٧١).

(٣) «اليهود» لزهدى الفاتح ص (١٢٠).

□ ويقول أدولف كيرمر اليهودي: «جنسيتنا هي دين آبائنا، ونحن لا نعرف بأية قومية أو جنسية أخرى»^(١).

المجتمع اليهودي اليوم في الأرض المحتلة يتألف من المهاجرين من ١٠٢ دولة مختلفة، يتكلمون ٧٠ لغة مختلفة، من شتات الأرض، جمعهم العقيدة الواحدة، رغم اختلاف اللغات والألوان والقوميات والعناصر والأوطان والأفكار!

إنه الدين اليهودي القلب النابض في عرق كل يهودي، والعداء للإسلام، ويقول دفيد بن جوربون: «نحن لا نخشى خطراً في المنطقة سوى الإسلام».

أما شيمون بيريز - الذي يمثل الحمايم في الأحزاب اليهودية - فقد قالها بصراحة: «إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد»^(٢).

□ وبدخول الألفية الثالثة تقترب دورة الزمان في التاريخ اليهودي من الانتهاء، لتبدأ دورة جديدة، دورة زمان (ملك السلام) الذي يعتقد اليهود أنه سيقضي على كل أعداء إسرائيل، وفي رأيهم أنه لا بد من تهيئة عالم الشهادة لقدمه من عالم الغيب.. لا بد من إقامة دولته، وتوحيد عاصمته، وتجهيز منبر دعوته وموضع قبلته!

أما الدولة فقد أقاموها.. (إسرائيل)، وأما العاصمة فقد وحدوها

(١) «اليهود» ص (١٠٦).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى ص (٣١).

(القدس)، وأما منبر الدعوة وموضع القبلة «الهيكل» فهو مهمة الوقت، وضرورة العصر في الفصل الأخير من الزمن السابق لعهد المخلص المنتظر كما يدعون. وإسرائيل دولة وشعباً جادة لتنفيذ المؤامرة الكبرى عن طريق:

أولاً: الحفريات تحت المسجد الأقصى:

وقد قطعت الحكومة الإسرائيلية فيها عشر مراحل، وهذه المراحل العشر استغرقت المدة منذ عام ١٩٦٧م وحتى نهاية ١٩٨٠م ولا تزال أعمال الحفريات تجري بطرق أخرى إلى وقتنا هذا.

وهي تستهدف الوصول إلى غاية من أخبث الغايات التآمرية على المسجد الأقصى، ولا تستطيع المنظمات اليهودية كلها أن تقوم بها وهي: تفريغ الأرض تحت المسجدين، لتركهما قائمين على فراغ ليكونا عرضة للانهيأر بعد ذلك.

ثانياً: شق الأنفاق:

وهي عمليات تشترك مع عمليات الحفريات في أنها تهدد أساسات المسجد الأقصى في المرحلة الحالية، وتسهل أو تكمل مشروع بناء الهيكل في المراحل التالية، وقد تم الافتتاح الرسمي لنفق (الحشمونائيم) في سبتمبر عام ١٩٩٦م وتبنت الدولة العبرية هذه الأعمال. وهناك أنفاق أخرى يجري الإعداد لها والعمل فيها، والهدف منها أن يأتي وقت تكتمل فيه ممرات وشوارع تحت ساحات الأقصى تسهل التنقل تحته في المراحل القادمة.

وإسرائيل بهذا تلقي برسالة مفادها أن اليهود أصبحوا شركاء في ساحات الأقصى؛ فالأنفاق تجري من تحتها، وبداخلها مساحات تصلح

لأن تكون كنيساً مؤقتاً، يقيم فيه الراغبون من اليهود صلواتهم في «الدور الأسفل» ريثما يتاح الانتقال إلى الأدوار العليا.

ثالثاً: السور العازل بين المسلمين واليهود :

قبل اغتيال إسحاق رايبن بعام، طرح مشروعاً لبناء سور ضخيم يمتد بطول ٣٦٠ كيلو متراً، وارتفاع ثلاثة أمتار، وقد هندس للمشروع (موشيه شاحك) وزير الشرطة الإسرائيلي، ووافق عليه بيريز، وبدأ تنفيذ المشروع عام ١٩٩٦م.

ولم تقصّر الولايات المتحدة - حكومة وشعباً - في دعم المشروع المريب، بل إنها تعهدت بأن يتم تنفيذه كاملاً بتمويل أمريكي خالص، وقد أقرّت له ميزانية منذ عام ١٩٩٣م، وقدمت كليتون القسط الأول (مائة مليون دولار) في زيارته لإسرائيل عام ١٩٩٦م، ومولّت واشنطن أيضاً عمليات تزويد السور بـ (١٨ معبراً) وطائرات استطلاع بدون طيار تحلق على مدار الليل والنهار فوق السور، وأجهزة لضبط المتسللين وكشف المتفجرات، وتقرر تزويد السور ببوابات إلكترونية حديثة تمنع تسرب أي آلة معدنية، وأعلن في الولايات المتحدة عن إرسال معدات تُركّب في الحيز العرضي للسور مع بالونات عسكرية بها أجهزة رصد تصويرية للحركة على امتداد السور، وسيزود الأمريكان إسرائيل أيضاً بـ (٢٠٦) طائرة هليكوبتر من النوع الخفيف لمزيد من المراقبة على الساحات المحيطة بالسور، وسيؤدى السور - الذي سيحوّل المناطق الفلسطينية إلى معتقل كبير - إلى حرمان المسلمين في الأرض المحتلة من مجرد التمتع بالنظر إلى أرض المقدسات من وراء الأفق، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال في الحديث الذي مرّ بك: «... وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن

فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً».

واسمعوا إلى هذه الأسطورة التي تتحول أمامنا إلى واقع: جاء في كتاب «القابلاه» في شرح التوراة: «توصف القدس بـ(الشخيناه) يعني: الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات؛ حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعلو جدرانها؛ حتى يعود التوازن إلى العالم»^(١).

إذن، تحصين القدس وتحويلها إلى قرية محصنة والاستتار خلف أسوارها مناسب لطبيعة اليهود كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤].

لـوأمر آخر هو تسكين اليهود المتدينين لمدينة القدس يسير وفق نسق ديني، يرسم معالمه المتشددون من حاخامات وكهنة وطلاب علوم دينية.

* الاستعداد لبناء الهيكل:

جمع الأحجار أولاً:

وقع اختيار إحدى الجماعات الدينية على حجر كبير «مقدس»!! يزن ٥,٣ طن، فقاموا في ١٥/١٠/١٩٨٩ بوضعه حجر أساس للهيكل الثالث بالقرب من مدخل المسجد الأقصى، وقال وقتها (جرشون سلمون) زعيم جماعة (أمناء الهيكل): «إن وضع حجر أساس الهيكل يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة - نريد أن نبدأ عهداً جديداً من الخلاص للشعب اليهودي».

وأصبح جمع الأحجار المقدسة من صحراء النقب وغيرها عملاً

(١) الموسوعة اليهودية والصهيونية» للدكتور عبد الوهاب المسيري (١٢٥/٤).

تعبدياً للكثير من المعنيين بالتعجيل ببناء الهيكل .

ويقدر عدد الحجارة بستة ملايين حجر «توراتي»، أعدت عائلة (ليفى) اليهودية الثرية التي تملك كسارات حديثة جداً في جنوب الأرض المحتلة - كميات ضخمة من الحجارة التي لم تلمسها يد إنسان، أو أزميل عامل، حسب وصف التوراة^(١) - على زعمهم - .

وانظر إلى هوسهم حين يقول أحد زعماء اليهود المتطرفين: «عندما ألمس هذه الحجارة وأحملها، أشعر بأن شيئاً من الجنة يتحرك فيها» .

□ نبّه تقرير أذاعته وكالة الأنباء الفرنسية في أوائل أغسطس سنة ١٩٩٧م أنه لم يعد سراً أن الهيكل تم تصميمه الهندسي في الولايات المتحدة الأمريكية، على يد مستشارين هندسيين من يهود أمريكا .

وذكر التقرير أيضاً أن هذا التصميم وُضع تحت تصرف الحكومة الإسرائيلية الآن، وتم إعداد فريق متكامل من عمال البناء سيظلون تحت رهن الإشارة للعمل عندما يحين الوقت^(٢) .

* وماذا بعد الحجارة :

أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية في تقريرها في شهر أغسطس عام ١٩٩٧م أن الاستعدادات تجري لتجديد وإحياء التقاليد والطقوس التي ستمارس في الهيكل، بما فيها من مذابح للحيوانات التي ستقدم ضمن الشعائر اليهودية، وذكرت أن الحاخامات ينشطون الآن في تخريج أجيال تقوم على رعاية تلك الطقوس في (معهد الهيكل) بالقدس .

(١) نقلاً عن «الخليج» ١١/٦/١٩٩٧م .

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (٨٨، ٨٩)، نقلاً عن (الشرق القطرية ١٩/٨/١٩٩٧م) .

□ يقول اليهودي الفرنسي «إيمانويل هيمان» في كتابه «الأصولية اليهودية»: «توجد في القدس أكاديمية تلمودية تؤهل طلبتها لمهمة خاصة، هي إعداد الكهنة الذين سيقومون بالخدمة في الهيكل الكبير عند إعادة بنائه، وللاستعداد لهذه الأيام المجيدة، يعكف الحاخامات على دراسة نصوص التوراة لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الإلهية كما كانت تمارس في مملكة (إسرائيل) منذ ثلاثة آلاف عام، وبكل الصبر والعناء، يعيدون صياغة أدوات العبادة، ويجمعون الأواني النحاسية لتلقي دماء الذبائح وكئوس حفظ السوائل المقدسة وأبواق النداء للطقوس، وعلى بعد خطوات من حائط المبكى، أقيم متحف صغير لعرض أدوات العبادة على هذه الجماهير المتلهفة، ويأمل الحاخام (مناحيم ماكوفر) الأمين على هذه المجموعة أن يقوم بنفسه يومًا بإخراج هذه الأدوات من دواليب العرض الزجاجية لينقلها إلى الهيكل بعد إعادة بنائه، ويقول: «على اليهود أن يقوموا ببناء الهيكل، فهي إحدى الوصايا الإلهية، ولا يجب أن ننتظر معجزة إلهية»^(١).

□ وتُعرض في إسرائيل في أماكن متفرقة عشرات من الأدوات الدينية التي سيحتاج إليها رؤاد الهيكل عندما يُبنى، مثل المعدات التي ستستخدم في معالجة الرماد بعد التضحية بالقرابين، والآنية والنبذ (المقدس) ومفروشات العبادة^(٢).



(١) «الأصولية اليهودية» ص (١٠١).

(٢) «السياسة الكويتية» ٣٠ / ١٠ / ١٩٩٧ م.

* الشمعدان السباعي المقدس :

حتى الشمعدان السباعي المقدس! تجري الآن بشأنه أشياء وأشياء، فهو أعظم رمز ديني عند اليهود، وهو يرمز لأيام الخليفة السبعة في التوراة، التي يعتقد اليهود أنهم سيتوجون اليوم السابع منها؛ ولهذا اتُخذ رمزاً رسمياً للدولة الإسرائيلية، فنراه منقوشاً على العملات، ومطبوعاً على الأوراق، ومبرزاً على واجهات المناير ومنصات المحافل، هذا الشمعدان يعتقد اليهود أن قداسة (قدس الأقداس) داخل الهيكل لا تكتمل إلا بإيقاده داخله، والآن يريدون تحويل ذلك الرمز الأسطوري الديني التاريخي - والسياسي أيضاً - إلى حقيقة واقعة.

والشمعدان السباعي، ليس واحداً فقط على ما يبدو، ولهذا جرت ولا تزال تجري المساعي للعثور على القديم (الذي يزن ٦٠ كيلو جراماً من الذهب)، وإنجاز مجموعة أخرى من الشمعدانات الجديدة!

فقد أدلى (باروخ بن يوسف) زعيم منظمة (بناة الهيكل) بتصريح لوكالة الأنباء الفرنسية في أغسطس ١٩٩٧م، قال فيه: «إن جماعته انتهت من صنع شمعدان ذهبي ضخّم تمّ صنعه في أمريكا، ونُقل بالفعل إلى إسرائيل، وقال: إن جماعته بدأت مع جماعات أخرى لإعداد حاخامات متمرسين في هذا الشأن؛ لإقامة الشعائر الدينية التي ستقام في الهيكل»^(١).

وبدأ المليونير المصري (موسى فرج) - الذي يقيم في أمريكا - عام ١٩٩٠م بمباركة شخصية من صديقه الشخصي نتنياهو - قبل أن يصبح

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» نقلاً عن «الخليج» ٩/٨/١٩٩٧م ص (٩٢).

رئيساً للوزراء - في العمل لإنجاز شمعدان ذهبي آخر في الولايات المتحدة، وقد انتهى من إنجازه كما أكد ذلك (إيهود ألبرت) عمدة بلدية القدس.

□ وانتهى كذلك من إنجاز عمل آخر هو (خيمة الاجتماع) أو (خيمة العهد) التي يعتقد اليهود بضرورة وضعها في الهيكل؛ لأنها ترمز إلى الخيمة التي اجتمع فيها موسى مع الملائكة - حسب معتقد اليهود - فوعده بمجد بني إسرائيل!

وهذه الخيمة الجديدة التي انتهى من إعدادها المليونير اليهودي، تم صنعها من خيوط الذهب الخالص، وقد أهداها بعد إتمامها إلى بنيامين نتنياهو، وذلك إضافة إلى الشمعدان الذهبي الذي خصص له المليونير مبلغ ١٥ مليون دولار أمريكي^(١).

* والتابوت :

والتابوت الذي يزعم اليهود أنهم سيحصلون عليه مرة أخرى، وسيكون معهم في معاركهم الفاصلة مع أعدائهم، فيكون النصر حليفهم!!

هذا التابوت كان موجوداً في الهيكل الأصلي داخل ما يُعرف بقدس الأقداس، وكان يضم قطعاً من ألواح التوراة وبقايا مما ترك آل موسى وآل هارون، وتابوت العهد هذا يقول عنه أحد علماء الآثار والتاريخ اليهودي: إنه موجود في مكان سري في شمال إثيوبيا قرب مدينة (أقسوم) العاصمة القديمة للحبشة أيام حكم بلقيس وسليمان.

(١) روزاليوسف ١٨/٨/١٩٩٧م.

ورأي آخر في أن هذا التابوت في مكان ما في الطبقات العميقة تحت (قدس الأقداس)، يعني: تحت الأرض المقام عليها الآن مسجد الصخرة، وهذا هو الرأي التقليدي الشائع.

ولهذا صدرت الفتاوى الحاخامية بحظر دخول اليهود إلى داخل أروقة المسجد خوفاً من أن تطأه الأقدام!!

* والمذبح المقدس :

وهو في الحقيقة من أهم ما يتعلّق بالطقوس داخل الهيكل، هذا المذبح قد أنجز بالفعل، فقد انتهت منظمة (حركة إعادة الهيكل) من بناء هذا المذبح في منطقة قريبة من البحر الميت، وقد أعد بطريقة تسمح بنقله في الوقت المناسب ليمثل مكانه في قلب مباني الهيكل.

وقد تمّ التحفظ عليه في مكان أمين بمحاذاة الحدود مع الأردن^(١).

* البقرة الحمراء العاشرة (ميلودي) :

حسب توراتهم المحرفة - وفي الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد - أن البقرة الحمراء ستأتي إشارة من الرب، تذبح هذه البقرة، وتحرق البقرة جلدها ولحمها ودمها مع فرثها، ويخلط دمها بالماء وتستخدم في تطهير الشعب اليهودي؛ ليصبح مهياً للدخول إلى الهيكل المقدس.

وعلى حسب تاريخ اليهود، جرت التضحية ببقرة واحدة في زمن الهيكل الأول، وثمانين بقرات في زمن الهيكل الثاني، واليوم يستعدون لمرحلة (الهيكل الثالث)، وزمان البقرة «العاشرة».

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (٩٨ - ١٠٠).

□ وتعهّد كاهن أمريكي يدعى (كلايدلوت) ينتمي إلى جماعة (حركة الهيكل الثالث) الإنجيلية الأصولية بأن يُوقف جهوده للعثور على بقرة بالمواصفات الدقيقة الواردة في العهد القديم، وجرت مقابلات بينه وبين الحاخام الإسرائيلي (حاييم ريتشمان) الذي يعمل في معهد (الهيكل المقدس)، واقتنع الكاهن بفكرة الحاخام في إنشاء مزرعة لإنتاج الأبقار من سلالة (ريد نفوس) الضاربة إلى الحمرة، وأنشأ الكاهن بالفعل تلك المزرعة في ولاية ميسيسيبي الأمريكية، وقد أنشأ هذا الكاهن فيما بعد فرعاً لمزرعته في مدينة حيفا تحسباً ليوم تولد فيه البقرة المنتظرة.

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٩٦م تم الإعلان عن ميلاد بقرة حمراء في مزرعة (كفار حسيديم) أطلقوا عليها اسم (ميلودي)، وذهب وفد من الحاخامات لمعاينة البقرة، وأعلنوا مطابقتها للمواصفات بعد أن باركوها. وأمروا بفرض حراسة مشددة حولها^(١).

* البقرة ونجاسة الشعب (المختار) :

من أعجب أمور اليهود، أنهم لا يزالون يؤمنون عن يقين بأنهم (شعب الله المختار) حتى تقوم الساعة!، والأعجب من ذلك أنهم يعتقدون بالقدر نفسه من اليقين بأنهم شعب (نجس) منذ عشرات القرون؛ لأنهم قارفوا نجاسات عديدة لا يمكن التطهر منها حسب شريعتهم إلا بدماء البقرة الحمراء ضمن طقوس لا تمارس إلى في الهيكل حسب ما جاء في سفر العدد الإصحاح ١٩.

جاء في الموسوعة الدينية اليهودية: «إن البقرة الحمراء يجب سحبها

(١) جريدة الأخبار المصرية ٢٥ إبريل ١٩٩٧، «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (١٠٥ - ١٠٧).

خارج القدس، وبعد ذبحها يجب حرقها بكاملها بعد إضافة خشب الأرز وأعشاب أخرى، ويشرف على هذه الطقوس حاخام أو كاهن، ويستخدم الرماد في التطهر وطرده الأرواح الشريرة التي يمكن أن تنتقل إلى اليهود من الموتى لومستوا جثمانهم.

مع العلم بأن ما يقرب من ٩٥٪ من الطقوس العبادية اليهودية التي تؤدي في الهيكل، يحول بين اليهود، وبين ممارستها ما يسمونه بـ(نجاسة الموتى)، بل إن بعض الحاخامات يتحدثون عن استحالة افتتاح الهيكل للعبادة بأيدي (أنجاس)، واستحالة تمكن هؤلاء من القيام بشؤونهم وطقوسه قبل تطهرهم برماد البقرة!! ولله في خلقه شؤون.

كيف إذن سينون وهم أنجاس!!!؟

□ أما عن التخطيط العملي للطهارة الجماعية، قال أحد الحاخامات الكبار: «سنحرق البقرة قبالة موقع الهيكل من جهة الشرق، وبالإمكان أن نضيف إليها بعض الأشجار، وبعد ذلك نخلط الرماد بعضه ببعض، ومن ثم يتم وضع الرماد في أنابيب، وتوزع في أرجاء البلاد!!».

* موعد ذبح البقرة:

حسب المفاهيم اليهودية لا بد أن تذبح البقرة بعد أن تتم ثلاث سنوات، وهناك اختلاف في الموعد الذي ولدت فيه، فالبعض داخل إسرائيل يقول إنها ولدت في شهر أغسطس عام ١٩٩٧م، وهناك من يقول: إنها ولدت في يناير من العام نفسه، وعلى هذا، فهي ستتم عامها الثالث إما في يناير من عام ٢٠٠٠م، أو في أغسطس من العام نفسه، وعلى هذا يكون العام ٢٠٠٠م عامًا مصيريًا في عمر البقرة وفي عمر اليهود!!!

وقد مر العام فسحاً وبعداً لعقول اليهود العفنة وأفكارهم ومعتقداتهم العفنة.

❖ أيها الغافلون :

اليهود الآن ليسوا من سلالة يعقوب - عليه السلام - بل يهود الشتات وحثالة العالم يجمعهم الدين فقط :

«بنو إسرائيل الذين هم من سلالة يعقوب فعلاً، والذين خرجوا من مصر انقرض أكثرهم بسبب المعارك والغزو الفرعوني، ثم الآشوري، ثم الآرامي والبابلي، ثم الإغريقي، ثم البطالسة المصريون، ثم الفينيقيون واليونانيون، ثم الرومان فهؤلاء شردوا في أقاصي الدنيا حتى كان من الأماكن التي فروا إليها من بطش الرومان المدينة المنورة، ثم خلت منهم فلسطين طيلة خمسة قرون حتى الحكم الإسلامي، فكانت خالية من هؤلاء اليهود، وحصل نوع من التبشير باليهودية في العصور الوسطى في شعوب لا تمت إلى بني إسرائيل بصلة ولا علاقة لهم أبداً بفلسطين؛ بجانب الذين رحلوا من اليهود تزوجوا بقوم آخرين؛ فلذلك تجد فيهم من ينجب الأشقر والأسود والأصفر ممن لا صلة له بالأصل الإسرائيلي؛ فاعتنقت بعض الأمم المتباعدة الديانة اليهودية في اليمن والحبشة وبلاد القوقاز وفي أواسط أوربا وفي بلاد المغرب، وتهود كثير من الجنود الآشوريين الذين أرسلوا إلى فلسطين.

وخلاصة الكلام أن أغلب اليهود (من بني إسرائيل) منقرضين الآن، فالأمر الذي ننبه عليه الآن: أنه لا يصح أن تُسمى دولة العصابات المغتصبة فلسطين باسم إسرائيل.

أولاً: لأن يعقوب - عليه السلام - بريء منهم .

وكذلك أنهم ليسوا بني إسرائيل الذين وُعدوا بذلك الوعد في التوراة، بل هؤلاء جنس آخر غير بني إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل انقرضوا، ولم يبق منهم أحد، وحلّ محلّهم يهود الشتات، وكذلك شهادة علم الوراثة تؤيد هذا أيضاً^(١) .

يقرر العلماء أن اليهود ما هم إلا أجناس شتى، يجمع بينهم تعصب ديني «غير أن الحقائق الأنثروبولوجية لا تكشف عن هذا فقط، بل تكشف - أيضاً - عن أن يهود العالم اليوم مختلطون في جملتهم اختلاطاً بُعد بهم عن أي أصول إسرائيلية فلسطينية قديمة .

ومن هنا فلا جناح علينا إذا نحن قرّرنا في النهاية أن اليهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل، وأن هؤلاء شيء، وأولئك شيء آخر أنثروبولوجيا، ولا رابط بين الطرفين سوى الدين والدين فقط»^(٢) .

□ يقول الدكتور جمال حمدان أيضاً في كتابه الرائع «المدينة العربية» عن خلق دولة إسرائيل: «ومعنى كل هذا ببساطة أن إسرائيل من وجهة وعلى أساس جغرافية المدن - ليست في الحقيقة إلا مدينة شيطانية تجمّعت فيها حثالة مدن العالم - أو حثالة البشر - والمدينة الإسرائيلية ليست إلا استقطاباً «لحارة اليهود» في العالم ابتداءً من «المللة» المغربية إلى «القاع» اليمني، ومن حارة اليهود «Judencgasse» الألمانية إلى «الجيتو» الإسرائيلية، وإسرائيل بهذا ليست في مجموعها إلا «دولة الجيتو»^(٣) .

(١) محاضرة «غزة - أريحا» للشيخ محمد إسماعيل المقدم .

(٢) انظر كتاب «اليهود أنثروبولوجيا» للدكتور جمال حمدان .

(٣) «المدينة العربية» للدكتور جمال حمدان .

أنجب المكر سليله

وَشَفَى الْغَدْرُ غَلِيلَهُ	أُنْجَبَ الْمَكْرُ سَلِيلَهُ
تَابَعًا كُلَّ مَخِيلَهُ	وَجَرَى الْمَغْرُورُ لَهْثًا
وَإِذَا الْجَائِلُ غُولُهُ ^(١)	فَإِذَا الْجَوْلَاتُ آلٌ
فِي الْمَتَاهَاتِ الطَّوِيلَةِ	تِلْكَ «إِجْرَاءَاتُ بَدءٍ»
لِلْمَسَارَاتِ الْمَهِيلَةِ	ذَآكَ إِعْلَانُ مَبَادٍ
الْمَعَانَاةِ الثَّقِيلَةِ	فَمَتَى نَدْخُلُ فِي صُلْبٍ
فِي ظِلِّ الْحَمِيلَةِ	وَمَتَى تُنْصَبُ سُوقُ الرِّقِّ
فِي أَنْفِ الْقَبِيلَةِ	وَمَتَى يَزْهُو خِطَامُ الذِّلِّ
بِأَحْلَامِ الْفُحُولَةِ	وَمَتَى تَعْبَثُ «اسْتِير»
صَحْرَاءُ الْبُطُولَةِ	وَمَتَى يَفْتَرِشُ الْغَرْقَدُ
وَيَسْتَأِقُ نَخِيلَهُ	وَيُغْطِي وَادِيَ الثَّأَرِ
قَبْلَ إِطْفَاءِ الْفَتِيلَةِ؟	أَلْهَاتٌ وَسُّعَارٌ
قَبْلَ إِجْهَاضِ الْفَسِيلَةِ؟	أَجُنُونٌ وَجُنُوحٌ
قَبْلَ إِخْمَادِ الْقَتِيلَةِ؟	أَصْرَاحٌ وَعَوِيلٌ
لَهُمَا مَلُيُونُ حِيلَةٍ	وَحُيَّيٌّ وَكُعَيْبٌ
يَبْغِي أَلْفَ جَوْلَةٍ	كُلُّ بَنْدٍ مِنْ شُرُوطِ الذِّلِّ
وَالْيَأْسَ الْقَتُولَةِ	هَذِهِ دَوَامَةُ الْإِحْبَاطِ

(١) تورية ظاهرها أنثى الغول، وحقيقتها غولة بنت كوهين زعيمة المطالبين ببناء الهيكل.

جَعَلُوا الذُّلَّ وَسَامًا
 جَرَّعُونَا الْكَاسَ مُرًّا
 أَلْبَسُونَا ثَوْبَ عَارٍ
 نَحْنُ فِي التَّارِيخِ نَسِيٌّ
 أَعْلَيْنَا وَحَدْنَا تَسْتَأْسِدُ
 أَعْلَيْنَا وَحَدْنَا تَسْتَكْبِرُ
 أَعْلَيْنَا وَحَدْنَا تَقْوَى
 يَا خَلِيجَ الذُّلِّ دَوْمًا
 فَادْفَعِ الْمَهْرَ كَثِيرًا
 وَاضْمَنْ الصُّلْحَ رَخَاءً
 وَأَسْقِهَا الْعَارَ فُرَاتًا
 وَاجْعَلِ الْأَقْصَى مُبَاحًا
 وَاجْعَلِ الْأَعْلَى تَبْنِي
 سَلَبْتَ عَكَا وَيَافَا
 يَخْجَلُ التَّارِيخُ مِنْ فِعْلٍ
 مَا عَلَى جَسَّاسٍ مَا
 مَا عَلَى «الْبَرَّاضِ» مَا
 الْحَوَاجَاتِ رَضُوا فَلْتَحْزَنْ
 وَإِذَا الْجَحْشُ تَخَلَّى

لِلتَّحْدِي وَالْبُطُولَةِ
 حَطَمُوا فِيْنَا الرُّجُولَةَ
 يَسْحَبُ الْحِزْيَ ذُيُولَهُ
 كُلَّمَا أَرَخَى سُدُولَهُ
 الْبُيُوتُ الذَّلِيلَةَ
 الْأَيْدِي الْهَزِيلَةَ
 الْقَرَارَاتِ الْعَلِيلَةَ
 تَدْفَعُ الْجِزْيَةَ دُولَهُ
 يَرْفُضُ «الرَّاعِي» قَلِيلَهُ
 لِلزَّعَامَاتِ الْعَمِيلَةَ
 يَشْرَبُ الْكَافِرُ نِيلَهُ
 لِلْعِصَابَاتِ الرَّذِيلَةَ
 غُورَهُ ثُمَّ جَلِيلَهُ
 وَتُقَاضِيهِ «خَلِيلَهُ»
 الزَّعَامَاتِ الْخَسِيلَةَ
 يُنْهَشُ مِنْ عَرْضِ الْجَلِيلَةِ
 يُنْهَبُ مِنْ سَرَحِ الْقَبِيلَةِ
 الدُّنْيَا الْكَلِيلَةَ
 أَرْكَضَ السَّائِسُ فِيْلَهُ^(١)

(١) الحمار والفيل الحزبان الحاكمان في أمريكا والسائس معروف.

وَتُخْتَالِ الحِتِيْلَهُ
 فِي القَوَارِيرِ الصَّقِيْلَهُ
 فَوْقَ هَامَاتِ الحَلِيْلَهُ
 أَهْلُ الفِدَى أَهْلُ البَطُوْلَهُ
 بِالدَّعْوَى الْأَصِيْلَهُ
 إِخْوَانُ الفَسِيْلَهُ
 عِنْدَ «أَصْحَابِ الفَضِيْلَهُ»!
 فِي التَّفَاسِيْرِ الطَّوِيْلَهُ!
 (بِغَسَمَا) تِلْكَ المَقْوْلَهُ!
 مِنْهُ «حِطَّيْنِ» الدَّخِيْلَهُ!
 ذِكْرُ «كَعْبِ» وَقَبِيْلَهُ
 فِي قُرَيْشٍ أَوْ بَجِيْلَهُ
 فَأَوْفُوا المِرَّةَ كِيْلَهُ!
 فَأَعْطُوا العَهْدَ قِيْلَهُ
 مَعَانِيَهَا ثَقِيْلَهُ!
 تَلَقَّ «لِلْإِسْرَاءِ» حِيْلَهُ
 وَلَا تَخْشِ المِثْيَلَهُ^(١)
 إِنَّكَ المَقْتُولُ غِيْلَهُ
 كُلُّ خَوَارِ الفَصِيْلَهُ

يَخْتُلُونُ الْأُمَّةَ العَقْرَى
 يَشْرَبُونَ النِّفْطَ حُرًّا
 وَالْحَنَازِيرُ تُغْنِي
 وَالْعَدُوَّ الصَّرْفُ هُمْ
 «الْأُصُولِيُّونَ» مَنْ يَدْعُونَ
 وَبَنُو صُهَيْيُونَ مُنْذُ الْآنَ
 غَيْرُ مَغْضُوبٍ عَلَيْهِمْ
 فَاحْذِفُوا مَا قِيلَ قُدَمًا
 وَاشْطَبُوا مَا قِيلَ فِيهِمْ
 عَدِّلِ التَّارِيخَ وَاحْذِفِ
 عَدِّلِ السِّيْرَةَ وَاحْذِفِ
 وَاجْعَلِ الكُفَّارَ حَصْرًا
 كُلُّ هَذَا شَرْطُ «شَامِيرِ»
 وَبِهَذَا عَقْدُ «مَدْرِيدِ»
 سُورَةُ الْأَحْزَابِ وَالْحَشْرِ
 فَاطْلُبِ التَّأْوِيلَ شَيْخًا
 أَوْ تَجَاوِزْهَا إِلَى الكَهْفِ
 آه يَا شَعْبَ المَآسِي
 كَبِّرِ اللَّهَ وَجَاهِدِ

أنت يُنبوع التَّحدي أنت بُركان البطولَه
 أنت منصُّور بدين عزّ من يَقْفُو سَبيلَه
 وبهذا الوَعْد حَقًّا أرسَل اللّهُ رُسُولَه



النصارى وما أدراك ما النصارى

في القرن السادس عشر ظهرت (الحركة البروتستانتينية) وغير هذا الانقلاب معالم النصرانية - الدائمة التغير - وجاء التغير لصالح اليهود، وكانت إطاحة البروتستانت بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس مفتاحاً للولوج إلى التفسيرات الحرفية للنصوص التوراتية فيما يتعلق باليهود، بل بدأت النصرانية تخترق بالمفاهيم اليهودية، وتختلط بها بعد أن ضم البروتستانت التوراة (العهد القديم) إلى جانب الإنجيل (العهد الجديد) مصدراً أولياً وحرفياً للتلقي، خلافاً لما كان عليه الأمر خلال خمسة عشر قرناً خلت من عمر الديانة.

ولم يأت القرن السابع عشر حتى ظهرت نظرة غربية جديدة لليهود - أعداء الأُمس - فقد دعا الحرفيون البروتستانت إلى ضرورة احتضان اليهود، والتمكين لهم في العودة إلى الأرض المقدسة على اعتبار أن مساعدتهم في ذلك سوف يعجل بمجيء المسيح عيسى ابن مريم إلى الأرض مرة أخرى؛ فالتفسيرات الحرفية للتوراة والإنجيل - بعيداً عن تأويلات الكنيسة - أظهرت لهم أن خلاصة اليهود سوف يدخلون في ديانة المسيح عندما يعود، وبقيتهم من غير المؤمنين به سوف يقتلون مع باقي أعداء المسيح، أما أتباع المسيح من النصارى ومن يلحق بديانتهم

فسوف يعيشون مع المسيح في القدس مدة ألف عام قبل يوم القيامة، كما جاء في سفر رؤيا يوحنا.

فالعودة حسب هذه العقيدة النصرانية ستكون في (أورشليم الجديدة)، وسوف تكون على رأس ألفية جديدة، وسوف تكون في زمان لليهود فيه وجود في الأرض التي سيعود إليها المسيح، فلا بد أولاً من عودة اليهود.. لكي يعود المسيح.

لقد ناطح النصارى الأمة الخاتمة في أرض بيت المقدس وما حوله منذ وقت مبكر من عمر الإسلام، بدءاً من غزوة مؤتة وتبوك في عصر الرسالة، ومروراً بعصر الخلفاء الراشدين في أجنادين واليرموك، والحروب الصليبية التي أثبتت أحداثها العظام أن القدس كانت هدفها الأول والأخير، وانتهاءً بدخول النبي في فلسطين وغرس علمه على جبل صهيون وحوله لفيف من قواته من عرب الحويطات، وهو يقول برطانة الأعاجم التي لا يفهمها الغفاة من حوله: «الآن انتهت الحروب الصليبية» وانتهاءً بما حدث من وقوف غورو أمام قبر صلاح الدين وركله له بقدمه، قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

وكانت الحروب الصليبية أكبر دليل على مركزية القدس في وجدان النصارى، فلأجل تلك المدينة خاضوا حروباً متواصلة تحت راية الصليب؛ لاستعادة القدس من أيدي أمة محمد ﷺ، وكان هذا الصدام من أكبر الحروب في التاريخ كله، إذ استهدف توحيد أوربا دينياً تحت زعامة البابوات، وتشكيل تحالف من كل عروش أوربا للوقوف في وجه المسلمين في عقر دارهم، وقد بدأت تلك الحروب في أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وما خبت آمالهم

في عودة القدس إليهم يوماً تعلقو مآذنها أصوات النواقيس .

* التاريخ خير شاهد :

توقفت الحروب الصليبية قرابة خمسة قرون؛ لتتجدد على يد الحملة الفرنسية أشد ضراوة وأخبط مكرًا ونكرًا. وبيان نابليون بونابرت إلى يهود العالم بالانضمام إلى حملته لانتزاع فلسطين خير شاهد .

* نداء نابليون قبل وعد بلفور :

إن هناك وثيقة تاريخية تنبه إلى أن أول إشارة للاستفادة من اليهود جاءت على شكل رسالة شخصية من «توماس كوريت» وهو من الشخصيات الأيرلندية اليهودية الرأسمالية إلى عضو حكومة الديركتوار - حكومة المديرين - «بول باراراس»، وفيها ينصح الفرنسيين المتطلعين إلى استعمار الشرق للعمل على خلق جسر لهم في فلسطين، وجعلها وطنًا قوميًا لليهود، وقد نصّت هذه الرسالة على ما يلي: «وإنهم^(١) يقدمون لكم عنصرًا استعماريًا ثابت الأركان، وقد يكون ضروريًا لكي يقوم في آسيا مقام الإمبراطورية الآخذة في الانحلال، إمبراطورية العثمانيين، ويقدم لكم أهم الضمانات لبث الفوضى وإشعال الفتن وإحلال الأزمات للقضاء على الأتراك جملة واحدة، ولعلّ الأتراك عندئذ يخفّفون قليلًا من تعصبهم» .

ولقيت هذه الرسالة الخطيرة التي جاءت عبر المانش الاهتمام البالغ من قبل عضو الحكومة الفرنسية «بول باراراس» فعقد نابليون أثناء تجهيزه لحملة الصليبية اجتماعًا سرّيًا مع الشخصيات السياسية اليهودية، وفي أعقاب هذا الاجتماع صدر في فرنسا بيان موجه إلى يهود العالم بأن:

(١) أي: اليهود.

«البلاد التي ننوي قبولها بالاتفاق مع فرنسا هي: إقليم الوجه البحري من مصر، مع حفظ منطقة واسعة المدى تمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر».

كانت هناك مساومة مكشوفة بين نابليون واليهود، وصدر البيان التاريخي الذي وجهه «نابليون بوناپرت» أثناء قيامه بحملته الصليبية على مصر والمشرق العربي، وقد نشر هذا البيان في الجريدة الرسمية الفرنسية بتاريخ ٢٠ من نيسان/ إبريل ١٧٩٩، وكان تاريخ صدوره عن «نابليون» بتاريخ ٤ من إبريل ١٧٩٩، وكان وقتئذ يحاصر عكا التي انهزم أمامها.

جاء في البيان

«إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت رائدي العدل، وكفلتني بالظفر، وجعلت من القدس مقري العام وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي لا يضيرها جوارها بلد داود «يا ورثة فلسطين الشرعيين»: «إن الأمة العظيمة التي لا تتجر بالرجال كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم للشعوب تناديكم الآن؛ لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب، وليس بغية لاسترجاع ما فقد منكم، بل لأجل ضمان ومؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم؛ لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين».

«انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئاً بسبيل تثييط همّة أبناء هؤلاء الأبطال التي كانت محالفة إخوانهم تشرف أسبارطة وروما»^(١).

(١) من مقال «صك المؤامرة - وعد بلفور النابليوني» ص (٧١ - ٧٣) لأحمد صبري الدبش - مجلة القدس العدد ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠ شعبان ١٤٢١.

□ نسمع كثيراً أن الذي بدأ الدعوة لعودة اليهود إلى بيت المقدس، هو هرتزل مؤسس الدولة اليهودية، وهذا خطأ كبير.

«والحقيقة غير ذلك، إذ إن أول من بدأ الدعوة لتجميع اليهود، ولتطبيق نبوءات التوراة هم النصارى قبل اليهود، وقبل الحركة الصهيونية بأكثر من أربعة قرون. . وإن لم نع هذه الحقيقة جيداً، فإننا لن نستطيع معرفة مواقف الغرب عامة، وأمريكا خاصة من الصراع الذي نعيشه الآن»^(١).

□ قال «كينين» أحد أبرز قيادات اليهود في أمريكا في كتابه «خط الدفاع الإسرائيلي»: «إسرائيل كانت أنشودة مسيحية، قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية». فالبروتستانت النصارى هم الذين أقاموا الحركة الصهيونية، وشجعوا اليهود للالتفاف حولها، وحتى عندما تردد (هرتزل) في اختيار فلسطين وطناً تبدأ منه الدولة اليهودية، أرسل إليه المبشر النصراني البروتستانتي (وليم بلاكستون) نسخة من التوراة موضح عليها المواضع التي تشير إلى أن اليهود سيعودون في آخر الزمان إلى الأرض المقدسة فاقنع هرتزل.

ولهذا احتفظ اليهود بتلك النسخة من التوراة، ووضعوها إلى جوار ضريح هرتزل في القدس^(٢).

لقد كان «بلاكستون» الذي تحتفل الدولة اليهودية بذكراه، بروتستانتيًا ولد عام ١٨٤١، وهو من رواد فكرة الصهيونية النصرانية ودعا إلى الحركة الصهيونية قبل هرتزل بزمان، وذلك في كتابه المسمى «عيسى قادم»، وقد تُرجم إلى أكثر من ٤٨ لغة منها العبرية، وطبع عدة

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» للدكتور سفر الحوالي مكتبة السنة ص(٤١).

(٢) انظر: «النبوءة والسياسة» تأليف جريس هالسيل - ترجمة محمد السمّاك ص(٩).

طبغات وبيع منه أكثر من مليون نسخة، وكان أوسع الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر في الغرب.

ويتلخص فكر بلاكستون فيما أسماه (الاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي) واستطاع بلاكستون بعد ذلك أن يصوغ مع طائفة من أعوانه عريضة ويوقعها مع أكثر من ٤١٣ شخصية أمريكية من النواب والقضاة والمحامين والنخب ويرفعوها إلى الرئيس بنيامين هريسون يطالبونه فيها باستخدام نفوذه ومساعدته لتحقيق مطلب الإسرائيليين بالعودة إلى أرض فلسطين، وقد قدمت هذه العريضة عام ١٨٩١ م.

وفي بريطانيا أسس البروتستانت صندوقاً سمي (صندوق اكتشاف فلسطين) أيام حكم فكتوريا، وكان رئيس الصندوق وهو رئيس أساقفة كنتربري وهو أكبر الأساقفة في بريطانيا. وذلك بغرض اكتشاف أرض الميعاد، وحدودها ومعالمها كما وردت في التوراة^(١).

وعندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م كان من أبرز المشاركين فيه القس البروتستانتي (وليام هشر)، وقد دخل إلى قاعة المؤتمر بصحبة هرتزل، وهتف بحياته قائلاً: «يحيا الملك يحيا الملك!» وعندما جاء دوره في إلقاء كلمته خاطب الصهاينة المجتمعين قائلاً: «استفيقوا يا أبناء إسرائيل، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم في الأرض المقدسة».

* بريطانيا البروتستانتية:

ماذا تقول عن دولة لا تزال تحمل الصليب في علمها الرسمي.

(١) «القدس بين الوعد الحق... والوعد المفترى» ص (٤٥).

من دراسة تاريخ التآمر البريطاني على فلسطين، فالأمر قديم قبل وعد بلفور بعشرات السنين وبالتحديد من عام ١٨٣٨. عندما فتحت بريطانيا قنصليتها في مدينة «القدس».

وظهرت العديد من المشاريع الاستيطانية الرامية إلى إقامة دولة إسرائيل قبل وعد بلفور، منها:

□ مشروع الكولونيل «تشرشل» الذي أعدّه، وأرسله إلى السيد «موزرمونتنيوري» - الممثل الرسمي للطائفة اليهودية في إنجلترا عام ١٨٤١ - وأكد خلاله على ملاءمة الوقت لوجود عنصري جديد يهودي يقحم في المسألة الشرقية، والجدير بالذكر أن هذا المشروع يعتبر سابقة مميزة وواضحة للمشروع الذي أعدّه «هيرتزل» بعد ذلك بـ ٥٥ عامًا في كتابه «الدولة اليهودية».

□ مشروع ج جومر - الحاكم البريطاني لإستراليا - حيث دعا في كتابه «استقرار سوريا والشرق» عام ١٨٤٥ إلى ضرورة العمل من أجل استعمار تدريجي لفلسطين بواسطة مستعمرات يهودية.

□ مشروع أ. متفورد وهو الموظف في الخدمة الاستعمارية البريطانية، حيث دعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين تحميها بريطانيا، وتعمل وصية عليها إلى أن تستطيع الوقوف كدولة مستقلة ذات سيادة.

□ مشروع لورانس لوليفانت، وهو المشروع الذي أطلق عليه «مشروع أوليفانت الشرقي» حيث تضمن كتابه «أرض جلعاد ورحلات في لبنان» الصادر في ١٨٨٠ إقحام كيان استعماري يهودي في فلسطين مدعوم برأس مال غربي^(١).

(١) من مقال «الصهيونية وإعادة تسويق الذات» لمحمد مصطفى ص (٧٦) العدد (٢٣) نوفمبر ٢٠٠٠م من مجلة «القدس».

□ يقول (باترسون سميث) في كتابه «حياة المسيح الشعبية»:

«باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك، حينما بعثت إنكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة. إن حملة اللنبي على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة»^(١).

□ ولذلك نشرت الصحف البريطانية صور اللنبي، وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»^(٢).

ونشرت هذه الصحف خبراً آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف اللنبي وحده بل موقف السياسة الإنكليزية كلها.

قالت الصحف: هنا لويد جورج وزير الخارجية البريطاني الجنرال اللنبي في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سماها لويد جورج: «الحرب الصليبية الثامنة»^(٣).

✽ وعد بلفور:

ثم جاء بلفور الإنجلي المتعصب البروتستانتي القذر صاحب الوعد المشهور:

□ تقول مؤلفة حياته وهي ابنة أخته:

«إنه كان يؤمن إيماناً عميقاً بالتوراة ويقرأها ويصدق بها حرفياً. وأنه

(١) «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أيدوا أهله» لجلال العالم ص (٣٣) - مكتبة ابن تيمية

نقلاً عن مجلة الطليعة القاهرية - مقال وليم سليمان - عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ ص (٨٤).

(٢) وكان من حوله بضع مئات من عرب الحويطات، ولم يفقهوا ما يرطنه ذلك الضابط الإنكليزي بلكنته الأجنبية انظر «صحوة الرجل المريض» ص (٢٧٦).

(٣) «قادة الغرب يقولون» ص (٣٣ - ٣٤).

نتيجة لإيمانه بالتوراة أصدر هذا الوعد^(١).

□ تقول أخت بلفور عنه: «لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظافره بدراسة التوراة في الكنائس، وكلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائماً يتحدث باهتمام عن ذلك، وما زلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة بأن الدين النصراني والحضارة النصرانية مدينة بالشيء الكثير لليهودية.

□ قال بلفور في المذكرة التي وضعها بنفسه في ١١ أغسطس (آب) ١٩١٩ لبحث المادة الثانية والعشرين من صك الانتداب «الدول الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على صواب أو على خطأ، صالحة أو باطلة، فإنها ذات جذور عميقة في تقاليد العصر، واحتياجاته ومستقبله، على نحو أعمق بكثير»، وقد نشرت المذكرة في وثائق الخارجية البريطانية لعام ١٩٣٩ م.

وكان بلفور يردد بفخر قائلاً: «أنا صهيوني أكثر من أي صهيوني آخر». وقد قال (وايزمان) عنه في مذكراته: «أتظنون أن (بلفور) كان يحابينا عندما منحنا الوعد؟! كلا، إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم».

جاء في دائرة المعارف البريطانية: «إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقى حياً في الأذهان بفعل النصارى المتدينين وعلى الأخص بريطانيا التي كان اهتمامها أكثر من اهتمام اليهود أنفسهم» - وقال وايزمان في مذكراته: «إن من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود بوعد بلفور هو

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٤٥).

شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة وتغنيه بالشوق الكبير لأرض الميعاد»^(١).

وهذا نص وعد بلفور ١٩١٧:

عزيزي اللورد روتشلد..

يسرني سروراً عظيماً أن أبلغك باسم حكومة صاحب الجلالة التصريح الآتي بإبداء العطف على الأماني الصهيونية، وقد عرض على مجلس الوزراء ووافق عليه تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي بفلسطين، وستتخذ أحسن التدابير تسهياً لهذا الغرض، ومن المفهوم جلياً أنه لن يعمل شيء من شأنه الإضرار بالحقوق المدنية والسياسية للطوائف غير اليهودية المقيمة بفلسطين، أو بالحقوق والأنظمة السياسية التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر، وسأكون شاكراً إذا أنبأتم الاتحاد الصهيوني بهذا التصريح.

المخلص آرثور جيمس بلفور

□ وكان رئيس وزراء بريطانيا في أيامه هو (لويد جورج) الذي يقول عن نفسه: «إنه صهيوني وإنه يؤمن بما جاء في التوراة من ضرورة عودة اليهود، وأن عودة اليهود مقدمة لعودة المسيح».

وقد سبق هذا الوعد البريطاني، مفاوضات في لندن بين زعماء اليهود والحكومة البريطانية في ٧ فبراير ١٩١٧ (١٣٣٦هـ)، وأعقبته مفاوضات بين اليهود وبريطانيا والحكومة الفرنسية والإيطالية؛ بشأن إصدار وعد لليهود بإنشاء وطن لهم في فلسطين، وتمت الموافقة رسمياً

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤١، ١٤٢، ١٤٣).

على الوعد في لندن وباريس وروما، وأرجيء نشر هذه الموافقة حتى أواخر أكتوبر سنة ١٩١٧م، وكان نص التصريح قد عُرض قبل إصداره على الرئيس الأمريكي ولسون ووافق عليه^(١).

ويعترف وايزمان في مذكراته أنه هو الذي كتب بيده هذه الوثيقة بناء على طلب: اللورد بلفور^(٢) الذي هو أشد صهيونية من الصهاينة أنفسهم. ويذكر وايزمان في مذكراته بأننا انتدبنا الإنجليز لحكم فلسطين واستعنا بعصبة الأمم، فنحن الذين سلّمنا فلسطين للإنجليز مؤقتاً، وليس الإنجليز هم الذين وهبوا لنا بعد ذلك^(٣).

كما صرّح وايزمان أن بريطانيا احتضنت الحركة الصهيونية منذ نشأتها، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود في سنة ١٩٣٤، ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين لتّم إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور^(٤).

وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير هيرت صموئيل اليهودي باقتراح من وايزمان^(٥) ليكون أول مندوب سام لها في فلسطين، وكان المؤتمر الصهيوني الذي عُقد في (بازل) بسويسرا برئاسة مؤسس الصهيونية هرتزل قد اقترح عدة مواطن لتكون فيها الدولة اليهودية منها:

١ - أوغندا.

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» للدكتور جمال عبد الهادي (٤٨/٢) - دار الوفاء.

(٢) «مذكرات وايزمان» ص(٢٧).

(٣) «مذكرات وايزمان» ص(١٨، ٢١، ٢٤).

(٤، ٥) «مذكرات وايزمان» ص(٢٥)، وانظر: «عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفتيدها»

لعابد الهاشمي ص(٢١٦).

٢ - الأرجنتين .

٣ - مدغشقر .

٤ - فلسطين أرض الميعاد .

ولما ذكرت فلسطين في المؤتمر، قال هرتزل كلمته المشهورة: «اليوم أنشأنا الدولة اليهودية»^(١) .

قال اليهودي حاييم وايزمان في مذكراته:

«إذا سألت سائل: ما أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود، وشدة عطفهم على أمانتي اليهود؟ فالجواب على ذلك أن الإنجليز هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتدّين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليز المتدينين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب إعادة اليهود إلى فلسطين، وقد قدّمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات»^(٢) .

وبعد سقوط القدس عام ١٩٦٧:

قال راندولف تشرشل:

«لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقلّ عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود»^(٣) .

(١) «بيت المقدس» لشُرّاب ص (٤٦٠).

(٢) «مقارنة الأديان» للدكتور أحمد شلبي ص (١٠٦).

(٣) «حرب الأيام الستة» لRANDOLPH T. T. - الترجمة العربية ص (١٢٩).

✽ لورانس العرب على خطأ هرتزل :

هذا الصليبي ملك العرب غير المتوج وصانع ملوك العرب، هذا الذي أغرى العرب بالخروج على الخلافة العثمانية يقول: «إنني جدّ فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي؛ لأن دم إنجليزي واحد أحبّ إليّ من جميع الشعوب التي نحكمها، ولم تكلفنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار».

يقول هذا الصليبي: «إنني أؤيد الصهيونية، إنني أعتبر اليهود النقلة الطبيعية للخميرة الغربية الضرورية جداً لدول الشرق الأدنى»، وتأكيده مرة ثانية:

«إنني أؤيد الصهيونية، وإن اليهود لا بد أنهم سوف يحولون فلسطين إلى دولة منظمة جداً، كأنها دولة أوربية باستخدام مهارتهم ورأس مالهم».

□ وعن وعد بلفور قال:

«إن المشروع يعطي العرب أكثر مما هو يتمنى أن يحصل لهم عليه»، بينما وصل اندفاعه الصهيوني إلى حد مخاطبة مطران القدس بقوله عن (وايزمان): «إنه رجل عظيم لا تستحق أنت ولا أنا أن نسمح حذاءه»^(١).

□ في بريطانيا أسس البروتستانت صندوقاً سُمّي (صندوق اكتشاف فلسطين) أيام حكم فكتوريا، وكان رئيس الصندوق هو رئيس أساقفة كنتربري وهو أكبر الأساقفة في بريطانيا، وذلك بغرض اكتشاف أرض الميعاد، وحدودها ومعالمها كما وردت في التوراة.

(١) «صحوة الرجل المريض» لموفق بني المرجة ص(٢٩٥).

✽ وفرنسا صليبية :

□ قال (بيرموروا) رئيس وزراء فرنسا الأسبق في حفل أقامته مجلة المنبر اليهودية الناطقة بلسان الطائفة اليهودية في فرنسا: «يوجد تشابه كبير بين الرسالة التوراتية التي نحملها معاً، والتي تشكل قاعدة كل ثقافة غربية وبين الأهداف التي نسعى إليها»^(١).

مثلاً قال مسيوبيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش فأجابهم: «إنها معركة بين الهلال والصليب»^(٢).

✽ والألمان على خطى الإنجليز :

□ قال «أكرم زعيتر» في مذكراته سنة ١٩٣٦ م ص (٢٤٤): «ومن الأسرار التي كشفها وايزمان أن الحكومة الألمانية أسفت جداً لاختطاف الإنجليز منها خطوة (وعد بلفور)، وقد حاول الألمان أن يفهموا ممثلي اليهود في ألمانيا أنهم كانوا سيخطون هذه الخطوة، ولكنهم تمهلوا لارتباطهم بتركية»^(٣).

✽ والروس أيضاً فالكفر ملة واحدة :

قبل وعد بلفور بأسبوعين كان وعد لينين لليهود، ففي أكتوبر صدر وعد لينين لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وبعدها في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور، ولقد كان موقف الاتحاد السوفيتي

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤٣).

(٢) «مأساة مراكش» لروم رولاند ص (٣١).

(٣) «بيت المقدس» لشُرَّاب ص (٤٦٠).

معبراً أصدق التعبير على أن الكفر ملة واحدة، وعداوة الكافرين لهذا الدين لا يختلف فيها اثنان، فلقد اعترف الاتحاد السوفيتي بإسرائيل بعد دقائق من اعتراف أمريكا بها، وصرّح ممثلها في الأمم المتحدة (أندريه غروميكو): «أصيبت الأمة اليهودية بنكبات وآلام، يعجز عن وصفها اللسان، لذلك فإننا نسأل الأمم المتحدة باسم الشعب اليهودي المشرد أن نراعي آماله ونحققها، فنوجد له وطناً ونقرّر له حقوقاً، ومن المستنكر أن نمنع عن الأمة اليهودية هذا الحق»^(١).

❑ وصرّح الكنيسي كوسيغن اليهودي - رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي نصّاً: «إننا لا نحبذ تصفية إسرائيل. وقد كنا أول خالقها، ومازلنا نؤمن أنها يجب أن تبقى».

ولقد كانت روسيا المصدر الرئيسي لهجرة اليهود، فقد قالت جولدا مائير رئيس وزراء العدو: «لقد قلت لكم دائماً إن عودة اليهود الروس إلى أرض الميعاد أمر لا ريب فيه». ولقد كانت الصلة عريقة بين لينين، ومؤسس الدولة الصهيونية حايم وايزمان.

وفي عام واحد وفي شهر واحد حصلت الصهيونية على وعد بلفور وقامت الثورة الشيوعية في روسيا.

وقبلها في عام ١٩١٦ تم اجتماع بين لينين وحايم وايزمان في

(١) المحاضر الرسمية لمناقشات الأمم المتحدة المجلد الأول - نقلاً عن «عقيدة اليهود في غمك فلسطين» ص(٢٢٢).

(٢) مجلة لايف الأمريكية ٣١/١/١٩٦٨.

سويسرا، واتفقا على ضرورة فتح أبواب الهجرة إلى فلسطين من العالم أجمع، وإقامة دولة اشتراكية في فلسطين لتكون قاعدة رئيسية لتتطلق منها الحركة الماركسية إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط.

وقال لينين لـوايزمان: «إن تحرير اليهود من سيطرة ملوك أوروبا وحكامها، وارتقاءهم إلى أرقى المراكز في أوروبا يعتمد أصلاً على نجاح الثورة الشيوعية في روسيا... وإن فتح أبواب الشرق للهجرة اليهودية واستيطان اليهود في فلسطين سيعجل بنهاية الإمبراطورية العثمانية!... ومن الواجب إقامة دولة يهودية في فلسطين على أسس اشتراكية، حالماً تفرغ الثورة الاشتراكية في روسيا من تحقيقها»^(١).

□ لقد كان عدد اليهود في روسيا حوالي ستة ملايين - أي: ثلث عددهم في العالم، لغرض السيطرة الكاملة على روسيا، والهيمنة على الشيوعية العالمية، خاصة وأن مؤسس الشيوعية كارل ماركس كان يهودياً.

تقول صحيفة (ذي جويش ترانسكريت) اليهودية في عددها ١٩٤٦/٢٩: جميع الشيوعيين هم تحت السيطرة اليهودية، وأن مائة منظمة يهودية تولت الإشراف على المؤتمر العام للحزب الشيوعي ٢ حزيران ١٩٣٤.

□ أما في أواخر القرن التاسع عشر فقد كان عددهم في روسيا أكثر من نصف يهود العالم^(٢).

وكانت نسبة اليهود بين موظفي الدولة السوفيتية عام ١٩٣٣م

(١) «من يحكم واشنطن وموسكو» ص (٢) من المقدمة لبنيامين فريدمان، وديس هافي - إعداد زهدي الفاتح دار النفائس.

(٢) «مقارنة الأديان» ص (٧٢).

(٦١٪) كما أن ٨٨٪ من أصل المسؤولين الروس عام ١٩٣٧م كانوا من اليهود وأن ٣١٣ جنرالاً يهودياً كانوا بين قادة الجيوش السوفيتية التي حاربت هتلر.

□ يقول الأستاذ (أنور الجندي) في موسوعته: «مقدمات العلوم والمناهج» ٦٧٢/١٠ - ٦٧٣: «أعلن بن جوربون أن السوفيت هم الذين ساندوا إسرائيل في إلحاق الهزيمة بالعرب خلال ١٩٤٨، ١٩٤٩م، وقال: إن الروس كانوا يرسلون الأسلحة إلى تشيكوسلوفاكيا لتصل إلى اليهود الذين قاتلوا العرب وطردها الفلسطينيين من وطنهم، وهذا أحد أبعاد القضية، وإن موقف (ولسون)، وقد حمل لواء مساعدة اليهود لقيام دولة إسرائيل في مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى، وفرض قيام الوطن القومي بالاشتراك مع بلفور وغيره هو بعد آخر.

ولقد أشارت الوثائق إلى أن الاتحاد السوفيتي قدّم وحده أربعين في المائة من الأموال الضخمة التي تدفقت على اليهود قبل احتلال فلسطين لشراء الأراضي من العرب بينما قدّمت الدولة الشرقية ٢٨٪ في نسبة هذه الأموال»^(١).

□ وقال مندوب بولندا إحدى دول المعسكر الشيوعي: «إن قصصنا الوحيد هو التعبير عن أعظم مشاعرنا نحو مآسي اليهود، فاليهود في حاجة إلى ألوان العطف والعون»^(٢).

□ أما مندوب تشيكوسلوفاكيا لدى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م فقد

(١) «مقدمات العلوم والمناهج» لأنور الجندي (٦٧٢/١٠ - ٦٧٣).

(٢) «موسكو وإسرائيل» ص (٧٨) للدكتور عمر حليق.

قال: «ليس هناك حاجة لنا وللأمم لسماع الشكاوى عما يحدث للعرب خلال الثلاثين عاماً، فإن مصائب اليهود تشغلنا وتستأثر بعقولنا ومشاعرنا»^(١).

□ ويعلم مندوب يوغسلافيا في نفس السنة: «إن فلسطين ليست للعرب وحدهم بل لليهود أيضاً»^(٢).

«وقد بلغ عدد المتطوعين من شباب اليهود من الدول الشيوعية عشرين ألف مسلح - فيما روت المصادر الصهيونية - وفدوا من تشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا وبلغاريا بالإضافة إلى السلاح الذي ما لبث بعد فترة الهدنة الأولى أن تدفق على إسرائيل من تشيكوسلوفاكيا»^(٣).

* والأمم المتحدة لعبة يهودية :

«ألا تعجب من لوني علم الأمم المتحدة، وكيف يوافق نص التوراة...» وخرج مودكاي من حضرة الملك بثوب الملك السمنجوني والأزرق»^(٤).

فهل هناك من حجة أقوى من هذه؟! في هيمنة اليهود على الأمم المتحدة وتحكمهم في اختيار ووصف علمها.

ولقد صرح بن جوريون في مجلة تايم ١٦/ آب/ ١٩٤٨م: «إن هدف الأمم المتحدة هو مثل أعلى يهودي».

(١) «موسكو وإسرائيل» ص (١٢٩).

(٢) «موسكو وإسرائيل» ص (٢٩).

(٣) «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد القادري ص (٩١).

(٤) «إستين» (٨/ ١٠).

وصرّح قبله أحد زعماء الصهيونية ناحوسو كولوف في ٢٧/آب/١٩٢٢م أمام مؤتمر كارلسباد الصهيوني: «إن عصبية الأمم هي فكرة يهودية، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة»^(١).

* أمريكا البروتستانتية والحركة الصهيونية المسيحية:

انتقلت حمى الصليبية إلى أمريكا بهجرة الأنجلو ساكسون إليها، ومع تصاعد القوة الأمريكية في هذا القرن تصاعد المد البروتستانتى، وتحول إلى عقيدة أصولية، وفي أواخر السبعينيات الميلادية، شهدت الساحة الأمريكية بروز التيار أكثر تشدداً داخل أتباع المذهب البروتستانتى الحرفى، وأطلق على هذا التيار (الحركة الصهيونية المسيحية)، ويطلق عليهم أحياناً: (الإنجيليون اليمينيون)، وانتساب هؤلاء إلى الصهيونية - رغم نصرانيتهم - ليس غريباً على قوم يدينون بالتوراة التي تقدّس جبل صهيون، وما كان عليه من مقدسات، ولهذا فإنهم يتبنون الدعوة إلى الدعم المطلق لدولة اليهود من أجل تحقيق الطموحات الإسرائيلية، أو التنبؤات التوراتية في الشرق الأوسط، ويأتي على رأسها السعي لتحقيق مشروع (إسرائيل الكبرى) و(القدس الكبرى)، وإعادة بناء الهيكل؛ لأنه بكل بساطة سوف يكون مكاناً لدعوة المسيح في القدس التي ستصبح عاصمة له - في معتقدتهم -.

□ قال بنيامين نتنياهو عندما كان سفيراً لدولته في الأمم المتحدة حيث خاطب جموعاً من النصارى الصهاينة في ٦ فبراير سنة ١٩٨٥م، وقال لهم معترفاً بجميلهم وجميل كل النصارى تجاه اليهود: «لقد كان

(١) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص(٢٢٢).

هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي ظل يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين»، وقال: «المسيحيون ساعدونا في تحول الأسطورة إلى دولة يهودية»، وأضاف: «إن الذين يستغربون مما يظنون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها المسيحيين، يجهلون أمر اليهود أو المسيحيين، إن هناك روابط روحية تشدنا بإحكام وثبات، إنها شراكة تاريخية أدت، وتؤدي دورها بشكل جيد لتحقيق الأحلام الصهيونية»^(١).

□ يقول «أيوجين روستو» رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م، يقول: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية».

لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

ويتابع: «إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، عقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي،

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (١٤٧) نقلاً عن النبوءة والسياسة ص (١٤٠).

ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تنتكّر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها»^(١).

فروستو الصليبي يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمراراً للحروب الصليبية.

✽ بداية أمريكا صليبية صهيونية:

«كانت المواعظ خلال الحرب الأهلية يشبه (أمريكا بالشعب اليهودي الذي يسعى لدخول الأرض الموعودة).

بل إن صلتها التاريخية ببني إسرائيل تمتد إلى استشارة بنجامين فرنكلين وتوماس جفرسون^(٢) في موضوع اختيار شعار مناسب للاتحاد الأمريكي اقترحا أن يحمل شعار الولايات المتحدة صورة بني إسرائيل وهم يقطعون البحر الأحمر المنشق أمامهم، وهم يتجهون نحو الحرية، وفوق ذلك العبارة الآتية: «مقاومة الحكام المستبدين من طاعة الله»^(٣).

اقترح «جيفرسن» الرئيس الأمريكي الأقدم أن يمثل رمز الولايات المتحدة الأمريكية على شكل (أبناء إسرائيل) تقودهم في النهار غيمة، وفي الليل عمود من النار. . بدلاً من النسر، وهذه الغيمة هي السحاب الأبيض الذي ظلّل الله به قوم موسى في التيه ليقبّلهم حرّ الشمس،

(١) «قادة الغرب يقولون» لجلال العالم ص (٣١ - ٣٢).

(٢) من زعماء الثورة الأمريكية وواضعي دستور الولايات المتحدة.

(٣) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص (٢٢٤ - ٢٢٥) نقلاً عن «التوراة - تاريخها وغاياتها»

ترجمة وتعليق سهيل ديب ص (٦٦).

فالشكل الذي اقترحه الرئيس الأمريكي، يتفق والنص الوارد في «سفر الخروج»: (وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم) ^(١).

وقبل وصول هرتزل نفسه سن الرشد كانت القيادات المسيحية الأمريكية والأوربية هي أول من رفع الشعار القائل عن فلسطين: (إنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض).

وأول جماعة ضغط صهيونية أسسها كنسيون أصوليون عام ١٨٨٧م بزعامة القس «وليام بلاكستون» حينما أنشأ في شيكاغو منظمة أسماها (البعثة العبرية بالنيابة عن إسرائيل، ودعا لأول مؤتمر دولي لمناقشة أوضاع الإسرائيلين ومطالبهم في فلسطين كوطن تاريخي لهم) ^(٢).

* السفارة النصرانية الدولية :

وهناك جماعة أخرى أصولية إنجيلية تؤمن بحرفية التوراة والإنجيل، وتعطي اليهود الوعد الذي يفترونه على الله، هذه الجماعة تسمى «السفارة المسيحية الدولية»، وتعتقد هذه الجماعة أن الله وحده هو الذي أنشأ هذه «السفارة» ومقرها في القدس وتنتشر فروعها في جميع أنحاء العالم، ويقول مؤسس هذه الطائفة:

«إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم؛ وإن القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام الله، وإن الله قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد».

(١) عقيدة اليهود ص (٢٢١).

(٢) عقيدة اليهود ص (٢١٨).

وتؤمن هذه المنظمة بأنه إذا لم تبق «إسرائيل»، فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني.

ولا تكتفي هذه المنظمة بدعم إسرائيل، بل تدعم سياستها التوسعية وتعتبر أن الضفة الغربية والقطاع حقوق أعطاهما الرب للشعب اليهودي.

وهذه المنظمة التي تعتبر من أخطر المنظمات في أمريكا والعالم كله كانت لها سبعة أهداف: الهدف الأخير منها هو تنصير اليهود في أرض فلسطين، أي: أن يؤمنوا بعودة المسيح ويتنصروا لتقديمه لمجيئه، ولكن اليهود استطاعوا إلغاء هذه النقطة فبقيت النقاط الست الأولى في هذا البرنامج؛ ولنقرأ هذه النقاط:

أولاً: إبداء الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي وبدولة «إسرائيل».

ثانياً: تذكير وتشجيع «المسيحيين» للصلاة من أجل القدس وأرض «إسرائيل».

ثالثاً: تعليم «المسيحيين» في أنحاء العالم وتثقيفهم في كل ما يجري «بإسرائيل».

رابعاً: حث القيادات «المسيحية» والكنائس والمنظمات الدينية على ممارسة النفوذ المؤثر في بلادها لمصلحة «إسرائيل» والشعب اليهودي.

خامساً: إنشاء أو مساعدة مشروعات في «إسرائيل» لتحقيق رفاهية اليهود.

سادساً: ممارسة نفوذ وفاقي بين العرب واليهود. وحذفوا السابعة!!

✳ بال الثانية :

والآن نضرب مثلاً واحداً من أعمال هذه المنظمة الأخطبوطية

المتشرة في جميع أنحاء العالم.

تعرفون أنه في مدينة بال بسويسرا انعقد المؤتمر الصهيوني الأول الذي حضره هرتزل عام ١٨٩٧م، وأرادت هذه المنظمة عن عمد، وإصرار أن تقيم مؤتمرًا لها في المدينة نفسها، ولكنه للصهيونية الإنجليزية الأصولية، وليست اليهودية، وقد أقاموه بالفعل في هذه المدينة عام ١٩٨٥م، وقالوا في إعلان هذا المؤتمر:

«نحن الوفود المجتمعين هنا من دول مختلفة وممثلي كنائس متنوعة بهذه القاعة الصغيرة نفسها التي اجتمع بها منذ ثمانية وثمانين عامًا مضت الدكتور تيودور هرتزل ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول الذي وضع اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة «إسرائيل» جئنا معًا للصلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن ديننا الكبير وشرفنا العظيم «بإسرائيل» الشعب والأرض والعقيدة، ولكي نعبر عن التضامن معها، وإننا ندرك اليوم بعد المعاناة المريعة التي تعرض لها اليهود أنهم ما زالوا يواجهون قوى حاقدة ومدمرة مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي، وإننا كمسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضًا لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم، إننا نتوحد اليوم في أوروبا بعد مرور أربعين عامًا على اضطهاد اليهود؛ لكي نعبر عن تأييدنا «لإسرائيل»، ونتحدث عن الدولة التي تم إعداد ميلادها هنا في بال، إننا نقول ذلك أبدًا، ولا رجعة للقوى التي يمكن أن تتقدم لاسترجاع أو تكرار اضطهادات جديدة ضد الشعب اليهودي».

وقال أيضًا: «إننا نهنيء دولة «إسرائيل» ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة تقل عن أربعة عقود، إننا نحضكم

على أن تكونوا أقوياء في الله، وعلى أن تستلهموا فطرته في مواجهة ما يعترضكم من عقبات، وإننا نناشدكم بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه، وعليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض وجمعتكم من منفاكم طبقاً للنبوءات التي وردت في النصوص المقدسة، وأخيراً فإننا ندعو كافة اليهود في جميع أنحاء المعمورة بالهجرة إلى «إسرائيل» كما ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم أصدقاءه اليهود في كل خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من الله».

نرجو أن نتذكر أن هذا المؤتمر كله نصارى، فلا توهمنا هذه النصوص فنظن أن المؤتمر للأصولية الصهيونية.

ولننظر ماذا قرر هذا المؤتمر، هل كانت قراراته متعلقة بالنصارى، وشؤونهم الدينية؟ لنقرأ أهم القرارات:

أولاً: عدم تقديم تنازلات من الغرب إلى الاتحاد السوفيتي طالما أنه لا يسمح بهجرة اليهود منه إلى دولة «إسرائيل» (وهذا كما تعلمون طبق تماماً).

ثانياً: تشجيع «إسرائيل» ومواطنيها على المشاركة الكاملة في كل الهيئات والمؤسسات الدولية، والمطالبة بانسحاب جميع الدول الأوروبية والأمريكية من أي اجتماع يعقد، ولا تمثل فيه «إسرائيل» (وهذا القرار وضع؛ لأن العرب يهددون أحياناً بالانسحاب فتضطر الدول لمجاراة العرب لأنهم أكثرية).

ثالثاً: على كل الأمم الاعتراف بإسرائيل، وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها. ونخص بالذكر حكومة «الفاتيكان».

(قد تقولون لماذا يخصصونها؟ فأقول:

لأن الفاتيكان هي عاصمة الكاثوليك، والكاثوليك لا يؤمنون هذا

الإيمان العميق للبروتستانت «إسرائيل»، وهذا يعني أن المسلمين لو تحرّكوا يستطيعون استخدام عنصرين مهمين استخداماً جيداً، العنصر الأول: الكاثوليك، والعنصر الثاني: اليهود المنشقون غير المؤيدين لإسرائيل ولا سيما في أمريكا حيث يوجد ثلاث ملايين يهودي غير مؤمنين بدولة «إسرائيل»، ومنهم كتاب وأدباء ومفكرون يهاجمون دولة «إسرائيل»، ولكن لا أحد يجيد استخدامهم أو الاستفادة منهم).

رابعاً: يعلن المؤتمر أن يهوذا والسامرة بحق التوراة والقانون الدولي وبحكم الواقع جزء من «إسرائيل».

خامساً: نطالب كل الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة «لإسرائيل»، ونقل سفاراتها من تل أبيب إليها.

سادساً: مطالبة الدول الصديقة «لإسرائيل» بالتوقف عن تزويد أية دولة في حالة حرب مع إسرائيل بالأسلحة بما في ذلك مصر التي وقعت معها اتفاقية كامب ديفيد.

سابعاً: مطالبة كل الحكومات بنزدة منظمة التحرير الفلسطينية واعتبارها منظمة إرهابية، وتأتي هذه المطالبة تنفيذاً لما ورد في التوراة حول أن الله يبارك من يبارك اليهود، ويلعن من يلعنهم.

ثامناً: إدانة كل أشكال معاداة السامية، وهي عدا «إسرائيل» واليهود.

تاسعاً: الدعوة لتذكر كل الفظائع التي ارتكبتها ما تسمى بالحضارة المسيحية ومن يسمون المسيحيين ولا سيما المذابح التي قامت في الحرب العالمية الثانية.

أي أنهم يرون أن كل من وقف في وجه اليهود من النصارى ليسوا نصارى حقيقيين.

عاشراً: العمل نحو توطين اللاجئين العرب الذين تركوا «إسرائيل» عام ١٩٤٨م في البلدان التي رحلوا إليها.

حادي عشر: مساعدة «إسرائيل» اقتصادياً وذلك بإنشاء صندوق دولي برأسمال قدره مائة مليون دولار للاستثمار في تطويرها.

وبالفعل ما انتهى المؤتمر إلا وجمع مائة مليون دولار إضافة إلى المساعدات التي تجمع باستمرار لمساعدة «إسرائيل» وضمن ذلك يقومون بتشجيع الاستثمار الخاص في «إسرائيل».

ثاني عشر: مطالبة كل المسيحيين، وكل الأمم بعدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية «لإسرائيل».

(وبالطبع ستتوقف المقاطعة وتنتهي بعد مدريد مع أنها أصلاً ما كانت إلا شكلية في أغلب الأحيان).

ثالث عشر: دعوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وبين أرضه الموعودة، وكذلك بالبعد التوراتي والنبؤي لدولة «إسرائيل».

ويعني هذا أن العقيدة التي قامت عليها دولة «إسرائيل» عقيدة إيمانية يجب على مجلس الكنائس أن يعترف بها.

رابع عشر: يصلي أعضاء المؤتمر وينظرون بشوق إلى اليوم الذي تصبح فيه القدس مركزاً لاهتمام الإنسانية حينما تصبح مملكة الرب حقيقة وواقعاً^(١).

(١) من السفارة النصرانية وهذا المؤتمر: انظر «البعد الديني» ص(١٤)، و«النبوة والسياسة» ص(١٣١)، وقد حضرت المؤلفة المؤتمر وشرحت ما دار فيه عن مشاهدة.

ومملكة الرب يفهمها النصارى على أنها مملكة المسيح ابن مريم بناء على ما عندهم.

أما اليهود فيفهمونها على أنها مملكة المسيح الدجال كما تقدم.

وهنا لا بد أن أؤكد أن الذين يؤمنون بهذا الوعد التوراتي هم المؤمنون بالمسيح الدجال، وبالتالي فكل من يعتقد أو يوافق على مشروع إسرائيل آمنة مطمئنة فإنه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، يعمل لإنشاء مملكة المسيح الدجال هذه، ويسعى لتحقيق النبوءة التوراتية التي يدعيها هؤلاء، ويخدم راضياً أم غير راضٍ، يعلم أو لا يعلم، هذه الأهداف الصهيونية التي يؤمن بها هؤلاء الأصوليون مع أولئك اليهود.

وها هنا مفرق الطريق بين الإسلاميين وبين اللاهثين وراء سراب مدريد وغير مدريد.

فلا حرج ولا تردد في الإجابة القاطعة الواضحة عن سؤال: ما هو موقف الإسلاميين من مؤتمر السلام؟ فهو الرفض الحاسم والإنكار الجازم ليس عناداً ولا تصلباً، ولكنه موقف عقدي محتوم^(١).

* «معركة هَرَمَجِدُون» واعتقاد البروتستانت واليهود فيها:

أصل كلمة «هَرَمَجِدُون» عبرية، ومعناها الحرفي: جبل مجيدو، فكلمة «هار» تعني في العبرية: جبل، فإذا أضيفت إلى اسم الوادي صار «هارمجيدو» التي دُمجت في النصوص القديمة إلى «هرمجدون».

وأرض مجدو تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وهي في موقع يبعد ٢٠ ميلاً شرق حيفا، على بعد ١٥ ميلاً من شاطئ المتوسط، وترتبط في

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفتى» ص (٦٣ - ٦٨).

الاعتقاد القديم بأنها الأرض التي كان الفاتحون القدامى يعتقدون أن أي قائد يسيطر عليها يمكنه أن يصمد أمام أعدائه مهما كانت أعدادهم، ويعتقد اليهود والنصارى أن جيوشاً من مئتي مليون جندي سيأتون إلى مجدو للبدء في خوض حرب نهائية، ونصوصهم تدل على أن هذه المعركة سوف تتورط فيها كل الأمم، أي ستكون حرباً عالمية، ولكن أوارها سيشعل أولاً في منطقة الشرق الأوسط وفي فلسطين بالذات، والنصارى يعتقدون أيضاً أن تلك الحرب سوف تستغرق مدة سبع سنين، وهي مدة كافية تعطي لليهود فرصة كي يروا بأنفسهم كيف ينتقم الله من أعداء المسيح مما يدل على صدقه فيؤمنوا به. ويعتقدون أيضاً - بمقتضى الإنجيل - أنه ستمر سبعة أشهر حتى يتمكن «بيت إسرائيل» من دفن جثث الضحايا وينظفوا الأرض منها»^(١).

□ «ويعتقد هؤلاء أن نهاية المعركة ستكون انتصاراً حاسماً للنصارى وتدميراً كاملاً للوثنيين، أي: المسلمين، وذلك بأن يرتفع النصارى فوق السحاب مع المسيح، وأما المسلمون فيغرقون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت على حد قول الرؤيا، أي: أن هؤلاء المنتسبين للمسيح زوراً الذين اتخذوه إلهاً من دون الله سينجون جميعاً حتى عرايا شيكاغو وباريس ومقامري لاس فيجاس وشواذ سان فرانسيسكو ومدمني ميامي، وأما المؤمنون الموحدون القانتون فسيهلكون، ولو كانوا عند الكعبة؛ لأنهم كنعانيون، وقد فسروا النار الكبريتية بأنها قنابل نووية يلقونها على المسلمين!!

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (١٦٠ - ١٦١).

□ تقول غريس هالسيل: «اقتناعاً منهم بأن هرمجدون نووية لا مفر منها بموجب خطة إلهية، فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين ألزموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل يؤدي بصفة مباشرة - باعترافهم أنفسهم - إلى مجزرة أشد وحشية وأوسع انتشاراً من أي مجزرة يمكن أن يتصورها عقل أدولف هتلر الإجرامي»^(١).

هذه العقيدة الألفية يؤمن بها فئات مختلفة في أمريكا غير الأصوليين الإنجيليين ابتداءً من رؤساء الجمهورية وانتهاءً بكثير من العامة. وقد ظهرت كتب عن هذه النبوءات، ولاقت رواجاً هائلاً أهمها كتابان:

الأول: كتاباً «دراما نهاية الزمن»، ومؤلفه: (أوترا لوبرتس).

والثاني: كتاب «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» ومؤلفه: (لندسي).

وكلاهما يصور بشكل درامي مثير نهاية العالم القربية وانهايار حضارته ودمار جيوشه بقيام معركة هرمجدون، حتى أن أحدهم يقول: لا داعي للتفكير في ديون أمريكا الخارجية أو ارتفاع الضرائب أو مستقبل الأجيال القادمة، فالمسألة بضع سنوات ويتغير كل شيء في العالم جذرياً^(٢).

* صحوه صليبية إنجيلية أمريكية:

يؤكد الكتاب التعريفي الذي توزعه المراكز الثقافية الأمريكية - ومنها مركز جدة - بعنوان «أمريكا اليوم» أن الأمريكان ليسوا شعباً غير متدين كما نظن، وهذا صحيح، ولكن الدين عندهم فضفاض ومرن، يكفي أن

(١) «البعد الديني».

(٢) «القدس بين الوعد الحق... والوعد المفترى» ص (٣٣، ٣٤، ٣٧).

تؤمن بما تقوله الكنيسة، وما توجه به من تعاليم، وتكون عضواً فيها بشكل ما، ولا يعني تدينهم السلوك الجاد، وهناك إحصاءات أجريت تقول: إن أكثر الشعوب النصرانية تدينًا من حيث النسبة العددية هي أيرلندا في المقام الأول ثم أمريكا.

ويذكر معهد جالوب المتخصص في الإحصاءات أن أكثر من ٩٤٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يؤمنون بالله (بالطبع على عقيدتهم)، وأن ٧١٪ من سكانها يؤمنون بالبعث بعد الموت على العقيدة الإنجيلية، وتقول أيضاً بعض الإحصاءات: إن عدد أعضاء الجسم الكنسي في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٠م كان ١٣١ مليوناً من الأمريكان، وجميعهم ينتمون إلى الكنائس، وارتفع عام ١٩٨٠ إلى حوالي ١٣٥ مليوناً، ولكنه قفز خلال الستين التاليتين إلى ١٣٩ مليوناً وستمئة ألف.

أما بكم يتبرع هؤلاء الأمريكان للكنائس؟ يقول الإحصاء: في عام ١٩٨٢م (وهو يعتبر قديماً): أنهم يتبرعون بحوالي ستين ألف مليون دولار، في حين أن النشرات الحكومية مثل (أمريكا اليوم) تقدره بنصف هذا الرقم، وهو كثير، وقد نشرت المجلة الدولية لأبحاث التنصير سنة ١٩٨٩م أن مجموع التبرعات الكنسية لأغراض التنصير هو (١٥١) ألف مليون دولار (أي في أمريكا وغيرها). وقد ارتفع الرقم سنة ١٩٩٠م إلى أكثر من (١٨٠) مليار.

وقد رصدوا لتنصير الصومال وحدها (١٩٦) ملياراً.

* جامعات ومدارس:

ثم نأتي للمدارس الدينية والجامعات والشبكات التلفازية في أمريكا، كم تتوقعونها؟ أتظنون أن الصحوة النصرانية في أمريكا مثل الصحوة

الإسلامية عندنا هنا ليس لها مجلة أو صحيفة أو إذاعة فضلاً عن أية قناة تلفزيونية عبر الأقمار الصناعية؟! لا بل تمتلك الكنائس وتدير عدة مئات من المدارس والجامعات والمعاهد في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي عام ٨١ - ١٩٨٢م بلغ عدد معاهد التعليم العالي ١٩٤٨ معهداً، فكم تكون الآن؟!

أما المدارس فقد كان عددها عام ١٩٥٤م لا يزيد عن ١٢٣ مدرسة ثم قفز عددها عام ١٩٨٠ إلى ما يزيد على ١٨ ألف مدرسة. وليس جديداً أن يقال إن الجامعات الشهيرة في أمريكا أنما أسست على أساس ديني بروتستانتي ومنها (هارفارد وييل وجورج تاون وديتون وييلور ودنفر وبوسطن... إلخ).

وإجمالاً تستطيع أن تقول: إن للأصولية النصرانية في أمريكا أكثر من ٢٠ ألف مدرسة ومعهد وكلية والملايين من الطلاب والدارسين للتوراة، وكلهم يؤمنون بهذه العقائد التوراتية التي تحدثنا عنها.

* الإعلام الديني :

بل تأتي الدلائل أغرب من هذا كله، وهي أثر الدين في الإعلام الأمريكي، فمحطات الإذاعة والتلفاز مشغولة بالحديث عن التوراة ورجالها، ويقولون: إن صور نجوم البرامج الدينية المسموعة والمرئية من أمثال جيري غراهام وجيري فولويل احتلت صفحات أبرز المجلات الأسبوعية، وأصبحت تسيطر على عقول الأمريكيان، حتى إن هؤلاء النجوم - نجوم الأصولية؛ ومنهم سويجارت صاحب برنامج الحملة الصليبية الذي انهزم في مناظرة من الشيخ أحمد ديدات أصبحوا ينافسون

نجوم «السينما» والفن والرياضة في اجتذاب اهتمام الجماهير وتتبع أخبارهم وأحاديثهم باستمرار... وقدرت بعض الإحصاءات نسبة الأمريكيين المستمعين والمتابعين لبرامج الأصولية الدينية في عام ١٩٨٠ بحوالي ٤٧٪ من السكان، ويقولون: إنهم يفتتحون محطة إذاعية كل أسبوع ومحطة تلفاز كل شهر... ذلك إحصاء منذ أكثر من عشر سنوات فكم وصل العدد الآن؟!.

وهناك رابطة مشهورة على مستوى أمريكا اسمها «الرابطة الوطنية للمذيعين الدينيين» أي: المذيعين العاملين في الإذاعات الدينية في جميع أنحاء أمريكا، وقد أنشئت هذه الرابطة عام ١٩٤٤ يوم كان عدد المحطات الإذاعية ٤٩ محطة، أما في عام ١٩٨٠ فقد أصبحت ٨٠٠ محطة وارتفعت عام ١٩٨٢ لتبلغ ١٠٠٠ محطة تنتج وتدير برامج دينية.

ومما يجدر ذكره أن هذه الرابطة أخذت منذ ١٩٨٠ بعد هذا التوسع الهائل في تنظيم مؤتمر سنوي لأعضائها، وفي هذا المؤتمر تقام صلاة إفطار لمصلحة «إسرائيل»، وتسيطر الحركة الأصولية النصرانية الغربية على جميع شبكات الكنيسة المريئة والمسموعة، ويتلقى نجمان من نجومها وهما جير فولويل وبات روبرتسون يتلقيان أموالاً أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسان في أمريكا الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري.

كل هذه حقائق من الصحافة الأمريكية، وقد اعتبرت الحركة الأصولية الأمريكية من الظواهر السياسية في القرن العشرين، وانكب علماء الاجتماع والنفس على دراسة هذه الظاهرة.

وقد تنامت الأصولية النصرانية ليصبح عددها الآن ما يقارب ثمانين مليوناً، ولذلك تعتبر من أهم الحركات في القرن العشرين ويتوقع لها

أحد المحللين أن تستمر خمسمائة عام على الأقل، هكذا يقدر (١).

* الكنيسة المريّة :

التلفاز الديني في أمريكا أمره عجب؛ إذ تنتشر البرامج التلفازية في أمريكا بشكل يصعب معه حصرها على وجه الدقة.. ولكن رابطة الإذاعيين الدينين تقول: إن لديها ألف محطة تلفازية وإذاعية مشتركة في نشاطها، كما تقدر أن عدد المستمعين إلى المحطات الإذاعية المشتركة فيها يصل إلى ١١٥ مليون نسمة أسبوعياً، وحوالي ١٤ مليون شخص من أعضائها يشاهدون الكنائس المريّة، وتقول بعض الدراسات: إن أهم عشر كنائس مريّة في الولايات المتحدة يشاهدها ٤٠٪ من مشاهدي التلفاز الأميركي.

وبالطبع هنا تجد الفرق بين يسر الإسلام وعسر غيره، فنحن جعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً كما قال رسول الله ﷺ، ولكن النصارى لا يستطيعون الصلاة إلا في الكنيسة، فتفتقت أذهان موجهيهم عن فكرة هي أنهم قالوا: نحن نأتيكم بالكنيسة المريّة يوم الأحد.. ففي أي لحظة افتح التلفاز، وستجد الكنيسة أمامك، فأصبحت الأسر الأمريكية تجلس وتفتح التلفاز فيجدون الكنيسة أمامهم، ويسمونها «الكنيسة المريّة».

ويقدر معهد جالوب المتخصص في الإحصاء أنه في عام ١٩٨٢ كان ٥٢ مليون أمريكي يشاهدون برنامجاً أو أكثر من برنامج الكنيسة المريّة شهرياً وعام ١٩٨٣ حين ظهر الإيدز ارتفع العدد إلى ٦٠ مليون شخص.

(١) انظر التفاصيل في كتاب «البعد الديني».

وفي الدراسة الاستطلاعية التي أعدتها منظمة إذاعات الدول الإسلامية بجدة عن إذاعات التنصير أن في أمريكا وحدها ٣٨ محطة تلفزيونية و٦٦ شبكة كابل و ١٤٠٠ محطة راديو ومن بينها أربع خدمات تلفزيونية تتجاوز ميزانية البرامج لكل منها ٥٠ مليون دولار سنوياً، ولك أن تقارن هذا بواقع الإعلام الإسلامي!!

وفيما يمكن أن نعهده نموذجاً لما تبثه هذه البرامج يقول جيمي سويجارت: أشعر أن الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة بحبل ولادة سري مع إسرائيل، وتعود هذه الروابط في اعتقادي إلى ما قبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية بزمان طويل كما ترجع الفكرة اليهودية النصرانية إلى «إسرائيل» ووعد الرب له، وهو وعد أعتقد أنه يشمل الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً؛ لأن الله ما زال يقول: إني أبارك الذين يباركون «إسرائيل» وألعن من يلعنونها، ومن فضل الله على الولايات المتحدة الأمريكية أنها ما زالت قوية اليوم، وأنا واثق أن هذا يعود إلى كونها تقف وراء «إسرائيل»، وأدعو الله أن تظل دوماً سنداً «لإسرائيل». أي أن بركة أمريكا تأتيها من وقوفها إلى جانب «إسرائيل»، ومعنى ذلك أن قوة أمريكا من قوة «إسرائيل».

وهذه قائمة بأسماء أهم عشرة برامج في الكنائس المرئية تبعاً لأكثرها شعبية واجتذاباً للمشاهدين في الولايات المتحدة الأمريكية^(١) :

المشاهدون شهرياً	المشاهدون أسبوعياً	البث	اسم البرنامج واسم صاحبه
١٦٣٠٠٠٠٠	٤٤٢٠٠٠٠	يومي	«السبعمئة ناد» (بات روبرتسون) "The 700 Club" (Pat Robertson)
٩٢٥٤١٠٠	٣٦٤٠٠٠٠	أسبوعي	«الحملة الصليبية الأسبوعية» (جيمي سواغيرت) "Weekly Crusade" (Jimmy Swaggert)
٧٦٤١٠٠٠٠	٢٧٢٠٠٠٠	أسبوعي	«ساعة من القوة» (روبرت شلر) "Hour of Power" (Robert Shuller)
٥٧٧٣٢٠٠	٢٤٦٢١٠٠	يومي	«مجددوا الرب» (جيم باكير) "Praise The Lord (PTL)" (Jim Bakker)
٥٧٧٣٢٠٠	٣٠٣٧٦٠٠	أسبوعي	«توقع معجزة» (أورال روبرتس) "Expect a Miracle" (Oral Roberts)
٥٦٠٣٤٠٠	١٨٧٠٠٠٠	يومي	«ساعة من إنجيل زمان» (جيرى فولويل) "Old-Time Gospel Hour" (Jerry Falwell)
٤٩٢٤٢٠٠	١٧٨٢٩٠٠	أسبوعي	«برنامج واستعراض كينيث كوبلاند» (kenneth Copland)
٤٥٨٤٦٠٠	١٨٦٧٨٠٠	يومي	«دراسة في الكلمة» (جيمي سواغيرت) "A Study in the Word" (Jimmy Swaggert)
٤٠٧٥٢٠٠	١٤٤٣٣٠٠	أسبوعي	«يوم الاكتشاف» (بول فان غوردن) "Day of Discovery" (Paul V. Gorder)
٣٧٣٥٦٦٠	١٦١٣١٠٠	أسبوعي	«برنامج واستعراض ريكس هامبرد» (Rex Humbard)

David W. Clark, "Religious Television Audience, paper presented at: The Society for the Scientific Study of Religion, Savannah, Georgia, 25 October 1985, P. 27. ^(٢)

(١) كتاب «البعد الديني» ص (٩٧).

(٢) «القدس بين الوعد الحق... والوعد المفتري» ص (٤٧ - ٥٥).

* ولسن رئيس أمريكا المتعصب الإنجيلي ابن راعي الكنيسة وراء

وعد بلفور والانتداب البريطاني :

لقد افتعل الصليبيون قناع «الانتداب» ليحكموا باسمه التركة العثمانية الممنوعة، وكان مهندس ذلك هو «ابن راعي الكنيسة» كمي سمى نفسه، وهو المتعصب الإنجيلي «ولسن» رئيس أمريكا حيثئذ.. وكان هو وراء وعد بلفور، وكان ولسن هو الذي يحكم أمريكا أثناء الحرب العالمية الأولى.

□ يقول «ولسن» هذا عن نفسه: «إنه يجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادراً على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة لشعبها اليهودي»، وتقول عنه إحدى المؤلفات اليهوديات: «إن التزام الرئيس ولسن بالصهيونية كان عميقاً جداً وكان معنياً بالفكر الصهيوني النصراني للدرجة التي لم ير فيها النتائج الأخلاقية والسياسية والدينية للبرنامج الصهيوني»، ومن الغرائب المضحكات كما يقول أحد الكتاب: «أن ولسون رئيس أكبر دولة مدعي الثقافة كان يظن أن عدد اليهود في العالم مائة مليون في الوقت الذي لم يكن يتعدى عددهم أحد عشر مليوناً!!».

فانظروا كيف استطاعوا تربيته لترسخ في ذهنه هذه المعتقدات!

وفي أيام ولسن، ومن بعده ظهر رجل لا بد من الإشارة إليه وهو أحد الزعماء المهمين في الولايات المتحدة، وهو رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونجرس الأمريكي بعد الحرب العالمية الأولى.. يقول في خطاب ألقاه في بوسطن عام ١٩٢٢: «إنه جدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه

الراغبين في العودة إلى البلاد التي كانت مهذاً لهم، والتي عاشوا وعملوا فيها عدة آلاف من السنوات، وإنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين»، هذا هو حديث رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس عام ١٩٢٢ أي: قبل ٢٦ عاماً على قيام دولة «إسرائيل» يؤكد أنه لا يطيق أن تبقى القدس وفلسطين تحت سيطرة المسلمين!!

ذلك كله حتى نعلم أنه قبل اشتداد عود اليهود كان النصارى يؤمنون بضرورة «إسرائيل» في فلسطين^(١).

✽ سبعة رؤساء أمريكيون أصوليون إنجيليون يضعون نصب أعينهم معركة «هرمجدون»:

وينقل كتاب «البعد الديني» عن الرئيس كارتر أنه قال:

«لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين، وجسدوا هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة؛ لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه. لقد شكل إسرائيل والولايات المتحدة مهاجرون طليعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة»^(٢).

ومن الأدلة التي يستدل بها الباحثون على تدين أمريكا وعودتها إلى المحافظة أنها اختارت آخر رئيسين قبل بوش من المتدينين المحافظين، وهما كارتر وريجان، فكارتري كان ملتزماً التزاماً صارماً بالكنيسة الإنجيلية،

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص (٤٦).

(٢) «البعد الديني في السياسة الأمريكية» للدكتور يوسف الحسن ص (٧٦).

ولا يزال كارتر إلى هذا اليوم مبشراً، ويتنقل من أفغانستان إلى الحبشة والسودان وغير تلك البلدان مدافعاً عن التنصير، ومبشراً بالنصرانية، وهذا معروف عند كل من تتبع أخباره، فهو رجل منصر وقسيس .

عندما زار كارتر القدس المحتلة في مارس ١٩٧٩م، وقف أمام الكنيسة الإسرائيلية وأدلى بتصريح جاء فيه: «إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه»^(١).

وقد صرح الرئيس ريجان أكثر من إحدى عشرة مرة أن نهاية العالم باتت وشيكة، وأنه يؤمن بمعركة هرمجدون، وقال في حديث مع المدير التنفيذي للوبي الإسرائيلي (إيباك):

«حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بهرمجدون أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعاً، ولا أدري إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أيّاً من هذه النبوءات، لكن صدقني أنها قطعاً تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه».

□ وقال زيجان:

«إنني دائماً أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهرى لليهود.. وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي ليحققوا بذلك حلمًا عمره ألفا عام»^(٢).

(١) «قبل أن يُهدم الأقصى» ص (١٤٣).

(٢) المصدر السابق ص (١٧٢ - ١٧٩).

□ ويقول مايك إيفانز أحد زعماء الأصولية الإنجيلية، - وسيأتي الحديث عنه -: «في يناير ١٩٨٥ دعا الرئيس ريجان: جيمي بيكر وجيمي سواغارت وجيري فولويل (وهم من زعماء الأصوليين وسيأتي الحديث عن الأخيرين) ودعاني أيضاً مع مجموعة صغيرة أخرى للقائهم بصورة شخصية؛ لن أنسى ما قاله لنا، أعرب الرئيس عن إيمانه بأن أمريكا على عتبة يقظة روحية وقال:

إنني مؤمن بذلك من كل قلبي، إن الله يرعى أناساً مثلي ومثلكم في صلاة وحب ابتهالين لإعداد العالم لصورة ملك الملوك وسيد الأسياء»^(١). يعني: المسيح.

□ وقف الرئيس الأمريكي السابق ريجان ١٩٨٤ أثناء زيارته لمعبد يهودي في نيويورك، وقال للحاضرين من اليهود والنصارى: «جميعنا هنا اليوم أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أبناء وبنات الإله نفسه».

□ في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ وجه ريجان دعوة لجيم بيكر وجيمي سواجرت وجيري فالويل ولفيف من الكنيسة الإنجيلية، وكان اللقاء خاصاً، وقال ريجان: أعتقد بأن أمريكا كانت على شفا صحوة روحية، وأن الله هياً أناساً على شاكلي لتهيئة العالم لمقدم رب الأرباب.

□ أعلن ريجان أن عام ١٩٨٤ هو عام (الكتاب المقدس) بعهديه القديم والحديث.. وقال في حديث صحفي: «إنهم يهاجمونني؛ لأنني أعلنت أن هذه السنة سنة الكتاب المقدس، إنني أعتز بهذا الاتهام وأحمله وساماً على صدري.. لقد أخبروني أنه منذ بداية الحضارة سنت ملايين

(١) «النبوة والسياسة» ص (١٩٤).

القوانين، ولكنها جميعاً لم تصل إلى مستوى قانون الله في الوصايا العشر لموسى».

يقول الأمريكي (أندرو لانج) مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية، والمقيم بواشنطن: «لقد أجريت دراسة عميقة عن ريجان والاعتقاد بمجدو ووجدت أن ريجان قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التي نشأ عليها كل من (كلايد، وجيري فالويل، وجيمي سواجارت) ومبشرين آخرين، وإن لدى ريجان اعتقاد بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة».

وقد عقد (لانج) مؤتمراً صحفياً نظمه معهد الدراسات المسيحية، وقال في المؤتمر: «إنني وآخرون من المعهد أردنا التحقيق في أمر ريجان وأيدلوجية مجدو بالنظر إلى إمكانية أن يعتقد رئيس ما - شخصياً - بأن الله قد قدر سلفاً حرباً نووية، هي إمكانية تثير عدداً من الأسئلة المخيفة، فهل سيؤمن رئيس معتقد بهذه الإمكانية لتفاوض على نزع السلاح حقاً؟ وهل سيكون إذا وقعت أزمة نووية واعياً ومتعقلاً؟ أم أنه سيكون تواقاً للضغط على زرٍّ ما شاعراً بذلك أنه يحقق تخطيط الله المقدر سلفاً لنهاية الزمن؟!».

وفي الحقيقة فإن رونالد ريجان نفسه يشير إلى عواطفه الدينية المبكرة، إذ قال في مقابلة تليفزيونية مع المشر جيم بيكر عام ١٩٨٠: «كنت محظوظاً؛ لأن أُمِّي غرست فيَّ إيماناً عظيماً أكثر بكثير مما أدرك في ذلك الحين».

ويعارض ريجان بباعث من معتقده الديني مسألة الفصل بين الدين والسياسة التي يتبجح كثير من حكام المسلمين بالتغني بها.. يقول: «لا

يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة، وإن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي» (١).

والمقربون من ريجان يؤكدون بأن اعتقاده بقرب مجدو أكيد وقوي. تقول الكاتبة (جريس هالسل):

يروى (جيمس ملز) - الذي كان رئيساً لمجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا - ضمن مقالة نشرتها له مجلة (سان ريجو ماجازين) في أغسطس ١٩٨٥م أن ريجان سألته أثناء مأدبة حضرها، عما إذا كان قد قرأ الفصلين (٣٨، ٣٩) من (حزقيال)، فأكد ملز لريجان أنه قد قرأ بالفعل وناقش فقرات حزقيال التي تتحدث عن يأجوج ومأجوج، وعندئذ تحدث ريجان بحرارة عن تحول ليبيا إلى الشيوعية، وأصر على أن هذا علامة تدل على أن يوم معركة مجدو ليس ببعيد (لأن تحول هذه الدولة إلى الشيوعية يجعلها من القوى الشريرة التي ستنتضم مع الجيش الشرقي الكبير ضد إسرائيل).

- ثم قام (ملز) بتذكير ريجان بأن حزقيال قال أيضاً: أن الحبشة ستكون بين القوى الشريرة، فقال ريجان: «إنني أوافق على أن كل شيء لم يأخذ مكانه بعد، ولكن لم يبق إلا حدوث هذا الشيء فقط، إذ يجب أن يسيطر الحمر على أثيوبيا»!

- وعندما قال ملز إنه لا يعتقد أن هذا أمر مرجح، قال ريجان: «اعتقد بأن هذا أمر لا مفر منه، إنه ضروري لتحقيق النبوءة القائلة بأن أثيوبيا ستكون من الأمم الكافرة التي ستقف ضد إسرائيل» (٢).

(١) «الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل الكيلاني ص (١١).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٥٤، ١٥٥).

ويبدو أن ريجان قد ذهب بعيداً في إيقانه من أن المسألة أصبحت مسألة وقت بالنسبة لمجيء اليوم، فهو يعتقد أن لا عقبات هناك تحول بين ذلك اليوم، وبين حدوثه، قال ريجان للز: «إن كل النبوءات الأخرى التي تعين تحقيقها قبل معركة مجدو قد حدثت والفصل ٣٨ من حزقيال يقول: إن الله سيأخذ بني إسرائيل من وسط الكفار حيث سيكونون مشتبين، ثم سيلم شملهم مرة أخرى في أرض الميعاد، وقد حدث هذا بعد قرابة ألفي سنة، ولأول مرة في التاريخ فإن كل شيء مهياً لمعركة مجدو، والمجيء الثاني للمسيح».

وهناك قرائن تدل على أن ريجان ظل محتفظاً باعتقاده في معركة مجدو حتى ركب سدة الحكم في أكبر دولة في العالم وأقواها.

فعندما رشح نفسه للرئاسة عام ١٩٨٠م أدلى رونالد ريجان بتعليق عن نهاية العالم أثار انتباه المعلقين السياسيين؛ حتى قال أحد المعلقين في صحيفة نيويورك تايمز (وليام سافير): «إن ريجان كان يخاطب حينئذ مجموعة من زعماء اليهود، وقال لهم: «إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي نستطيع الاعتماد عليها كبقعة ستحدث فيها معركة مجدو».

وقال ريجان في مناسبة أخرى للمبشر جيرى فالويل: «جيرى.. إنني اعتقد أحياناً بأننا نتجه الآن بسرعة عالية جداً نحو معركة مجدو».

وفي أكتوبر (تشرين) ١٩٨٣ كشف ريجان النقاب عن أن معركة مجدو ليست فقط عقيدة لا تزال تسكن قلبه، بل إنها لا تزال تشغل باله. فقد اتصل هاتفياً مع (توم داين) من اللجنة المركزية الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة، التي هي أقوى مجموعة ضغط قوية لإسرائيل، وقال داين إن ريجان قال له: «أتدري..؟ إنني أعود إلى

أنبيائكم القدامى في العهد القديم، وإلى الدلائل التي تنبئ بمجدو، وأجدني أتساءل عما إذا كنا الجيل الذي سيشهد ذلك.. لا أدري إن كنت لاحظت أياً من هذه التنبؤات في الأزمنة الأخيرة.. ولكن صدقني إنها تصف بالتأكيد الزمن الذي نعيشه».

والرئيس الأمريكي ريجان لم يكن يخفي توجيهاته الدينية الدفينة قبل، وبعد تولي الرئاسة، وهو بعد أن نجح في انتخابات الرئاسة التي جاءت به لمقعد الحكم لبس القبة اليهودية المعروفة، وألقى خطاباً في مؤتمر يهودي، كدليل التزامه بالصهيونية وولائه المطلق لليهود.

□ قال المستشار الأمريكي للأمن القومي (بريجنسكي): «إن على العرب أن يفهموا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات العربية؛ لأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي»^(١).

✽ بوش وما أدراك ما بوش!!

□ وقف الرئيس الأمريكي «جورج بوش» أمام حائط (المبكى) (البراق) في القدس، وقد لبس القبة اليهودية وقبل أحجار الحائط القديم الذي يرمز للهيكل. وكانت الزيارة في عام ١٩٨٧ عندما كان نائباً لريجان ونشرت الجرائد صورته على هذه الهيئة»^(٢).

جورج بوش الذي كان نائباً لريجان وساعده الأيمن، والذي قدم لليهود ما لم يقدمه قبله لا ريجان ولا غيره.

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٥٦ - ١٥٧).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤٢، ١٤٣، ١٤٤).

والذي أظهر أثناء أزمة الخليج من التعاطف مع الأصوليين ما لم يسبقه إليه أحد؟!

كما أن بوش له علاقات صداقة حميمة مع زعماء الأصوليين الإنجلييين وخاصة جيرى فولويل الذي يقول عنه بوش: «أعتقد بكل أمانة أننا برجال من أمثال جيرى فولويل، فإن شيئاً فظيماً كالإبادة الجماعية لليهود لن يحدث ثانية^(١) - وسيأتي الحديث عن هذا الأصولي لاحقاً.. وتذكر غريس هالسيل أن فولويل أقام حفل غداء في ٢٥ يناير ١٩٨٦ على شرف بوش، وقال في الحفل: «بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨»^(٢).

ومهما قيل عن ماضي بوش الإجرامي، فإنه يصف نفسه في كتابه «التطلع إلى الأمام» بأنه متدين، وأن جده كان قسيساً، وأنه هو وأسرته يقرءون الكتاب المقدس كل يوم، ويتحدث كيف واجهته مشكلة تعميد ابنته حينما كان سفيراً في الصين، وصورته وهو يرتدي القبعة السوداء ويلثم حائط المبكى على طريقة اليهود يعرفها الجميع.

*(١٩٩٩ نصر بلا حرب):

هذا عنوان كتاب للرئيس «نيكسون» أكثر رؤساء أمريكا فكراً وتنظيراً، والعنوان يشعر بالفكرة الألفية وسيطرة الحكومة الواحدة على العالم، يقول نيكسون:

«في العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا ورثت الأصولية

(١) «البعد الديني» ص (١٧٢).

(٢) «النبوة والسياسة» ص (٣٢)، وهذا ما حدث فعلاً كما هو معلوم: وفي ذلك دليل على ارتباط بوش بالأصولية وضرورة اعترافه لهم بالجميل!!.

الإسلامية مكان الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف» (١).

ويختم كتابه بعبارات لا يتفوه بها إلا أعتى الأصوليين الإنجليين فيقول: «عندما كانت أمريكا ضعيفة وفقيرة منذ مائتي سنة مضت كانت عقيدتنا هي المبقية علينا، وعلينا ونحن ندخل قرننا الثالث، ونستقبل الألف سنة المقبلة أن نعيد اكتشاف عقيدتنا ونبث فيها الحيوية». وقد نشرت له مجلة الشؤون الخارجية تعليقاً على اللقاء الأول الشهير بين ريجان وغورباتشوف قال فيه:

«يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية» (٢).

*** الرئيس الأمريكي ترومان يعترف بإسرائيل ، بعد ١١ دقيقة فقط من إعلان قيامها :**

«في عهد الرئيس الأمريكي ترومان طلب خمسة آلاف قسيس بروتستانتى أمريكى إلى الحكومة أن تتدخل لإباحة الهجرة اليهودية إلى

(١) ١٩٩٩ نصر بلا حرب» لريتشارد ديكسون ص(٣٠٧).

(٢) ذكر مؤلف كتاب (أمريكا والشرعية) حادثة تدل على أن الأصولية المتعصبة تجاوزت رجال الكنيسة والسياسة إلى المثقفين الكبار. فقد تحدث جمال الغيطاني الأديب المصري عن رحلته إلى موسكو مع الشاعر الفلسطيني سميح القاسم ليمثلا اليساريين العرب، ويتحدثا عن الأمجاد الثورية شعراً ونثراً، ولكن المفاجأة كما رواها الغيطاني أن أكبر شاعر في الوفد الأمريكي قام لإلقاء قصيدة، وقدم بمقدمة قال فيها: «يجب علينا نحن الأمريكان والسوفيت تناسي خلافاتنا والتحالف معاً لضرب الإسلام»، فإذا بالغيطاني وزملائه يتبادلون النظرات، ويتساءلون: هل هذه هي التقدمية التي كلنا لها المديح...! انظر: «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٣٧ - ٤٠).

فلسطين دون قيد أو شرط وسارع الرئيس ترومان إلى الاستجابة^(١) .
 وصرح الرئيس الأمريكي (ترومان) في جوابه على سؤال موجه إليه
 عن كتابه المفضل فأجاب «إنه التلمود»^(٢) .
 ولقد اعترف ترومان بإسرائيل دولة، بعد ١١ دقيقة فقط من إعلان
 قيامها في تل أبيب، وبأدر بتمويل آلاف الملايين من الدولارات من
 الضرائب الأمريكية إلى دولتهم^(٣) .
 * الرئيس الأمريكي روزفلت وميداليته:

في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت، تمت موافقته على
 اتخاذ النجمة الإسرائيلية شعاراً رسمياً لدوائر البريد، وللخوذ التي يلبسها
 الجنود في الفرقة السادسة، وعلى أختام البحرية الأمريكية وعلى ميدالية
 رئيس الجمهورية^(٤) .

□ يقول «بول فندلي» عضو الكونغرس الأمريكي في كتابه «من
 يجرؤ على الكلام»: «الواقع أن جميع النصارى ينظرون إلى الشرق
 الأوسط من منظار الصلة الروحية بإسرائيل، ومن زاوية الميل إلى
 معارضة، أو عدم تصديق أي شيء يشكك في سياسة إسرائيل،
 والقناعات الدينية هي التي جعلت الأمريكيين يستجيبون لنداءات اللوبي
 الإسرائيلي» .

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤٢) .

(٢) المصدر السابق ص (١٤٣) .

(٣) «عقيدة اليهود» ص (٢٢٣) .

(٤) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤٣) .

ويقول: «أعتقد أن أسباب البركة في أمريكا عبر السنين أننا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام واعترفنا بحقوقها في الأرض»^(١).

□ وعندما انعقد المجمع العالمي الثاني للكنائس المسيحية في (أفانستون) عام ١٩٥٤م قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريراً جاء فيه: «إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم - التوراة - بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك».

وأصدرت مجموعة من الأساقفة في المؤتمر المذكور البيان التالي:

«إننا نؤمن أن الله اختار إسرائيل - الشعب المختار - لكي يتابع خلاصه للبشرية. ومهما كان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة التي هي إسرائيل. ولذلك فإن شعب العهد الجديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب العهد القديم. . إن انتظارنا لمجيء المسيح الثاني يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار»^(٢).

* جيري فولويل:

صاحب برنامج «ساعة من إنجيل زمان»، وهو من أشهر قيادات التيار الأصولي الأمريكي وله منظمة يسمونها «الأغلبية الأخلاقية» أو

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤١).

(٢) مجلة الأمل العدد (١٠٤/١٩٨٢).

«الأغلبية المعنوية» .

ومن كلماته: «إن دعم الولايات المتحدة لإسرائيل ليس من أجل مصلحة «إسرائيل»، ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها». يقول هذا الرجل: «إن الولايات المتحدة الأمريكية جمهورية نصرانية يهودية» .

□ يقول هذا الصليبي - وهو صديق شخصي لبيجين وشامير: «لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل، وتبقى في عالم الوجود فالرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود» .

وقال: «أنتم تعلمون أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يجلس المسيح يومًا على عرش داود في القدس» .
وقد قام برحلة إلى فلسطين عام ١٩٨٣ اصطحب فيها ٦٣٠ مسيحيًا استقلوا الطائرة من نيويورك إلى تل أبيب، وذهبوا إلى «مجدو» مكان المعركة المنتظرة .

□ ويقول «فولويل»: «إن الوقوف ضد «إسرائيل» هو وقوف ضد الله»، ويشير في برامجه إلى ما يسميه (وعد الله لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام)، وقول الرب: «سأبارك من يبارك إسرائيل، وألعن من يلعنها» كما في التوراة ويضيف:

وبناء على هذا فإن على الولايات المتحدة ألا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى «إسرائيل» .

وعندما قامت دولة «إسرائيل» عام ١٩٤٨ لم يعتبر ذلك مفتاحًا

للنبوءات التوراتية فحسب بل قال: «إن هذا علامة على مباركة الله وفاء لشعب الله».

ويقول فولويل - وهذه عبارة مهمة بالنسبة لمشروع السلام -: «إنه لا مجال للنقاش بكون يهوذا والسامرة جزءاً من «إسرائيل»، وكذلك الجولان، وإن القدس عاصمة أبدية موحدة لـ «إسرائيل».

وقد أنشأ فولويل جامعة سماها «جامعة الحرية» ويقول: إن عدد طلابها سيصل عام ٢٠٠٠ إلى خمسين ألف طالب، ويتعلم فيها الطلاب علم اللاهوت من وجهة النظر اليهودية، وهذه الجامعة ينتمي طلابها إلى دول كثيرة.

وهو يؤكد باستمرار (أن إعادة تأسيس إسرائيل عند المسيحيين الأصوليين هو إيفاء بالنبوءات) أي: وعود التوراة المحرفة.

وهو لا يكتفي بالحدود الجغرافية الحالية لـ «إسرائيل» بما فيها الضفة الغربية وغزة والجولان بل يطالب بامتداد أراضيها من الفرات إلى النيل، ويقول في برنامجه «ساعة من إنجيل زمان» حينما غزا اليهود لبنان واحتلوا بيروت عام ١٩٨٢ - يقول: «يذكر سفر التكوين من التوراة أن حدود «إسرائيل» ستمتد من الفرات إلى النيل، وستكون الأرض الموعودة»، والأرض الموعودة كما يقول: «هي العراق وسورية وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع لبنان والأردن والكويت»، فالأصولية الإنجيلية ترى أن كل هذه الأرض أرض كنعان، إذن كلها موعودة.

ويهاجم هذا الرجل العرب، ويقول: لا مكان للعرب بيننا، ولا علاقات حسنة معهم؛ لأنهم ينكرون قيم الولايات المتحدة الأمريكية وطريقة معيشتها، ويرفضون الاعتراف بـ «إسرائيل».

وهذا اتباع لما جاء في التوراة من أن هناك سبعة شعوب ملعونة أهمها الشعب العربي .

بقي أن نقول إن «جيري فولويل» هذا صديق حميم للرئيس الأمريكي بوش، وقد أعلن بوش أكثر من مرة صداقته له كما سبق ^(١) .

* «بات روبرتسن» صاحب الخط ٨٠٠:

والرجل الثاني «بات روبرتسن»، وهذا معروف في أنحاء أمريكا كلها بأنه نجم تلفازي ديني، وقد أنشأ هذا الرجل محطة تلفازية تغطي أكثر من ستين دولة أجنبية، وتستخدم الأقمار الصناعية في البث، ويقول الرجل أنه يتلقى أكثر من أربعة ملايين مكالمة عن طريق الخط المجاني رقم ٨٠٠ .

وهذه المكالمات تحتوي الفتاوى والأسئلة والاسترشادات الكنسية، ويجب عليها هو وزمرته .

وهناك محطة مشهورة هي (C.B.N)

هذه المحطة يملكها «بات روبرتسن» وجماعته الإنجيلية الأصولية، وهي تذيع باستمرار على مدار ٢٤ ساعة وتركيزها الأساسي على برامج الوعظ .

وكذلك «نادي السبعمئة» - كما في الجدول -، ويملك أيضاً جامعة

تسمى جامعة C.B.N .

(١)راجع كتاب «البعء الديني» و«النبوة والسياسة» و«الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني، و«المنظمات اليهودية الأمريكية» للي أوبرين، و«المبشرون البروتستانت والنية القاتلة» لجريس هالسيل، وكتاب «القدس الوعد الحق والوعد المفترى» .

وتقول عنه نيويورك تايمز لا يوجد في عقل بات روبرتسن سوى الأيام الأخيرة من الزمن، والمجيء الثاني للمسيح، ونشوب معركة هرمجدون. أي: أنه يتوقع نزول المسيح - عليه السلام - بنهاية هذا الألف الثاني للميلاد، ويعلل ذلك بأن إعادة مولد «إسرائيل» هي الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلي لنهاية الكون قد بدأ، كما أنه مع مولد «إسرائيل» فإن النبوءات أخذت تتحقق بسرعة، أي: أن كل ما أخبر به الكتاب المقدس سيأتي اعتباراً من وجود دولة «إسرائيل».

وفي برامجه يؤكد دائماً على عداوته للعرب، ويسميهم أعداء الله، ويعتقد أنه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين طالما أن رغبة الله هي تأسيس «إسرائيل» وفي تعيين حدودها.

ويقول في إحدى نشراته أن احتلال «إسرائيل» للقدس في حرب حزيران ٦٧ هو أهم حدث تنبؤي في حياتنا، وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية، وأن شبكته الإذاعية ستكون جزءاً حيوياً من حركة الإله نحو دعم «إسرائيل».

وقد كان هذا الرجل - بات روبرتسن - ضمن الوفد الرسمي الذي رافق بوش في زيارته للسودان عام ١٩٨٥ التي وقع على أثرها اتفاق أمريكي - سوداني بترحيل يهود الفلاشا إلى «إسرائيل» وهذا يدل على قوة العلاقة التي تربط هذا الرجل بالرئيس بوش.

وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٢/١١/١٤١٢ هـ خبراً عنوانه «داعية ديني يشتري أكبر وكالة أنباء أمريكية»، وذكرت قصة شراء شركة روبرتسن المسماة شركة الإعلام الأمريكية لوكالة «يونايتد انترناشيونال» الشهيرة، وقالت: «وتتبع شركة الإعلام الأمريكية إلى

شبكة الإذاعة المسيحية التي يمتلكها روبرتسن وهي سلسلة من محطات التلفزيون والراديو تنتشر في مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وتصل هذه القناة العائلية الخاصة المقصورة على المشتركين إلى ٥٤ مليون أسرة أمريكية»^(١).

* جورج أوتس: اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب الله المختار
أما الرجل الثالث المشهور في إطار الأصولية الإنجيلية فيدعى جورج أوتس، وله منظمة كبيرة تسمى «رعوية المغامرة الكبرى»، وهذه المنظمة تؤمن بحرفية التوراة، وأنها كتاب من عند الله، وبالتالي فهي تؤمن بأن «إسرائيل» مقدمة لعودة المسيح - عليه السلام - ثانية، وتلتزم التزاماً كاملاً بدعم اليهود، وتقول في إحدى إعلاناتها:

«نحن ملتزمون بأمن «إسرائيل» كما نؤمن بأن كل الأرض المقدسة هي ميراث للشعب اليهودي، غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أعطي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولم يلب قط» وتضيف:

«كما أن إنشاء «إسرائيل» الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية، ونذير بمقدم المسيح، ونعتقد أن اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب الله المختار وأنه يبارك من يباركهم ويلعن من يلعنهم»^(٢).

* مايك إيفانز:

وهناك شخصية أخرى من شخصيات الأصولية النصرانية، هو «مايك إيفانز» وهو أيضاً رجل له علاقة حميمة بالرئيس بوش، وهو من

(١) «القدس بين الوعد الحق... والوعد المفترى» ص (٥٧ - ٦٠).

(٢) «القدس» ص (٦٠).

أكثر الأصوليين النصارى تطرفًا، ورأيه يتلخص في أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تسعى سعيًا حثيثًا من أجل إقامة إسرائيل، ويرى أن مثل هذا العمل لوجه الله، وتأييدًا لكلمة الله، ويملك برنامجًا اسمه «إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء»، وهذا البرنامج يث لمدة ساعة يوميًا في أكثر من خمسين محطة تغطي أكثر من ٢٥ ولاية أمريكية.

ويقول «إيفانز»:

إن تخلي «إسرائيل» عن الضفة الغربية سوف يجر الدمار على إسرائيل وعلى الولايات المتحدة الأمريكية من بعدها، ولو تخلت إسرائيل عن الضفة الغربية، وأعادتها للفلسطينيين، فإن هذا يعني تكذيبًا بوعد الله في التوراة، وهذا سيؤدي إلى هلاك «إسرائيل» وهلاك أمريكا من بعدها إذا رأتها تخالف كتاب الله وتقرها على ذلك، ويناشد «إيفانز» الشعب الأمريكي التقدم لتأييد أفضل صديق للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بتوقيع إعلان البركة الإسرائيلي؛ لأن الرب أمره بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بإسرائيل.

ويقول: «إن كلمة الله غير قابلة للتفاوض، ونحن نؤمن علاوة على ذلك بأن الكتب المقدسة تعترف بالقدس عاصمة روحية لإسرائيل، وأن المسيح اليهودي سيعود إليها كذلك».

ويضيف: «ومن أجل هذا تعاهدنا على الصلاة من أجل شعب «إسرائيل»، والوقوف معه في كفاحه من أجل الحرية والسلام».

ويضيف: «نحن نؤمن بكلمة الله حينما تقول: سوف أبارك من يباركهم وألعن من يلعنهم، نحن نؤمن أن من واجب أمريكا الوقوف بجانب «إسرائيل»، وكلمة الله تعترف بالقدس، وعلينا واجب الاعتراف

بكلمة الله».

وبرنامجه يشاهده عشرات الملايين في أمريكا وأوروبا وأمريكا اللاتينية.

وقد وزع إيفانز بيان «القدس دي سي» على عدد من الأمريكان، ووصل عدد الذين وقعوا عليه إلى مليون أمريكي، وأرسلوا هذه التوقيعات إلى رئيس أمريكا وإلى رئيس وزراء «إسرائيل». وقدم هذا إلى شامير، وكتب إيفانز وقتها يقول:

«إن عيني شامير اغرورقت بالدموع، وقال: إن أولئك المسيحيين يحبوننا حباً عظيماً»^(١).

* أمريكا وقراراتها السياسية المتأثرة بمعتقداتها الدينية:

نشرت جريدة الواشنطن بوست - في ٢٦/١٢/١٩٨٣ - إحصائية أجراها معهد «جالوب» أثبت أن ستين بالمائة من الأمريكيين يهتمون بالدين، وأن اثنين وأربعين بالمائة منهم يداومون على الصلاة في الكنائس، وأن ستاً وعشرين بالمائة منهم يقبلون على دراسة الكتاب المقدس.. كما قرر أكثر من ثلث الأمريكيين أن قراراتهم السياسية تتأثر بمعتقداتهم الدينية»^(٢).

ويقرر معهد جالوب أن ٦٠ مليون شخص أو أكثر يشاهدون برنامجاً أو أكثر من برنامج الكنيسة المرئية شهرياً.

(١) «القدس» ص (٦١ - ٦٣)، و«قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤٢).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٧١).

* والفاتيكان :

«كان بابا الفاتيكان من الأسباب الأساسية في سرعة قبول إسرائيل عضواً بالأمم المتحدة بعد قيامها، فقد ألقى بثقله عام ١٩٤٩ خلف الطلب الذي تقدمت به دولة إسرائيل لتصبح عضواً في الهيئة العالمية، وأشار على الدولة الكاثوليكية - التي يرعى كنيستها - بأن تُصوّت بالموافقة على هذا الطلب»^(١).

ولقد ظل الكاثوليك حتى فترة قريبة يرفضون تاريخياً سيطرة اليهود على بيت المقدس ولا يشجعون عودتهم، فلما عادوا أعاد الكاثوليك النظر في مواقفهم العدائية لليهود.

اجتمع المجمع المسكوني في دورته الثانية (المؤتمر الديني العالمي للكنيسة الكاثوليكية) في عام ١٩٦٢ في الفاتيكان، وضم ٢٨٥١ مندوباً عن الكنائس الكاثوليكية في العالم، إضافة إلى ممثلي الطوائف المسيحية الأخرى من الأرثوذكس والبروتستانت وقرر نص التبرئة بأغلبية عظمى ضد ١٨٨ صوتاً فقط.

(... وتضع الكنيسة نصب عينيها دائماً ما قاله بولس الرسول في شأن اليهود الذين هم إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراك والعبادة والموايد.

ومن الواجب أيضاً أن نذكر أن اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة هو جزء من الأمل المسيحي.

لذا يجب على الجميع.. عدم إظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون،

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص (١٤١).

أو القيام بما يباعء بين الناس وبين اليهود؁ ويجب بالإضافة إلى ذلك أن نحرص كل الحرص ألا نعزو إلى يهود عصرنا ما ارتكب من أعمال أيام المسيح^(١).

ولقد حُذفت سائر الأءعية والصلوات التي كانت تتضمّن إءانة اليهود في عبادات الكنيسة الكاثوليكية؁ ثم حصل لقاء تاريخي بين (البابا) وشمعون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق؁ وكان ذلك في بداية الثمانينات؁ وقد بدأ (البابا) في الصور منحنيًا أمامه ليصافحه؁ وفي عام ١٩٩٣ اعترف الفاتيكان رسميًا بدولة اليهود إلا أنه ظل متحفظًا على التنازل عن القدس عاصمة لهم.

والذي يظهر أن الفاتيكان زعيم الكاثوليكية في العالم لن يقرّ بحياة اليهود ولا المسلمين للقدس في دولة إسرائيل أو فلسطين أو غيرها؁ فالقدس هي القدس عند الكاثوليك والأرثوذكس عاصمة المسيح والمسيحيين^(٢).

* ونصاري فلسطين :

أءء البطاركة وزعماء الطوائف النصرانية في القدس مذكرة نُشرت في ١٤ نوفمبر ١٩٩٥م؁ طالبوا فيها بتحويل القدس إلى «عاصمة للجنس البشري»!!!

وأكد أصحاب المذكرة أن الرب اختار القدس مكانًا لسكنه - تعالى الله عن زعمهم - وأن القدس هي مكان الخلاص؁ وفيها وُلدت الكنيسة؁

(١) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص (٢٢٦؁ ٢٢٧).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (١٤٩ - ١٥٠).

ولقيت المذكرة النظر إلى أن سفر الرؤيا قد بشر بمجيء المسيح إلى «القدس الجديدة»، المدينة التي سيمسح فيها الرب كل الدموع! وقالت المذكرة: إن القدس بالنسبة لكل مسيحي هي منبع الحياة؛ فكل مسيحي يُولد في القدس، والوجود في القدس يعني الوجود في بيت الرب!«^(١).

□ يقول إيمانويل هيمان: «كل التيارات الأرثوذكسية المختلفة، تتبع طريقاً سيؤدي بها في المستقبل إلى أرضية مشتركة، ألا وهي اقتناعها جميعاً بقرب مجيء المسيح المنتظر»^(٢).

وأخيراً:

صدر كتاب عام ١٩٩٣م بعنوان «بابل أو القدس» لمؤلفه (يان فيلان دارهوفن) جاء فيه «تعارض السفارة المسيحية الدولية مطالب المسلمين في البيت المقدس، وتطالب بالتسامح تجاه اليهود الذين يطالبون بالصلاة فيه، وتؤكد على حق إسرائيل في جعل القدس عاصمة موحدة لهم»^(٣).

فنصارى العالم يتخذون موقفاً موحدًا برفض سيطرة المسلمين على القدس.

✽ عجباً لمن يتحدثون ويحملون شعار - الله محبة - :

إن عقدة «الجويم»، أو الكفار أو العامة أو «الجنّيل» الذين خلقهم الله لخدمة اليهود، ولكن خلقهم على هيئة البشر لئلا يستوحش منهم اليهود. هذه العقيدة يشارك البروتستانت اليهود فيها، ولهذا فإن الحديث عن فناء «العامة» من غير اليهود وأشباههم من البروتستانت هو

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (١٥٠).

(٢) «الأصولية اليهودية» لإيمانويل هيمان.

(٣) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص (١٥٠ - ١٥١).

من الأحاديث المنعشة لأرواحهم والمساعدة لأسماعهم.

قال القس «جيرى فالويل» في محاضرة ألقاها في ١٢ ديسمبر ١٩٨٤م عن أحداث هرمجدون: «ما أعظم أن نكون مسيحيين؛ إن أماننا مستقبلاً رائعاً، نشكر الله أن هذه المعركة سوف تكون نهاية أيام العامة (الجنّيل)؛ لأنها بعد ذلك سوف تعد المسرح لقدم الرب المسيح بقوة وعظمة»!!!.

إذن فأين الحديث عن السلام والمحبة؟!!

ومن أراد المزيد عن كلامهم عن هذه الحرب المتوقعة فليُنظر إلى كتاب «دراما نهاية الزمن» لمؤلفه «أوترال لوبرتس» وقد بيعت منه ملايين النسخ، وكتاب: «الكرة الأرضية، ذلك الرجل العظيم» من تأليف «هال لندسي» وقد بيعت منه نحو ١٨ مليون نسخة.

✽ الإعلام العربي العلماني عريض القفا يتاجر في المخدرات الفكرية غافل عن روح الأمة :

إن المشاعر الدينية تلقي بظلالها على تصرفات اليهود والنصارى حيال قضية القدس وفلسطين، ولا يمكن أبداً أن نجد تفسيراً مقبولاً لتأييد النصارى لإسرائيل عندما نغزل القضية عن خلفيتها الدينية^(١).

□ يقول الشيخ عبد المعز عبد الستار:

«حدثنا الإمام فقيد الإسلام السيد محمد أمين الحسيني مفتي

(١) يراجع كتاب «الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني، و«المنظمات اليهودية الأمريكية» للي أوبرين، و«المبشرون والبروتستانت والنية القتالة» وكتاب «البعد الديني في السياسة الأمريكية» للدكتور يوسف الحسن.

فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين - رحمه الله - قال: كنت أود زيارة المندوب البريطاني حاكم فلسطين، فقال لي: إن أمي علمت بوجودك وتودّ مقابلتك، فقلت له: أهلاً وسهلاً، وجاءت العجوز، فكان أول ما قالت له لي: أرجوك ألا تقف ضد إرادة الرب، فقلت لها: يا سيدة، ومن يستطيع أن يقف ضد إرادة الرب؟ قالت: أنت، فقلت لها: كيف؟ قالت: لأنك لا تريد أن تُعطي اليهود الأرض التي أعطاه الله لهم.

قلت: إنها أرضي وبيتي وكيف يعطيها الله لهم، وأنا أين أذهب؟
قالت: إنها إرادة الله!

ولما انتهت المقابلة قلت لابنها: إن والدتك طيبة متأثرة باليهود، قال: لا، بل نحن البروتستانت نؤمن بهذا، والأنجيل تبشر به.
ولما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض سنة (١٩٣٩)م تحدّد فيه أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين ثار اليهود وسيّروا المظاهرات في عواصم أوروبّا تهتف:

الكتاب المقدس لا الكتاب الأبيض يعطينا الحق في فلسطين.
التوراة لا الكتاب الأبيض تعطينا حقنا في فلسطين»^(١).

يقول كارتر في مذكراته: «كانت الأخلاق اليهودية والنصرانية ودراسة «التوراة» أواصر بين اليهود والنصارى، وقد ظلت هذه الأواصر جزءاً من حياتي. كذلك قد كنت أعتقد اعتقاداً راسخاً بأن اليهود الذين لم تقض عليهم جائحة النازية يستحقون أن يكون لهم وطن خاص، كما

(١) «اقرب الوعد الحق يا إسرائيل» لعبد المعز عبد الستار.

أن لهم الحق في أن يعيشوا في سلام بين جيرانهم، واعتبرت أن هذا الوطن القومي لليهود يتماشى مع تعاليم «التوراة»! ولذا فإنه أمر شرعه الله!! وقد جعلت اعتقاداتي الخلقية والدينية هذه التزامي بأمن إسرائيل التزاماً لا يتزعزع»^(١).

□ «وحيثما سئل وزير دفاع إسرائيلي سابق، وهو عالم آثار يهودي أيضاً، ومفسر غير متفرغ للتوراة، عما إذا كانت مطالب إسرائيل «الدينية» والتاريخية يجب أن يكون لها دور في السياسة الإسرائيلية، أجاب قائلاً: «هذا هو أساس الوجود الإسرائيلي وهي: الشعب اليهودي، والكتاب المقدس، وأرض اليهود. (ولذلك) إذا اجتمعت التوراة وأمة التوراة فلا بد أن تكون معهما أيضاً أرض التوراة»^(٢).

□ «لقد نشرت الصحف منذ سنوات تصريحاً للجنرال الإسرائيلي المعروف «موسى ديان» يبرر به ضم القدس إلى إسرائيل وإنشاء مستوطنات جديدة فيقول: «إن على الذين يعارضون هذه السياسة مراجعة موقفهم من الإنجيل والتوراة!»^(٣).

وخيانة الإعلام العربي العلماني لله ولرسوله وللإسلام ولفلسطين والقدس وتاريخ الأمة ما فوقها خيانة.. لقد انكشفت سوءته. لماذا كل هذا الصمت المريب في إظهار حقيقة الصراع.. في ظل غيبوبة مفروضة على الأمة؟ لماذا يسكت عن كل هذا الضجيج المذع والذي صخ الأسماع للمعركة التي ينتصر فيها بوق اليهود ونواقيس النصارى - كما يزعمون -

(١) الترجمة لجريدة «الشرق الأوسط» جدة - ٤ / ١٠ / ١٩٨٢.

(٢) «القدس قضية كل مسلم» ص (١٠٠).

(٣) المصدر السابق ص (٩٥).

لماذا لا تثار الغيرة الإيمانية؟ ولماذا الخوف من حنين الأمة إلى دينها - لا أم لكم -؟ ولماذا الخوف من الغيرة الإيمانية وإيضاح حقيقة المعركة وأنها دينية؟!!!!

وإيقاظ المشاعر الدينية - أيها البله.. البائعون لكل شيء روح الأمة التي لو فارقتها لفارقتها الحياة.

لماذا هذا السياج القذر من التعقيم والتعمية الذي يقام حول حقيقة المعركة حتى لا تنتبه الأمة وجماهيرها اللاهية إلى ما يراد لها، حين تعرض القضية تعرض بشكل جزئي مهمش مختزل مغبش مغلف بالخيانة في كل فصولها، وبرايات مزيفة، يزيّفون حقيقة المعركة لغرض في نفوسهم دفين - يخافون صحوة المارد من غفلته، ليقول: إني لم أمت، ها أنذا. إن الإعلام العربي العلماني مهمته الاتجار في المخدرات الفكرية، ويعمل على ترويجها حتى تصاب الأمة كلها بحالة من إدمان الترف المعرفي التائه، أو التجاهل والتشاغل المذهبي.

* تصم آذانهم عن قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

«إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان.. إنها هي العقيدة.. هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة، إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها، ولكن المعسكرين العريقين في العداوة

للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى، ويرفعان عليها أعلاماً شتى، في خبث ومكر وتورية، إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، ومن ثمّ استدار الأعداء العريقون فغيّروا أعلام المعركة. . لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة - على حقيقتها - خوفاً من حماسة العقيدة وجيشانها. إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة، والمراكز العسكرية، وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها. فهذه سمة المتخلفين المتعصّبين! بينما هم في قرارة نفوسهم: الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية بإضافة الشيوعية العالمية جميعاً يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً، فأدمتهم جميعاً»^(١).



(١) «الظلال» لسيد قطب (١/١٠٨).

❁ إِنْ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكَفْرِ حَرْبًا ^(١) ❁

لَوْ رَأَيْتَ الْأَقْصَى يَنْ سَجِينًا
وَإِذَا بِالْأَذَانِ فِيهِ نَحِيبٌ
دَاسَ صَهْيُونُ قُدْسَهُ حِينَ ذَلَّتْ
أُمَّةٌ شَدَّوْهَا الْكَذُوبُ نَعِيبُ
جَاءَ رَهْطُ الْغُرَبَانِ بَعْدَ نُسُورٍ
وَبِعَاودِ الْغُرَبَانِ شَرٌّ يَأُوبُ
إِذْ رَأَيْتَ الْإِسْلَامَ شَرْقًا وَغَرْبًا
ضَائِعًا تَائِهًا حَوْتَهُ الْكُرُوبُ
فَبِلَادُ الْإِسْلَامِ نَهَبُ عَدُوٍّ
مُلْحِدٍ فِيهِ لِلشُّرُورِ نَصِيبُ
كَفَرُهُ فِي الْأَنَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا
وَرَأَى الْكَفْرَ شَمَالًا وَالْجَنُوبَ
وَسَكَّتْنَا عَلَى الْأَفْعَايِ صَلَاحًا
حِينَ ضَمَّتْ تِلْكَ الصَّلَالُ الْجُيُوبُ
وَلَدَغْنَا مَثْنَى لَدَغْنَا رُبَاعًا
حِينَ ضَاعَ الْإِيمَانُ فَهُوَ غَرِيبُ

(١) لعلي هاشم رشيد.

ونسِينا قَوْلَ الرِّسُولِ بَلاً
 يُلدَغُ الْمُؤْمِنُ الْحَصِيفُ الْأَرِيبُ
 ثانياً مِنْ صِلَالِ جُحْرِ بَقْفَرٍ
 لو تَبَدَّى وَهُوَ النَّدِيُّ الْحَصِيبُ
 فَالْأَفَاعِي تُبَدِّلُ الثُّوبَ غِشًّا
 ولذا العِيشُ قُرْبُهَا لَا يَطِيبُ
 يا أَخِي حِكْمَةٌ عَرَفْتَ فَخُذْهَا
 مِنْ خَبِيرٍ وَقَدْ عَلَاهُ الْمَشِيبُ
 إِنَّ مَنْ كَانَ مُشْرِكًا وَكُفُورًا
 كُفِرَ فِي الدِّمَاءِ مِنْهُ الدَّيْبُ
 مَنْ يُعَادِي الرَّحْمَنَ جَهْرًا تَرَاهُ
 عَنْ عِدَائِ الرَّحْمَنِ يَوْمًا يَتُوبُ؟!
 أَمْ تَرَاهُ مِنَ الضَّلَالَةِ يَشْفَى
 وَإِلَى وَاضِحِ الصِّرَاطِ يَثُوبُ
 خَتَمَ اللَّهُ قَلْبَهُ، دَعَا لَدَّ
 هَ رَمَادُ الْكُفُورِ مِنْهُ الشُّبُوبُ
 وَسُكُونُ الرِّيحِ يُنْذِرُ دَوْمًا
 بِالْأَعَاصِيرِ حِينَ يَأْتِي الْهُبُوبُ
 وَالْأَفَاعِي مِلْسَاءُ مِثْلُ حُرِيرٍ
 فَهَلِ الْعِيشُ وَالْأَفَاعِي يَطِيبُ

إِنَّ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ حَرْبًا
عُمَرُهَا عُمُرُ كَوْنِنَا لَا تَغِيبُ
لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ رَبُّ رَحِيمٍ
لِدُعَاءِ الدَّاعِينَ صِدْقًا... يُجِيبُ
وَلَهُ النَّصْرُ فِي النَّهَائَةِ حَتْمٌ
إِنْ تَرَجَّتْ لَدَى الصَّرَاعِ الْخُطُوبُ

❖ الصليبيون .. وحروبهم الصليبية وما فعلوه بالمسلمين في فلسطين وغيرها (١) ❖

مَكَائِدُ...! وَالشَّيْطَانُ مَدَّ جِبَالَهَا
وَأَبْرَمَ مِنْ نَهْجٍ وَمِنْ خُطَوَاتٍ (٢)
يُجْمَعُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ طَوَائِفًا
وَيُجْمَعُ مِنْ كُفْرٍ طَغَى وَشَتَاتٍ
كَأَنَّ بَرِيقَ الشَّرْقِ هَيَّجَ فِتْنَةً
وَأُطْلِقَ مِنْهَا وَثْبَةُ الشَّهَوَاتِ

(١) من قصيدة «ملحمة التاريخ» من ديوان «جراح على الدرب» للدكتور عدنان النحوي ص(١٤٤ - إلى ما بعدها).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾... من آية ٢١.

يُمْنِيَهُمُ السَّحَرُ الْغَنِيِّ وَجَنَّةٌ
 وَكُنْزًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ وَالْفَلَواتِ
 وَيَدْفَعُهُمْ حِقْدُ السَّيْنِ وَمَوْجَةٌ
 وَدَفْقَةٌ إِجْرَامٍ وَنَزْعُ طُغَاةٍ
 يُوَارُونَ أَحْلَامَ الضَّلَالِ بِفِرْيَةٍ
 وَيُخْفُونَ مِنْ مَكْرٍ وَمِنْ غَضَبَاتٍ
 وَيُلْقُونَ رَايَاتِ «الصَّلِيبِ» أَمَامَهُمْ
 سِتَارًا يُوَارِي نَهْمَةَ الْغَزَوَاتِ
 فَيَا أَيُّهَا التَّارِيخُ أَيُّ عِصَابَةٍ
 تَوَلَّتْ مِنَ الْإِجْرَامِ زَيْفَ رُؤَاةٍ
 أَيُصْلَبُ عَيْسَى...! ثُمَّ يُجْعَلُ خَالِقًا
 فَيَا وَيْلَ بُهْتَانٍ وَوَيْلَ جُنَاةٍ
 وَمَا صَلْبُوه...! غَيْرَ أَنَّ عِصَابَةَ
 مِنَ الشَّرِّ حَاكَّتْهَا سِتَارَ غُوَاةٍ
 وَتَمْضِي مَعَ التَّارِيخِ حَتَّى كَأَنَّهَا
 حَقَائِقُ شَدَّتْ عُرْوَةَ وَصِلَاتٍ
 يَهِيْجُ لَهَا حَشْدُ الضَّلَالِ حَمِيَّةً
 مِنَ الْجَهْلِ أُمُوجًا عَلَى حَمَلَاتٍ^(١)

(١) الحروب الصليبية وما تبعها من غزو ومكر على مر السنين حتى يومنا هذا.

وَتَدْفَعُ مَا بَيْنَ الشُّعُوبِ ضَغَائِنًا
وَتُوقِدُ مِنْ نَارٍ وَمِنْ جَمَرَاتٍ
وَيَأْتِي رَسُولُ اللَّهِ عَيْسَى شُرُورَهَا
وَيَأْتِي صَفَاءُ الدِّينِ وَيَلْ عُدَاةٍ
وَلَوْ صَدَقُوا فِي الدِّينِ صَانُوهُ بَيْنَهُمْ
وَمَا هَتَكُوا أَعْرَاضَهُمْ بِزُنَاةٍ
وَمَا شَرَعُوا لِلنَّاسِ شِرْعَةً مُلْحَدٍ
وَمَا نَزَعُوا لِلسُّوءِ مِنْ دَفْعَاتٍ
وَلَكِنَّمَا الْأَهْوَاءُ تَقْتُلُ أَهْلَهَا
وَتَرْمِي بِهِمْ فِي سَبَسَبٍ وَقِفْلَةٍ
يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ... وَيَلْ مَكَايِدٍ
وَعَزَّهُمْ فِيهِ وَصِدْقُ نَجَاةٍ
هُوَ الدِّينُ...! لَوْ قَامُوا إِلَيْهِ أَعَزَّهُمْ
بِهِ اللَّهُ فِي طُهُرٍ وَفِي بَرَكَاتٍ
تَجَمَّعَتِ الْأَحْقَادُ سُودَاءَ وَالتَّقَتِ
مَطَامِعُهَا مَوْجًا مِنَ الظُّلُمَاتِ
تَدْفِقُ مِنْهَا الْكَيْدُ وَالْمَكْرُ وَالْأَسَى
قُرُونًا وَأَجْيَالًا وَصَبَرَ دُهَاءَ
لَتَلْقَى بَيْنَ النَّاسِ مِنْ رَعِشَةِ الْهَوَى
صُنُوفًا وَأَلْوَانًا مِنَ الرَّعِشَاتِ

وَتَدْفَعُ مِنْ حُمَى الْهَوَى جَاهِلِيَّةً
تَدْفُقُ فِي عِرْقٍ وَفِي نَبَضَاتِ
وَتَسْتَلُّ أَلْبَابَ الرِّجَالِ وَهَمَّةً
وَتَطْوِيهِمْ فِي غَفْوَةٍ وَسُبَاتِ
وَتَدْفَعُهُمْ عَبْرَ الدَّرُوبِ طَوَائِفًا
تَهَاوَتْ وَأَحْزَابًا وَحَرْبَ فِئَاتِ
هُوَ الْمَكْرُ...! فِي كُلِّ الْمَيَادِينِ مُطْبِقٌ
لِيَرْسُمَ مِنْ حَرْفٍ وَمِنْ كَلِمَاتِ
وَيَدْفَعُ أَقْلَامًا تَصُوغُ لَهُ الْمُنَى
وَيَرْفَعُ مِنْ صَوْتٍ وَمِنْ نَبْرَاتِ
وَيَنْصُبُ أَصْنَامًا تُرَاقُ لَهَا الدِّمَا
وَيَنْتَهِكُ الْأَعْرَاضَ وَالْحُرْمَاتِ
وَيَدْفَعُ أَشْبَاهَ الرِّجَالِ يَقُودُهَا
عَبِيدًا وَيَرْمِيهَا عَلَى شَفَرَاتِ
وَيُرْخِي حَبَالَ الْوَدِّ بَيْنَ وَعُودِهِ
حَبَائِلَ شَيْطَانٍ وَكَيْدَ عُدَاةِ
وُعُودَ نِيُوبٍ كَشَّرَتْ وَمَخَالِبِ
تَجْمَعُ فِيهَا الْمَوْتُ لِلْوَثْبَاتِ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَايَةٌ يَدْعِي بِهَا
ذُؤُوهَا صِلَاحَ الْحَالِ بِالْدَعَوَاتِ

فَقَوْمِيَّةٌ كَانَتْ أَشَدَّ ضَرَاوَةً
عَلَيْنَا وَأَنْكَى مِنْ نِصَالِ بُغَاةٍ
رَمَوْهَا إِلَيْنَا فِتْنَةً خَاضَ شَرَّهَا
شُيُوخٌ وَفَتِيَانٌ وَعَيٌّ فَتَاةٍ
وَيَنْسَلُ...! يُلْقِي حَيْثُمَا سَارَ فِتْنَةً
عَلَى بَسَمَاتِ الْغَدْرِ وَالنَّظَرَاتِ
وَيَطْوِي جَنَاحِيهِ عَلَى ذُلِّ خِدْعَةٍ
وَيَنْشُرُ كَفِيهِ بِفَيْضِ هِبَاتٍ
وَيَغْرُسُ فِي الْأَقْصَى بُذُورَ مُصِيبَةٍ
وَيَجْمَعُ مِنْ كُوخٍ وَمِنْ شَجَرَاتٍ
فَتَنْبُتُ أَغْرَاسٌ وَتَنْمُو شُجَيْرَةٌ
وَيَمْتَدُّ مِنْ كُوخٍ إِلَى حُجَرَاتٍ
إِلَى سَاحَةِ ضَجَّتْ... وَأَيْكَ... وَرَوْضَةٍ
إِلَى قَلْعَةٍ تَعْلُو عَلَى ذُرَوَاتٍ
تَلَقَّتْ... أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَدَارُهُمْ
بَقِيَّةُ أَطْلَالٍ وَجَمْعُ رُقَاتٍ
كَأَنَّ الَّذِي يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ هَالِكٌ
مِنَ الْخَدَرِ الْقَتَالِ وَالسَّكْرَاتِ
وَكَمْ طَرَقَ الْأَذَانَ مِنْ نُذُرٍ دَوَتْ
فَمَا وَعَتِ الْأَلْبَابُ مِنْ طَرَفَاتٍ

سُكَّارَى عَلَى لَهْوٍ .. حَيَارَى عَلَى خُطَا
 أَسَارَى لِشَوْقٍ هَائِجٍ النَّزَعَاتِ
 فَهَلْ أَوْبَةٌ لِلَّهِ يَا قَوْمِ يَنْجَلِي
 بِهَا الذُّلُّ عَنْ عِزٍّ وَعَنْ فُرَجَاتِ
 وَهَلْ رَجْعَةٌ لِلَّهِ نَصْدُقُ حَقَّهَا
 وَنَنْفُضُ عَنْ سَكْرَةِ الْهَجْعَاتِ
 فَهَذَا ابْتِلَاءٌ مَحَّصَ اللَّهُ عِنْدَهُ
 نَفُوسًا وَأَلْقَى بَيْنَهَا بَعْضَاتِ
 لِيَسْتَبْدِلَ الرَّحْمَنُ قَوْمًا سِوَاهُمْ
 إِذَا مَا تَوَلَّوْا فِي دُرُوبِ غُوَاةِ



فهرس الموضوعات

٤	إهداء
١٢ - ٥	مقدمة
٤٣ - ١٣	أسماء القدس ومكانها وجبالها ووديانها
١٩ - ١٥	أسماء مدينة القدس
٢٠ - ١٩	موقعها وجوها
٢١ - ٢٠	أهم جبالها
٢٣ - ٢١	أهم وديان القدس
٢٧ - ٢٣	سور مدينة القدس وأبوابها
٢٧	وصف المسجد الأقصى
٢٨	الهيئة العربية العليا لفلسطين توثق آثار المسجد الأقصى
٢٨	الوصف الفني للمسجد
٣٠ - ٢٨	أقسام المسجد الأقصى
٣٠	قباب المسجد الأقصى
٣١	مآذن المسجد الأقصى
٣١	أروقة المسجد الأقصى
٣٢	سبيل الحرم
٣٢	أبواب الحرم المفتوحة
٣٢	أبواب الحرم المغلقة
٣٣	عدد النوافذ (في الأقصى)
٣٣	العقارات الموقوفة على الحرم
٤٠ - ٣٣	متفرقات عن الحرم القدسي

الصفحة

الموضوع

٣٣	* الإضاءة في الحرم
٣٥ - ٣٤	* المسجد الأقصى سنة ١٩٧٢م
٣٥	* قبة الصخرة
٣٨ - ٣٦	* قبة الصخرة من الداخل
٣٨	* الصخرة
٤٠ - ٣٩	* المزولة
٤٠	* في ساحات الحرم
٤٠	* بالأرقام
٤١ - ٤٠	* الحرم القدسي ، وهو المقصود باسم المسجد الأقصى
٤١	* أبواب الحرم القدسي
٤١	* محيط الحرم القدسي
٤٢ - ٤١	* الصخرة
٤٢	* القبة (قبة الصخرة)
٤٢	* البراق
٤٢	* المسجد الجامع
٤٣ - ٤٢	* المسجد العمري
٤٣	* أبواب الحرم الشريف في العصور المختلفة
٧٩ - ٤٥	تاريخ القدس قبل الإسلام
٤٨ - ٤٧	* نشأة «القدس» دينية منذ بداية التاريخ
	* العرب أول من سكن القدس . . والقدس كانت تعرف التوحيد
٥٢ - ٤٨	قبل قدوم خليل الرحمن عليه السلام

المواضوع

- * فاف بنى إسرائيل للقدس على عهد نبى الله يوشع بن نون عليه السلام..... ٥٢ - ٥٥
- * ظهور داود عليه السلام وتملكه على بنى إسرائيل..... ٥٥ - ٥٦
- * استيلاء داود على القدس من اليبوسيين..... ٥٦ - ٥٧
- * الصخرة التى بنى عليها داود مذبأ للرب؟..... ٥٧ - ٥٩
- * مدينه داود بعد داود..... ٥٩
- * الملك سليمان وعنايته الفائقة بعاصمته وبنائؤه القصر والهيكل وسور المدينه..... ٥٩ - ٦٠
- * الهيكل فى ذهن اليهود وشطحاتهم..... ٦٠ - ٦١
- * اليهود قوم بهت..... ٦١ - ٦٢
- * لا دليل على أن الحرم الإسلامى بُنى فوق مكان الهيكل..... ٦٢
- * انقسام اليهود بعد سليمان ودخول الفاتحين للقدس مراراً..... ٦٣ - ٦٤
- * بختنصر البابلى يدمر القدس ويأرب الهيكل..... ٦٤ - ٦٥
- * «كورش» ملك الفرس يسمح لليهود بالعودة إلى القدس..... ٦٦
- * الهيكل الثانى..... ٦٧ - ٧٤
- * كيف تم بناؤه ومتى؟..... ٦٧ - ٦٨
- * فلسطين فاف حكم الإسكندر..... ٦٨
- * فاف حكم أنطيوخوس السلوقى ملك سورية اليونانى سنة ٢٠٤.....
- ق.م..... ٦٨ - ٦٩
- * فافلال الرومان لأورشليم وفلسطين..... ٧٠ - ٧٢
- * الفراب الثانى والأخير للهيكل وأورشليم..... ٧٢

الصفحة	الموضوع
٧٣ - ٧٢	* كيف انتهى أمره بالدمار والزوال؟
٧٦ - ٧٤	* هيكل هيرودس
٧٩ - ٧٦	* هيكل جوبيتر (كبير آلهة الرومان):
١٤٤ - ٨١	بيت المقدس والشام في القرآن الكريم والسنة المطهرة
٨٣	* فضائل بيت المقدس والشام في القرآن الكريم
٨٦ - ٨٣	(١) بيت المقدس والشام أرض مباركة
٨٦	(٢) هذه الأرض مقدسة طاهرة
٨٧ - ٨٦	(٣) هذه الأرض أرض صدق
٨٨ - ٨٧	(٤) أقسم الله بها، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم
٨٨	(٥) بيت المقدس أرض المحشر والمنشر
٨٩	* فضائل الشام في السنة المطهرة
٩١ - ٩٠	(٦) أولاً: بسطُ الملائكة أجنحتها على الشام
٩٣ - ٩١	(٧) ثانياً: الشام صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه
٩٤ - ٩٣	(٨) ثالثاً: تكفل الله تعالى بأهل الشام فلا ضيعة عليهم
	(٩) رابعاً: عمود الكتاب والإسلام بالشام وتمام دين الله
٩٦ - ٩٤	وظهوره سيكون بها:
	(١٠) خامساً: أهل الشام ميزان للصالح والفساد في أمة
٩٧ - ٩٦	الإسلام
٩٨ - ٩٧	(١١) سادساً: دعا النبي ﷺ لها بالبركة
	(١٢) سابعاً: نُصح النبي ﷺ بسكنى الشام دليل على
١٠٠ - ٩٩	أفضليتها

المواضوع

- (١٣) ثامناً: أراض الشام رباط وثمر إلى يوم القيامة وهي عقر دار المؤمنين..... ١٠٠ - ١٠١
- (١٤) تاسعاً: خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ومهاجر إبراهيم تعدل مهجر نبينا ﷺ..... ١٠١ - ١٠٢
- (١٥) عاشراً: بأرض الشام الطائفة المنصورة..... ١٠٣ - ١٠٤
- (١٦) الحادي عشر: أهل الشام سوط الله في الأرض يتقم بهم ممن يشاء..... ١٠٥
- (١٧) الثاني عشر: كثرة شهداء الشام وفضلهم العظيم عند الله ١٠٥ - ١٠٧
- (١٨) الثالث عشر: شجرة طوبى في الجنة تشبه أشجار الشام.. ١٠٧ - ١٠٨
- (١٩) الرابع عشر: بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار.. ١٠٨
- (٢٠) الخامس عشر: الشام أرض المحشر والمنشر..... ١٠٩
- (٢١) وأخيراً: رؤيا أم النبي ﷺ قصور الشام عند ولادته... ١٠٩ - ١١٢
- * فضائل بيت المقدس خاصة في السنة المطهرة..... ١١٢
- (٢٢) ١ - بيت المقدس وفلسطين هي مهاجر إبراهيم ولوط عليهما السلام..... ١١٢
- (٢٣) ٢ - بيت المقدس - المسجد الأقصى - ثاني مسجد بني على الأرض..... ١١٢ - ١١٤
- (٢٤) ٣ - موسى عليه السلام يسأل ربه عند موته أن يذنيه من الأرض المقدسة رميه بحجر..... ١١٤
- (٢٥) ٤ - يوشع بن نون فتى موسى ونبي بني إسرائيل ونبأه العجيب: حبس الله له الشمس عند فتحه للقدس..... ١١٤

الصفحة	الموضوع
١١٦	(٢٦) ٥ - ديار يعقوب عليه السلام
١١٦	(٢٧) ٦ - وبالقدس كان مُلك داود عليه السلام ومحرابه
١١٧	(٢٨) ٧ - مُلك سليمان ونبوته في البيت المقدس
	(٢٩) دعوة سليمان عليه السلام لمن صلى في بيت المقدس أن
١١٧	يكون من خطيبته كيوم ولدته أمه
١١٨	(٣٠) ٨ - متعبد مريم بفلسطين .. ومحراب زكريا عليه السلام
	(٣١ - ٣٢) ٩ - أليادان الفذان كانا بفلسطين ميلاد السيد
	الخصور يحيى .. من سماه الله وسلم عليه وميلاد عيسى ابن
١١٩	مريم عليهما السلام
	(٣٣) ١٠ - الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس وإمامته
١٢٩ - ١٢١	للأنبياء في الصلاة بالمسجد الأقصى
١٢٩	* تنبيه هام جداً
١٣١	* الحكمة من الإسراء إلى المسجد الأقصى
١٣٤	* الرسول ﷺ يتسلم مفاتيح بيت المقدس
١٤١ - ١٣٩	(٣٤) ١١ - قبله المسلمين الأولى بيت المقدس
	(٣٥) ١٢ - بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها
١٤١	الرحال
١٤٢	(٣٦) ١٣ - الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة
١٤٣	* وقفة مع حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ
١٤٤	(٣٧) ١٤ - لَنَعْم المصلى بيت المقدس

١٤٥ - ٢٦٤

بيت المقدس وفلسطين في التاريخ الإسلامي

- ١٤٧ * تبشير النبي ﷺ بفتح بلاد الشام وبيت المقدس
- ١٥٠ * دعاء النبي ﷺ لأهل الشام بالهداية إلى الإيمان
- ١٥١ * اهتمام النبي ﷺ بها عملاً بعد تكريمها وتعظيمها معنى
- ١٥٢ * كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو في بيت المقدس
- ١٥٣ * غزوة مؤتة في جمادى الأولى ٨ هـ
- ١٥٤ * غزوة تبوك في أول رجب ٩ هـ
- * عقد النبي ﷺ اللواء لأسامة وهو في مرض الموت وبعث
- ١٥٥ أسامة بن زيد إلى تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين
- ١٥٦ * عهد الصديق - رضي الله عنه -
- ١٥٦ * إنفاذ بعث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -
- ١٥٧ * الصديق يوجه الجيوش لفتح الشام وجهاد بني الأصفر
- * فزع النصارى من الجيوش الإسلامية وبعثهم إلى هرقل ببيت
- ١٥٨ المقدس
- ١٥٩ * ما أصدق فراسة الصديق بطرد الروم من بيت المقدس
- * العربة ودائن بغزة أول معركة للمسلمين على أرض فلسطين
- ١٥٩ ذو الحجة ١٢ هـ:
- * أولى المعارك الكبرى بالشام وأول معركة على أرض فلسطين
- ١٦٠ - ١٦٥ «موقعة أجنادين» السبت ٢٧ جمادى الأولى ١٣ هـ
- * فتح غزة على يد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أيام
- ١٦٦ الصديق - رضي الله عنه -

الصفحة

الموضوع

- ١٦٧ * في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- ١٦٧ * رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب
- ١٦٨ * من أرطوبون إلى عمرو - رضي الله عنه - : ..
- ١٦٩ * عمرو - رضي الله عنه - وفلسطين
- ١٧٠ * إنذار من عمرو إلى أهل إيلياء
- ١٧٢ * حصار أمين هذه الأمة ومعه أرطوبون العرب لبيت المقدس ...
- * عود على بدء ... وتفصيل لما كان من أمر أبي عبيدة
- ١٨٢ - ١٧٣ وحصاره للقدس
- ١٨٢ * القدس تسلم للأمين الزاهد، ويضيعها الخونة المترفون
- ١٨٣ * فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر - رضي الله عنه - ...
- ١٩٠ * صلح القدس «الوثيقة العمرية»
- ١٩٢ * رواية للفتح لابن عساكر
- ١٩٣ * فتح القدس في المصادر المسيحية
- ١٩٥ * ملاحظات على الوثيقة العمرية
- ١٩٦ * فوائد من الوثيقة - إن صحت
- ١٩٨ * رواية جيدة لكتاب عمر - رضي الله عنه - لنصارى الشام ...
- ١٩٩ * وقفة بل وقفات أمام فتح الفاروق للقدس وعظاته النيّرات ...
- ٢٠٠ * ركب الخليفة لاستلام القدس العريقة
- * وقفات أخرى مع الفتح العمري .. المسجد الأقصى يوم
- ٢٠٢ الفتح «سنة ١٥ أو ١٦هـ»
- ٢٠٣ * مصلى عمر أو جامع عمر

الصفحة

الموضوع

- ٢٠٣ * قصة لا تثبت
- ٢٠٤ * حدود المسجد الأقصى
- ٢٠٤ * في العهد النبوي
- ٢٠٦ * بعد الفتح العمري
- * فتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -
- ٢٠٧ سنة ١٩هـ
- ٢٠٩ * بيت المقدس في عهد الخلافة الأموية
- ٢٠٩ * في عهد معاوية - رضي الله عنه -
- ٢١٠ * في عهد عبد الملك بن مروان
- ٢١٠ * رواية يعقوبي كذب صراح
- ٢١١ * ضعف رواية سبط ابن الجوزي
- * القول الأول بأن باني قبة الصخرة وجامعها هو عبد الملك بن مروان
- ٢١٢ * القول الثاني: باني قبة الصخرة وجامعها هو الخليفة الوليد
- ٢١٣ ابن عبد الملك
- ٢١٤ * في عهد سليمان بن عبد الملك
- * من مرّ بالقدس أو سكنها أو مات بها من أعيان الأمة
- ٢١٤ وصالحها
- * ذكر من دخلها أو مرّ بها أو سكنها أو توفي بها من الصحابة
- ٢١٥ والتابعين وصالحى الأمة وهذا من فضلها
- ٢١٥ * من دخلها من أعيان الصحابة

الصفحة

الموضوع

- * وأما من التابعين ومن بعدهم ٢١٧
- * بيت المقدس في العصر العباسي ٢١٩
- * بيت المقدس في العصر الطولوني ثم الإخشيدي ثم الفاطمي العبيدي ٢٢١
- * الاحتلال الصليبي للقدس ٤٩٢ - ٥٨٣هـ (١٠٩٩ - ١١٨٧م) ٢٢٣
- * حصار القدس وسقوطها والمذابح التي تمت بها ٢٢٩
- * خيانة الفاطميين الزنادقة لبيت المقدس نسجلها للتاريخ ٢٣٠
- * ماذا فعل المسلمون الغافلون يومئذ بعد أن ضاعت قبلتهم الأولى؟ ٢٣٤
- * دخول القدس ومذبحتها بقلم عباد الصليب ٢٣٧ - ٢٤٤
- * ما سقطت القدس وضاعت إلا بسقوط الأمة وضياعها: ٢٤٥
- * الأسباب التي أدت إلى سقوط القدس في أيدي الصليبيين وهل يعيد التاريخ نفسه؟ ٢٤٥
- ١ - ضعف الخلافة العباسية في بغداد وتمزقها ٢٤٦
- ٢ - جشع كبار القوم وترفهم وشظف العيش وفقر عامة الناس من جانب آخر ٢٥٠
- ٣ - ابتعاد العلماء عن قيادة الأمة التي تنتظر الخلاص على أيديهم إذا جاءها الضر عن طريق الأمراء ٢٥٣
- * الباطنيون والإرهاب الداخلي ٢٥٥
- * انتشار الفكر الشيعي والباطني في بلاد الإسلام .. وخيانة

الصفاة

المواضوع

٢٥٦ الفاطميين للقدس
٢٥٨ * الفاطميون زنادقة خونة
٢٦١ * وزراؤهم
٣٠٦-٢٦٥	فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين
٢٦٧ * استعادة بيت المقدس
٢٦٨ * عماد الدين زنكي واسترجاع الرها
٢٧١ * نور الدين محمود زنكي
٢٧٥ * العلماء في عهد نور الدين
٢٧٦ * جهاد نور الدين محمود
٢٧٧ * فتوحات نور الدين
٢٧٩ * توحيد مصر والشام
٢٨١ * وقفات مع نور الدين محمود زنكي
٢٨٢ * منبر نور الدين محمود بن زنكي
٢٨٧ * صلاح الدين يوسف بن أيوب
٢٨٨ * بعض أعمال صلاح الدين
٢٨٨ * إرجاع مصر إلى السنة
٢٨٨ * توحيد بلاد الشام ومصر
٢٩٠ * جهاده
٢٩٠ * حطين مقبرة للصليبيين مهدت لفتح القدس
	* السلطان الناصر يوسف يخرج بلاد الحق فلسطين من سجنها
٢٩٢ ويحررها
٢٩٥ * شغفه بالجهاد
	* ويحلو الحديث عن الناصر صلاح الدين محرر الأقصى من

الصفحة	الموضوع
٢٩٧	الصليبين.....
٢٩٩	* منزلة العلم والعلماء عنده.....
٣٠٠	* وزراؤه وأمرؤه.....
٣٠٢	* هل تنازل صلاح الدين عن فلسطين؟.....
٣٠٤	* نور الدين محمود وصلاح الدين من المجددين.....
٣٠٤	* أولاً: الحديث عن الجهاد وممارسته عملياً.....
٣٠٥	* ثانياً: إشاعة روح العدل.....
٣٠٥	* رابعاً: العمل بالسياسة.....
٣٠٦	* خامساً: تقريب العلماء.....
٣٠٧ - ٤٠٤	أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس مدينة السلام
٣٠٩	* أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس.....
٣٠٩	* وصف الفتح بقلم القاضي ابن شداد.....
٣١١	* فتح بيت المقدس بقلم الحافظ ابن كثير.....
٣١٤	* فتح القدس بقلم العماد.....
٣١٤	* قال العماد - رحمه الله -.....
٣٢٠	* نزول السلطان على البيت المقدس وحصره وما كان من أمره.....
٣٢٥	* ذكر يوم الفتح وبعض كتب البشائر إلى البلاد.....
٣٢٩	* ومن كتب آخر.....
٣٣٣	* قال العماد.....
٣٣٥	* ومن كتب آخر.....
٣٣٧	* ومن كتب آخر.....
٣٣٩	* ومن كتاب فاضلي إلى بغداد.....
٣٣٩	* ومنه في وصف نقب السور.....

- ٣٤١ * ووصف فيه يوم حطين فقال
- ٣٤٢ * الشعر وفتح القدس
- ٣٤٢ * قال الجلياني (الجلياني)
- * قصيدة فخر الكتاب أبي علي الحسن بن علي الجويني في
- ٣٤٣ فتح بيت المقدس
- ٣٤٤ * ولنقيب الأشراف بالديار المصرية النسابة الجواني
- ٣٤٥ * وقال أبو الحسين بن جبير الأندلسي
- ٣٤٧ * وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي
- ٣٤٧ * وله من قصيدة أخرى في السلطان
- ٣٤٨ * وللعقاد قصيدة يهنئ بها صلاح الدين بفتح القدس
- ٣٤٩ * ولنجم الدين يوسف بن الحسين بن المجاور قصيدة
- * وقال الرشيد بن بدر النابلسي في فتح القدس يمدح صلاح
- ٣٥١ الدين ويهنئه بما أوتي من الفتوح
- ٣٥٤ * وقال الدكتور عدنان النحوي في «ملحمة فلسطين»
- ٣٥٤ * صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس
- * وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي يمدح الملك الناصر
- ٣٥٥ صلاح الدين
- * صفة إقامة الجمعة بالأقصى شرفه الله تعالى في رابع شعبان
- ٣٥٨ ثامن يوم الفتح
- ٣٦٢ * فصل: قال العقاد في كتاب «البرق»
- ٣٦٥ * قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٤٦/١٢)
- ٣٦٦ * خطبة القاضي محيي الدين بن الزكي
- ٣٧٣ * من وصايا صلاح الدين لجنوده

الصفحة

الموضوع

- * المدرسة الصلاحية من مآثر صلاح الدين أضعافها سلاطين الأتراك ٣٧٣
- * عكا وما أدراك ما عكا؟ صفحات مجد وبطولة ٣٧٦
- * شباب صنعهم الإسلام وبطولات نادرة في عكا ٣٧٧
- * البطل المسلم عيسى العوام قصة نهديها لمن زوروا التاريخ وزيفوه ٣٧٨
- * وانظر إلى أبطال الإسلام ٣٨٠
- * رحم الله شهداء عكا.. وما أغدر النصارى وأخسهم ٣٨٤
- * الأيوبيون بعد صلاح الدين ٣٨٦
- * تخريب سور بيت المقدس ٣٨٧
- * تسليم بيت المقدس للفرنجة ٣٨٩
- * بكاء الشعراء لبيت المقدس بعد تسليمه للفرنج ٣٩٠
- * المماليك مغاوير الإسلام.. حفظة فلسطين الأمانة ٣٩٤
- * بيارس المجاهد العظيم الذي أدب التتار والصليبيين ٣٩٤
- * الملك الأشرف خليل، يفتح عكا ثم يدمرها سنة ٦٩٠هـ ٣٩٧
- * ويظهر كل الساحل من دنس الصليبيين ٣٩٧
- * ثانيًا: آثارهم في المسجد الأقصى، والحرم القدسي ٤٠٠
- (أ) الأروقة في المسجد الأقصى: ٤٠٠
- (ب) رُخْم صدر المسجد الأقصى ٤٠٠
- (ج) جُدّد تذهيب قبة الصخرة ٤٠٠
- (د) عُمِرَت القناطر ٤٠٠
- (هـ) جددت عمارة باب القطنين سنة ٧٣٦هـ ٤٠٠
- (و) المدرسة الجاولية ٤٠١

٤٠١	(ز) سبيل قايتباي.....
٤٠١	(ح) المدرسة التنكزية.....
٤٠١	(ط) الرخام المبني في حائط المسجد الأقصى.....
٤٠١	(ي) تجديد قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس.....
٤٠١	(ك) مئذنة باب الأسباط.....
٤٠١	(ل) منبر برهان الدين.....
	* ثالثاً: المدارس التي أوقفها السلاطين لخدمة أهل المسجد
٤٠٢	الأقصى.....
٤٠٥ - ٤٥٤	فلسطين والخلافة العثمانية
	* فلسطين أيام الخلافة العثمانية ٩٢٢هـ - ١٣٣٦هـ / ١٥١٧ -
٤٠٧	١٩١٧م).....
٤٠٨	* حفاظ السلطان عبد الحميد على فلسطين والديار الإسلامية
٤٣٤	* السلطان عبد الحميد واليهود.....
٤٣٦	* ما يؤخذ على الأتراك.....
٤٤٣	* العهد العثماني في سنواته الأخيرة في بيت المقدس.....
٤٤٤	* ولوجه الله نقول للتاريخ.....
٤٤٥	* دخول الإنكليز القدس.....
٤٤٧	* الثورة العربية خنجر دامي في الخلافة العثمانية.....
٤٤٧	* دخول النبي فلسطين ومعه الغفاة من القوميين.....
٤٥١	* غورو الصليبي وقبر صلاح الدين.....
٤٥٥ -	عداوة اليهود والنصارى دينية ومعركة القدس بين أبواق
٥٦٣	اليهود وأجراس النصارى وأذاننا
٤٥٧	* عداوة اليهود والنصارى دينية.....

الصفحة

الموضوع

- ٤٥٩ * وجوب تحرير أرض إسرائيل في نظر الحاخامات
- ٤٦٧ * وللعقيدة اليهودية أثر كبير في الحركة الصهيونية
- ٤٧٠ * انظر إلى هوسهم بالقدس
- ٤٧٦ * إسرائيل دولة دينية حتى النخاع
- ٤٧٨ * أولاً: الحفريات تحت المسجد الأقصى
- ٤٧٨ * ثانياً: شق الأنفاق
- ٤٧٩ * ثالثاً: السور العازل بين المسلمين واليهود
- ٤٨٠ * الاستعداد لبناء الهيكل
- ٤٨٠ * جمع الأحجار أولاً
- ٤٨١ * وماذا بعد الحجارة؟
- ٤٨٣ * الشمعدان السباعي المقدس
- ٤٨٤ * والتابوت
- ٤٨٥ * المذبح المقدس
- ٤٨٥ * البقرة الحمراء العاشرة (ميلودي)
- ٤٨٦ * البقرة ونجاسة الشعب (المختار)
- ٤٨٧ * موعد ذبح البقرة
- * أيها الغافلون:
- اليهود اليوم ليسوا من سلالة يعقوب - عليه السلام - بل يهود
- ٤٨٨ الشتات وحثالة العالم يجمعهم الدين فقط
- ٤٩٠ * أنجب المكر سليله
- ٤٩٣ * النصرى وما أدراك ما النصرى
- ٤٩٥ * التاريخ خير شاهد
- ٤٩٥ * نداء نابليون قبل وعد بلفور

- * برطانفا البروتسانفة ٤٩٨
- * وعد بلفور ٥٠٠
- * وهذا نص وعد بلفور ١٩١٧م ٥٠٢
- * لورانس العرب على خطا هرتزل ٥٠٥
- * وفرنسا صلففة ٥٠٦
- * والألمان على خطى الإنفلز ٥٠٦
- * والروس أفضاً فالكفر ملة واحدة ٥٠٦
- * والأمم المتحدة لعة ففوففة ٥١٠
- * أمرفكا البروتسانفة والحركة الصففوففة المسفففة ٥١١
- * بفاة أمرفكا صلففة صففوففة ٥١٣
- * السفارة النصرافية الفوففة ٥١٤
- * «بال» الفاففة ٥١٥
- * «معركة هرمففون» واعفقا الفوففان والففوف ففها ٥٢٠
- * صوفة صلففة إنففلفة أمرفكة ٥٢٢
- * الإعلام الفففف ٥٢٤
- * الكنفسة المرففة ٥٢٦
- * ولسن رففس أمرفكا المفصّب الإنففلف ابن راعف الكنفسة وراء ٥٢٩
- * سبعة رؤساء أمرفكفون أصولفون إنففلفون فضعون نصب ٥٣٠
- * أعففهم معركة «هرمففون» ٥٣٠
- * بوش وما أءراك مابوش!! ٥٣٦
- * ١٩٩٩م نصر بلا حرب ٥٣٧
- * الرففس الأمرفكف فروفان فعرف بإسرائفل بعء ١١ فقففة فقط

الصفحة	الموضوع
٥٣٨	من إعلان قيامها.....
٥٣٩	* الرئيس الأمريكي روزفلت وميداليته.....
٥٤٠	* جيرى فولويل.....
٥٤٣	* «بات روبرتسن» صاحب الخط ٨٠٠.....
	* جورج أوتس: اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب الله
٥٤٥	المختار.....
٥٤٥	* مايك إيفانز.....
٥٤٧	* أمريكا وقراراتها السياسية المتأثرة بمعتقداتها الدينية.....
٥٤٨	* والفايكان.....
٥٤٩	* ونصارى فلسطين.....
٥٥٠	* عجباً لمن يتحدثون ويحملون شعار - «الله محبة» -
	* الإعلام العربي العلماني يتاجر في المخدرات الفكرية غافل
٥٥١	عن روح الأمة.....
٥٥٦	* إن بين الإسلام والكفر حرباً.....
	* الصليبيون وحروبهم الصليبية وما فعلوه بالمسلمين في
٥٥٨	فلسطين وغيرها.....
٥٦٥	* فهرس الموضوعات.....